ƐΛ7V

٢١٢
ت . أتي

التيسير في التفسير ،للقشيرى ، عبدالكريم ابن هوازن - ٤٦٥هـ . كتب سنة ٩٥٤هـ .

ج ٢،١ في مجلدين (٢٢٠ق ،٥٠٠٠)٢٥، ٢٧س ٢٧×١٨ سم

٤٨٦٧ نسخة جيدة ،خطها نسخ حسن،من سورة التوبة الى آخر القرآن .

الاعلام ٤ :١٨٠ كشف الظنون ١ :٥٢٠

١ - التفسير ،القرآن الكريم وعلومه
أ - المؤلف ب- تاريخ النسخ جـ- التفسير الكبير .

محمد

جامعة الملك سعود * عمادة شئون المكتبات *
قسم المخطوطات

في نوبة كاتبه الفقير [illegible] بن سلطان [illegible]

وقف السلطان
الشيخ زين الدين
علي مزعين في وقفيته

مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات
الرقم: ٤٨٦٧ ف ١٩٥١ د
العنوان: التيسير في التفسير
المؤلف: لعبد الكريم بن هوازن القشيري
تاريخ النسخ:
اسم الناسخ:
عدد الأوراق: ج١ (٢٢٠ ق) ١٨×٢٧ سم
ملاحظات:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اوليا بعض اي لا تتولوا الكفار فليسوا باوليايكم بل بعضهم اوليا
بعض وليس معناه انه يلزمهم ان يتولى بعضهم بعضا كما في المسلمين لكن اريد به نفي الولاية بين الكفار
والمسلمين الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير الاكلمتان ان التي هي للشرط ولا التي هي للنفي
وحذف النون من اخر الفعل للجزم بالشرط وقيل هو متصل بقوله فعليكم النصر الا تفعلوه تكن
فتنة في الارض اي كفر وفساد كبير سفك الدما لان ترك التناصر في الدين يورث ذلك وقيل
هو مقرر في موضعه ويرجع الى كل ما سبق ذكره ومعناه ان خالفتم ما امرنا كم به
من التولي للمومنين والتبري من الكافرين ظهر الكفر وترك العمل بالشرايع والمناهج وفساد
الدين والدنيا وقال عبد الرحمن بن زيد كان المومن المهاجر والمومن الذي لم يهاجر
لم يتوارثان وان كانا اخوين مومنين فلما كان يوم فتح مكة وانقطعت الهجرة توارثوا
حيث ما كانوا بالارحام وقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرا اولوا الارحام اولى ببعض
وقوله تعالى والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اعاد ذكرهم
ليبني عليه بيان مدحهم وجزا افعالهم وهو قوله تعالى اولئك هم المومنون حقا قال ابن كيسان اي الذين
حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل الاموال في دين الله لهم مغفرة ورزق كريم كما بين في اول هذه السورة التيا
والجزا لهذه الطايفة ثم بين الذين يومنون ويهاجرون من بعد وهو قوله تعالى والذين امنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي لاحقين حكم السابقين وهم من جملتكم وداخلون في ولايتكم واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض اي التوارث وانتسخ به ما كان من المواخاة بين الذين هاجروا والذين اووا
ونصروا وهو نص على توريث ذوي الارحام عند عدم اصحاب الفرايض والعصبات وهو حجة لنا على
الشافعي رحمه الله فانه لا يورثهم وقوله تعالى في كتاب الله اي في حكم الله وقيل اي في اللوح المحفوظ وقيل
اي في القران ان الله بكل شي عليم فيقضي بين عباده بما شا من احكامه وقال القشيري رحمه الله في قوله
والذين امنوا من بعد وهاجروا اي يدين من سلك مسلكهم في الحال ومن يلحق في الاستقبال فالالفة تجمعهم
والولاية تشملهم فلهم من الله في العقبى جزيل الثواب والنجاة من العذاب في الدنيا الولاية والتناصر
والمودة والتقارب وقال المومن للاحباب محاب وللاقارب مقارب والكفار بعضهم اوليا بعض
وقد قيل طير السما الى الافها تقع وبالله العون والتوفيق وبالله استعين على الطاعات والقرب والكد البهجي
على تحصيل العلم والادب بحرمة حبيبك ونبيك المصطفى وابن عمه وختنه المرتضى اعني يا رب كما تحب وترضى

مسودة

بسم الله الرحمن الرحيم سورة التوبة

روينا عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال
وبراة فانا شفيع له يوم القيمة شاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وحملة العرش يستغفرون له ايام حياته وهي مدنية
واياتها مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلثون اية والاختلاف في ايتين ان
الله بري من المشركين يعذبكم عذابا وكلماتها الفان واربعماية وثمانون وسبعون
وحروفها عشرة الاف وتسعماية وسبعة عشر وعن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن
عفان ما حملكم الى ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براة وهي من المائين
فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع
الطوال فقال عثمان كان النبي صلى الله عليه وسلم يا تي عليه الزمان تنزل عليه السور
ذوات العدد وكان اذا انزل عليه الشي يدعو من يكتبه فيقول ضعوا هذه الايات في
السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال مما انزل عليه بالمدينة وكانت براة
من اخر القران وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنا بينهما ولم نكتب بينهما بسم الله
الرحمن الرحيم وكانتا تدعيان القرينتين فوضعناهما في السبع الطوال وقال
سفين بن عيينة وقد سئل لم لم يكتب في صدر براة بسم الله الرحمن الرحيم ان
التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين بالسيف ولا
امان للمنافقين وسئل علي بن محمد العلوي الكوفي عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن
الرحيم مفتاح سلم وبركة وبراة مفتاح حرب وهلكة فلم يجز افتتاح السلم والبركة
بافتتاح الحرب والهلكة وقال ابن كيسان نزلت براة على سنتين من هجرة النبي صلى
وقال الزهري كان سعيد بن المسيب يقول الانفال وبراة سورة و
وقال ابو عطية كتب ابن عمر تعلموا سورة براة وعلموا نساكم سورة النور
البرا بن عازب اخر سورة انزلت كاملة سورة براة وقال ابن عباس كا
براة تسمى الفاضحة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحت اقواما يوم
وهو الحج الاكبر بما انزل الله من سوءاتهم وما كانوا اكتموه من غش النبي صلى الله عليه
وسلم ومن المفسرين من سماها بسبعة اسما سورة التوبة والمبعثرة اي المظهرة
لاسرار المنافقين من قوله اذا بعثر ما في القبور والفاضحة والمنكلة والمشردة

والمخزية من قوله ويخزهم والمدمدمة وهي المهلكة وقوله براءة من الله ورسوله اي هذه
براءة اي انقطاع عصمة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين اي ملقاة الى المشركين
الذين عاهدتم وقوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي قل لهم فسيحوا اي سيروا على
مهل على الامان من القتال اربعة اشهر من هذا الوقت الى تمام هذه المدة وكان الذين لهم
عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على انواع منهم من بقي من مدته اكثر من اربعة اشهر
ومنهم من بقي قدر اربعة اشهر ومنهم من بقي اقل من ذلك فجعل الكل على مدة اربعة
اشهر وكان هذا فضلا من الله حيث لم يامر بمناجزتهم بالحرب ليتفكروا ولا يعجلوا بشيء
وقال محمد بن اسحق هم صنفان من المشركين احدهما كلب كانت مدة عهدهم اقل من
اربعة اشهر فامهلوا بالسياحة تمام اربعة اشهر والاخر خزاعة كانت مدة عهدهم ستين فقصروا
على مدة اربعة اشهر وهم حرب بعد ذلك يقتلون حيثما ادركوا ويوسرون الا ان
يومنوا وقال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان عهده دون الاربعة فاتم
له الاربعة الاشهر ومن كان عهده اكثر من ذلك فهي حقهم يقول فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم وقيل التاجيل بالاربعة لمن نقض العهد فاما الذي لم ينقض ولم يظاهر احدا على
المومنين فقد امر باتمام العهد بينه وبينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وقال محمد بن كعب بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم سنة تسع بالبراءة ثم اتبعه عليا رضي الله عنه
قال جابر كنت مع علي حين اتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر فلما كنا بالعرج
ثوب بصلوة الصبح فلما استوى ابو بكر ليكبر سمع الرغا فوقف وقال هذا رغا ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعا لقد بدا لرسول الله في الحج فاذا عليها علي فقال
ابو بكر اميرا ام رسول قال بل ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة اقراها
على الناس في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب
الناس وحدثهم عن مناسكهم ثم قام علي فخطب الناس وقرا عليهم اربعين اية
من براءة واجل المشركين اربعة اشهر وفي رواية كان ذلك يوم عرفة واجل المشركين عشرين
من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من شهر ربيع الاخر ونادى
في الناس في منازلهم لا يدخل الجنة الا مومن ويتم الى ذي عهد عهده ولا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقال الزهري فسيحوا في الارض اربعة اشهر
نزلت في شوال فهي الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وعلى هذا

النحر يكون هذا وقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين واحلا
وقال مقاتل نزلت في ثلثة احيا من العرب خزاعة وهلال بن عويمر وبنو مدلج منهم
سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ومن بني جذيمة وعامر وهما حيان من كنانة كان النبي
صلى الله عليه وسلم عاهدهم عشر سنين بالحديبية فجعل الله اجل الذين كانوا في العهد اربعة اشهر
من يوم النحر الى عشرين من شهر ربيع الاخر قيل ولما ضربت لهم هذه قالوا نسيح في
المدة على امان ثم نختار فنمتنع فنزل قوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي فايتي الله اي
لا تقدرون ان تفوتوا فتخرجوا عن قبضة قدرة الله وقوله تعالى وان الله مخزي الكافرين
اي واعلموا ان الله مخزيكم فيذلكم ويفضحكم وقال القشيري ان الله تعالى لما ان
قطع عنهم ضرب لهم مدة على وجه المهلة على انهم ان اقلعوا عن الضلال وجدوا في المال
ما فقدوا من الوصال وان ابوا الا التمادي في ترك الخدمة والحرمة انقطع ما بينه
وبينهم من العصمة ثم ختم الاية بما معناه ان اصررتم على قبيح اثاركم مشيتم الى هلاككم
بقدمكم وسعيتم في عاجلكم باراقة دمكم وحصلتم في اجلكم على ندمكم فما خسرتم
الا في صفقتكم وما جرحتم سواكم شعر بدلت وتبدلنا واخزنا من ابتغى عوضا
ليلى فلم يجد وقوله تعالى واذان من الله ورسوله الاية قال ابن زيد والزجاج
اي اعلام من الله لكم يا معشر المسلمين فليوذن به بعضكم بعضا فقد امر [illegible] اعلامكم
يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله ورفع رسوله باضمار هو وقرا عيسى
بن عمر ورسوله نصبا عطفا على قوله ان الله وقرا الحسن ورسوله بالخفض على
معنى القسم وقيل ان اعرابيا سمع رجلا يقرا بالخفض فقال ان كان الله بريئا من رسوله
فانا بريء منه ايضا فاخذه الرجل بتلبيبه وجاء به الى عمر رضي الله عنه فقص
الاعرابي قراته فعند ذلك امر عمر بتعلم العربية يقول اعلموا هذا فقد اعلمنا المشركين
ذلك بقوله براءة من الله ورسوله وقال ابن عباس واعلام لاهل العهد من الله
ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بري ممن يعدل به غيره ورسوله بري ايضا
وقال القشيري برح الخفا فليس لهم ولا اذ لم يكن منهم وفا فليعلم الكافة انهم اعداء
شعر انا عوالنا في الحج اشنع قصة وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا وقوله تعالى فان تبتم اي
رجعتم يا اهل مكة من الكفر فهو خير لكم في الدنيا والاخرة تنجون به من السيف [illegible]
في الدنيا ومن العذاب في العقبى وان توليتم ابيتم الا عبادة الاوثان واعرضتم عن الايمان ودمتم
ودمتم على هذا التولي فاعلموا انكم غير معجزي الله اي فايتيه وبشر الذين كفروا بعذاب

اليم اي اعلمهم بذلك مكان بشارة المومنين المطيعين بالثواب والحج الاكبر هو الحج والحج الاصغر
هو العمرة وفي يوم الحج الاكبر اختلاف قال ابن عباس وابو هريرة وعبد الله بن عمر وابن
ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وابن مسعود وجماعة من التابعين هو يوم النحر وابن عمر
والمغيرة رويا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الركن في باب الحج الوقوف بعرفة
وطواف الزيارة ويجوز الوقوف بعرفة في ليله ويجب طواف الزيارة في نهاره ويقع فيه
اعمال كثيرة كاراقة الدما والحلق والرمي وفيه يحل المحرم وقال عمر وابن عباس في رواية
وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وجماعة من التابعين هو يوم عرفة لقول النبي صلى الله
عليه وسلم الحج عرفة وبفوات الوقوف بعرفة فوت الحج وقال مجاهد هو ايام الحج
كلها لان افعال الحج تودى فيها ومطلق اليوم على الايام لا ينحصر وقال محمد بن سيرين
الحج الاكبر العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق فيه حج الملل وقوله
تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين قيل الاستثناء منقطع بمعنى لكن والبراءة والانذار
بالعذاب في كل الكفار وتقديره لكن الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا
اي لم يطعنوا في دينكم ولم يدلوا على عوراتكم ولم يسعوا في نقيصة امركم ولم يظاهروا
عليكم اي لم يعاونوا عليكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم فان حفظ العهد تقوى
قال الله تعالى ومن اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين وقوله تعالى فان الله يحب
المتقين اي الحافظين العهد والاية نزلت في بني ضمرة وبني كنانة وكان بقي لهم من
مدتهم تسعة اشهر وقال ابن عباس من كان له عهد من المشركين قبل ان نزل
براءة اربعة اشهر فان نقض المشركون عهدهم من يوم اذن بالبراءة الى العاشر من شهر ربيع
الاخر فذلك اربعة اشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا اعداء فلا عهد لهم
وان وفوا بعهدهم الذي هو بينهم وبين رسول الله ولم يظاهروا عليه عدوا فقد امران
يفي بعهدهم وقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم قال الحسن اي خرجت ومضت
هذه الاربعة الاشهر التي قال فسيحوا في الارض اربعة اشهر لسائر المعاهدين وتسعة
اشهر لبني كنانة وخمسون يوما من يوم النحر الى اخر المحرم لمن لم يكن له عهد وهو
قول مجاهد وعمرو بن شعيب وعمرو بن اسحق وجماعة وسميت حرما لانه حرم قتلهم
فيها على الامان // باس صحيح // وقيل الاشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وقد روينا عن الزهري ان نزول براءة كان في اول شوال فكان بمضي
الاربعة الاشهر يعني شوال وذو القعدة وذي الحجة والمحرم فيكون الامر بقتلهم عند

من الامر بسياحة اشهر ولهم تمام مدتهم وقال الزجاج الاستثناء من براءة الله ورسوله الى المشركين وقيل من قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم والصحيح انه استثناء

انسلاخ

٣

انسلاخ الاشهر الحرم الثلثة بعد شوال وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اي
في الحل والحرم وخذوهم واحصروهم اي ضيقوا عليهم المسالك ولا تدعوهم يضربون في
البلاد للتجارة وغيرها واقعدوا لهم كل مرصد وفي كل مرصد اي مرقب والمرصد
الطريق الذي يرقب فيه العدو اي في كل طريق يظن مرورهم فيه لتاخذوهم وكل
مرصد على هذا منصوب بنزع الخافض وقيل هو منصوب على الظرف لانه مكان القعود
وهذا كله تبعيد لهم عن مكة ومنع لهم عن دخولها والاجتماع مع المسلمين في الحج وهو تحقيق
لما نودي فيهم لا يحج بعد العام مشرك وقوله تعالى فان تابوا اي عن الكفر واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة اي التزموهما فخلوا سبيلهم اي لا تقتلوهم ولا تاسروهم ولا تضيقوا عليهم
وقوله تعالى ان الله غفور رحيم غفر لهم كفرهم ومعاصيهم بالايمان ورحمهم فلا يعذبهم
وقال القشيري اذا اسلم الكافر بعد شركه ولم يقصر فيما وجب عليه من قسمي فعله وتركه
حصل الاذن في تخلية سبيله وفكه ان وجدنا لما ادعيت شهودا ولم نجد عندنا جحودا
ولما قرا علي رضي الله عنه هذه الايات قام رجل وقال ارايت لو جا رجل يسا من ليسمع القران اتقتلونه
فقال لو صبرت لبينت لك حكمه فيما انزل الله تعالى فانه مذكور فيما اقرا وهو قوله تعالى وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله تقديره وان استجارك احد من المشركين حتى
يسمع كلام الله فاجره اي ان جاءك احد من المشركين الذين لا عهد لهم يسالك ان تومنه وتكون جارا
له من وثوب المومنين عليه حتى يسمع كلام الله ويتامله فاجبه الى ذلك واجره فان تجاوز سمع وتدبره
ولم يومن فلا تقتله فقد امنته ولكن اوصله الى حيث يامن على نفسه وهو قوله تعالى ثم ابلغه
مامنه وقوله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي الكفار جاهلون مقلدون تجارون على الالف فاذا
التمس سماع كلام الله فاجبه فقد يكون مسترشدا فاذا سمع وتامل زال عنه الشبه فاسلم فان لم يفعل
ورجع الى موضعه فلكم بعد ذلك اذا وجدتموه قتلهم واخذهم لانكم قد اعذرتم اليهم وقال
عطا حتى يسمع كلام الله اي ما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وما افترض الله
في دينه من الصلاة والزكاة والصوم والحج ذلك بانهم قوم لا يعلمون فاسمعوهم حتى يعلموا وقال
القشيري اذا استجار المشرك اليوم لا يرد حتى يسمع كلام الله فاذا استجار المومن طول
عمره من الفراق متى يمنع عن سماع الله ومتى يكون في نهرة من يقول لهم لا تكلمون
وقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله كيف استفهام بمعنى الانكار
اي لا يكون للمشركين عهد عند الله يامنون به من عذابه في الاخرة // // // // باس صحيح
به على انفسهم عذاب الدنيا من الاخذ والقتل وقوله تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام

على الصحيح

الحرام ويجوز ان يكون استثناء من المشركين الذين لا عهد لهم وتقديره الا الذين عاهدتم ويجوز ان يكون
بمعنى لكن اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فلا تنقضوا عهدهم ولا تتعرضوا لهم ك
وقوله تعالى فما استقاموا اي على عهدهم فاستقيموا لهم اي على عهدكم ان الله يحب المتقين
اي الذين لا ينقضون العهد • وقال السدي وابن جريج هم بنو جذيمة • وقال
محمد بن اسحق هم قبايل من بني بكر عاهدوا يوم الحديبية • وقال ابن عباس هم قريش • وقال
عبد الرحمن بن زيد هولا قريش لم يستقيموا فضرب لهم بعد الفتح اربعة اشهر ليسلموا او يلحقوا باي
البلاد شاوا فاسلموا قبل اربعة اشهر • وعن ابن عباس في رواية انهم بنو ضمرة • وقال
الحسن بن الفضل هم جذيمة وكنانة • وقال مقاتل هم خزاعة وبنو مدلج • وبنو جذيمة
وقال الامام ابو منصور اي كيف يستحقون ان نعطي لهم العهد وقد نقضوا العهود التي
بينهم وبين ربهم وهو عهد الخلقة اذ في خلقة كل احد انها دالة على وحدانية الله تعالى
والوهيته ونقضوا ما عهد اليهم من اظهار صفة محمد ونعته بالخلق ونقضوا العهود التي
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحفظوها فكيف يستحقون ان نعطي لهم عهدا مع
هذا الا ان الله تعالى اذن بفضله ان يعطي لهم العهود وما استقاموا لكم بالوفا بالعهد فاستقيموا
لهم بذلك • وقال القشيري كيف يكون المفلس من عرفانه كالمخلص في ايمانه • وكيف يكون المحجوب
عن شهوده كالمستهلك في وجوده • فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان تمسكوا بحبل وفانا احللناهم
في ظل ولاينا وان زاغوا عن عهدنا ابتليناهم بصدنا ثم لم يجدوا على بعدنا • وقوله تعالى
كيف وان يظهروا عليكم فيه اضمار اي كيف يكون لهم عهد وهم ان يظفروا بكم ويغلبوكم وهم كقوله
فاصبحوا ظاهرين لا يرقبوا فيكم اي لا يحفظوا الا ولا ذمة • قال ابن عباس الال القرابة والذمة
العهد • وقال عبد الرحمن بن زيد كلاهما العهد • وقال مجاهد الال القرابة والذمة الميثاق
وقال قتادة الال الحلف والذمة العهد • وقال الحسن الال الجوار • وقال ابو عبيدة
الال اليمين وهو ماخوذ من الاليل وهو البريق واللمعان • وقال الزجاج اصله التحديد
من الالة اي الحربة • وقال المبرد كرر لاختلاف اللفظين وان كان معناهما واحدا وهو كقوله
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وكما قال الشاعر • والفى قولها كذبا ومينا • وقوله
تعالى يرضونكم بافواههم بالحسن من القول وتابى قلوبهم التصديق واكثرهم فاسقون عاصون
ناقضون للعهد ////// اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله • قال عطاء
كان ابو سفيان يعطي الناس والطعام ليصد الناس بذلك عن متابعة رسول الله عليه السلام
انهم ساء ما كانوا /// يعملون اي عملهم هذا في نهاية السوء • وقال القشيري

من رضي من الله بغير الله ارخص في صفقته وخسر في تجارته فلا له بما آثر على الله استمتاع •
ولا فيما دونه له اقناع • بغي عن الله ولم يستمتع بغير الله الا ذلك هو الخسران المبين • وقوله
تعالى لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة قد ذكرناه في الاول في صفة ناقضي العهد والثاني في صفة
المشترين بايات الله ثمنا قليلا وقيل الاول على الخصوص لانه قال فيكم والثاني على العموم
لانه قال في مومن • وقوله واولئك هم المعتدون اي المجاوزون حد والله وهذا حث
على قتالهم لسوء اعمالهم وقد قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه • وقوله تعالى فان تابوا اي من
الشرك واقاموا الصلاة واتوا الزكاة اي قبلوهما فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم في الاسلام
وقد زالت المعاداة وارتفعت المقاتلة والمباراة • وقوله تعالى ونفصل الايات لقوم يعلمون
اي نبينها للذين يعلمون بعلومهم • وقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا وطعنوا
في دينكم اي عابوه فقاتلوا ايمة الكفر ونقض العهد كاف في اباحة القتال ولكن ذكر الطعن في
الدين لزيادة تحريك المومنين على قتالهم • وقيل معناه وان نكثوا ايمانهم بطعنهم في دينكم
ويذكر الفعلان بواو بينهما والثاني تفسير للاول كقولك استخف فلان بحقي وزري علي ما طلبت
اليه • وقوله تعالى فقاتلوا ايمة الكفر اي قاتلوهم فانهم ايمة الكفر المقتدى بهم والمتبوعون
لانه قيل اريد به بنو بكر الذين عدوا على خزاعة فاعانتهم قريش فانتقض عهدهم وغزاهم لذلك
رسول الله فهم كلهم قريش واشياعهم وبهم كان يقتدي ساير المشركين • وقوله تعالى انهم
لا ايمان لهم اي لا يمين وقرا ابن عامر انهم لا ايمان بكسر الالف وله وجهان احدهما لا ايمان لهم بالله
بل هم كفار والثاني انه اعطا الامان اي لا تعطوهم الامان فانهم لا يستحقون ذلك وقرا الباقون
بفتح الالف وهي جمع اليمين اي لا عهود لهم ولا اقسام • وقوله تعالى لعلهم ينتهون اي قاتلوهم
لينتهوا عن الطعن في دينكم ولعل كلمة ترجي اي قاتلوهم مومّلين انتهاءهم وبن بقتالكم ردهم
عن الكفر • وقيل اي لا تستنكروا انكثهم فلا ثقة بايمانهم • وقال ابن جريج ايمة الكفر روسا
قريش وكذا قال الضحاك والسدي نكثوا العهد وهموا في اخراج الرسول • وقال مقاتل
ايمة الكفر ابو سفيان وحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل نقضوا العهد
الذي كان بينهم بالحديبية ولا يصح ما روي الكلبي عن ابن عباس انهم ابو جهل وعتبة وشيبة
وامية بن خلف ونظراوهم لانهم قتلوا يوم بدر وهذه الايات نزلت في فتح مكة • وقوله
تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم هذا تحريك لهم على قتال هولاء وهو استفهام بمعنى
الاغرا وهولاء القوم هم قريش اي نقضوا ايمانهم التي كانت بالحديبية واعانوا اعداكم بني
بكر على حلفايكم خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة وهو • وقوله تعالى وهموا باخراج الرسول

وقوله من قريتك التي اخرجتك وقوله وهم بدؤكم اول مرة قال مجاهد نقضوا العهد باعانة
بني بكر على خزاعة . وقال اخرون بدؤكم بقتال بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم خرج للعير
والكفار بعد احراز العير لم ينصرفوا وقالوا نخرج الى بدر فنشرب بها الخمر وتعزف علينا
القيان وتهابنا العرب فكانوا هم البادين وقوله تعالى اتخشونهم استفهام بمعنى النهي
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين اي الايمان يوجب الخشية من الله في مخالفة امره فلا مدفع لحكمه
ولا مرد لقضايه وانتم مومنون فحققوا شرط ايمانكم وهذا ابلغ تحريك وتشجيع قوله تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ
قلوبهم امرهم بقتال المشركين ووعد عليه هذه الاشيا وجزم كلها لانه جزا عليه وقوله تعالى ويتوب
الله على من يشا رفع لانه مبتدا غير معطوف ولكنه متصل بالاول معنى اي ومن فوايد القتال انه
يتوب بسببه بعض من تامل فيه والله عليم لا يكون عليه خفا حكيم لا يلحقه خطا عليم بما كان منهم
حكيم بما امرهم . وقال القشيري شفا صدور المومنين على حسب مراتبهم في الدرجات
والمقامات فمنهم من شفا صدره في قهر عدوه ومنهم من شفا صدره في نيل مرجوه ومنهم من شفا
صدره في الظفر بمطلوبه ومنهم من شفا صدره في لقا محبوبه ومنهم من شفا صدره في درك
مقصوده ومنهم من شفا صدره ببقا معبوده وكذلك غيظ قلوبهم يختلف اسبابه وتتنوع
ابوابه ويتوب الله عن من يشا حتى يكون استقلاله بحول الاحوال لا بصفا الاحوال وقوله
تعالى ام حسبتم ان تتركوا اي ظننتم ان تتركوا على ظاهركم باللسان من الايمان ولا تبتلون بالقتال
وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ولم يوجد منكم جهاد المشركين ولو وجد
لعلمه الله موجودا لان الله يعلم في الازل ما يوجد انه يوجد ويعلمه موجودا حين يوجد
لانه يعلم كل شي على ما هو عليه وقد قررناه في سورة البقرة عند قوله الا لنعلم من يتبع الرسول
وفي سورة ال عمران في قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله ولم يتخذوا من دون
الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة عطف على جاهدوا اي ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ووالوا
الله ورسوله والمومنين ولم يتولوا غير الله ورسوله والمومنين ولم يتخذوا من دون الله اوليا
وخواص والوليجة البطانة والخاصة من الولوج وهو الدخول ووليجتك صديقك
الذي تطلعه على سا [illegible] حل في قلبك وصفة المومن المخلص ان لا يتخذ بطانة من الكفار ولا يتولى
غير الرسول والمومنين ومعنى الايراد وذكر الله ها هنا لتاكيد الامر في موالاة الرسول والمومنين
ونحو ذكره بامره وا الموالاة مع الرسول والمومنين بامره وشرعه وما ينبغي للمومن ان يتولى
الكفار وقال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين وقال لا تتخذوا بطانة من دونكم

وقوله

وقوله تعالى والله خبير بما تعملون من الموافقة والمخالفة وهو وعد ووعيد . وقال
القشيري من ظن انه يكتفى منه بالدعوى دون تحقيق المعنى فهو على غلط من حسبانه
وفي غلو من حسابه بل المطلوب صدق المجاهدة في الله وترك الركون الى غير الله واذا
اتخذ وليجة من الكفار فيا في الاعدا الاسرار واولى من يتحرز المرء ليلا يطلع على الاسرار نفسه
التي هي اعدى عدوه حكي عن ابي يزيد انه قال في بعض اوقات مكاشفاته كيف اطلبك
فقيل فارق نفسك وتعال والحرية عزيزة قال قايلهم . شعر اتمنى على الزمان محالا . ان
ترى مقلتاي طلعة حر . وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله واتصالها
بما قبلها ان الله حرض على قتال المشركين من وجوه وهذا وجه اخر من ذلك وهو ان مكة
مولدكم ومناسككم وفيه قبلتكم وبها مفاخركم وقد استولى المشركون عليها واخرجوكم
منها وقاموا بعمارة المسجد الحرام الذي فيها وليسوا باهل ذلك فقاتلوهم واخرجوا ذلك
من ايديهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ان يلوا عمارتها وقيل كان
فيما نودي فيهم مع البراة ان لا يحج بعد العام مشرك وفي هذه الاية اشارة الى منعهم عن
قصدها والطواف بها وعمارتها بالصلوة ومعنى الاية على هذا ليس في حكم الله ان
يعمر المشركون مساجد الله بالصلوة فيها والطواف بها وحجها وهم غير مومنين وذلك .
قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر قيل هو اعترافهم بعبادة الاوثان وان لم يصرحوا
بالاعتراف بلفظ الكفر والشرك وقيل هو قولهم في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك تملكه وما ملك اي ليس لهم ان يحجوها وهم قايلون ذلك في الحج هذا وقيل اي
يدينون به دليل على كفرهم لا انهم يقولون نحن كفار وهو كقولك للرجل ان كلامك
ليشهد انك ظالم قاله الحسن . وقال السدي ان النصراني اذا قيل له من انت قال
نصراني وكذلك اليهودي والمشرك والوثني . ثم قوله مساجد الله يجوز ان يكون المراد
به حقيقة الجمع اي في كل المساجد الحكم هذا . وقال الحسن هو المسجد الحرام وانما جمع
لانه قبلة المساجد كلها وامامها بقوله ما كان للمشركين ان يتركوا فيكونوا من اهل مسجد
الحرام وطريقه طريق قولهم خرج فلان الى الحج على البغال او على الابل ويراد به
الجنس لا الجمع . وقال ابن اسحاق قالت قريش انا اهل الحرم وسقاة الحجيج وعمار هذا
البيت لا احد افضل منا فقال الله تعالى ذلك . وقال ابن عباس لما اسر العباس يوم
بدر اقبل عليه المسلمون يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم واغلظ علي للعباس القول
فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن

فقال نعم فقال انا اعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله
ردا على العباس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله الخالدون وقوله
تعالى اولئك حبطت اعمالهم ما ذكروه من محاسنهم بطل ثوابها لشركهم وقوله تعالى
وفي النار هم خالدون لكفرهم اخبر الله تعالى انهم ليسوا باهل لعمارتها ولا في قيامهم ما
يوجب الكف عن قتلهم لانهم مشركون حبطت اعمالهم واستحقوا الخلود في النار وقوله
تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما
يستحق القيام بعمارتها من كان بهذه الصفة فهو يعظم البيت حق تعظيمه وقوله
تعالى ولم يخش الا الله اي لم يفعل ذلك كله الا لخشية الله وقيل لم يخش الا الله فلم
يتخلف عن قتال المشركين لخشيتهم وهو اشارة الى ما قال اتخشونهم فالله احق ان تخشوه
وقال فلا تخافوهم وخافون وقوله تعالى فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى
من الله اطماع واطماع الكريم ايجاب اي المستكملون هذه الخصال يأتون على الهداية
خارجون عن الضلالة • وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله
الاية • وقال القشيري عمارة المساجد التي هي مواقع العبودية تتاتى لا بتخريب
اوطان البشرية فالعابد يعمر المسجد بتخريب اوطان شهوته والزاهد يعمره بتخريب اوطان
منيته والعارف يعمره بتخريب اوطان علاقته والموحد يعمره بتخريب اوطان ملاحظته
ولكل منهم صنف مخصوص وكذلك رتبتهم في الايمان مختلفة فايمان من حيث البرهان وايمان
من حيث البيان وايمان من حيث العيان وشتان ما هم وقوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله الحاج اريد به الجمع
لانه جنس وتقدير الاية اجعلتم صاحب سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن او جعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجهاد من جاهد
في سبيل الله لان الصحيح مقابلة الفعل بالفعل والفاعل بالفاعل ويصير كذلك بهذا
الاضمار وله طريق آخر ان تجعل السقاية والعمارة وهما مصدران كالعتبى والتقدير
اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن وهو كالعدل يراد به العادل وتحقيق
هذا قراءة عبد الله بن الزبير وابي وجزة السعدي اجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد
الحرام وقوله تعالى لا يستوون عند الله اي في الدرجة والله لا يهدي القوم الظالمين
قال مقاتل اي المشركين الى الحجة وقيل الى الجنة وقيل الى الاسلام مع اختيارهم الكفر

روي ان عليا والعباس وشيبة بن عثمان وقيل طلحة بن شيبة تفاخروا فقال العباس انا
اسقي الحجيج وقال شيبة انا اعمر مسجد الله وقال علي ما ادري ما تقولان لقد صليت
الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد مع رسول الله فنزلت الاية وعرفوا ان سقي
الحجيج وعمارة البيت لا يعدلان الايمان والجهاد وكان العباس وشيبة غير مسلمين يومئذ
وقال النعمان بن بشير كنت عند منبر رسول الله عليه السلام في نفر من اصحابه فقال رجل
منهم ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام
احب الي وقال آخر الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم
عند منبر رسول الله وذلك يوم الجمعة فاذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته عما اختلفتم
فيه ففعلوا فانزل الله هذه الاية وقال مرة الهمداني قال علي للعباس يا عم الا تهاجر
قال الست في افضل من الهجرة الست اسقي الحجيج واعمر المسجد الحرام فنزلت الاية وقال
مجاهد امروا بالهجرة فقال العباس انا اسقي الحاج وقال طلحة انا حاجب الكعبة لا نهاجر
فنزلت الاية • وقال القشيري ليس من قام بمعاملة ظاهره كمن استقام في تصحيح سرائره
ولا من استضاء بسراج علومه كمن استبصر بشموس معارفه ولا من نصب بالباب من حيث
الخدمة كمن مكن من البساط من حيث القربة وليس نعت من تكلف نفاقا كوصف من تحقق
وفاقا بينهما بون بعيد وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اي من سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام بلا ايمان وليس
لاولئك درجة في الفضل لكن معناه انهم يعتقدون لانفسهم درجة فقال هولاء اعظم
درجة على الحقيقة من اولئك على ما يتوهمونه لانفسهم • وقيل بل معناه اعظم درجة
من المومنين الذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا وقوله تعالى واولئك هم الفائزون اي
الناجون وقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان اي عند الموت على السنة الملائكة
وفي الجنة بلا واسطة وقوله تعالى وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي جنات وقوله
تعالى خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم هذا كله ظاهر • وقال القشيري بشارة
العصاة بالرحمة وبشارة المطيعين بالجنة والنعمة وبشارة العصاة بالنجاة وبشارة
المطيعين بالدرجات بشارة العصاة بالخلاص وبشارة المطيعين بالاختصاص
ويقال بشر العصاة بالرحمة والمطيعين بالرضوان والكافة بالجنة وقدم العاصي
في الذكر وقدم المطيع بالبر والذكر قوله وهو قديم والبر طوله وهو عميم • وقيل
بشر بنفسه ليزيد في محبة عبيده لان القلوب مجبولة على حب المبشر يقول قائلهم •

• لولا تمتع مقلتي بلقايه • لوهبتها لمبشري بايابه • وقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه
عرّفهم انهم برحمته وصلوا الى طاعتهم لا بطاعتهم وصلوا الى نعمتهم وقوله
تعالى لهم فيها نعيم مقيم قوم نعيمهم عطا ربهم على وصفها لتمام وقوم نعيمهم لقا ربهم
على نعت الدوام فالعابدون لهم تمام عطايه والعارفون لهم دوام لقايه وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اوليا ان استحبوا الكفر على الايمان ومن
يتولهم منكم فاوليك هم الظالمون قال ابن عباس لما امر النبي عليه السلام بالهجرة الى
المدينة جعل الرجل يقول لابيه واخيه وامراته وقرابته انا قد امرنا بالهجرة الى المدينة
فاخرجوا معنا فمنهم من يعجبه ذلك ويتسارع فيه ومنهم من يابى ذلك ومنهم من تتعلق
به زوجته وعياله وولده فيقولون له ننشدك الله ان تضيعنا فيرق فيجلس ويدع الهجرة
فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم الذين بمكة اوليا في الدين والعون والنصرة
ان استحبوا ان اختاروا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم بعد نزول هذه الاية في الاقامة
فانه منهم على الكفر فاوليك هم الظالمون وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين
ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم فقال ومن يتولهم منكم يا معشر
المومنين فاوليك هم الظالمون • وقال القشيري علامة الصدق في التوحيد
قطع العلاقات ومفارقة العادات وهجران المعارف والقرابات والاكتفا بالله على
دوام الحالات وقوله تعالى قل ان كان اباكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين قال مقاتل قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة ان كان المقام مع
ابايكم وابنايكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اكتسبتموها وتجارة ترجون
حصول ارباحها وتخشون كسادها ومساكن رضيتموها احب اليكم من الهجرة الى الله
ورسوله ومن جهاد في نصرة دينه فانتظروا حتى ياتي الله بامره بفتح مكة • وقال
عطا بامره اي بقضايه • وقال الحسن بامره من عقوبة عاجلة او اجلة وقيل اي
بعذابه كما قال اتيها امرنا وقال القفال قطع وجوه العذر بهذا التعديل
والبسط من الكلام فلم يجوز ترك الهجرة والجهاد في سبيله للميل الى شي من الاشيا
المتمثلة ولم يجعل ما يثقل على الانسان فراقه من اب بر وابن يتزين به واخ يعتضد
بمعونته وزوجة يسكن الى صحبتها والفها وخدمتها وعشيرة يتعزز بهم ويستغني

على دفع الملمات بنصرتهم واموال مكتسبة قد استنفد في تحصيلها الوسع وانفق على
جمعها العمر ويخشى على حملها الاسفار ويخاف عليها الضياع لغيبته عنها وتجارة قايمة يرجوا
حصول ارباحها ومنازل عامرة نزهة مالوفة يتحصن فيها من اذى الحر والبرد واعد
فيها مواضع للشتا والصيف حجة في مخالفة ما امر الله من الهجرة وجهاد الكفار واختار
من اثر طاعة الشيطان على طاعة الرحمن فليستعد لنزول امر الله فانه ينزل به لا مدفع
له ولا اعتصام منه بنصرة قرابة وعشيرة ولا يتحصن بمساكن حريزة وليعلم ان الله لا يرشد
الفاسقين المستخفين بدينه الى صواب في تدبير ولا يهديهم الى طريق رضوانه ورحمته
ما داموا على اختيار مخالفته • وقال القشيري من نفقت سوق دينه كسدت اسواق
حظوظه وما لم يتخل منك منازل الحظوظ لا يعمر بك مشاهد الحقوق وقوله تعالى
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين قال قتادة هو واد بين مكة والطايف
وقال عروة هو واد الى جنب ذي المجاز يقول لقد نصركم الله في مواطن كثيرة مثل بدر
والاحزاب واعلاكم على عدوكم مع ضعفكم وقلة عددكم في مقامات كثيرة من بين غزوة
وسرية ويوم حنين ايضا فليهن عليكم امر الابا والابنا والاخوان والعشيرة والاموال والابنية
المنقة الدنيوية ولا تظنوا النصر بها فانقطعوا الى الله بالكلية واطلبوا من عنده النصر والمعونة
وقال الامام ابو منصور لقد نصركم الله في مواطن كثيرة حين كان فزعكم الى الله ويوم
حنين بعد ما وليتم فزعتم الى الله تعالى ايضا وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم اي سرتكم كثرة
عددكم وعددكم فلم تغن عنكم شيا اي لم تنفعكم الكثرة شيا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ما مع الفعل مصدر وتقديره برحبها اي مع رحبها اي سعتها لطلب العدو
اياكم كما قال الشاعر • كان بلاد الله وهي عريضة • على الخايف المطلوب كفة حابل • وقوله
تعالى ثم وليتم مدبرين اي منهزمين يقول ابتليتم في اول الامر ثقفا بالهزيمة لاعجابكم بكثرتكم
دون اعتمادكم على نصرة الله وعلى القايه الرعب في قلوب الاعدا فلم ينفعكم العدد
والعدة التي لم تكونوا على مثلها في الوقايع التي نصرتم فيها مثل بدر والاحزاب وكانوا
اثني عشر الفا حتى قالوا لن نغلب اليوم عن قلة وضاقت عليكم الارض فلم تجدوا طريقا
الى الخلاص الا بالهزيمة وذلك ان من اعجب بعدته اعتمد عليها فلم يتضرع الى الله ولم
يسله النصر فحرم ذلك بترك التضرع والدعا • وقال الواقدي لما فتح
رسول الله عليه السلام مكة مشى اشراف هوازن بعضهم الى بعض وكذا بعض ثقيف
بعضها الى بعض وحشدوا وبغوا وقالوا ما والله ما لاقى محمدا قوما يحسنون القتال

فاجمعوا امركم فسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فاجمعوا امرهم على ذلك وسيد هوازن مالك بن
عوف النصري وسيد ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي فاجمعوا المسير بالناس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا ومعهم نساؤهم واموالهم حتى نزلوا باوطاس فعسكروا ودريد
بن الصمة معهم وهو يومئذ شيخ كبير ابن مائة وستين سنة ليس فيه شي الا التيمن به
ومعرفته بالحرب فلما نزل الشيخ لمس الارض بيده فقال باي واد انتم قالوا باوطاس
قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغا البعير ونهاق
الحمير وثغا الشاة وخوار البقر وبكا الصغير فقالوا ساق مالك بن عوف مع الناس
ابناهم ونساهم واموالهم فقال اين مالك فقالوا هذا مالك فدعي له مالك فقال مالك
انك لن تصنع بتقديم بيضة هوازن الى نحو الخيل شيا فانقض هذا الراي فغضب
مالك وقال والله لا افعل ولا اغير امرا صنعته انك قد كبرت وكبر علمك وحدث
بعدك من هو ابصر بالحرب منك هل من راي غير هذا قال نعم تجعل كمينا يكون
لك عونا ان حمل القوم عليك جاهم الكمين من خلفهم فقال مالك هذا الراي وانا اقبله
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة لثلث عشرة ليلة مضت من رمضان
وغدا يوم السبت لسادس من شوال واستعمل على مكة عتاب بن اسيد يصلي معهم
ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه وخرج النبي عليه السلام في اثني عشر الفا من
المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفين من اهل مكة وقال الحسن كانوا ثمانية
الاف وقال عطا كانوا ستة عشر الفا فلما فصل قال رجل من الصحابة قال السدي
هو سلمة بن سلامة لا نغلب اليوم من قلة وكان النبي عليه السلام قال خير الاصحاب
اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف ولا يغلب اثنا عشر الفا من قلة
كلمتهم واحدة فسمع رسول الله عليه السلام قول هذا الرجل فساه كلامه فوكلوا الى كلمة
الرجل وانتهى النبي عليه السلام الى حنين مسا يوم الثلثا وامر انيس بن مرثد بن
ابي مرثد الغنوي ان يحرسهم الليلة على فرسه على جبل ففعل وقال له حين اصبح ما
على هذا الا يعمل عملا بعد هذا وخرج رجال من مكة من اشرافهم وهم كفار ينظرون
لمن تكون الدبرة منهم صفوان بن امية وفيها كان استعارة دروعه وقالوا اغصبا
يا محمد وقوله عليه السلام بل عارية مؤداة ولما وقعت الهزيمة اولا على المسلمين
مر رجل بصفوان وقال ابشر فقد هزم محمد واصحابه وقال صفوان فض الله فاك
رب من قريش احب الي من رب من هوازن ان كنت مربوبا وانحدر رسول الله صلى

الله عليه وسلم باصحابه في وادي حنين وحدوره وقد مضت مقدمته على تعبئة وركب النبي
عليه السلام بغلته البيضا دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة واستقبل الصفوف
وطاف عليها بعضها خلف بعض فحضهم على القتال وبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا
وقال انس ولما انتهينا الى وادي حنين وله مضايق وشعاب استقبلنا من هوازن شي لا والله
ما ان رايت مثله في ذلك الزمان قط من السواد والكثرة قد ساقوا نساهم وابناهم واموالهم
فبينا نحن في غبش الصبح ان شعرنا الا بالكتايب قد خرجت علينا من مضيق الوادي فحملوا
حملة واحدة وهم اربعة الاف قد جردوا سيوفهم وكسروا غمودها وقيل اخر فوقها
فانكشف اول الخيول مولية وتبعهم الناس منهزمين لا يلوون على شي فالتفت النبي عليه
السلام عن يمينه وشماله ويساره والناس منهزمون وقال يا انصار الله وانصار رسوله
انا عبد الله ورسوله ولم يكن مع النبي عليه السلام الا العباس بن عبد المطلب وهو اخذ
بلجام بغلة النبي عليه السلام وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اخذ بثفر بغلة النبي عليه
السلام وكان العباس صيتا فقال له صلى الله عليه وسلم اصرخ يا عباس يا معشر الانصار يا اصحاب
السمرة يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فاقبلوا كانهم الابل اذا حنت الى اولادها
وهم يقولون الكرة بعد الفرة اشرعوا الرماح قال العباس حتى اني لاخاف على رسول الله صلى الله عليه
وسلم رماحهم اشد من خوفي رماح المشركين يؤمون الصوت يقولون لبيك فلما اختلطوا واجتلدوا
ورسول الله قايم على بغلته يقول اللهم نشدك وعدك لا ينبغي لهم ان يظهروا ثم قال للعباس
ناولني حصيات فناوله حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها وجوه المشركين
وقال انهزموا ورب الكعبة واخبروا بعد ذلك انهم لم يبق منهم احد الا امتلات عيناه من
التراب وكان من دعايه يوميذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وقال له
جبريل لقد لقنت الكلمات التي لقي الله موسى يوم فلق له البحر وكان النبي عليه السلام في مائة
صابرة ثلثة وثلثون من المهاجرين وسبعة وستون من الانصار وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا غاية شجاعته حيث لم يخف
اسمه في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه وكان عثمان وعلي وابو دجانة وايمن
بن عبيد يقاتلون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكرت الانصار ووقفت هوازن
قدر حلب ناقة ثم كانت الهزيمة وكان سعد بن عبادة سيدا يصيح بالخزرج واسيد
بن حضير بالاوس فثابوا من كل ناحية كانهم النحل حتى اسرعوا في قتل الذرية فنهاهم
عن ذلك وقال انس وتقدم رسول الله عليه السلام بحربته امام الناس وهزمهم الله

وامر النبي عليه السلام ان يقتل كل من قدر عليه ففعل وبعث ابا عامر الاشعري في اثار
من توجه الى اوطاس وعقد له لوا فقتل منهم كثيرا ثم استشهد وغنموا كل اموالهم وامر النبي
عليه السلام بالغنايم فجمعت ونادى مناديه من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يغل
ورد بن ابي طالب ابرة كان اخذها وجا رجل بحبل وطلب من النبي عليه السلام ان يجعله له
قال نصيبي منه لك فكيف تصنع بانصبا المسلمين وفي سبايا اوطاس قال عليه السلام الا
لا توطا الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرن بحيضة وفيها اتت شيما اخت النبي عليه السلام
من الرضاعة فبسط لها رداه واكرمها وحباها وقال سعيد بن جبير امد الله نبيه بخمسة
الاف ملك وقال رجل من الاعدا بعد تقضي القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب
بيض ما كان نرى فيهم الا كهيئة الشامة وما قتلنا الا بايديهم فاخبروا بذلك النبي عليه
السلام فقال تلك الملايكة وقال الزهري وبلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت
رسول الله عليه السلام يوم حنين وانا اريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة
وقد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال
اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت
اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله اطلعك على ما في نفسي ولما انهزموا اتى
اوطاس دريد بغنايمهم واموالهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اثرهم فقتلوا منهم
مقتلة عظيمة وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطايف وتحصن بها واخذ ماله
واهله فيمن اخذ وحاصرهم بقية السنة فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام لا يحل
فيه القتال انصرف عنهم فاتى الجعرانة واحرم منها بعمرة وقسم بها السبي والمال وكانوا
اصابوا يومئذ ستة الاف سبي ثم جا قومهم واسلموا وقالوا في السبي عماتك وخالاتك
ولو انا ارضعنا النعمان بن المنذر لكان رجونا عايدته اليوم وانت خير الناس وابرهم
واوصلهم للرحم فقال عليه السلام انما احب اليكم انسابكم واموالكم فقالوا انسابنا فقام
عليه السلام خطيبا وقال ان هولا جاوا مسلمين وقد خيرناهم فاختاروا
انسابهم فمن كان بيده شي وطابت نفسه ان يرده فانه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فردوا واخذ
اميرهم مالك بن عوف فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تريد اقتلك ام
افاديك ام امن عليك ام تسلم قال اما الاسلام فلا اسلم ابدا واما القتل فان قتلتني
قتلت عظيما وان مننت علي فاعتقتني مننت على عظيم فقال امن عليك واطلقك

فعل

ففعل فتعجبت من حسن خلقك ولا يكون هذا الا من نبي حق فاسلم وحسن اسلامه وقسم
بالجعرانة غنايم حنين وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن
عمرو والاقرع بن حابس فقالت الانصار امن الرجل وابر قومه فبلغ ذلك رسول الله وهو
في قبة ادم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذي بلغني عنكم الم تكونوا ضلالا فهداكم الله الم
تكونوا المحن واذلة فاعزكم الله الم الم فقال سعد بن عبادة ايذن لي فاتكلم فقال تكلم
فقال اما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكان كذلك واما قوله كنتم اذلة فاعزكم الله فقد علمت
العرب انه ما كان حي من احيا العرب امنع لما ورا ظهورهم منا فقال عمر يا سعد اتدري من
تكلم فقال يا عمر اكلم رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت
الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادي الانصار ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ثم
قال يا معشر الانصار اما ترضون ان ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله
الى بيوتكم فقال الانصار رضينا بالله ورسوله والله ما قلنا ذلك الا ضنا بالله ورسوله
فقال رسول الله عليه السلام ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم فلما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة قام خطيبا فقال اما ان خطيب الانصار لو قال كنت طريدا فاويناك
وكنت خايفا فامناك وكنت مخذولا فنصرناك وكنت وكنت لكان قد صدق ولكن الانصار
بل الله اعظم علينا منا هـ وقال القشيري المنصور من الله من عصمه عن التوهمات ولم يكله
الى تدبيره في الامور بل اقامه مقام الافتقار متبريا عن الحول والقوة متحققا بتصاريف
القدرة ولما اعجبتهم كثرتهم تفرقوا عن رسول الله في الحال اكثر الاصحاب وكشف عن القوم
جلابيب الستر واضطربت القلوب وخانت القوى اصحابها ولم تغن عنهم كثرتهم
فاستخلص الله اسرارهم بصدق الرجوع اليه فانزل سكينته عليهم وقلب الامر على الاعداء
وخفقت رايات النصر وهبت الدبرة على الاعدا فانقلبوا صاغرين وقوله تعالى ثم انزل
الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي الرحمة التي يسكن اليها القلب وقيل هي الامنة
والطمانينة وقيل هي زوال الاضطراب الذي يعتري القلب وثبات القلب للحرب وفي الاية
نقض قول المعتزلة لانه سماهم مومنين بعد التولي قاله الامام ابو منصور وقوله
تعالى وانزل جنودا لم تروها اي من الملايكة وعذب الذين كفروا بالهزيمة والقتل والسبي
وذلك جزا الكافرين اذ الاولى بالمومنين ان تكون الدبرة على الكافرين والنصرة للمومنين
وقال القشيري السكينة ثلج القلب عند جريان حكم الرب وخمود اثار البشرية
بالكلية والرضا بما يبدو من الغيب من غير معارضة القضية والسكينة المنزلة

على المؤمنين اختطاف المنايا هم حتى لو يستفزهم رهبة من مخلوق وسكن عنهم كل ارادة
واختيار • واثر جنود الرعب وهابن وقوادا لبقين وبروا بدا الاستبصار وعذب
الذين كفروا بتطويحهم في متاهات التحير والسقوط في هدة التدبير والغيبة عن
شهود التقدير **وقوله** ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم اي ثم
يوفق الله للايمان من بعد ذلك من يشاء فيقبله ويغفر له وهو الغفور للمؤمنين الرحيم
بهم اجمعين وقيل ثم يتوب الله اي يقبل توبة المنهزمين اذا علم منهم الصدق والندم وهم
المهاجرون والانصار دون من رجعوا الى الحرب في الظاهر وهم نفاق وكفر في الباطن
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس اي انجاس وانما وحد لانه في الاصل
مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث يقال رجل نجس ورجلان وامراتان نجس ورجال ونسا
نجس ومعناه انهم انجاس في اعتقادهم وافعالهم واقوالهم لانهم يشركون بالله غيره ويريدون
باعمالهم سواه فهم مستقذرون يجب اجتنابهم **وقوله** تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا وهذا من جملة ما وقع به الاذان يوم الحج الاكبر مع البراة من العهود
وبه الانتظام اي فامنعوهم من الحج بعد هذا العام وكذا من دخول الحرم للتجارة وغير ذلك
وقال مالك لا يترك الذمي يدخل مسجدا ما لقوله انما المشركون نجس وقال الشافعي يمنع
عن المسجد الحرام فحسب لهذه الاية وعندنا لا يمنع عن دخول المسجد الحرام ايضا والاية في دخولهم
للحج لانهم كانوا يعملون في الحج اعمال المشركين فامر الله بتنزيه المسجد الحرام والحرم عن ذلك فاما
نفس الدخول فغير ممنوع **وقوله** تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا قال الله ووجدك
عايلا وقال الشاعر • وما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل •
وقوله تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قيل انهم كانوا يردون مكة تجارا فيرفقون
اهلها بهم في معايشهم فلما امروا بمنعهم منها اشفقوا من ضيق المعايش وانقطاع التجارات
فوعدهم الغنا من وجه اخر من فضله وامنهم من الفقر قال مقاتل اغناهم الله من فضله
فاسلم اهل صنعا وجدة وجرش وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الدواب فكفاهم
ما كانوا يخوفون **وقوله** تعالى ان شاء علق بالمشية قطعا للامال للاسباب وصرفها
الى الله كما قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين **وقوله** تعالى ان الله عليم بمصالح
العباد حكيم فيما حكم واراد وقال الكلبي ولما قال علي رضي الله عنه فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا قال له ناس من بكر بن وايل من التجار يا اهل مكة ستعلمون
اذا فعلتم هذا ما ذا تلقون من الشدة ومن اين تاكلون فشق ذلك عليهم فانزل الله وان

حفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله **قال** ابن عباس فامرهم بقتال اهل الكتاب
واغناهم من فضله **وقال** عطا اغناهم بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما
وقال القشيري من اناخ بعفوه كرم مولاه واستمطر سحاب جدواه اغناه عن كل سبب
وكفاه كل تعب وضاله كل ارب واعطاه من كل طلب **وقوله** قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب وبين في هذه الاية قتال اليهود والنصارى ولو قال قاتلوا اهل الكتاب لكفى وانما جمع
هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمؤمنين على قتالهم لانها صفات توجب البراة منهم والعداوة لهم
وانما قال لا يؤمنون بالله وهم يدعون الايمان بالله لانهم يؤمنون بالله الذي له ولد وهو شبيه
بالخلق وليس هذا بايمان بالله وكذا يصدقون الله في ارسال بعض الانبيا ولا يصدقونه
في ارسال بعض وهو يبطل الايمان بالله وكذا قال ولا باليوم الاخر وهم يدعون الايمان به
لانهم لا يصدقون بما فيه من الوعد والوعيد فيقولون لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويقولون
ليس في الجنة مطاعم ومشارب ومناكح ولا يكون هذا ايمانا بالله وباليوم الاخر ولا يحرمون ما
حرم الله ورسوله من الخمر والخنزير وتحريف الكتاب وكتمان نعت النبي عليه السلام ولا يدينون دين
الحق وهو الاسلام فان اليهودية والنصرانية دين باطل فانه نسخ بعض احكام التورية والانجيل
وقد حرفوا البعض وقد قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه **وقوله** تعالى
حتى يعطوا الجزية كما قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكاة اي قبلوهما مد وجوب القتال
الى هذه الغاية وهي قبول الجزية وهذا حكم اهل الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر
وهو قوله عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم ولا يجوز
هذا في مشركي العرب لقوله عليه السلام لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ويجوز في الهنود
والاتراك والديلم عندنا خلافا للشافعي ويعرف في الفقهيات **وقوله** تعالى عن يد قيل
عن نقد فلا تؤخر عن وقتها من قوله يدا بيد وقيل من يد من عليه فيحضر بنفسه ويؤدي
ولا يرسل به رسولا ولا يبعثه على يد ولده او عبده او وكيله وقيل عن طيب نفس فيعطي بيده
من غير ان يكره عليه اي دليل قبوله طوعه دون ان يكره عليه فانه ان احتاج الى ذلك بقي الشرك
والقتال ولا يثبت عقد الذمة وقيل عن انقياد يقال اعطى فلان بيده اذا استسلم وانقاد
وقيل اي عن رويتهم ذلك انعاما منكم عليهم بترك القتل من هذا من قولك اصطنعت
الى فلان يدا **وقوله** تعالى وهم صاغرون اي اذلا مقهورون ياتون للادا مشاة لا ركبانا
ويؤدون قياما والاخذ قاعد ويده تحت يد الاخذ ويوخذ بتلبيبه عند الاخذ

ويحركه ويقال اد الجزية يا يهودي ويا نصراني وقيل اي صاغرين انهم انقسم بما احتاجوا
اليه من بذل الجزية لحقن دمائهم وقال الكلبي نزلت في بني قريظة والنضير والجزية
على ثلث مراتب على المعتمل في السنة اثنا عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما
وعلى كامل الغنى ثمانية واربعون درهما كذلك وظفها عمر رضي الله عنه بهذه الجزية اغناهم الله من
العيلة وهو وجه اتصال هذه الاية بالاولى وقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله قرا عاصم والكسائي وابو عمرو في رواية عزير بالتنوين لانه اسم مصغر فهو
مصروف ولانه اسم خفيف فيصرف وان كان اعجميا كنوح ولوط ولانه مبتدا وهو مفرد غير
منسوب وابن الله خبره وقرا الباقون بغير تنوين لانه اسم عجمي معرفة ولان ابن صفته وتقديره عزير
ابن الله معبودنا او نبينا على هذه القراءة ثم هذا بيان قوله لا يومنون بالله مع دعويهم لان
قولهم في الله وقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم اي هو قول يقولونه بالسنتهم لا حجة لهم
على صحته وذكر الامام ابو منصور رحمه الله ثم قال او قالوا ذلك بافواههم على شبه اعترضت
لهم تحملهم على ذلك وقوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا من قبل قرا عاصم بالهمز والباقون
بغير همز وهما لغتان ضاهيته وضاهاته اي شابهته ومعناه عند ابن عباس يشابهون عبدة الاوثان
في هذا القول وقيل في قولهم الملائكة بنات الله وقال الزجاج اي في تقليدهم اسلافهم
في هذا القول وقيل اي المشركين في اثبات الشركاء لله تعالى وقوله تعالى قاتلهم الله قال ابن
عباس اي لعنهم الله وقيل اي قتلهم وقيل اي عاداهم الله وقيل اي الله وقوله تعالى اني يوفكون
من اين يصرفون عن الحق والصرف عن الحق ضلال وقال مقاتل ان اليهود قتلوا انبياءهم
فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال
اين تذهب قال اطلب العلم فعلمه جبريل التورية كلها فجا عزير بالتورية الى بني اسرائيل
فعلمهم فقالوا لم يعلم عزير هذا العلم الا لانه ابن الله وله طرق اخر ذكرنا بعضها في قصة
عزير في سورة البقرة وقال السدي ان العمالقة ظهرت عليهم فقتلوهم واخذوا
التورية وهرب علماوهم الذين بقوا ودفنوا كتب التورية في الجبال وكان عزير غلاما
يتعبد في رؤوس الجبال لا ينزل الا في يوم عيد فجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل
بغير عالم فجعل يبكي حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا بامرأة
قد مثلت له عند قبر تبكي وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك
ويكسوك قالت هذا الرجل يعني زوجها قال فمن كان يطعمك ويكسوك قبله قالت
الله قال فان الله حي لا يموت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله قالت

فلم تبك عليهم فلما عرفت انه خصم ولت مدبرة فقالت يا عزير اذا اصبحت غدا فات نهر كذا فاغتسل
فيه ثم اخرج فصل ركعتين فانه ياتيك شيخ فما اعطاك فخذه منه فلما اصبح انطلق الى ذلك
النهر فاغتسل فيه ثم صلى ركعتين فجاء الشيخ فقال افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيا كهيئة الجمرة
العظيمة مجتمعا ثلث مرات فرجع عزير وهو من اعلم الناس بالتورية فقال يا بني اسرائيل قد جئتكم
بالتورية فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل اصبع له قلما وكتب باصابعه كلها حتى
كتب التورية كلها فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها في حوالي بيد فوته فعارضوها
بتورية عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما اعطاك الله هذا الا لانك ابنه واما النصارى فقد قال
الكلبي كان شركهم انهم كانوا على الحق احدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى يصلون الى القبلة
ويصومون حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له
بولس قتل جماعة من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فكفرنا وجحدنا والنار
مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم حتى يدخلوا
معنا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه واظهر الندامة ووضع
على راسه التراب فقال له النصارى من انت فقال انا بولس عدوكم فنوديت من السماء ليست لك
توبة الا ان تتنصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا سنة لا يخرج منها ليلا ولا نهارا
حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت
المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة ثم توجه الى الروم
وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لم يكن عيسى بانس فانس ولا بجسم فتجسم وعلم رجلا يقال له
يعقوب ذلك ثم دعى رجلا يقال له ملكا فقال له ان الله لم يزل ولا يزال كان عيسى فلما
استمكن منهم دعا هولاء الثلثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم انت خالصتي ولقد
رايت عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم اني غدا اذبح نفسي فادع الناس الى
نحلتك ثم دخل المذبح وذبح نفسه وقال انما افعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثالثه دعا
كل واحد منهم الناس الى نحلته فتبع كل واحد طايفة من الناس واقتتلوا واختلفوا الى يومنا
هذا فجميع النصارى من الفرق الثلث قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله اي اطاعوا علماءهم وعبادهم فيما امروهم به من الاعتقاد والعمل طاعة العبيد للارباب وقوله
اربابا اي كالارباب وهو كقوله حتى اذا جعله نارا وعن عدي بن حاتم انه قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وكنت نصرانيا فوافقته يقرا سورة براءة فبلغ قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله فقلت يا رسول الله ما نعبدهم من دون الله قال اليس يحلون لكم ما حرم الله عليكم

متستحلونه وتحرمون عليكم ما احل الله لكم فتحرمونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال ابو البختري اما انهم لو امروهم ان يعبدوهم من دون الله ما اطاعوهم ولكن امروهم فجعلوا حلال الله حراما وحرامه حلالا فاطاعوهم فكانت تلك الربوبية **وقوله** تعالى والمسيح ابن مريم اي اتخذوه الها معبودا **وقوله** تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي لا يعبدوا كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين وقد كشفنا عن حقيقته ثم بذلك امرهم الله في كتابه وبذلك امرهم عيسى بقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه **وقوله** تعالى لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تنزيها له عما اشركهم به عنه **وقوله** تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اي يريد اهل الكتاب ان يبطلوا حجج محمد منهم بالسنتهم من غير حجة وقال الحسن والسدي نور الله القران والاسلام وقيل الدلالة والبرهان وقال الضحاك يريدون ان يهلك محمد واصحابه ولا يعبد الله بالاسلام **وقوله** تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره اي لا يريد الله الا اتمام هذا النور وهو ابقاء الاسلام والقران وايضاح الحجة والبرهان وفيه تخييبهم وقطع اطماعهم **وقوله** ولو كره الكافرون اي على كراهة اليهود والنصارى اذلالا لهم وكبتا وغيظا وقال القشيري من رام ان يستر شعاع الشمس بطخاء نيرانه او عالج ان يدفع حكم السماء بمحق تدبيره او يسقط نجوم الفلك بسهام تقديره اظهر رعونته ثم لم يحظ بمراده كذلك من توهم ان حجج التوحيد تعلوها زيغ الشبه فقد احال في ظنه وافتضح في همه **وقوله** تعالى هو الذي ارسل رسوله اي محمدا بالهدى اي التوحيد وقيل بفرايض الله على خلقه وقال الكلبي اي بالقران الذي يهدي الى الرشد ودين الحق اي الاسلام واضافته لوجهين احدهما ان الحق هو اسم الله والمراد دين الله والثاني ان الحق هو الاسلام لانه حق والكفر باطل ويجوز ان تعد دين الاسلام اي طريق الاسلام وملة الاسلام وشريعة الاسلام **وقوله** تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اي ليعليه على الاديان كلها على كراهة المشركين والظهور العلو والغلبة قال تعالى فاصبحوا ظاهرين والدين اسم جنس فيصلح للجمع وقال ابن عباس ليظهره اي يعلمه شرايع الدين كلها فيظهره ويطلعه عليها والهاء عايدة الى النبي عليه السلام على هذا التاويل وهو كقوله واظهره الله عليه اي اطلعه وعلى التاويل الاول تعود الهاء على الدين والاظهار يكون بمعنى الاعلاء وقال الكلبي هو الذي ارسل رسوله بالقران والايمان ليظهر دينه على الاديان كلها فلا يبقى دين الا ظهر عليه الاسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين الا دخل في الاسلام او ادى الجزية الى المسلمين ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل عيسى بن مريم فيكسر الصليب ويقتل

الخنزير

الخنزير ويضع الجزية فلا يبقى على وجه الارض الا مسلم او مسالم وقال القشيري ليظهره على الدين كله ازاح العلل بما لاح من الحجج وازال الشبه بما اوضح من النهج فشموس الحق طالعة وادلة الشرع لامعة وانشدوا **شعر** هي الشمس الا ان للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب **وقوله** تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وصف الاحبار والرهبان الذين اتخذهم اهل الكتاب اربابا فقال لا تتوهموا في كثير من الاحبار والرهبان صلاحا ولا تغتروا بظاهر زيهم وسكونهم فان ذلك كله مصايد للمطامع واستجلاب للرياسة ومكايد للصد عن سبيل الله والجر الى الضلالة وذلك باخذهم الرشى من الاشراف والعامة وتحريف الكتاب وكتمان نعت النبي عليه السلام وحقية الاسلام **وقوله** تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعون ويخبأون وقيل اصله هو كبس الشيء بعضه على بعض **وقوله** تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله اي لا يخرجونها في طاعة الله ولم يقل ينفقونهما لانه اراد به المكنوز وقيل اكتفى باحدهما عن الاخر ايجازا ومثله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقد اطلنا الكلام في نظايرها في قوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا **وقوله** تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي ضع الوعيد بالعذاب الاليم موضع البشرى بالنعيم في حقهم على التهكم ثم قوله والذين يكنزون الذهب قيل هو معطوف على كثيرا وهو من صفات اهل الكتاب جمع المال ومنع حقوق الله فيه والبخل وقد مر في اثبات غاية بخلهم وقيل هو مبتدأ في مانعي الزكاة من المسلمين وقيل هو عام يتناول الكل وقال السدي هو في اهل القبلة وقال ابن عباس هي خاصة عامة وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قرا هذه الاية على معاوية رضي الله عنه في امر من الامور فقال معاوية ليست هذه الاية فينا انما هذه الاية في اهل الكتاب فقال ابو ذر انها لفينا وفيهم وعن ابن عمر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ادي زكوته فليس بكنز وقال سالم بن ابي الجعد لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة فانها لما شق على الصحابة قالوا اي مال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه **وقوله** تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم هو ظرف لما قبله اي فبشرهم بعذاب يعذبون به يوم يحمى عليها اي يوقد على هذه الاموال وقد حمي يحمى بالنار من حد علم واحماه غيره احماء **وقوله** تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم اي فتوسم بالكنوز المحماة بالنار جباه الكافرين وهي جمع جبهة وهي صفحة اعلى الوجه فوق الحاجبين وجنوبهم وهي جمع جنب وظهورهم وهي جمع ظهر وخصت بالكي هذه المواضع لان الكي على الجبهة

يظهر للعيون فيكون ابلغ في التشهير والتعذيب وهو كقوله سنسمه على الخرطوم والجنوب
مقابل فكانها اشد ابجاعا والظهور فيها القوة وفيه ازالة القوة بالكلية وقال ابو بكر
الوراق انما خصت بالكي هذه المواضع لان الغني المانع الزكوة اذا راى الفقير انقبض وجهه
واذا ضمه والفقير مجلس ازور عنه فعارضه بجنبه واذا امله قام وولاه ظهره وقال
محمد بن علي الترمذي لانه تبذخ وتشمخ برأسه بسبب ماله ونعم على كتره بجنبه وبتساند اليه
ظهره وقال الامام ابو منصور الجبهة مقدمة الوجه وهم لم يقدموها الى الاخرة فلم
ينفقوها في سبيل الله فعذبوا على الجباه وعلى الجنوب لانهم اخذوها من كل جانب وعلى
الظهور لانهم انفقوها في الصد عن سبيل الله وتولية الظهور عن الحق ويحتمل ذكر هذا احاطة
العذاب بهم من كل الجهات كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال احاط بهم سرادقها وجعل الله تعذيب اهل النار في الاخرة
بالاسباب التي منعتهم عن طاعة الله ودعتهم الى مخالفة امره فيجمع بينهما في النار وهو كقوله
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم ونحو ذلك وقال
القشيري لما طلبوا الجاه بالمال عند الخلق وبخلوا باخراج حق الله تعالى عنه شان الله وجوههم
ولما شدوا جوانبهم واسندوا ظهورهم الى اموالهم كوى الله بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
وقال ابن عباس يوم يحمى عليها اي على الكنوز في نار جهنم فتكوى بها جباههم اي لا
يوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم ولكن يوسع جلده فيوضع كل درهم
ودينار كية من نار على حدة وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل
لا يؤدي زكوة ماله يوم القيمة الا جعل ماله يوم القيمة صفايح من نار فتكوى بها جبهته
وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب ابل ولا بقر لا يؤدي زكوتها الا بطح لها يوم القيمة
بقاع قرقر تطاه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه اخراها عادت عليه اولاها
حتى يقضى بين الناس في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة
واما الى النار وما من صاحب غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيمة تطاه باظلافها
وتنطحه بقرونها ثم ذكر فيه ما ذكر في الاول وقوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم القول
ههنا مضمر وتقديره تقال لهم او يقول لهم خزنة جهنم هذا ما كنزتم لانفسكم اي هذا الذي
كنزتموه هو الذي كنزتم في الدنيا جمعتم فلم تؤدوا حقه فذوقوا ما كنتم تكنزون اي هذا بذلك
وهو كقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله

اثنا عشر شهرا وبه يتم الحول وبتمام الحول يجب الزكوة في النصب وهو وجه اتصالها بما قبلها ووجه
اخر انها متصلة بجملة ما نزلت فيه السورة لان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يحج عام نزول
هذه الاية السورة وكان الحج حينئذ على حساب النسيء في ذي القعدة وفي السنة الثانية في ذي
الحجة ولهذا قال عليه السلام عام حج ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموت
والارض وابطل النسيء ووجه اخر للاتصال ان السورة في قتال المشركين وصفتهم انهم كفار
وافعالهم كذا ومن قبايحهم النسيء وهو تغيير حكم الله تعالى وقوله ان عدة الشهور اي شهور السنة
عند الله اي في حكم الله اثنا عشر نصب لانهما اسمان جعلا اسما واحدا وعربا بني على الفتحة
لانها اخف الحركات وانما قدرت الشهور القمرية باثني عشر لان الشهور الشمسية كذلك
لنزولها في اثني عشر برجا وتمام السنة الشمسية بذلك فجعلت السنة القمرية اثني عشر
شهرا ايضا ليتوافقا على حساب واحد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقوله تعالى
في كتاب الله قال ابن عباس في الامام الذي عند الله كتبه يوم خلق السموات والارض
وقال علي بن الحسين بن واقد اي في اللوح المحفوظ وهو كقوله في سورة الحج
ان ذلك في كتاب وكذا في سورة الحديد وقيل في قضا الله وايجاب الله على خلقه من
احكامها وقوله تعالى يوم خلق السموات والارض اي كتب ذلك يوم خلق السموت
والارض فلم تزل الامم تتناسخه الى ان غيرت العرب في شركها ما غيرت منه وقوله
تعالى منها اربعة حرم اي من الاثني عشر شهرا اربعة اشهر حرم جمع حرام وهي رجب
وهو فرد وذو القعدة وذو الحجة وهي سرد كذا اقرها النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى
المحرم انه يحرم فيها القتال وكانت العرب تعظمها حتى لو لقي رجل قاتل ابيه فيها
لم يهجه وقوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم كما قال مالك يوم الدين
اي يوم الحساب ومعناه ان الشهور على حساب مستقيم فلا تغيروها بالنسيء وقيل
الاخذ به الدين المستقيم وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قال
ابن عباس اي في جميع الشهور لانها شهود عليكم بما تعملون وقال قتادة في الاربعة
الحرم وظلم النفس هو المعصية لانه يضرها نفسه وينقص به حظه وانما خص هذه
الشهور الاربعة بالنهي عن ظلم النفس فيها مع انه حرام في كل وقت بيانا انه فيها
اغلظ وهو كقوله في حق مكة ومن يرد فيه بالحاد بظلم الاية والظلم في كل
مكان حرام وقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال وكل ذلك
في كل وقت حرام وقول النبي عليه السلام في وعيد من زنى بحليلة الجار والزنا بكل

امراء حرام لكن التخصيص دلالة التغليظ في كل ذلك وقيل فلا تظلموا فيهن انفسكم بالبداية بالقتال ولا باس بقتال من بداكم به فيها **وقوله** تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وقيل اي لا تظلموا فيهن انفسكم اذا قوتلتم فيهن ما تتركوا القتال لكن قاتلوهم في هذه الحال **وقوله** واعلموا ان الله مع المتقين لا مع المشركين اي حافظ المتقين وناصرهم وهم الذين يتقون الشرك وقيل الذين يتقون هتك حرمة هذه الاشهر وقيل الذين يتقون بداية المشركين بالقتال فيها وقال عطا الخراساني حل القتال في الشهر الحرام بقوله براة من الله ورسوله الايات وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يقول فيهن وفي غيرهن وقيل هو فعيل بمعنى المفعول ومعناه المؤخر من قولهم نسا الشي وانساه اي اخره ومنه النسيئة في البيع **وقوله** تعالى زيادة في الكفر اي تاخير حرمة المحرم الى صفر بدعة زايدة على بدع ساير الكفار **وقوله** تعالى يضل به الذين كفروا قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بضم اليا وفتح الضاد اي الاتباع يضلون به باضلال الرؤساء على ما لم يسم فاعله وقرا الحسن وجماعة بضم اليا وكسر الضاد اي يضل الرؤساء به الاتباع وقرا الباقون يضل بفتح اليا وكسر الضاد اي يتقون في هذا الشهر ويحرمونه من حذف في عن الفعل كما يحذف عن الاسم فيقال الشهر الحرام والشهر المحرم اي المحرم فيه القتال **وقوله** تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدد ما حرم الله والمواطاة الموافقة وتواطا القوم على كذا اي توافقوا اي يحرمون صفر مكان المحرم ويحلون المحرم ويقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر **وقوله** تعالى فيحلوا ما حرم الله اي ليتوصلوا بهذه الحيلة الى احلال الشهر الذي حرمه الله **وقوله** تعالى زين لهم سوء اعمالهم قال الحسن الشيطان زين ذلك لهم وقيل انفسهم زينت ذلك لهم وقيل الله زينها بالتخليق امتحانا **وقوله** والله لا يهدي القوم الكافرين الى الحق حال اختيارهم الثبات على الباطل وقيل لا يهديهم طريق الجنة في الاخرة وقال الكلبي كان اول من نسا الشهور رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس بالموسم اذا هم الناس بالصدر قام فخطب فقال لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ربنا ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول فان صفر العام حرام فحلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال هو حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا على الناس وكان بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف بن امية الكناني وهو الذي ذكره

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان يلي ذلك عامر بن الظرب وقال قتادة كان يفعل ذلك ابو ثمامة صفوان بن امية احد بني فقيم بن الحرث وفي حديث ابن عباس ابو ثمامة هو كنية جنادة بن عوف بن امية الكناني الذي قدمناه وقال عبد الرحمن بن زيد هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس في الجاهلية وانشد ابو عبيدة لبعض بني كنانة في الافتخار بهذا النسا الناسئين على معد، شهور الحل نجعلها حراما، وقال السدي كانت العرب يشق عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر لا يغيرون فيها واذا ارادوا ان يغيروا قالوا اني احللت المحرم وحرمت صفرا مكانه فقال الناس في المحرم فاذا كان صفرا اغمدوا السيوف ثم يقول في قابل احللت صفرا وحرمت المحرم وقال عبد الرحمن بن زيد كانوا يحلون صفرا المحرم ويسمونه صفرا ويحلون بعد صفرا ويجعلون في هذا العام صفرين ثم يحرمون المحرم وصفرا في القابل ويجعلونهما المحرمين وفي حديث الحسن انهم كانوا يغيرون الشهور كلها فيتغير شهر الحج ايضا ولما فتح الله مكة سنة ثمان من الهجرة وكان في تلك السنة غزوة حنين ومضى النبي صلى الله عليه وسلم منها الى الطايف ثم الى جعرانة وقسم بها غنايم حنين في ذي القعدة واعتمر فيه ولم يؤذن له ان يحج في ذلك العام لان حجهم كان وقع في ذي القعدة فلما كانت سنة تسع ووقع الحج في ذي الحجة وارسل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق الى مكة واستعمله على الحج وعلمه المناسك ونزلت سورة براة بعد خروج ابي بكر فبعث بها صلى الله عليه وسلم مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه وامره اذا خاطب ابو بكر رضي الله عنه وفرغ من خطبته ان يقوم ويقرا على الناس سورة براة ففعل ونبذ الى المشركين الى عهدهم وقال لا يحجن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا وانما لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم تلك السنة لمخالطة الكفار واخر ليكون حجه في السنة التي بعدها بدون المشركين وكان ابو بكر هو الذي يخطب على الناس ويصلي بهم ويدفع بهم في الموقف فلما كانت سنة عشر اذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحج فحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوقف بعرفة وقال يا ايها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فلا شهر ينسا ولا عدة تخطا وان الحج في ذي الحجة الى يوم القيمة وقال القشيري قوله اربعة حرم لما علم انهم لا يداومون على ملازمة القرب افرد بعض الشهور بالتفضيل ليجتهدوا باستكثار الطاعات فيها فاما الخواص من عباده فجميع الشهور لهم شهر رمضان وجميع الايام لهم جمعة وجميع البقاع لهم مكة وانشد، يا رب ان جهادي غير منقطع، فكل ارضك لي ثغر وطرسوس، وقال في قوله فلا تظلموا

فبين انفسكم امر العوام ان لا يظلموا انفسهم في بعض الشهور بارتكاب الزلة وامر الخواص
ان لا يظلموا قلوبهم في جميع الشهور باحتقاب الغفلة وظلم النفس ان يجعل العبد زمامه
بيد شهواته فيورده موارد الهلكات وظلم القلب ان يلاحظ الخلق فيحرمه انس
المشاهدات ومن ظلم نفسه بارتكاب المحظورات ابتلي بالفترة في الطاعات ومن ظلم قلبه
بالمساكنات امتحن بعدم الصفوة في مرور الاوقات وقال في قوله وقاتلوا المشركين كافة
لانسلاخ امتعني على العدو ومن يتربك عن حولك وقوتك وقال في قوله انما النسيء زيادة في الكفر
الذي ملاحظة الامر ومجانبة الوزر وترك التقدم بين يدي الله في جميع احكام الشرع
فلا مجال في الطاعات مضروبة والتوقيف في عرفانه متبع والفلاح في الامور بالاقامة
على حد العبودية وترك الاعتراض والمعارضة على الربوبية وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ما لكم هو حرف استفهام بمعنى التوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا
الى الغزو وقد نفر نفيرا من حد ضرب وسبيل الله طريق طلب مرضاته وسمي به لانه يفضي
بسالكه الى الجنة وقوله تعالى اثاقلتم الى الارض اي تثاقلتم وادغمت التاء في الثاء فبقيت
الثاء وهي ساكنة فزيد عليها الالف ليكون الابتداء بالمتحرك ومثله اداركوا وهذه معاتبة
للمومنين حيث قيل لهم وقاتلوا المشركين كافة فتباطؤوا فعوتبوا على ذلك وهو وجه
النظم اي ما السبب الذي يدعوكم اذا قال لكم الرسول خفوا في الجهاد في سبيل الله تثاقلتم
عنه الى الاقامة بارضكم لبلوغ الثمار وطيب الظلال وتعب الخروج لشدة الحر وقوله
تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اي بدلا عن الاخرة ونعيمها الخالد الذي لا يبيد
وقوله تعالى فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل لان هذا منقطع وذاك
باق وهذا كله تقريع وتعجيب من سوء الاختيار قال مجاهد امروا بغزوة تبوك
بعد الفتح وبعد الطايف وبعد حنين امروا بالنفير في الصيف حين ثمرت النخيل
وطابت الثمار واشتهوا الظلال فشق عليهم الخروج فاعتلوا وقالوا فينا الثقيل
وذو الحاجة وذو الصنعة والشغل فنزلت الاية وقال الكلبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اقام بالمدينة مرجعه من الطايف فامر بالجهاد لغزوة الروم
وقال قتادة لغزوة تبوك قبل الشام وذلك في زمن عسرة من الناس وجدب
من البلاد وشدة من الحر حين طابت ثمار المدينة وايتعت فعظمت على الناس
غزوة الروم واحبوا الظلال والمقام في ثمارهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها الا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتاهب

الناس واخبرهم بالوجه الذي يريد فلما علم الله تثاقل المسلمين نزل هذه الاية وقال
القشيري الجنوح الى التكاسل والاسترواح الى التغافل من امارات ضعف الايمان
اذ الايمان عزيمة لا يرضى من العبد بغير ممارسة الاشق وملابسة الاحق قال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في
العسر واليسر والمنشط والمكره بل بايعنا على الموت ثم قال ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
هل يجمل بالعابد ان يختار دنياه على عقباه ام هل يحسن بالعارف ان يوثر هواه على رضى
مولاه وغيبة يوم من الزاهد عن الباب يعدلك شهورا وغيبة لحظة من العارف عن البساط
تعدل دهورا وانشدوا ٭ الالف لا يصبر عن الفه ٭ اكثر ما تطرف العين ٭ وقد صبرنا عنكم
ساعة ٭ ما هكذا فعل المحبين ٭ وقوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما الا كلمتان ان للشرط
ولا للنفي اي ان لم تخرجوا الى الغزو يعذبكم عذابا اليما وجيعا لابدانكم وقلوبكم في الدنيا
والاخرة ويستبدل قوما غيركم اي يجيئ بقوم اخرين اولياء بهم بدلا عنكم يخفون
الى امره ويحرصون على مجاهدة عدوه وقال ابو روق هم اهل اليمن وقال سعيد
بن جبير اهل فارس وقيل الملايكة وقال القشيري ويستبدل قوما غيركم يصرف
ما كان عليكم من الاقبال الى غيركم من الاشكال وليس كل من حفر بيرا شرب من معينها شعر
٭ اسقي رياحين الحفاظ مدامعي ٭ وسواي في روض التواصل يرتع ٭ وقوله تعالى ولا تضروه
شيا عطف على ما سبق وهو مجزوم لانه جواب الامر وعلامة جزمه حذف النون في اخره وهو
ظاهر انه لا يضر الله شيا ولا ينقص من ملكه شيا وقيل معناه اي لا تضروا رسوله واولياءه
شيا فان الله ينصرهم بما شا بدونكم وقوله تعالى والله على كل شيء قدير اي هو على
نصر رسوله بغيركم وامحاء الكفار بغيره قادر احد قدير اذ هو القادر على كل شيء وقال
القشيري العذاب الاليم ان لا يعاتبه على تاخير الرجوع وقيل العذاب الاليم ان يعرض العبد
عن الطاعة فلا يبعث وراءه طلبا من التوفيق يرده الى الباب وقيل العذاب الاليم
ان يسلبه حلاوة النجوى اذا تاب وقيل العذاب الاليم الصدود يوم الورود وقيل
العذاب الاليم الوعيد بالفراق فاما نفس الفراق فهو عين التلف وانشدوا شعر
٭ وزعمت ان البين منك غدا ٭ هددت بذلك من يعيش غدا ٭ وقوله تعالى
الا تنصروه الا كلمتان كما مر اي ان لم تنصروا محمدا في هذه الحالة فما هو ممن يضيع
فقد نصره الله اضعف ما كان فلن يخذله الان وقوله اذ اخرجه الذين كفروا
اي حين مكر قريش فاضطر الى ان خرج ليلا مختفيا مهاجرا الى المدينة خايفا فزعا

منفتشا من لحوق الطلب لا انيس معه ولا اليف الا رجل واحد وهو ابو بكر الصديق
رضي الله عنه ثم قال ههنا اذ اخرجه الذين كفروا وقال في اية وهموا باخراج الرسول
وقال في اية كما اخرجك ربك والتوفيق انهم هموا ان يخرجوه بانفسهم فاضطر
فخرج بسبب همهم والله اذن له بالخروج وقدر عليه ذلك **وقوله** تعالى ثاني اثنين
نصب على الحال او هو حال النبي صلى الله عليه وسلم واثنين حفص بالاضافة وهما محمد
المصطفى وابو بكر الصديق اي هو احد اثنين ليس معهما ثالث **وقوله** تعالى اذ هما في الغار
هو النقب العظيم في الجبل وهو في جبل بمكة يقال له ثور قاله قتادة وهو ماخوذ من غار
يغور اي دخل في عمق **وقوله** تعالى اذ يقول اي النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه ابي بكر
الصديق لا تحزن لا تهتم ان الله معنا اي حافظنا وناصرنا **وقوله** تعالى فانزل الله سكينته
عليه قال الزجاج اي على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال في هذه السورة فانزل الله سكينته
على رسوله وقيل اي على ابي بكر الصديق فانه هو الخائف المحتاج الى الامن فاما النبي صلى
الله عليه وسلم فقد كان ساكنا بما وعد له من النصر **وقوله** تعالى وايده بجنود لم تروها
اي قواه بها وهو عطف على قوله فقد نصره الله والجنود الملائكة ايدهم اي في حرب
بدر وحنين **وقوله** تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى قال الحسن هي الشرك
وكلمة الله هي العليا هي لا اله الا الله علت هذه الكلمة الى قيام الساعة وكلمة الله رفع
بالابتداء وهي غير معطوفة على الاولى لانه لم يجعل الجعل واقعا عليها بل استانف الكلام
وقال ابن كيسان وجعل كلمة الذين كفروا السفلى هو ما قدروا بينهم في
الكيد به ليقتلوه ولم ينالوا املهم وكلمة الله هي العليا وعد الله انه ناصره وقال
الامام ابو منصور ويحتمل وجعل اهل كلمة الذين كفروا وهم الاسفلين قال تعالى
من الاسفلين واهل دين الله هم الاعلين قال تعالى وانتم الاعلون **وقوله** تعالى والله
عزيز في انتقامه حكيم في تدبيره واحكامه وقصته ان قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة
يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وتشاوروا في امره على ما مر في تفسير قوله واذ يمكر
بك الذين كفروا وترك النبي صلى الله عليه وسلم عليا على فراشه ليلا وخرج مع ابي بكر
الصديق يتوجهان الى المدينة قالت عائشة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا نعلنا وذلك في نحر الظهيرة متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها وقال
دخل لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك فقال انه قد اذن لي في
الخروج الى الهجرة فقال ابو بكر فالصحبة بابي انت وامي يا رسول الله فقال نعم قالت

فخذ احدى راحلتي هاتين فقال عليه السلام بالثمن وكان اشتراهما بثمان مائة فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم القصوا وكانت عنده بعد وعليها المغازي وحج عليها حتى ماتت في خلافة
ابي بكر قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز لحم وخبز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت
اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فاوكت به الجراب فبذلك كانت تسمى ذات النطاق
وقيل كانت تنتطق بنطاقين فحلت احدهما فجعلته علاقا للسفرة والاخر فجعلته عصاما
لفم القربة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من بيته ونفر من قريش يرصدونه على الباب
فاخذ حفنة من البطحا فجعل يذرها على رؤسهم وهو يتلو يس والقران الحكيم الايات ومر
ولم يعلموا به وانتهى الى بيت ابي بكر الصديق فخرجا معا وكان ابو بكر استاجر عبد الله بن
اريقط فدفع اليه الراحلتين وواعده غار ثور بعد ثلث ليال واتيهما بهما حينئذ فارتحلا عليهما
الى المدينة وقال ابو بكر فاحيينا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل
ارى من ظل ناوي اليه فرايت صخرة فنزلنا لها فنظرت بقية ظلها فسويته واخذت فروة
كانت معي ففرشتها لرسول الله وقلت اضطجع يا رسول الله حتى انفض ما حولك فاذا غلام
راعي قد اقبل في غنم له يريد من الصخرة الظل فقلت لمن انت يا غلام فقال لرجل من قريش
وسماه فعرفته وقلت هل في غنمك من لبن قال نعم فقلت هل انت حالب لي قال نعم
فاعطيته فحلب وقد رويت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اداوة من ماء فصببت على اللبن
حتى وجدت برد الماء من تحت الاناء فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ
فقلت اشرب يا رسول الله فشرب منه ثم قلت قد ان الرحيل يا رسول الله فارتحلنا والقوم
يطلبونا فادركنا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول
الله فقال لا تحزن ان الله معنا فلما دنا وقدر رمحين او ثلثه قلت هذا الطلب قد لحقنا
وبكيت قال لم يبكيك قلت اما والله ما على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه في الارض الى بطنها ووثب
عنها ثم قال يا محمد قد علمت ان هذا عملك ادع الله تعالى ان ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين
على من ورائي وهذه كنانتي فخذ سهما منها فانك ستمر على ابلي وغنمي بمكان كذا
وكذا فخذ منها حاجتك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في ابلك ودعا
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق راجعا الى اصحابه ومضى رسول الله وانا
معه وكانت قريش جعلت لمن اخذ محمدا وابا بكر ديتهما وسمع سراقة رجلا يقول رايت
في الطريق سوادا اراه محمدا فخرج مختفيا على طمع ان ياخذهما فكان ما كان وقال

ابو بكر لعائشة لو رايتني ورسول الله اذ صعدنا الغار فاما قدما رسول الله فتفطرتا
دما واما قدماي فعادتا كانهما صفوان فقالت عائشة ان رسول الله لم يتعود الحفية
ولو رايتنا ونحن نصعد في الغار مرة هو امامي ومرة انا امامه حتى سبقته الى الغار
فدخلت وطلبت فيه حجرا فالقمته عقبي ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قال
ابو بكر ان كانت لدغة لدغتني احب الي من ان يلدغ رسول الله عليه السلام وقال
ابن عباس قال ابو بكر حين انتهينا الى باب الغار يا رسول الله الغار موضع المكاره فدعني
ادخل قبلك فان كان به شيء مكروه كان بي دونك فدخل فراى حجرة وكان عليه
برد ذابرى يمين فخرقه وحشى تلك الحجرة وبقي حجران فسدهما بعقبيه وقال ادخل
يا رسول الله فدخل وجاءت العنكبوت فضربت على بابه بغشائها بعضها على بعض وارسل الله
زوجا من حمام حتى باضتا في اسفل النقب وانبت الله على باب الغار ثمامة ومكثا فيه
ثلث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام لقن فكان يرجع منهما عند السحر فيصبح
مع قريش بمكة فلا يسمع امرا يكيدون به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط
الظلام وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر يجيء بالليل بعد العشاء فيبيتان في منحته فاذا السحر
رجع وخرج الطلب من مكة وقفوا اثارهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فوقفوا على
الجبل فوق الغار فقال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال واحد ندخل الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى
الغار ان عليه لعنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد ثم جاء فبال في صدع الغار حتى سال
بوله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فنهى النبي عليه السلام عن قتل
العنكبوت حينئذ يومئذ وقال انها جند من جنود الله تعالى وفي رواية قالوا حين راوا
العنكبوت وبيض الحمام لو دخلاه لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرفوا
وقال القشيري جعل الله رسوله امان اهل الارض بقوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم ثم جعله في امان العنكبوت حين نسج على باب الغار ليعلم انه من عند الله دون
الاغيار وقال ان للبقاع دولا متى خطر ببال احد ان يصير ذلك الغار مثوى سيد
الاولين والاخرين ولكن الله يختص بنعمته من يشا كما يختص برحمته من يشا وفيه
بيان فضل الصديق حين جعله الله لرسوله صاحبه وعن[?] انيسه ثم هو في القبر ضجيعه
وفي الجنة رفيقه وقال رجل من الشيعة لابي يوسف القاضي ما ظنك في خمسة
سادسهم جبريل فقال ابو يوسف ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقلتا لزوا[?] فصرح في قوله

لا تحزن لا يخلوا اما ان يكون حزن ابي بكر طاعة او معصية فان كان معصية ففيه نقصانه
لا فضله وان كان طاعة فلم نهاه رسول الله عنه قلنا لم يكن حزنه سخطا بربه ولا استبطا
لنصره لكنه شفقة على رسول الله وحبيبه او كان ذلك شيا نشا من طبعه ولا نقص في مثله
ثم يقارضهم بخوف موسى وهرون وقول الله لهما لا تخافا انني معكما الى اخر السورة الحذو القذة
بالقذة على انهما قالا لا انا نخاف وليس في القران ان ابا بكر قال اني احزن وقد قال ابو بكر في شعره

قال النبي ولم اجزع يوقرني ◦ ونحن في ظلمة سدفة من ظلمة الغار ◦
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ◦ وقد تكفل لي منه باظهار ◦
وانما كيد من تخشى بوادره ◦ كيد الشياطين قد كادت لكفار ◦
والله مهلكهم طرا بما صنعوا ◦ وجاعل المنتهى منهم الى النار ◦

وقال الامام ابو منصور لا تحزن ليس بنهي عن الحزن بل هو على تخفيف الامر عليه وتيسير
الحال التي هو عليها وهو كقوله لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وكما قال النبي عليه السلام
لابي بكر رضي الله عنه لا تحزن فقد قال الله لرسوله ولا تحزن عليهم ولم يكن حزنه معصية
بل كان شفقة فهذا مثله وقال القشيري كان حزنه لا لنفسه بل لانه قال لرسول الله
لا تحزن ان الله معنا وحزن لا يذهب الا بمعية الحق لا يكون الا لحق الحق وقوله تعالى
انفروا خفافا وثقالا هو نصب على الحال والخفاف جمع خفيف والثقال جمع ثقيل وقال
الحسن ومجاهد والضحاك اي شبانا وشيوخا وقال ابو صالح اي اغنيا وفقرا
وقال الحكم فارغين ومشاغيل وقال ابن عباس وقتادة نشاطا وغير نشاط كره
النون وهو جمع نشط قال ابو عمرو ركبانا ومشاة وقال ابن زيد ذا ضيعة وغير ذي
ضيعة وجملته على حال يخف فيه النفير او على حال يثقل فيه النفير وقال مرة الهمداني
اصحا ومرضى وقال ان ناسا كان بعضهم عليلا وبعضهم كبيرا فقالوا انا ثم علينا فنزلت
الاية وقال يمان بن رياب كانوا عزابا ومتاهلين قال وشهد ابو ايوب الانصاري بدرا ثم لم
يتخلف عن غزاة الا عاما واحدا ثقل منه ثم تكلف وخرج وقال قال الله تعالى انفروا
خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وخرج سعيد بن المسيب الى الغزو
وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان
لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله ذلكم خير لكم اي من تركه الى مباح وقيل ليس هو للتفضيل بل لاثبات اصل الخير
اي ذلكم صلاح وخير لكم وتركه فساد وشر لكم وقوله تعالى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر

وقيل اي ان كنتم تعلمون صدق الوعد على فعله وصدق الوعيد على تركه وقيل ان كنتم
تعلمون بما تعلمون وقال القشيري انفروا خفافا اي في حال حضور قلبكم فلا يمسكم
نصب المجاهدات وثقالا اذا رددتم اليكم في مقاساة تعب المكابدات فان البيعة اخذت
عليكم في المنشط والمكره خفافا اذا كنتم محمولين في حال الجمع وثقالا اذا كنتم متحملين في
اوان التفرقة خفافا اذا تجردتم عن رق المطالبات ثقالا اذا كانت عليكم ثقل الحاجات
وقوله تعالى لو كان عرضا قريبا اي لو كان المدعو اليه عرضا اي شيا من متاع الدنيا قليلا
لا بقاله وقيل اي غنيمة قريب متناولها كما قال في غنايم بدر تريدون عرض الدنيا وسفرا قاصدا اي
سهلا وسطا من الاسفار لا تبعوك اي هولا المنافقون المتخلفون بعلل اتبعوك الى حيث
قصدت ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة وقيل هي قطعة من الارض يشق سلوكها على صاحبها
فلما لم يكن خروجهم لرضا الله ولم يرجوا نفع الدنيا تخلفوا وقوله تعالى وسيحلفون بالله لو
استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا زاد وراحلة لخرجنا على موافقتكم وهي استطاعة
الالات وتهيي الاسباب وانها تتقدم الفعل فاما الاستطاعة التي بها يقع الفعل فانها مع الفعل
عندنا ولا متعلق للقدرية فيها لما قلنا ان المراد استطاعة الاسباب وقوله تعالى يهلكون انفسهم
اي يوردونها نار جهنم بكذبهم وقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون انه لا استطاعة لهم وهو ما
ذكرنا من سلامة الالات وتهيي الاسباب اي فلا تقبلوا لهم عذرا وانهم لم يتحسبوا بوقوع العلم
عليها لكان اللام بعدها وقال ... انهم لكاذبون فيما يقولون لخرجنا بعلم الله في
قلوبهم ذلك وقال قتادة هم جماعة من المنافقين منهم جد بن قيس ومعتب بن ...
ودلت الاية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة لانه اخبر انهم سيحلفون
بكذا وكان كما اخبر وذاك مما لا يعلم الا باخبار عالم الغيب وقال الامام ابو منصور
لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا اي لو كان نفعا حاضرا وغايبا من منافع الدنيا لا تبعوك
فان صفتهم كانت اتباع المنافع وقال الله في صفتهم ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية
وقال في قوله يهلكون انفسهم قيل يظهر نفاقهم بترك الخروج فيقتلون بقوله ملعونين
اينما ثقفوا الاية وقال القشيري كان ذلك تعليلا فاسدا من اهل النفاق وكذا من
كان غير متحقق في قصده غير مبالغ في جهده وانشدوا وكذا الملول اذا اراد قطيعة
مل الوصال وقال كان وكانا ومن جد في الطلب لم يعرج في اوطان الفشل يصل
السير بالسرى ولم يبال من مقاساة العنا ثم قطع الليل في مهمة لا اسد اخشى
ولا ذيبا يغلبني شوقي فاطوي السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا وقوله

تعالى عفا الله عنك قال الحسن بن الفضل هذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتتح الخطاب بالعفو لما
كان يقوم لقوله لم اذنت لهم وطيبا لله نفسه بتصدير العفو وقال القفال ذكر الله في
هذه الاية والايات التي بعدها احوال من تخلف عن غزوة تبوك وخلف عنه وجلا لهم
باوصافهم واذاع بذكرهم حتى عرفهم المسلمون وذكر ايمانهم وحججهم ومعاذيرهم الباطلة
والمراد من ذلك والله اعلم ان يكون اوصاف من بعدهم من اهل النفاق مفرزة عند العلما
مخلدة في كتاب الله تعالى يعرف بما يوجد فيها من الاخلاق نفاق المنافقين منهم اذا
كان قائم زمان النبوة وانقطع الوحي فاذا عرفوهم باوصافهم لم تغتروا بظاهرهم ولم يامنوهم
على دينهم وقوله تعالى لم اذنت لهم اي بالتخلف عن الغزو حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين قال الامام ابو منصور يحتمل حتى يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك
من ايات النبوة انك لم تاذن لهم بالتخلف او ان لم تاذن لهم يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون
... وان لم تاذن لهم والذين صدقوا الايمان ... فيتبين لك هولا من هولا
... كذب المنافقين من صدق المومنين قال وفيه دليل ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لا بالامر اذ لو كان بالامر لم يعاتب عليه ووقع في اجتهاده انهم
يغزون فاذن لهم ثم انما عوتب مع انه اجتهد وله ذلك لانه ترك الافضل فعوتب
عليه وهو ترك الاذن حتى يتبين له الصادق من الكاذب وعتاب الانبيا يكون مع
ترك الافضل مع فعل الفاضل وقوله تعالى لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين اي لا يجاهدوا كما في قوله
يبين الله لكم ان تضلوا ... اي لا يستاذنك في التخلف بغير عذر من كان يومن بالله فيطيعه في امره
بالجهاد وباليوم الاخر فيرجوا فيه ثواب الجهاد والله عليم بمن يتقيه فلا يخالف امره
بالجهاد ولا يتخلف عنه وقوله انما يستاذنك بالتخلف من غير عذر الذين لا يومنون بالله
واليوم الاخر فلا يرون لله طاعة ولا يرجون في القيمة مثوبة وارتابت قلوبهم
اي شكت في حقية الاسلام فهم في ريبهم يترددون اي يتقلبون قال ابن عباس
ذكر الله هذا في المنافقين الذين يستاذنون من غير عذر ذما لهم فاما المومنون الذين
لهم عذر فقد قال في حقهم واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه الاية
قال مقاتل كان المستاذنون من المنافقين تسعة وثلاثين رجلا وقال
محمد بن اسحق اذن لقوم كانوا من ذوي الشرف منهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس لعلمه انهم
ان خرجوا افسدوا عليه الجند وقال القشيري عفا الله عنك حسنات الاعداء

مردودة وسيئات الاحباب مغفورة وانشدوا، من ذا يواخذ من يحب بذنبه
وله شفيع في الفواد مشفع، **وقوله** تعالى ولو ارادوا الخروج اي معكم للغزو
لاعدوا له اي لهيئوا للخروج عدة اي اهبة وقرا عبدالله بن شداد عدة بكسر العين
اي جماعة من الالات والقوم قبل وقت الخروج كما عدا المسلمين ذلك **وقال**
القشيري لو صدقوا في الطاعة لاستعدوا بوا ابذل الوسع والطاقة ولكن سقمت ارادتهم
فحصلت دون الخروج بلاداتهم ولذلك قيل، لو صح منك الهوى ارشدت في الحيل **وقوله**
تعالى ولكن كره الله انبعاثهم اي لم يرض الله بخروجهم وانبعاثهم وهو الانطلاق بسرعة
نقال بعثته فانبعث **وقال** الامام ابو منصور والوجه الذي لم يرض به هو ما
ذكر بعده لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الاية فثبطهم اي ثقلهم عن الخروج وحبسهم
وقد ثبط من خدعكم اي ثقل وثبطه غيره تثبيطا وفيه دلالة خلق الله تعالى افعال البشر
وقوله تعالى وقيل اقعدوا مع القاعدين اي العجزة المتخلفين من النسا والزمنى والصبيان
والمجانين وهذا الامر يحتمل ان يكون من النبي عليه السلام حيث استاذنوه فاذن لهم ظنا
ان لهم عذرا وهو ما قال في هذه السورة فان رجعك الى طايفة منهم الى قوله فاقعدوا
مع الخالفين او هو لهم من الله تعالى على التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم او
الشيطان وسوس لهم وزين في قلوبهم ذلك ودعاهم اليه او قال بعضهم ذلك لبعض
او معناه اقعدناهم وهو اخبار بلفظة الامر كما في قوله وقلنا من بعده لبني اسرايل
اسكنوا الارض **وقال** القشيري ان الله سبحانه بامر التكليف دعاهم ثم بامر التكوين
ثبطهم واقصاهم **وقوله** تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وليس
معناه انهم كانوا في فساد والمنافقون زادوا في فسادهم لكن معناه لو خرجوا
فيكم ما زادوكم قوة لكن اوقعوا فسادا بالتجبين وتهويل امر الكفار وتردد في الراي
وتزيين الامر لفريق وتقبيحه عند فريق ليختلفوا فتفترق كلمتهم ولا ينتظم امرهم **وقال**
مرة الهمداني الا خبالا اي غشا **وقال** ابن رباب الا مكرا **وقال**
عبدالرحمن بن زيد الا شماتة بكم **وقال** عطا الا ضعفا وجبنا **وقوله** تعالى
ولاوضعوا هو من ايضاع الفرس وهو وضع تعدية وضعا اي اسرع قال الشاعر، يا ليتني
فيها جذع، اخب فيها واضع، ومفعوله مضمر اي ولاوضعوا الابل خلالكم اي فيما
بينكم كما قال وفجرنا خلالهما نهرا اي حملوا الابل مسرعين فيما بينكم بالنميمة وافساد
ذات البين والتخليط **وقوله** تعالى يبغونكم الفتنة اي يطلبون لكم ما يفتنكم والفتنة
المحنة

المحنة واصله اخراج خبث الذهب بالنار **وقال** الامام ابو منصور يحتمل الفتنة الشرك
ويحتمل القتل وادخال الفشل والجبن فيهم وقال في قوله ولاوضعوا خلالكم يحتمل ولاد خلوا
تراحلكم بينكم حتى لا يصيبهم الاذى كانوا يستترون بالمومنين لئلا يصيبهم البلاء والشدة
وقوله تعالى وفيكم سماعون لهم **قال** قتادة اي في عسكركم من يسمع قولهم
اغترارا بظاهر احوالهم في التنصح للمسلمين فينصرف عن القتال فيقتدي به غيره فيرجع
وقال قتادة وفيكم من المومنين اهل محبة لهم يطيعونهم ويقبلون قولهم لشرفهم
وقوله تعالى والله عليم بالظالمين اي المنافقين فيكشف لكم عن مكنون سرايرهم لتحذروهم
وقيل عليم بمن يوجه افعاله عن وجوهها ويضعها غير مواضعها **وقال** الامام
ابو منصور لا عن جهل انهلهم على ما عليه لكنه اخرهم ليوم قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون الاية **وقال** القشيري اخبر الله في هذه عن سابق علمه فيهم وذكر
ما علم انه لا يكون انه لو كان كيف يكون وقال لو ساعدوكم في الخروج لكان يلحقكم
من شؤم سيرتهم في التضريب بينكم والنميمة فيكم والسعي فيما يسوءكم اكثر مما ياتيكم بتخلفهم
من نقصان عددكم ومن ضره اكثر من نفعه فعدمه خير من وجوده ومن لا يظهر من حضوره
غير شره فتخلفه خير من حضوره **وقوله** تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل في الوقايع منها
في حرب الخندق بقولهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وفي حرب احد بانصراف ابن ابي
باصحابه وهم ثلثمائة وبقي النبي عليه السلام في سبعمائة وقد مرت القصة وليلة العقبة
لقاءتني بين قوايم ناقة النبي عليه السلام بالليل حتى تنفر وتلقي النبي صلى الله عليه وسلم
ووقوف اثني عشر منافقا ليلتئذ على الثنية ليفتكوا بالنبي عليه السلام فاخبره الله بذلك
تحبين المومنين في الغزوات **وقوله** تعالى وقلبوا لك الامور اي صرفوا فيك الاراء
والحيل وقيل بغوا لك الغوايل وقيل مكروا بك ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك **وقوله**
تعالى حتى جا الحق اي الاسلام وظهر امر الله اي كثر المومنون وقيل اي نصر الله وهم
كارهون اي المنافقون كارهون ظهور الدين ونصر المسلمين وقيل قوله من قبل اي من
قبل ان يقوى امرك وتكثر انصارك لم ينفذ لهم فيك شي، فكيف اليوم وقد ظهرت
قوتك وكثرت شيعتك **وقال** محمد بن اسحق لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
الى تبوك ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن ابي عسكره اسفل منه
على جبل بحيالة اسفل من ثنية الوداع فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف
ابن ابي وعبدالله بن نبتل ورفاعة بن تابوت واخو زيد واوس بن قيظي وجماعة

من عطاياهم فنزلت فيهم هذه الاية وقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي اي ومن المنافقين
من يقول ائذن لي في التخلف ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة اي الكفر الا في الفتنة
سقطوا اي قد وقعوا في الكفر قبل هذا وان جهنم لمحيطة بالكافرين مشتملة عليهم
لا يخرجون منها وقيل اي جامعة للمنافقين وسائر الكافرين كما قال ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وقال محمد بن اسحق قال النبي عليه السلام
لجد بن قيس المنافق هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم فقال يا رسول الله ائذن
لي ولا تفتني فوالله قد عرف قومي ما رجل اشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رايت نساء
بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد
اذنت لك ونزلت الاية قيل اراد بالفتنة الردة اذا دعوته الى النصرانية وقيل
اراد به انا عسى نواقعهن قبل التوبة فوقعنا في الفتنة اي الاثم وقيل اراد به انا نشتغل
بهن ونفتتن فيشغلنا ذلك عن طلب المعاش وعن الخروج للجهاد واي ذلك اراد
لم يغدر وتبين له انه قد وقع في الفتنة بمخالفة النبي عليه السلام قال ابو العالية
كان الاصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فولد بنات لم يكن لهن مثلهن في الحسن
وقال القشيري ابرز القوم قبيح افعالهم في معرض التحرج وراموا التلبيس على
رسول الله وعلى المسلمين سوء سيرتهم وخبث سريرتهم فبين الله ان الذي فروا منه
من غمهم سقطوا فيه بفعلهم وقوله تعالى ان تصبك حسنة تسوهم اي ان تلك غنيمة
ونصر وعافية كما كانت يوم بدر تحزنهم ذلك اي هولاء المنافقون وان تصبك
مصيبة نكبة وهزيمة وقيل كما كانت يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي قد
كنا اخذنا حذرنا بالوثيقة ويتولوا وهم فرحون مسرورون بما اصاب المسلمين ٭
وقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال الكلبي اي قل يا محمد لهولاء
المنافقين لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقال الضحاك
قضاه الله وقدره علينا وقال الامام ابو منصور اي لما جاء به القران ان
الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية وقوله تعالى هو مولانا اي مالكنا
ونحن عبيده وقال الكلبي هو امرنا على عدونا وفي رواية عنه هو اولى بنا
من انفسنا في الموت والحيوة وقيل هو ولينا وقيل هو متولي امورنا وكافينا وقوله
تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون اي فليثق به الموحدون وقال القشيري
اذا علم العبد انما اصابه فبارادة مولاه سقط عن قلبه ما يهواه واشتغل بروح

رضاه

رضاه وعذب عنده ما صعب من بلواه وانشدوا في معناه ٭ ان كان يرضيكم مرضاة
حاسدنا ٭ فما لجرح اذا ارضاكم الم ٭ وقال شهود جريان التقدير يخفف على العبد
كل عسير وقال اول التوكل الثقة بوعده ثم الرضا باختياره ثم نسيان امورك
بما يغلب على قلبك من ذكراه وقال بداية التوكل سكون السر عند حلول الامر
ونهايته التفويض وهو استوا الحلو والمر والنعمة والضر وقوله تعالى قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين هل استفهام بمعنى النفي والتربص الانتظار والحسنيين تثنية
الحسنى والحسنى تانيث الاحسن والاحسن تفضيل الحسن واريد به هنا الحالتين والخصلتين
ومعناه قل يا محمد ما تنتظرون يا معشر المنافقين بنا الا واحدة من خصلتين كل واحدة
منهما نهاية في الحسن غاية فيما يحمد من العاقبة وهي الغنيمة او الشهادة فليس مما يجري علينا
من جهتكم موضع شماتة قال الكلبي احدى الحسنيين النصر او الشهادة وقال ابن
عباس اما ان يقتل ففيه الحيوة والرزق واما ان يغلب فيوتيه الله اجرا عظيما قال الله تعالى
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وقال الحسن
هي الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وقال ابن كيسان شهادتنا او اسلامكم بدعوتنا
وقال الامام ابو القاسم بن حبيب سالني بعضهم كيف قال احدى الحسنيين والمومن
ينتظر كلتي الحسنيين الفتح في الدنيا والثواب في الاخرة بوعد الله تعالى هل ادلكم على تجارة
الى قوله وفتح قريب فقلت هذا خطاب المنافقين وكانوا يتربصون بالمومنين احد
الامرين اما ان ينصروا واما ان يغلبوا فاخبرهم انهم ان غلبوا كانت لهم حسنى وان غلبوا
فكذلك فاما المومن فانه ينتظر في الجهاد كلتي الحسنيين وقوله تعالى ونحن
نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا قال ابن جريج من عنده
الموت او بايدينا القتل وقال الكلبي بعذاب من عنده بما اصاب الامم الخالية او بما
شاء الله من العذاب والنقمة او بايدينا بالسيف وقال ابن كيسان بعذاب من عنده
فيما فيكم في الدنيا في انفسكم وفي الاخرة بالنار او بايدينا ان اظهرتم ما في قلوبكم
قتلناكم وقوله تعالى فتربصوا قال الكلبي اي انتظروا هلاكنا فانا ننتظر هلاككم وقال
الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان فانه كان يمنيهم موت النبي صلى الله عليه وسلم قال
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون فانا معكم متربصون مواعيد الله من
اظهار دينه واستيصال مخالفيه وقال القشيري انتظرنا بكم فنصر وغنيمة
واعزاز للدين ورفعة وان قتلنا فشهادة ورحمة ورضوان من الله وزلفة وان اصابتنا

مزيد ونكبة فذلك سبيل نيل الاجر والمثوبة واذا لا يستقبلنا الا ما هو حسنى
ونعمة واما انتم فان ظفرنا بكم فتعجيل ذل لكم ومحنة وان قتلتم فعقوبة من الله
وسخطة وان كانت الغلبة لكم في الحال فخذلان من الله وتخلية وسبب زيادة عذاب
ونقمة وقوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين انفقوا صيغة
امر ومعناه الشرط كقول الشاعر اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
كانه قال ان اسات او احسنت لم تلامي وكذا هذا ان انفقتم طوعا بالاختيار او كرها بالاجبار
لم يتقبل منكم لانكم كنتم في القدم فاسقين منافقين خارجين عن الطاعة والاخلاص
وانما يتقبل الله من المتقين وطوع المنافق لا يكون لرجاء الثواب ولطلب رضا الله
لكن ما يفعله بطبعه فهو من طوعه وكرهه ما يطلب منه ويجبر عليه وقال
ابن عباس نزلت في جد بن قيس قال ائذن ولا تفتني واعينك بمالي فنزلت هذه الاية
وقال القشيري المردود لا يقبل منه توسل ولا تغير حكم شقاوته تكلف ولا
تحمل وقيل التقرب بالعدو يوجب زيادة المقت وتجنب الحبيب يوجب زيادة العطف
قال تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم
كارهون منع يتعدى الى مفعولين تقول منعت زيدا مراده وههنا احد المفعولين
هم والثاني ان تقبل لانه في معنى المصدر وتقديره وما منع المنافقين قبول نفقاتهم
في سفرهم معك وفي غير ذلك طوعا او كرها الا كفرهم بالله وبرسوله وهو رفع لانه
فاعل وكما لا تقبل نفقاتهم لا تقبل صلواتهم لكفرهم وهم لنفاقهم لا ياتونها الا متثاقلين
لانهم لا يرجون باداءها ثوابا ولا يخافون بتركها عذابا ولا ينفقون شيئا الا على كراهة
منهم ثم ذمهم على الكسل مع انه لا صلوة لهم ذم على النفاق الذي يبعث على الكسل وفقد
الايمان الذي يبعث على النشاط وقال القشيري قصدوا الاخلاص في اعمالهم
فعدموا الاختصاص في احوالهم وحرموا الخلاص في عاجلهم ومآلهم وقوله
تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا قال
ابن عباس وقتادة فيه تقديم وتاخير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقال الحسن هي على نظمها ومعناه تعذيبهم
بها في الدنيا باخذ الزكوات منهم بغير طيبة نفس منهم والانفاق في سبيل الله كذلك
وقال زيد اي بالمصائب وقيل اي بكونهم مكظومين قد غصوا بما يضمرونه من النفاق

ويسرونه

ويسرونه من علو المسلمين عليهم ولا سبيل لهم الى اظهار ما في انفسهم ومعناه قوله ليعذبهم اي
ان يعذبهم وقيل فيه اضمار انما يريد الله ان يملي لهم فيها وان حملت الاية على المشركين فتعذيبهم
في الدنيا انه يكون بالسبي والانتقام وتزهق انفسهم تذهب قال الله تعالى وزهق الباطل
وقيل تهلك وزهق الباطل هلك ودلت الاية على ابطال القول بالاصلح لانه اخبر ان اعطا
الاموال والاولاد اياهم للتعذيب والاماتة على الكفر ودل قوله تعالى يريد الله على
ارادة الله افعال العباد كلها خيرها وشرها لان ارادة العذاب ارادة ما يعذب
عليه وقوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم وطريقتكم وما هم منكم اي
على دينكم الاسلام ولكنهم قوم يفرقون اي يخافونكم على انفسهم ان صرحوا لكم ما في قلوبهم
فلذلك يحلفون انهم لمنكم قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة وقال تعالى يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو وقوله تعالى لو يجدون ملجا قال ابن عباس رضي الله
عنهما اي حرزا وقال قتادة اي حصنا وقال عطاء مهربا او مغارات جمع مغارة
قال ابن عباس رضي الله عنهما اي غيرانا جمع غار والغار النقب الواسع في الجبل وقيل
المغارة المدخل الساتر وقيل المغارات المكامن التي يتوارى فيها او مدخلا مفتعلا من دخل
وهو موضع الدخول وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي سربا وقال الضحاك ماوى
لولوا اليه وجوههم وهم يجمحون اي يسرعون لا يردهم شي من الفرس الجموح الذي لا يرده
اللجام يقول يحلفون لكم انهم لمنكم كاذبين خوفا من القتل ليعذر خروجهم من بلادكم ولو
استطاعوا تركوا دورهم واموالهم والالتجا الى بعض الحصون او الغيران اي المواضع التي
تسترهم عن رؤيتكم لفعلوه استثقالا لكم وتكرها لرؤيتكم للقائكم وقال ابن كيسان لو يجدون
ملجا قوما يامنون بينهم او مغارات غيرانا يختفون فيها او مدخلا في اهل حرمكم لا ينالهم منكم ما
يخافون من القتل لاسرعوا الى واحد من الملجا وهم يجمحون يركضون ودهم لا يلوون على شي وقال
القشيري ان المتمادي في الخلة يتسلى عن تملكها باضعف خلة ان وجد مهربا اوى اليه وان امل سبيل
ما تعلل به انتهزه واتكل عليه وقوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات قرا الحسن والاعرج
يلمزك بضم الميم وعامة القراء بكسرها وهما لغتان وقال الحسن اي يعيبك وقيل اللمز العيب
مسارة والهمز العيب مجاهرة وقال الزجاج قال تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال قتادة
يلمزك اي يطعن عليك وقال عطا اي يغتابك اي ومن المنافقين من يعيبك في اعطا الصدقات

اهلها فيقول ان محمدا يفرق الصدقات على شهوته فيعطي مره ويحرم مرة اخري ويعطي
واحدا ويحرم اخر ويعطي الاغنيا المولفة قلوبهم ويمنع الفقرا فيلزمك بمسله مواضع الاحكام
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اي ان اعطاهم النبي صلى الله
عليه وسلم منها ما ارادوا رضوا او ذكروه بالجهل واثنوا عليه وان لم يعطهم منها غضبوا
وطعنوا عليه قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم مالا اذ جاءه ابن ابي الخويصرة وهو حرقوص بن زهير التميمي عظيم من عظما المنافقين
فقال اعدل يا رسول الله قال ومن يعدل ان لم اعدل فقال عمر رضي الله عنه ايذن لي
اضرب عنقه فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته في صلاتهم وصيامه في
صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وايتهم رجل اسود ذو ثدية
مثل ثدي المراه تدردر يخرجون على فترة من الناس قال ابو سعيد رضي الله عنه
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا رضي الله عنه حين قتلهم
جي بالرجل على النعت الذي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان هذا الطاعن
كان رجلا غاير العينين كث اللحية مشرف الجبهة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعدل فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه وسلم لا تامنوني وانا امين ربي ثم قال يخرج
من ضيضي هذا قوم يقرون القران يقتلون اهل الصلاه ولما خرج قال النبي صلى الله عليه وسلم
من يقوم الي هذا فيقتله فقال ابو بكر رضي الله عنه انا يا رسول الله فذهب فوجده قايما
في الصلاة فرجع وقال يا رسول الله وجدته في القيام فقال رسول الله من يقتله فقام عمر
رضي الله عنه فقال انا فذهب فوجده في الركوع فقال لم يقتله الصديق في القيام
فكيف اقتله في الركوع فرجع وقال يا رسول الله وجدته في الركوع ثم اعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عثمن رضي الله عنه فذهب ليقتله فوجده في السجود فقال
ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يقتلاه في القيام والركوع فكيف اقتله في السجود
فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه انا اقتله فقال صلى الله
عليه وسلم اقتله ان وجدته فلم يجده فرجع فقال صلى الله عليه وسلم قد قلت انك لا تجده
لكن هلاكه يكون على يدك وكان كذلك وقتل فيمن خرج بالنهروان على عهد علي رضي الله
عنه وقوله تعالى ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله اي ما اتيهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فانه يوتي بامر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم الله المعطي وانا القاسم وقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما اعطيكم شيا ولا امنعكم انما انا خازن وقالوا حسبنا الله
اي كافينا ورازقنا من حيث يشا فيعطينا كفايتنا وان تاخرت سيوتينا الله من فضله فما
اتيه فهو فضل منه سوا كان بكسب العبد او بغير كسبه ورسوله اي يوتينا رسوله بامره انا الي
الله راغبون اي في توسعة ارزاقنا علينا من حيث يشا وفي اخره مضمر اي لكان خيرا لهم
فوابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه كل مذهب والذكر تقصيره على ما ذكر غيره وقال
القشيري رحمه الله لو وقف القوم مع الله بشرط الرضا لا تاهم فنون العطا ولو حفظوا مع رسوله
الادب لسعدوا بوجدان الادب لهم من غير معانات تعب ولا مقاساة نصب لكنهم عرجوا
في اوطان الطمع فوقعوا في الذل والحرب وقوله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين
وبين مصارف الصدقات في هذه الاية ورد على من عاب النبي صلى الله عليه وسلم في صرف
الصدقات الي حيث كان يصرف واعلم ان الله تعالى امره بذلك وان الذين كانوا يطمعون
فيها لم يكونوا مستحقيها فانهم كانوا اغنيا والله جعل مصارفها للفقرا فقال انما الصدقات للفقرا
وليست اللام لاثبات الملك بينهم بالسوية فانهم مجهولون والمجهولون لا يصلحون للاستحقاق بطريق الملك
بل هي لبيان الصرف فيهم دون غيرهم كما يقال الخلافة لبني العباس وميراث فلان لقرابته
اي ليست لغيرهم لا ان يكون بينهم بالسوية ثم الفقر هو شدة الحاجة والمسكنة في معناها لكن
يدل على انكسار صاحبها وتد للدفان المسكين عند الناس اسم للمرحوم والمغايرة في الاسم تدل
على نوع تفاوت واختلف في ان الفقير اضعف حالا او المسكين فقال فقها العراق ابو حنيفة وغيره
رضوان الله عليهم الفقير الذي لا يسال لان عنده ما يكفيه للحال اما الفقير الذي كانت حلومته
وفوق العيال فلم ينزل السيل والمسكين اضعف حالا منه وهو الذي يسال لانه لا يجد شيا قال
تعالى او مسكينا ذا متربة اي لصق بالتراب لعريه وهو قول عامة السلف وهو اختيار يونس البصري
وابو العباس ثعلب الكوفي وقد روي عن ابن عباس والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد
ان الفقير المتعفف الذي لا يسال قال تعالى للفقرا الذين الي قوله لا يسالون الناس الحافا
والمسكين الذي يسال وقد بينا ان المسكنة تشير الي الذلة وهي ظاهره في المسلة وقال
الشافعي الفقير اضعف لان الاسم من كسر الفقار وهو نهاية الاضطرار فاما المسكين
الذي يسكن قلبه الي شي هو معه وقد قال تعالى واما السفينة فكانت لمساكين

وقيل الفقرا اهل الصفه وكانوا لا يخرجون ولا يسالون شيا ولا يملكون شيا
والمساكين هم الطوافون السايلون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
ترده اللقمه واللقمتان والتمره والتمرتان لكن المسكين الذي لا يسال الناس شيا
ولا يفطن بمكانه فيتصدق عليه وهو دليل على انهم كانوا يطلقون هذا الاسم على السوال
الذين يتصدق عليهم بالكسر واللقم وروى عن السلف الفاظ مختلفه في الصنفين
قال جابر الفقرا فقرا المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا وقال الحسن
الفقير الجالس في بيته والمسكين الذي يسعى وقال قتاده الفقير الذي به زمانه
والمسكين الصحيح المحتاج وقيل الفقير الذي له دون النصاب والمسكين الذي لا شي له
وقال عبد الرحمن بن ابزى كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجه والعبد
والناقه يحج عليها ويغزو وسماهم الله تعالى فقرا وجعل لهم سهما في الزكوه والعاملين
عليها هم عمال الصدقات يصرف اليهم منها ما يكفيهم واعوانهم كفا فالا اسرافا
والمولفه قلوبهم هم قوم من روسا العرب اسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتالفهم على الاسلام ويستدنيهم عليه ويستدعي به اليه اتباعهم روى عمر عن يحيى
ابن ابي كثير من بني مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بني اميه بن ابي
سفين بن حرب ومن بني جمح صفوان بن اميه ومن بني عامر بن لوي سهيل بن عمرو وحويطب
بن عبد العزى ومن بني فزاره عيينه بن حصن بن حذيفة ومن بني تميم الاقرع بن حابس
ومن بني نصر ملك بن عوف ومن بني سليم العباس بن مرداس ومن بني ثقيف العلا بن جاريه
ومنهم عدي بن حاتم الطاي والزبرقان بن زيد وزيد الخيل ومخرمه بن نوفل وعمير بن وهب
وهشام بن عمرو وقيس بن عدي وابو السنابك بن بعكك وعلقمه بن علاثه وجد بن قيس وعمرو
بن مرداس وقال الواقدي قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنايم الطايف وحنين
وحنين بالجعرانه وكان غنم اربعة الاف اوقيه فاعطى المولفة قلوبهم اول الناس
وجاء ابو سفين بن حرب وبين يديه الفضة وقال يا رسول الله اصبحت اكثر قريش
مالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو سفين اعطني من هذا المال يا رسول الله
فقال يا بلال زن لابي سفين اربعين اوقيه واعطوه مايه من الابل فقال ابو سفين
انك لكريم ابني يزيد اعطه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زنوا له اربعين اوقيه

واعطوه

واعطوه مايه من الابل فقال ابو سفين والله انك لكريم فدا لك ابي وامي والله لقد
حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم انت جزاك الله خيرا واعطى صفوان
بن اميه مايه من الابل وكان يطوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنايم
اذ مر بشعب فيه ابل وغنم كثيره من القسمه فجعل صفوان ينظر اليه متعجبا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعجبك يا ابا وهب هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه
قال صفوان اشهد ما طابت بهذا نفس احد قط الا نبي واشهد انك رسول الله واعطى
عيينه بن حصن مايه من الابل والاقرع بن حابس مايه من الابل والعباس بن مرداس
خمسين من الابل فعاتبه في ابيات ، اتجعل نهبي ونهب العبيد ، بين عيينه والاقرع ، وما
كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع ، وما كنت دون امرى منهما ، ومن يضع اليوم
لا يرفع ، وقد كنت في الحرب ذا تدرا ، فلم اعط شيا ولم امنع ، فقال صلى الله عليه
وسلم اقطعوا لسانه فهاب الناس ثم علموا انه اراد به قطع كلامه بزيادة العطيه فاعطوه
تمام المايه من الابل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم كذلك سنة فلما قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر رضي الله عنه جاوا اليه يستدلون منه الخط بذلك فبذل
لهم فجاوا الى عمر رضي الله عنه وعرضوا عليه الخط وطلبوا منه التقرير فاخذ ذلك منه
فمزقه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتالفكم على الاسلام فاما اليوم وقد عز
الاسلام فالاسلام اعز من ان يرشى عليه فان تقيموا على الاسلام بغير رشوه والا فبيننا وبينكم
السيف فعادوا الى ابي بكر وقالوا انت الخليفه ام عمر فقال هو ان شا فسقط سهم المولفه قلوبهم
باجماع الصحابه وفي الرقاب اي المكاتبون يعطون من الصدقات فيودون بدل الكتابه
فينالون العتق والغارمين اي المديونين الذي ليس لهم بعد قضا الدين ما يقع به الغنى وفي
سبيل الله اي الغزاة المحتاجين وان كانوا اغنيا باموالهم التي خلفوها في بلدهم وابن السبيل
اي الغريب البعيد عن ماله فريضه من الله اي ايجاب امر الله اي يصرف ولا يصرف الى غيرهم
والله عليم اي بمصالح عباده حكيم اي في احكامه ثم عند الشافعي رحمه الله لا بد ان يصرف
الى الاصناف السبعه فقد سقط سهم المولفة من كل صنف تحقيقا لمعنى الجمع وعندنا ان الصرف
الى صنف واحد والى شخص لحد لانهم ذكروا البيان اسباب الحاجة الا ترى انه قال
في اية اخرى وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله

عنه خذها من اغنيايهم وردها في فقرايهم فاوجب الصرف الي المحتاجين ثم بين بهذا
النص اسباب الحاجة فصاروا اصنافا واحدا في التحقيق وهو مذهب عامة الصحابة
عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود وحذيفة وغيرهم رضي الله عنهم وكذا قال جماعة من
التابعين سعيد بن جبير والضحاك وابو العالية وابرهيم النخعي وميمون بن مهران وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اي صنف اعطيته من هذه الاصناف جاز وقال حذيفة رضي الله
عنه ان شيت جعلتها في صنف واحد وان شيت جعلتها في صنفين وقال سعيد
بن جبير لو وضعتها في صنف واحد لجزي عنك ولو نظرت الي اهل بيت من المسلمين فقرا متعففين
محبوبين بهما كان احب الي وقال القشيري رحمه الله الفقير الصادق عندهم من لا سما تظله
ولا ارض تقله ولا سمة تناوله ولا معلوم يشغله ولا علاقة تقطعه فهو عند الله بالله يرد الي التمييز
في اوان العبودية وفي غير هذا الوقت مصطلم عن شواهده فان عن اغياره وقيل الفقير مكسور
الفقار فهو عندهم من سقط اختياره وتعطلت عنه دياره واندرست في استيلا من اصطلمه
اثاره وكانه لم يبق منه الا اختياره قال الشاعر اما الرسوم فخبرات انهم رحلوا قريبا
قوله واما المسكين فهو الذي اسكنه حالته بباب معبوده لا يبرح عن مدته فهو معتكف
بقلبه لا يغفل لحظة عن ربه وهي مراتب الحاجة والفقر والمسكنة والمكنة فذو الحاجة من يرضي
بدنياه ويشد للدنيا فقره والفقير الذي يكتفي بعقباه ويجبر الجنة فقره والمسكين الذي لا يرضي
بغير مولاه لا الي الدنيا يلتفت ولا بالاخرة يشتغل ولا بغير مولاه يكتفي قوله ومنهم الذين
يوذون النبي اي ومن المنافقين قوم يوذون النبي صلى الله عليه وسلم قال الامام ابو منصور لم يبين
لنا ماذا يوذونهم بكلمات يسمعونه وطعن يطعنون به ويقولون هو اذن قال ابو عوسجة هو الذي
من قال له شيا سمعه ومن حدثه بشي صدقه والاذن التي هي جارحة السماع كذلك وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يستمع الي كلام كل من حدثه بشي لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه وقيل
ارادوا به انه يقبل كل عذر صدقا كان او كذبا وكان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لكرمه وحسن خلقه
فظن اولئك انما يقبله ويعاملهم به لسلامة قلبه وصغر همته وقصور يده قل اذن خير لكم وهو
اضافة النبي الي صفته كقولك هو رجل خير اي قل يا محمد ان الذي يقبل العذر خير ممن لا يقبل
العذر فكيف تؤذونه وتعيبونه وقيل انه يسمع الخير ويقبله دون الشر يومن بالله اي
يصدقه ويومن للمومنين اي يصدق المومنين بما شهدوا به عنده فلا يقبل الا ما ثبت صدقه

فيحتمل انهم كانوا يوذونه بتكذيبه وتركهم اجابته وطاعته ويحتمل انهم يوذونه

اي انا اذن خيركم

باخبار

باخبار الله تعالي عنهم فيما قالوا وليس عندهم احد من المسلمين او بشهادة المومنين اذ قالوا كذلك
عصونهم ولفظ الايمان متعدي بالبا واللام قال الله تعالي وما انت بمومن لنا فامن له لوط وقيل كانوا
يذكرون اشيا او يلغه ذلك اذاه فاذا قيل لهم لا تفعلوا فانه يبلغه الخبر قالوا انا نتيه فنعتذر فيصدقنا
لانه اذن فقال الله تعالي هو اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين فاذا اخبره الله تعالي بكذبهم او شهد
المومنون علي قولكم لم يصدقكم ورحمة للذين امنوا منكم اي وانا رحمة لمن امن منكم مع انكم اذا اذيتموني
فلزمكم العذاب فاذا امنتم بي فلكم الرحمة والثواب والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم
في الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حزام بن خالد والجلاس بن سويد واياس بن قيس
ومخشي بن خويلد وسماك بن زيد وعبيد بن هلال ورفاعه بن عبد المنذر كانوا يقولون في
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي فقالوا لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه هذا فيوقع بنا فقال
الجلاس انه اذن نقول ما شينا ثم نحلف له فيصدقنا فنزلت الاية ذكر مقاتل في جملتهم ساس بن قيس
ومخشي بن حمير وعبيدة بن مالك ورفاعه بن زيد ثم قول الجلاس ذلك قال ابو حاتم سهل
بن محمد هو نبتل بن الحرث وكان رجلا ادلم ثاير الشعر احمر العيون اسفع الخدين مشوه الخلقة
وفيه قال صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الي الشيطان فلينظر الي نبتل بن الحرث وكان
ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الي المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما هو اذن من حدثه بشي
صدقه اقول هذا ثم اتيه فاعتذر اليه وقال الحسن قال المنافقون ما هذا الرجل الا اذن
يقبل ما يسمع ليست له عزيمة فنزلت الاية قالوا عابوه بالجهل بما هو اية كرمه وغاية حسن شيمه
وقال صلى الله عليه وسلم المومن غر كريم والمنافق خب ليم وقيل العاقل هو الفطن المتغافل وانشدوا
في معناه واذا الكريم اتيته بخديعه ❊ فرايته فيما تروم يسارع ❊ فاعلم بانك لم تخادع جاهلا ❊ ان الكريم
بفضله متخادع وقوله تعالي يحلفون بالله لكم ليرضوكم اي يعتذرون ويحلفون عليه كاذبين
ليزيلوا سخطكم والله ورسوله احق ان يرضوه اي يحق عليهم في ازالة سخطكم ان يخلصوا فاذا فعلوا
ذلك ارضوا الله ورسوله فرضي به المومنون لان الله تعالي اذا رضي عن العبد ارضي عند الناس ثم قال
ان يرضوه علي التوحيد مع سبق ذكر الله ورسوله لانه اراد ان يرضوا الرسول وارضاوه ارضا
الله كما قال تعالي واذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم بينهم لان حكمه حكم الله وقيل لانه لا يذكر بعد ذكر الله تعالي
ورسوله كناية ترجع اليهما لانه تسوية بينهما وترك تعظيم في حق الله تعالي ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لمن
تكلم عنده وقال من اطاع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوي بيس الخطيب انت كره منه

ذكر كناية واحدة راجعة الى اسم الله تعالى واسم الرسول قال السدي اجتمع ناس من المنافقين
منهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت ورجال اخرون وعندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس
وفي رواية غير السدي هو زيد بن ارقم فحقروه وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب وكان واحد من
المنافقين قال بعد ما سمع عامر كلامهم وددت اني قدمت فجلدت عامر ماية جلدة وانه
لا ينزل فينا شي يفضحنا فنزلت ومنهم الذين يوذون النبي ونزلت يحلفون بالله لكم ليرضوكم
الاية وقوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها
ذلك الخزي العظيم استفهام بمعنى التوبيخ اي الم يعلم هولا المنافقون انه من يعادي الله ورسوله
قال ابن عباس رضي الله عنهما يخالف الله وقال الاخفش يحارب الله وقال
قطرب يعاند الله والمحادة بين اثنين اذ يصير كل واحد منهما في حد غير الحد الذي عليه
الاخر معاداة ومخالفة ومواثبة فان له نار جهنم وتكرار ان للمبالغة في التاكيد خالدا فيها
دايما فيها بكفره ومن صار كذلك فقد عظم خزيه اي افتضح ابلغ الافتضاح وبلغ غاية الهوان
والخزي الهوان مما يستحيى من مثله قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رهط من
المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك وقد سميناهم جاوا حين رجع النبي صلى الله عليه وسلم
يعتذرون ويحلفون فنزلت هذه الاية وغيرها وقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم يحذر خبر عن حذرهم عند اكثر المفسرين وقال
الزجاج هو معنى الامر وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ذلك اي ليحذر المنافقون
ان تنزل عليهم اي على النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرهم به والمنزل على الرسول منزل على الامة بمعنى
لانه خطاب لهم بما فيه تنبيهم بما في قلوبهم اي تخبرهم بذلك ولم يكن ذلك لاعلامهم فقد علموا
به لكن لاخبارهم انه لا يخفى على الله ولا يخفيه عن رسوله وليهتك استارهم للمومنين ليعلموا به وعلى
القول الذي قالوا انه ضرعنهم فلكثرة ما كان يطلع الله رسوله عليه كانوا يحذرون ذلك
ولخبث اعتقادهم وشدة كفرهم كانوا يوذونه ويستهزون به وذلك قوله تعالى قل استهزوا
وصيغته امر وهو للتهديد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم ودليله قوله ان الله مخرج ما تحذرون

ابي

اي مظهر وقد اظهر احوالهم في هذه السورة ولذلك سميت فاضحة مبعثرة وقال الحسن
كانوا يسمونها حافرة لانها حفرت ما في قلوبهم فاظهرته وقال قتادة كانوا يسمونها المثيرة
وقال الكلبي ومقاتل نزلت في الجلاس بن سويد واصحابه وقد سميناهم وقال عطا سبعون
رجلا انزل الله تعالى اسماهم واسما ابايهم ثم رفعت رحمة على العباد لان اولادهم اسلموا واخلصوا
وقال السدي جا واحد من المنافقين اسمه مخشي بن غليظ وقال ان اسمي واسم ابي من شر الاسما
يا رسول الله فغيرهما لعل الله يغير حالي وكان منافقا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الرحمن
فاسلم واخلص وقال اللهم اني اسالك ان اقتل في سبيلك لا يقدر لي على جسد ولا يعلم مقتل فقتله مسيلمة
الكذاب وقوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية وليين قلت لهم قلتم كذا حين
اطلعك الله على ذلك قالوا انما كنا نخوض ونلعب اي لم يكن ذلك عن اعتقاد وشك في الدين لكن على العادة
من الناس اذا اجتمعوا لم يخل احاديثهم اي يجري بينهم القول على سبيل المساعدة والاستيناس بالقول
فقل يا محمد انكارا عليهم ابالله واياته ورسوله تفعلون هذا وهو لا يحتمل الا الجد والصدق دون الهزل
واللعب قال محمد بن اسحق قال هذا وديعة بن ثابت وقال مقاتل بن حيان نزلت في ثلثة نفر
معتب بن قشير ووديعة بن ثابت ومخشي بن حمير ولكن عبد الله بن عبد الرحمن لم يمالهما في الحديث
ولكن يسير مجانبا لهما ويضاحكهما فقال وديعة لمعتب ايطمع هذا الرجل في الشام وقصورها هيهات
ونظن خلاد بني الاصفر حين فنزلت هذه الاية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضي الله
عنه فقال لهم احرقتم احرقكم الله قلتم كذا وكذا فجاوا يعتذرون فانزل الله تعالى هذه الاية وفي
رواية زيد بن اسلم نظرت الى هذا القايل متعلقا بنسع ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية عبد
الله بن عمر ورايت عبد الله بن ابي يشتد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو
يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون
وعذر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يمالهم حين اعتذر وهو عبد الله بن عبد الرحمن وفي رواية مخشي
بن حمير وفي رواية حمير بن حمير وقال القشيري من استهان بالدين ولو بحقه من تولى حرمة الاسلام
والمسلمين جعله الله في الحال نكالا وسامه في الاخرة صغارا واذلالا والحق سبحانه لا يرضى دون ان يذيق
العتاة باسه ويسقي الاعلا ما يستوجبه كاسه وقد ارخى الله تعالى للمنافقين عنان امهالهم ثم هتك استارهم
باقوالهم وافعالهم وقوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم لا تشتغلوا بالعذر الباطل قد كفرتم

لجعلوا

صرحتم بما يوجب الكفر بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان باللسان ان نعف عن طايفة منكم نعذب
طايفة بانهم كانوا مجرمين قرا عاصم نعف بالنون وفتحها وضم الفا نعذب بالنون وضمها وكسر
الذال طايفة بالنصب اخبارا من الله تعالى عن نفسه بكلمة التعظيم وقرا الباقون يعف باليا
وضمها وفتح الفا تعذب بالتا وضمها وفتح الذال على ما لم يسم فاعله ومعناه ان نترك العقوبة
في الحال في حق بعضهم لضعفهم المعاملة والاتباع الذين لا ضرر منهم على المسلمين لنعاقبهم في الاخرة
نعذب طايفة منهم من الكبرا المعلنين بالاراجيف الساعين بين المسلمين بالفساد بالقتل
قال تعالى جاهد الكفار والمنافقين لين لم ينته المنافقون الى قوله وقتلوا تقتيلا وقوله
فما لكم في المنافقين فئتين الى قوله واقتلوهم حيث وجدتموهم انهم كانوا مجرمين وهو اسم
نهاية الذم لانه يدل على انقطاعه عن كل الخيرات من الجرم وهو القطع وقيل ان نعف عن قوم
منهم نعلم انهم يتوبون ويخلصون نعذب قوما منهم نعلم انهم على النفاق يداومون وقيل
ان نعف عن طايفة منهم بالايمان نعذب طايفة بالموت على الكفر وقيل ان نعف فلم نامر بالقتل
في حق قوم لم يظهر نفاقهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين كما قال لا تعلمهم نحن نعلمهم نعذب بالامر
بالقتل والتشهير من ظهر نفاقهم بعده الاحوال وقال محمد بن كعب القرظي ان نعف عن طايفة
منهم هي واحد كما في قوله الثاني وليشهد عذابهما طايفة وهو الذي ذكرنا في الاية التي قبلها انه لم يماليهم
واعتذر فعذر نعذب طايفة وهم الذين خاضوا وقيل هي الواحد ايضا وهو وديعة بن ثابت قوله
تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي مجتمعون على النفاق مطابقون على ايذا الرسول
والمومنين عن اتفاق يامرون بالمنكر بما ينكره الشرع والعقل وينهون عن المعروف ما يرضاه الشرع
والعقل ومن المنكرات ترك الجهاد وهم به يامرون ومن المعارف الجهاد وهم عنه ينهون ويقبضون
ايديهم اي عن الانفاق في الجهاد وسبيل الطاعات من الزكوات ونوافل الصدقات نسوا الله اي
تركوا ذكر الله وطاعته فنسيهم اي خذلهم ان المنافقين هم الفاسقون اي الخارجون عن قبول امر الله
والعمل به وقال ابن عباس رضي الله عنهما يامرون بالمنكر بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينهون عن المعروف عن تصديقه واتباعه وقال الضحاك يامرون بالكفر وينهون عن الاسلام
وقال القشيري رحمه الله المنافق لصاحبه اشر به قوامه واصل به قيامه يعينه على فساده
ويعمي عليه طريق رشاده والمومن ينصر المومن يبصره عيوبه ويقبح في عينه ذنوبه فهو على السداد يجده
ومن الفساد يبعده والمنافقون يقبضون ايديهم لا ينفقون في سبيل الله ولا يجدون في اعانة عباد الله

ولا ياخذون بايدي الضعفا لوجه الله ولا يرفعون ايديهم في طلب الحوايج الى الله نسوا الله تركوا
طاعته واثروا مخالفته فنسيهم تركهم وما يختارون كما قال وتركهم في ظلمات لا يبصرون قوله
تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات اي الذين يظهرون الايمان ويضمرون الكفر والكفار اي المجاهرين
نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم اي وافقه موقع ما استحقوه من الجزا على كفرهم ولعنهم الله اي طردهم
من رحمته ولهم عذاب مقيم اي دايم قال القشيري رحمه الله لهم النار في الاجلة والعذاب
المقيم في العاجلة وتلك عذاب الحرقة وهذه عذاب الفرقة قوله تعالى كالذين من قبلكم وقيل
اي فعلي بكم في الدنيا والاخرة كفعلي بالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا يكثرون بالاولاد ويتعضدون بالاموال
فلم يعتصموا بقوة انفسهم ومعونة اولادهم وانصارهم وكثرة اموالهم حين كذبوا رسله
واستحقوا انزال باسه فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
فعلتم انتم في الدنيا فعلهم وخضتم كالذي خاضوا اي في ايات الله بالباطل فاذا كنتم في سو
المعاملة مثلهم وفي القوة والمنعة دونهم فما تومنكم ان يصيبكم من العقوبة ما اصابهم اوليك حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة اي الذين رضوا من اخرتهم بدنياهم بطلت اعمالهم في الدارين
فلا ينتفعون بها اما في الدنيا فقد قصدوا بذلك توهين الاسلام وقهر اهله وعلو انفسهم
فابطل الله تعالى كيدهم وخيب املهم قال تعالى ان الله لا يهدي كيد الخاينين ولا يصلح عمل
المفسدين كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ولا في الاخرة لا ثواب لهم ولا نجاة اوليك هم الخاسرون
ذهب اموالهم فيما ضرهم ولا ينفعهم ولو ذهب فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكان خسرانا
فكيف وقد ذهب فيما يضرهم ولا ينفعهم قال تعالى قل هل انبيكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا الاية وقوله تعالى الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والموتفكات هي قريات ومعناها المقلبات حيث جعل
الله تعالى عاليها سافلها والم استفهام بمعنى التقرير قال القفال اي قد اتاهم خبر الامم
السالفة سمعوا ذلك وعرفوا او شاهدوا اثار ايقاع الله تعالى بهم ما جعلهم نكالا وعبرة
لغيرهم كما فعل بقوم نوح عليه السلام حتى اهلكوا بالغرق وعاد بالريح الصرصر العاتية
وثمود بالرجفة والصاعقة وقوم ابرهيم عليه السلام بالتشتيت وسلب الملك والنعمة
اي ثمود واصحاب مدين بعذاب يوم الظلة وقوم لوط عليه السلام بانقلاب الارض كل ذلك

كان عدلا من الله تعالى وحكمة وعقابا لمن ظلم نفسه وعصى ربه وكذب رسله واستحق
عقابه فليحذر المنافقون ان تفعل بهم ما فعل باولئك اتتهم رسلهم بالبينات يرجع هذا الى كل
هذه الامم وان صرف الى ما يليه وهو المؤتفكات ورسول اهلها واحد وهو لوط عليه السلام
فقد قيل كان في كل قرية رسول من جهة لوط عليه السلام فلذلك جمع فما كان الله ليظلمهم اي ليس من
صفة الله تعالى ظلم العباد بتعذيبهم من غير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون بارتكابهم ما يوجب
العقوبة وقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليا بعض ذكر بمقابلة المنافقين والمنافقات
المخلصين والمخلصات وتغاير صفات الفريقين فالمخلصون ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين
ويتناصرون ويتعاونون حتى ان الرجل يخرج الى الجهاد وامراته تهيي اسبابه وتخرج النساء مع الرجال
ايضا فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الما وكذا كل الخيرات في الذين يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقد فسرناها في تلك الاية وهو خلاف صفات المنافقين ويقيمون الصلوة
وهو خلاف صفات المنافقين هم لا يصلون وفي الصلاة ذكر الله واولئك داوموا على نسيان الله
ويوتون الزكاة وهو خلاف صفة المنافقين ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
في كل الامور والنواهي فهو خلاف صفة المنافقين ان المنافقين هم الفاسقون اولئك سيرحمهم
الله خلاف ما للمنافقين فنسيهم ان الله عزيز حكيم قال مقاتل عزيز في ملكه حكيم في امره
وقال القفال عزيز منيع قادر على مجازاة المطيعين والعاصين حكيم في توفيق المطيعين
وخذلان المنافقين وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر في المؤمنين بعضهم
اوليا بعض وذكر في الكفار بعضهم اوليا بعض وذكر في المنافقين بعضهم من بعض ولم يقل
بعضهم اوليا بعض لان المؤمنين يتوالون ويتناصرون ويتعاونون على الدين الحق
والكفار لهم دين ايضا وهو باطل وهم يتوالون عليه ويتعاونون ويتناصرون فاما
المنافقون فليس لهم دين يظهرونه ويكتم التوالي والمعاون والتناصر عليه لكن بعضهم
على صفة بعض فلذلك بعضهم من بعض وقال في هذه الاية يجوز ان يكون هذا اخبارا
عنهم انهم كذلك لانهم صاروا بالاسلام اوليا قال تعالى اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا ويجوز ان يكون امرا من حيث المعنى اي ليكونوا اوليا وكقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
اوليا فكان امرا لهم ان يكون بعضهم اوليا بعض وقال القشيري رحمه الله ان الله تعالى
وصف المؤمنين بانهم يتحابون في الله ويقومون بحق الله ويتناصحون لله ويعادون من يعادون

لاجل الله تركوا حظوظهم بحق الله واثروا على اهوائهم رضى الله اولئك الذين عصمهم الله في الحال
وسيرحمهم في المال وقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وهو في مقابلة قوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
ومساكن طيبة اي جزاء لما احتملوه من اذى الحر وسو المباذي في اسفارهم للغزوات وتركهم مواطن
الراحات في جنات عدن اي اقامة وقد عدن بالمكان عدنا والمعدن المقام اي هي مواضع
اقامة وثبات لا يبغون عنها حولا وليس هذا تكرارا لقوله تعالى خالدين فيها لان قوله جنات عدن
اخبار بدوام مقامهم فيما اعد لهم من المساكن خالدين فيها اخبار بدوام النعيم لهم في الجنان فهما
معنيان مختلفان وقال الاعمش عدن وسط الجنة وقال ابن عمر رضي الله عنهما ان في الجنة
قصرا يقال له عدن في حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي او صديق
وقال الكلبي عدن اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة
من يوم خلقها الله تعالى حتى ينزلها النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله تعالى
وقال مقاتل ومساكن طيبة قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش
فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عطا عدن نهر في الجنة جناته على حافتيه وروى ابو الدردا
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدن دار الله تعالى التي لم ترها عين ولم
تخطر على قلب بشر لا يسكنها من بني ادم غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى
طوبى لمن دخلك وقال الحسن سالت ابا هريرة وعماره بن الحصين عن قول الله تعالى ومساكن
طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في
الجنة من اللولو فيه سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار بيت من زمردة خضرا في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين ورضوان
من الله اكبر اي اعظم من هذه النعم قدرا واشرف منه ذكرا ورضوان الله تعالى عن هولا ومن رضوانه
قبول اعمالهم اليسيرة وتيسير الحساب عليهم واثابتهم على الاعمال المتعلقة بها نعما لا تنقطع وكل كرامة في الدنيا
في الدنيا والاخرة ذلك الفوز العظيم اي الرضوان الذي نالوه هو الفوز الذي لا اعظم منه لانه درك
كل مطلوب ووصول الى كل مامول وامان من كل محذور وقال القشيري المساكن لا تطيب
للساكن الا برؤية المحبوب الا انه قد تختلف بهم الهمم فقوم تطيب مساكنهم بوجود عطائه وقوم
تطيب انفسهم بشهود لقائه قال قايلهم ، واني لاهوى الدار ما يستفزني ، لولا الود لا

انهما من ديارهما ، وقال اخرجا انتما اوحش الله بعدكم ، اذا غبتم عنا ونحن حضور
وقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين لما وصف المنافقين والكفار وكشف احوال الستر
عنهم بالاظهار وامرهم بجهادهم الذي هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من صفات المومنين
وخلاف ذلك من صفات المنافقين وقال عطا نسخت هذه الاية كل شي من العفو والصفح وقوله
جاهد الكفار اي بالسلاح في وقته وباللسان في وقته والمنافقين قال ابن عباس رضي الله
عنهما باللسان وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود وقيل بالسيف بعد ما ظهرت احوالهم
قال تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا واغلظ عليهم ولا تداهنهم من نفسك وقرر عندهم
انه لا هوادة بينك وبينهم وانما هو الاسلام او السيف وماويهم جهنم غلبوا في الجهاد او غلبوا وبئس
المصير اي جهنم قال القشيري رحمه الله المجاهدة اولها باللسان بشرح البرهان وايضاح
الحجج والبرهان ثم ان حصل من العدو جحد بعد اقامة العذر فالوعيد والزجر بالاعلان فان لم
ينجع الكلام ولم ينفع الملام فالقتال والحراب بالسيف والسنان يحلفون بالله ما قالوا وهذا
ينتظم لما سبق من ذكر مقابح المنافقين طعنهم في الرسول وفي الدين ولقد قالوا كلمة الكفر
هي كل كلمة ترجع الى الطعن في الدين او في الرسول وقد بينا بعضها وكفروا بعد اسلامهم اي حكم
لهم بالكفر بهذه اللفظة بعد ما حكم باسلامهم لظاهر اقرارهم واختلفت الروايات في هذا القايل
قال عروة ابن اسحق ومجاهد هو الجلاس بن سويد بن الصامت وقد بينا قصته في الايات المتقدمة
ومقالته ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من الحمير وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذه
الكلمة ليست بكفر الا ان ثبت معها زيادة هي كفر وقال قتادة هو عبد الله بن ابي بن
سلول حين قال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل والامام ابو منصور رحمه الله ذكر
هذا القول ايضا وحكي عنه انه قال والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك
قال ويشبه ان يكون هذا متصلا بقوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانوا يستهزون
بالله واياته ورسوله وهو كفر وقالوا لو كنا لم يبين الله تعالى لنا ذلك فلا نقصره اهم ما ذا
قالوا لما ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وهموا بما لم ينالوا قال مجاهد هو هم عبد الله ابن ابي ليخرجن
الاعز منها الاذل وقال مجاهد في رواية هو هم الجلاس بقتل من انكر عليه قوله ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير على ما روينا وقال الكلبي وهموا بما لم ينالوا اعني المنافقين
ليلة العقبة هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد

بن ابي سرح القرشي وطعمة بن ابيرق والجلاس بن سويد ومجمع بن حارثة وابو عامر بن النعمان وابو
الاحوص وكانوا خمسة عشر رجلا وقال ابن كيسان لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به اذا علاها ومعهم رجل مسلم فاخبر
جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم لما قدروا وتشكوا في ليلة مظلمة فامر جبريل
رسول الله ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر رضي الله عنه
يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة رضي الله عنه يسوق به فقال
لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا غير اني عرفت جمل فلان فقال
صلى الله عليه وسلم انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة رضي الله عنه
الا تبعث اليهم فياتوك فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل
يقتلهم فقال يكفيهم الله تعالى بالدبيلة قيل يا رسول الله وما الدبيلة قال
شهاب من نار جهنم يضعه على نياط فواد احدهم حتى تزهق نفسه وقال ابو دري
ذكروا ان اثني عشر رجلا من المنافقين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
بيته ليفتكوا به فاتاه جبريل عليه السلام فعرفهم حتى عرفهم واخبر بقصتهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثني عشر رجلا من المنافقين ائتمروا بامر لم ينالوه فليقوموا
وليستغفروا فاستغفر لهم فلم يقوموا فقال قم يا فلان حتى اتى على اخرهم فقالوا يا رسول
الله نستغفر الله ونتوب اليه عما كنا عليه من الكفر فقال الان ولم عصوني اخرجوا عني
فخرجوا مفتضحين فنزلت فيهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله اي ما عابوا وقيل اي ما طعنوا ومعناه وليس للمومنين عندهم ذنب يعيبونهم به
ويغتاظون به عليهم الا ان اغناهم الله بالغنايم والصدقات ورسوله كان سببا لذلك
وتوصلا اليهم وهذا ليس ما ينقم به فان يتوبوا يك خيرا لهم اي التخلص هولاء المنافقون فهو خير
لهم في الدنيا والاخرة لنجاتهم من العقاب ووصولهم الى الثواب في العقبى وامنهم وعزهم
وحسن ذكرهم في الدنيا وان يتولوا عن التوبة عن النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
بالذل وهتك الستر والجلا والسبي والقتل وفي الاخرة بعذاب النار ابدا وما لهم في الارض
اي في الدنيا من ولي ولا نصير يعني يتولى الذب عنهم اذا نزل عذاب الدنيا ولا من ينصرهم من الله
عن تعذيبهم ولم يذكر الاخرة لان الملك يومئذ لله فلا ولي ولا نصير يومئذ لاحد فاما في الدنيا فقد

يكون للانسان ولي ونصير وهو لا ليس لهم في الدنيا ذلك وقيل اي ما لهم من يتولونهم ويتعصبون
لهم ولا من ناصرهم والقايمين بنصرتهم في هذه الدنيا من يصرف عنهم العذاب في العقبى وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ولما نزل فان يتوبوا يك خيرا لهم قال الجلاس اسمع الله يعرض
على التوبة والله لقد قلت هذا وان الذي اخبرعني لصادق فتاب وحسنت توبته وقال
القشيري رحمه الله تمنوا زوال دولة الاسلام فابى الله تعالى الا اعلا امره على الدوام وما
نقموا اي ما عابوهم الا ما هو اجل الخصال فلم يحصلوا الا على الخزي والنكال وقوله فان يتوبوا
يك خيرا لهم التوبة حل عقدة الاصرار عن القلب ثم القيام بجل حقوق الرب وقوله تعالى
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ومن هولا المنافقين
من عاهد الله هو ثعلبة بن حاطب وقد كتبنا هذه القصة عن بعض مشايخنا بجازا مسندا عن ابي امامة
الباهري رضي الله عنه ان ثعلبة بن حاطب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى
لي ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تودي شكره
خير من كثير لا تطيقه ثم قال له مرة اخرى قال اما ترضى ان تكون مثل نبي الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي نفسي بيده لو شيت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت فقال
والذي بعثك بالحق لو دعوت الله ان يعطيني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم ارزقه مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا
من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر بجماعة ويترك ما سواهما فكثرت حتى ترك الصلواة
الا الجمعة وهي تنموا كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسلهم
عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما
فضاقت عليه المدينة واخبروه بامره فقال صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة
فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وانزل عليه فرايض الصدقة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما كيف ياخذان الصدقة
واسنان الابل وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان
من بني سليم فخذا منهما الصدقة فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا
حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة

ثم استقبلهما فلما راوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ منك فقال بلى خذوه فان
نفسي بها طيبة وانما هي لي فاخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال
اروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا اخت الجزية فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة واخبراه بالذي
صنع ثعلبة والذي صنع السلمي وانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله الايات وعند رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اقارب ثعلبة فسمع فخرج حتى اتاه فقال ويلك يا ثعلبة قد انزل الله فيك
كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته
فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد منعني ان اقبل منك صدقة فجعل يحثو التراب على راسه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيا
رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيا حتى اتى ابا بكر رضي الله عنه
حين استخلف فقال لقد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل
صدقتي فقال ابو بكر رضي الله عنه لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقبلها فقبض
ابا بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه اتاه وقال يا امير المومنين اقبل صدقتي
فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر رضي الله عنه وانا اقبلها وقبض
عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي الله عنه فساله ان يقبل صدقته فقال لم يقبلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر رضي الله عنهما وانا اقبلها منك فلم يقبلها عثمان
رضي الله عنه وهلك ثعلبة في خلافته وذكروا ان ثعلبة قبل سوال المال وحدوث هذا الحال
كان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا وكان يلقب لذلك حمامة المسجد
وكانت جبهته صارت كركبة البعير لكثرة سجوده على الارض وقيل على الحجارة المحماة في الشمس
وجعل يخرج كما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفجر بالجماعة من غير لبث واشتغال بدعا اياما
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تعمل اعمال المنافقين من تعجيل الخروج بعد الجماعة
فقال يا رسول الله اني على غاية من الفقر والفاقة ولي ولامراتي ثوب واحد وهو الذي علي فانا اصلي
فيه ها هنا وهي عريانة في البيت ثم اعود اليها فانزعه وهو تلبسه وتصلي فيه فاسال الله ان
يوسع علي ثم القصة على ما سقناها وقوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله اي وسع
علينا المال لنصدقن اي لنتصدقن فادغمت التاء في الصاد وشددت اي لنصرفن في وجوه الخير

من الجهاد وغيره ولنكونن من الصالحين قيل سل عثمن بن عفان وعبد الرحمن بن عوف
في البزل والسخا فلما اتيهم من فضله ووسع عليهم الدنيا بخلوا به اي بالفضل فمنعوا حقوقه
وتولوا عنه اي عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في اداء حقوق الاموال وهم معرضون
اي عن الاسلام واحكامه وقوله تعالى فاعقبهم نفاقا وقال مجاهد اي جعل عاقبة ذلك
نفاقا في قلوبهم اي تذبذبا واضطرابا في العقيدة وشكا في الاسلام وهذا من الله تعالى
جزا لهم على بخلهم وقال الامام ابو منصور ويحتمل فاعقبهم دواما على نفاقهم فقد قيل
كانوا منافقين فخذلهم الله تعالى وتركهم في ضلالهم لاختيارهم ذلك الى يوم يلقونه
اي الى يوم القيمة وهو لنا تابيد نفاقهم فمن بقي منافقا الى يوم القيمة لم يثبت له حكم الاسلام
ابدا ثم هو حجة لنا في مسئلة خلق الافعال ومسئلة الاصلح وقال الحسن اي اعقبهم بخلهم
نفاقهم اي صار سببا لذلك وقوله الى يوم القيمة يلقونه اي يرون بخلهم كما قال تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فوعدهم عهدهم المذكور في اول
الاية وكذبهم قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين ودل على ان من قال لافعلن كذا
وهو ينوي ان لا يفعله كان كاذبا وقال صلى الله عليه وسلم ثلث من علامات المنافق اذا
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ومعناه اذا استحل ذلك او كانت
هذه الاشيا في الدين لا في معاملة الخلق وذكر محمد بن حرب في تفسيره عن ثعلبة بن ثابت
انه قال في هذه الاية انما هو شي نووه الله في انفسهم ولم يتكلموا به يدل عليه ما بعده
وهو قوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب استفهام
بمعنى التوبيخ اي يعلم ما اسروه في انفسهم يوم عاهدوه وما يتناجون به فيما بينهم مما
لا يشركهم في العلم به غيرهم من الطعن على شرايع الاسلام من الصدقات اي عن الغايبات
عن الخلق ولا يغيب عن الله تعالى شي وقوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المومنين
في الصدقات اي هم الذين يعيبون المتطوعين ادغمت التا في الطا وشددت وقوله من
المومنين اي من المخلصين في الصدقات الزايدة على الزكوات اللازمة فيقولون
يراوون بما يفعلون والذين لا يجدون اي يعيبون الفقرا الذين ياتون بما الا جهدهم
بالكومة والجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي بالفتح في العمل وبالضم

في القوت

في القوت وقيل هما لغتان كالضعف والضعف والكره والكره وهما الحمل على النفس
بما يشق عليها فيسخرون منهم اي يهزءون سخر الله منهم جازاهم جزا سخريتهم وقد
بينا نظايره في قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمكرون ويمكر الله ولهم عذاب اليم
اي في الدنيا والاخرة وقال الكلبي قال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا صدقاتكم
فجا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية
الاف درهم فاقرضت ربي اربعة الاف وامسكت لنفسي اربعة الاف فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت ثم جا عمر رضي الله عنه بنحو ذلك وجا عاصم
بن عدي رضي الله عنه بسبعين وسقا من تمر وفي رواية بمائة وستين فلمزه
المنافقون وقالوا لقد كان الله غنيا عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه
ليعطى من الصدقة وقال مقاتل الذين يلمزون هم معتب بن قشير وحكيم بن زيد
وقال عطا والذين لا يجدون الا جهدهم سهل بن رافع وسل ابو خيثمة رضي الله عنهما
وفي رواية قال لعبد الرحمن اكثرت يا عبد الرحمن علا وكنت لا املك شيا قال
تركت لهم شطر مالي فدعا له بما روينا وقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم الاية قال الامام ابو منصور
رحمه قال اهل التفسير لما مات عبد الله بن ابي اراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يصلي عليه فاخذ عمر رضي الله عنه بثوبه فقال ما امرك الله بهذا قال استغفر
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال قد خيرني
ربي فقال عمر رضي الله عنه انه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم قال ازيد على السبعين فعسى الله ان يغفر لهم فانزل الله عند ذلك سوا
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا بعيد ان يفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم التخيير وعمر رضي الله عنه منعه عن ذلك ولا يجوز
ان يفهم التخيير من ذلك او يخرج ذلك على التحديد او تكون هذه منسوخة بالاية التي في
المنافقين لانه وعيد والوعيد لا يحتمل النسخ والوجه فيه والله اعلم ان استغفرت لهم فان
استغفارك ليس بالذي يرد ولا يجاب لكنهم كفروا بالله ورسوله وقد تعلم من يكلمني الى الاغفر
لمن مات على ذلك خرج ذلك على الاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك والتقول له

وقالوا ما اعطاه الا ريا وسمعة
وجا ابو عقيل بصاع من تمر فامر
رسول الله صلعم ان يضعه في
الصدقات فلمزه المنافقون
صح

عن الاستغفار كما قال تعالى ما كان للنبي والذين معه ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى الاية وقد علم هو كفر المنافقين اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال غيره قوله تعالى استغفر لهم ليس بامر وقوله او لا تستغفر لهم ليس بنهي
او ليس بتخيير بل هو تسوية بين الفعلين انه لا يقع به المغفرة وطريقه طريق قول الرجل اطلب
مني هذا او لا تطلب فان تطلب سبعين مرة كلم اعطك هو بيان انه لا يقع في ذلك ولا اشر
لذلك والتقدير بسبعين ليس يقتصر عليه بل هو بيان الكثرة والمبالغة فيها فان السبعين
جمع السبع وعلى السبع اكثر الاعداد عدد السموات والارضين والاقاليم والبحار والاعضا
وادراك والايام السبعة واسباع القران وايام الدنيا وغير ذلك والجمع نهاية فيه وعلى ذلك
قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا وقوله سبعون ذراعا وقوله عليه السلام ما اصر
من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة فمعناه انك وان اسهبت في عدد الاستغفار لم ينفعهم
ذلك وقيل كان يستغفر لهم بطلبهم وكانوا يعتذرون بذلك وقال تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا الاية ولذلك قال سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم اي سوا عندهم فليس ذلك منهم على الجد والتحقيق وقيل معناه سوا عند الله في حقهم الاستغفار
وعدمه ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن الايمان
المتمادين للكفر والطغيان قال القشيري رحمه الله من غلبت الشقوة لم تنفعه الشفاعة والدعوة ومن
القدرة لا ينعشه الجهد والحيلة وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله المخلفون الذين لم
يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين الى غزوة تبوك وتسميتهم بذلك معان احدها
ان الله تعالى خلفهم وهم الذين كره الله انبعاثهم فثبطهم والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم ياذن لهم بالخروج وتركهم والثالث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لم يعبوا بهم
ولا عدوهم في جملة من يكثر بمثلهم في العسكر اذ لا فضل لهم في راي ومشورة لما علموا ابتاقلهم عن الجهاد وتسميتهم بذلك
على هذه الوجوه تهجين لهم وسب وذم وفي معناه يقول الاخطل بحوا قوما مخلفون ويقضي الناس امرهم بمقعدهم
يجوز ان يكون مصدرا كقوله تعالى حتى مطلع الفجر اي بقعودهم ويجوز ان يكون موضعا ومعناه فرحوا بالمدينة ومنازلهم
وحوايطهم لما نالوه من الدعة والراحة خلاف رسول الله اي على مخالفته بمعنى المصدر وقيل اي خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو كقوله تعالى الا يلبثون خلفك الا قليلا والاول اقرب خلافا على التعيين وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي استثقلوا
ذلك لكفرهم وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض وقيل قالوا للمومنين لا تخرجوا للغزو فانه وقع في شدة حر لا يومن معها كلال المياه وكلال

عن النبي فعاتب الله هذا من قولهم وهددهم عليه بما لنا رد ذلك وقوله قل نار جهنم اشد
حرا اي احذرهم يا محمد انهم على تخلفهم وتثبيطهم غيرهم نار جهنم اليها مصيرهم وما ذيهم
بحرها اشد من تاذيهم بحر الشمس والهوا وقوله تعالى لو كانوا يفقهون اي لو تدبروا
وتفكروا لكنه لا يفعل ذلك من فهم دقيقه ولو فقهوا لاحتملوا قليل التعب والاذى في طاعة الله
ليفضي بهم ذلك الى النعيم المقيم وقال ابن عباس ضرب النبي عليه السلام عسكره على
ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره اسفل من الثنية وكان اعظم العسكرين فلما سار
رسول الله عليه السلام تخلف عبد الله فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فنزلت الاية وقال
مقاتل فرح المخلفون اي رضي المخلفون بمقعدهم بقعودهم عن غزوة تبوك خلاف رسول الله
عليه السلام وهم بضع وثمانون رجلا فمنهم من اعتل بشدة الحر ومنهم من اعتل بالعسرة
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وقال بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر مع محمد الى تبوك نزلت
في سبعة منهم ابو لبابة واصحابه فان الحر شديد والسفر بعيد قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون
اي يعلمون وقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا امر بمعنى التهديد كقوله اعملوا ما شئتم
ومعناه يضحكون على فرحهم بتخلفهم وهذا في الدنيا وكل الدنيا قليل ويبكون في الاخرة بكا
كثيرا دايما لا ينقطع جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق والمعاصي وقوله تعالى فان رجعك
الله الى طايفة منهم اي ردك الله من غزوة تبوك الى المدينة وقد بقي من المنافقين طايفة
وهلكت طايفة وقيل تخصيص طايفة منهم هو تخصيص روسايهم وقد روى شعبة عن قتادة
انهم كانوا اثني عشر رجلا وقوله تعالى فاستاذنوك للخروج اي معك الى غزوة اخرى فقل
لهم لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اي فامنعهم عن الخروج معك للقتال عاقبتهم
بان لا تستصحبهم ابدا استخفافا بهم ودلالة على سقوط محلهم والاستغنا في الامور عنهم
وقوله تعالى انكم رضيتم بالقعود اول مرة فلم تخرجوا الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين
قال الحسن وقتادة اي مع النسوان والصبيان وقال ابن عباس اي مع من تخلف
من المنافقين بغير عذر وقيل اي مع من تخلف عن الجهاد بعذر من العميان والزمنى وقيل
اي مع اهل الفساد من قولهم خلف قوم خلوفا اي تغيروا الى الفساد وقال القشيري
يقول لا تخدع بتملقهم ولا تثق بقولهم ولا تمكنهم من صحبتك فيما يظهرونه من الوفاق
بعد ما ظهر وتقرر منهم الكذب والنفاق واذا انقطع سلك العهد لم يحتمل الشد واذا
اتسع الخرق لم ينفع بعده الرقع وقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا
تقم على قبره هذه فضيحة لهم بعد الوفاق وما ذكر قبلها خزي لهم في حالة الحيوة وقال

قتادة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن ابي بن سلول في مرض موته
وكان دعاه فسأله ان يصلي عليه ويقوم على قبره ويكفنه في قميصه ففعل ذلك
فنزلت الاية وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما توفي عبد الله بن ابي وضعناه ليصلي عليه
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا
ويوم كذا كذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ثم
مشى معه وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
على منافق ولا قام على قبره وفي الاية تقديم وتاخير وتقديره ولا تصل على ابدا على احد
منهم مات ولا تقم على قبره قيل هو نفس القيام وهو نوع اكرام وقيل هو القيام باسباب
دفنه ومواراته وفي التاويلات انه قيل له يا رسول الله تلبس عدو الله قميصك قال اني
لارجو ان يسلم بقميصي الف من بني الخزرج وكان كذلك **وقوله** تعالى انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون اي قد كفروا واصروا وعليه ماتوا فليسوا اهلا لاجلالك
وقوله فاسقون اي معلنون للمعاصي **وقال** القشيري يقول ليس بعد الرزي نوبي
ولا بعد الفراق وفاق ولا بعد الحجبة قربة **وقوله** ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فسرنا الاية مرة ومعنى
التكرير المبالغة في التاكيد والتقرير اولان كل اية في فرقة غير الاخرى ومعنى
اتصالها بالاولى مص في المنافقين هذه الاحكام ولا يهولنك ما يكثرون به من الاموال
والاولاد **وقال** القشيري لا تحسبن ان تمكين اهل النفاق من تنفذ مرادهم وتكثير
اموالهم واولادهم اشداء معروف منا اليهم او اسباغ انعام منزلنا عليهم انما ذلك
مكر بهم واستدراج لهم وانها الا امهال وسيلقون عنه عن قريب **وقوله**
تعالى واذا انزلت سورة ان امنوا بالله هو الامر بابتدا الايمان في حق الكافرين وبالدوام
على الايمان في حق المومنين والامر بالاخلاص في حق المنافقين **وقوله** تعالى
وجاهدوا مع رسوله اي جاهدوا الكفار معينين لرسوله **وقوله** تعالى استاذنك
اولوا الطول منهم **قال** ابن عباس ومقاتل والحسن اي اولوا الغنى **وقال**
ابن كيسان هم الكبرا المنظور اليهم وقيل الطول الجدة التي يتمكن بها من مطاولة الاعداء
وقوله تعالى وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين اي دعنا نقعد مع المتخلفين **وقوله**
تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي النساء المتخلفات والقواعد جمع لانات وقيل

معناه مع الخساس من قولهم فلان خالفة اهله اذا كان دونهم في اسباب الفضل وهذا
تعيير لهم وذم **وقوله** تعالى وطبع على قلوبهم اي ختم عليها لخذلوا لاختيارهم الكفر
والنفاق **وقوله** تعالى فهم لا يفقهون قبل لا يعلمون **وقال** الضحاك اي لا يعقلون
امر الله وهذا كقوله ما نفقه كثيرا مما تقول اي لا نعقل **وقال** الامام ابو منصور
الفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره ومنعهم الطبع بان يعرفوا الاشيا بمعانيها ونظايرها
للحجاب الذي وقع فان الايمان نور يبصر به عواقب الامور ويرفع المستور عن القلوب
والكفر ظلمة تستر ذلك **وقال** القشيري تعللا ولولوا السعة وركنوا الى اختيار
الدعة وتقرروا عن بساط العبادة ورضوا بالتعريج في ميدان التفرقة ولو انهم رجعوا
الى الله بصدق المذم لقابلهم بالفضل والكرم ولكن القضا غالب والتكليف ساقط
وقوله لكن الرسول والذين امنوا معه بخلاف صفة اولئك المنافقين **وقوله** تعالى
واولئك لهم الخيرات اي المنافع والمحاسن في الدارين من الدنيا والثنا الحسن والصحبة مع
رسول الله في المغازي واصابة المغنم وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم والقيام على
قبورهم وفي الاخرة بالكرامات الموعودة في الجنة **وقوله** تعالى واولئك هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب والباقون في انفسهم واعدايهم كل مامول **وقوله** اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وهذا ظاهر **وقوله** وجا المعذرون من
الاعراب ليوذن لهم يقال اعذرت الى فلان اي تكلمت بالعذر وعذرني بالتخفيف اي قبل عذري
واعذرت اليه اي اقمت العذر الصحيح على امري وعذرت بالتشديد اي اتيت بما يوصف بالعذر
ولا عذر لي حقيقة والاية قرئت بقرايتين بالتخفيف وهو قراءة ابن عباس وبالتشديد وهي
قراءة ساير القراء وبالتخفيف اخبار عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا وبالتشديد اخبار عن اعراب
تكلموا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا وفي الاية ذم لهم وحكمته ان نزول السورة في الجهاد
صار الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم في قوله استاذنك اولوا الطول
منهم والمخلصون وذكرهم في قوله والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
واعراب اهل البادية منهم عذر حقيقة اولا عذر لهم وذكرهم الله في قوله وجا المعذرون
من الاعراب على القرايتين واخرون من الاعراب تخلفوا من غير استيذان وذكرهم في قوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله اي اظهروا الايمان بالله ورسوله وهم كافرون في
الباطن فقد كذبوا بذلك الله ورسوله وقيل انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الجهاد ثم تخلفوا عن هذه الفرقة فقد كذبوا الله ورسوله فيما قالوا في تلك البيعة

وقيل لما دعاهم رسول الله عليه السلام الى هذه الغزوة قالوا نستعد ونلحق بك فلم يفعلوا
فذلك كذبهم وقوله تعالى سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة بكفرهم
وكذبهم ولم يقل سيصيبهم لانه سبق ذكر المنافقين وذكر غيرهم وقيل انما قال ذلك لان
من المنافقين من اخلص بعد فلما قال سيصيب الذين كفروا لانه لمن مات منهم على الكفر
ولم يخلص دون من تاب واخلص وقوم اخرون من ضعفا المسلمين لم يكن لهم عذر تخلفوا
واستعانوا فذلك قوله تعالى ليس على الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج فالضعفا هم الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن او زمانة او عرج او عمى والمرضى الذين بهم
علة يرجى زوالها الا انه في الحال لا طاقة به والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقرا فهولا
لا حرج عليهم اي لم يضيق الله عليهم القعود بل وسعه عليهم وقوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله
اي لم يثبطوا غيرهم من المومنين والاصحاب عن الخروج ولم يموهوا هم ان قعودهم كان يجوز التخلف
لكل من اراده بل بينوا سبب تخلفهم وحرضوا القادرين عليه وقاموا باسبابهم عند خروجهم
واسباب من خلفوهم بالمعونة وقوله ما على المحسنين من سبيل وهم هولا وقوله تعالى والله
غفور رحيم يغفر لهم تخلفهم ويرحمهم بازالة الحرج عنهم وقوله تعالى ولا على الذين اذا
ما اتوك لتحملهم اي ولا حرج ايضا على الاصحاب الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون الى
المركب وجاوك يا محمد وسالوك ان تعطيهم مراكب تحملهم وقد حمل الامير فلانا اي اعطاه
مركبا وقوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم اي قد فرقت ما كان عندي على الناس فلم
يبق عندي شي اقوي به مراكبكم وقوله تعالى تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا
الا يجدوا ما ينفقون اي انصرفوا من عندك وهم يبكون تاسفا على فوت صحبتك وتخلفهم
عنك وهذه امارة اخلاصهم وصدقهم بالعذر وشدة شوقهم الى لقاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتحسرهم على فوت ثواب الجهاد واختلفوا فيمن نزلت فيهم هذه الاية قال مجاهد
في نفر من مزينة وهم معقل بن مقرن وسويد بن مقرن والنعمان بن وقال مقاتل
نزلت في سبعة نفر من جهينة ومزينة وبني عذرة عمرو بن خيثمة من بني عمرو بن عوف
وعلية بن زيد بن حارثة وعمرو بن حزم من بني واقف وسالم بن عمير وعبد الرحمن بن
كعب وهو ابو ليلى من بني النجار وعمرو بن خزيمة من بني سلمة هولا الستة من الانصار
وعبد الله بن المغفل المزني اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احملنا فانا لا نجد ما لا يخرج
عليه فقال لا اجد ما احملكم فانصرفوا يبكون وقال الحسن نزلت في ابي موسى واصحابه
وهم الذين حلف ان لا يحملهم ثم دعاهم بعد ذلك فاعطاهم ست ذود غر الذرى فلما خرجوا

من عند رسول الله عليه السلام قالوا لا بارك لنا فيه وتنساه يمينه فرجعوا فقالوا يمينك
يا رسول الله فقال عليه السلام اما اني والله ان شا الله لا احلف على يمين فارى غيرها
خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وتحللت عن يميني وقيل هم معقل بن يسار وصخر بن
سلمان وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة كلهم من الانصار وعبد الله
بن المغفل وصخر بن خنسا وقال قتادة نزلت في عائذ بن عمرو وغيره وقال
ابو مسعود الانصاري جا رجل الى رسول الله عليه السلام فقال احملني فقال ليس لي
ما احملك ايت فلانا فانه يحملك فاتاه فحمله فاخبر بذلك رسول الله فقال عليه السلام
من دل على خير فله مثل اجر فاعله وقال الحسن ليس على الضعفا هي في عبد الله بن
ام مكتوم واصحابه وقوله تعالى انما السبيل اي سبيل اللوم والعتاب على والعقاب
على الذين يستاذنونك وهم اغنيا ومعنى التكرير المبالغة في التقرير وكذلك قوله رضوا
بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وقوله تعالى يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم اي يعتذرون اليك هولا المنافقون اذا رجعتم الى المدينة التي فيها مساكنهم
ومساكنكم وقوله تعالى قل لا تعتذروا اي لا تقبلوا عذرهم وقل لهم لا تشتغلوا بالعذر
وقوله لن نومن لكم اي فانا لا نصدقكم وقوله تعالى قد نبانا الله من اخباركم اي قد
عرفنا الله ايضا ذكر عداوتنا وكذبكم في معاذيركم وقوله وسيرى الله عملكم ورسوله
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قال ابن عباس اي
ان عملتم خيرا وتبتم الى الله من تخلفكم فسيرى الله عملكم ورسوله فيما تستانفون ثم
ترجعون الى عالم الغيب والشهادة اي الى الله لا يخفى عليه شي فيخبركم بما علمتم ويجزيكم
على ذلك وهو كقوله يحلفون ما قالوا الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم وقوله تعالى
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم اي اعراض صفح فاعرضوا عنهم اي اعراض
مقت واظهروا لهم الاستخفاف بهم وعرفوهم ان اقدارهم اوضع من ان يصلحوا لصحبة
رسول الله عليه السلام والمومنين وقوله تعالى انهم رجس اي انجاس نجاسة كفر
ونفاق وقيل هو كقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وقوله تعالى وماويهم
جهنم جزا بما كانوا يكسبون وان لم يجازهم في الدنيا وصفح عنهم وقوله تعالى يحلفون
لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي يلتمس هولا
المنافقون المتخلفون بحلفهم ان يرضوكم وتطيب قلوبكم لهم فلا ترضوا عنهم وان اعرضت
عن عقوبتهم على تخلفهم ولكن ابغضوهم بقلوبكم ساخطين مع ملاينتكم اياهم فان الله لا يرضى

عنهم لعلمه بكذبهم وفسقهم وماوى الفاسقين النار قال تعالى واما الذين فسقوا فماويهم
النار وقال القشيري من كان مسخوط الحق لا ينفعه ان يكون مرضي الخلق وليت العبرة
لعبود عز الله انما المدار على ما سبق في حكم الله وقال الامام ابو منصور سمى الله الكفار
والمنافقين فاسقين في ايات وان كان اسم الكافر والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق
لان اسم الفاسق يانف منه كل ذي دين فانه خروج عما يدين به فاخبر الله انهم مع كفرهم وتدينهم
بالباطل فاسقون في معاملاتهم خارجون عن ديانتهم مستوجبون للذم ثم قال
ابن عباس نزلت في جد بن قيس ومعتب بن قشير وكانوا ثمانين رجلا وقال مقاتل نزلت
في عبد الله بن ابي وذلك انه حلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو لا
يتخلف عنه وليكونن معه عن عدوه وطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه وحلف
عبد الله بن ابي بن سرح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنزلت الاية وقال النبي صلى الله عليه
وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقوله تعالى الاعراب اشد كفرا
ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم متصل بما سبق وجاء
المعذرون من الاعراب اي سكان البوادي اذا كانوا كفارا ومنافقين فهم اشد كفرا
ونفاقا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيبتهم عن مجالسته وقلة ما يرد عليهم
من مواعظ القران فهم بذلك احرى ان يجهلوا حدود العبادات والشرايع المنزلة
من الله على رسوله وقيل الحدود الاوامر والنواهي قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
تلك حدود الله فلا تقربوها وهو عليم بسرايرا المؤمنين والكفار والمنافقين حكيم في تعريف
اوليايه ذلك ليميز وابين الاولياء والاعداء وحكيم ايضا في كل ما يامر به في حق كل طبقة قال
ابن عباس نزلت في اعاريب اسد وغطفان ومن حوالي المدينة منهم واجدر اي احرى ان لا
يعلموا حدود ما انزل الله من فرايضه في كتابه وقال الضحاك هم اعراب بني اسد وبني تميم
وقال مقاتل هم اعراب مزينة وقال ابن كيسان واجدر ان لا يعلموا حجج الله في توحيده وتثبيت
رسالته صلى الله عليه وسلم لانهم لا ينظرون فيها ولا يعلمونها وقال يمان بن رباب حدوده
الحلال والحرام والله عليم بما يسرون حكيم في احتجاجه وقوله تعالى ومن الاعراب
من يتخذ ما ينفق مغرما اي ومن هولاء الاعراب من يعد ما انفق في نايبة او وجه بر وصدقة
او في تجهيز غاز غرامة ولا يفعله حسبة لانه لا يومن بالله ولا يصدق بالبعث والجزا
ولا ينال عوضا في الدنيا ولا يخاف عقوبة في الامساك وقوله ويتربص بكم الدوائر اي
ينتظر بكم الحوادث قال يمان بن رباب اي ينتظر ان ينقلب الامور عليكم فيموت

الرسول

الرسول ويظهر عليكم المشركون وقوله تعالى عليهم دايرة السوء اي عليهم يدور البلا
والخزي فلا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم قرا ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بضم السين
والباقون بفتحها قال الكسائي من ضم السين اراد بها سوء البلا والشدة وهو اضافة من فتح السين
جعل السوء نعتا للدايرة فيكون كقولك رجل سوء وامراة سوء قال القشيري حبثت عقايدهم
فانتظروا للمسلمين ما تمنوه من حلول المحن بهم فابى الله الا ان يحيق بهم مكرهم وقد قيل في المثل
اذا حفرت لاخيك فوسع فربما يكون ذلك مقيلك ويقال من نظر الى وراية لم يوفق في كثير
من تدبيره ورايه وقوله تعالى والله سميع اي لمقالاتهم عليم اي بنياتهم وقوله تعالى
ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر اي ومن هولاء الاعراب من يخالفهم في الصفة
ومن يجمع منها لانه جنس اي ليسوا بكفار ولا منافقين بل هم مومنون بالله واليوم الاخر مصدقون
بالبعث والجزا وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول اي ينفقون
في سبيل الله بعث رسول الله عليه السلام ويرونه قربة اي طاعة مقربة الى رحمة الله
يرجع اليهم ثوابها وينالون بها الدرجات في الاخرة ويكتسبون بها صلوات الرسول وهي
دعاوه المتبرك به واستغفاره المرجو اجابته وقوله تعالى الا انها قربة لهم اي لهم ما
نووا ورجوا وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته قال ابن عباس اي في جنته وقوله
تعالى ان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويكفرها بهذه النفقات ويرحمهم فلا يجزيهم
بالعقوبات قال ابن عباس هم من اسلم من اعراب اسد وجهينة واسلم وغفار وقال
مجاهد هم بنو مقرن من مزينة قال القشيري تنوعوا فمنهم من غش فلم يربح ومنهم
من نصح فلم يخسر فاما الذين مذقوا في مهوات هواهم واما الذين صدقوا فهم في روح
احسانهم وقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والتطابها
قبلها ان الله تعالى ذكر من اول السورة الى ههنا اقسام الكفار وهم ثلثة المطيعون والعاصون
التايبون والعاصون المصرون اما المطيعون فهو قوله والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار وهذا ابتدا وجوابه رضي الله عنهم الى اخره وقال الكلبي
هم الذين سبقوا الى الايمان والهجرة والجهاد والنصرة والذين اتبعوهم باحسان هم الذين
جاوا بعدهم وعملوا عملهم الى قيام الساعة فعلى قوله الاية تتناول جميع المهاجرين وهم الذين
هجروا اوطانهم بمكة ورحلوا مع رسول الله الى المدينة وجميع الانصار وهم اهل المدينة سموا به لنصرة
المهاجرين ايضا نصروا رسول الله لكن اختصاص اهل المدينة بهذا الاسم لانهم نصروا رسول
الله والمهاجرين معه كما جاوروهم فاووهم ونصروهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرة النبي صلى الله

عليه السلام في الغزوات وقوله من المهاجرين ليس للتبعيض على هذا القول بل للتجنيس
والذين اتبعوهم جميع متبعيهم بالاحسان قيل هو الاخلاص كما قال بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن وقال النبي عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لم
تكن تراه فانه يراك وقيل هو احسان العمل وقيل هو الاحسان الى الناس وقيل الاية خاصة
في السابقين من جملتهم ومن للتبعيض واختلف في ذلك قال ابن عباس هم الذين
صلوا القبلتين وشهدوا بدرا وقال الشعبي من بايع تحت الشجرة بالحديبية فهو من
المهاجرين الاولين وقال عطا هم اهل العقبة السبعون وقيل هم السابقون من اهل
كل قبيلة الى الاسلام والى العلم والى القران والى الشهادة وقرا الحسن وسلام ويعقوب
والانصار بالرفع عطفا على قوله والسابقون ويكون السبق صفة للمهاجرين خاصة
وقراءة العامة بالخفض عطفا على المهاجرين والسبق لهم جميعا سبقوا اولئك بالهجرة
وسبق هولاء بالنصرة وقرا عمر بن الخطاب الذين اتبعوهم باحسان بغير واو نعتا للانصار
بانهم اتبعوا المهاجرين باحسان وروي عنه انه سمع رجلا يقرا والذين بالواو فقال من
اقراك هذا قال ابي بن كعب فسال عنه ابيا فقال اقرانيه رسول الله عليه السلام قال ابي
وتصديق ذلك في سورة الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم وقال الحسن قرا عمر يوما والانصار
الذين اتبعوهم باحسان وعنده ابي بن كعب فقال ابي والذين اتبعوهم باحسان يا امير
المومنين فقال عمر الذين اتبعوهم فقال ابي والله لقد اقرانيها رسول الله عليه السلام من فيه
الى فيّ وانك تبيع القرظ بالبقيع فقال عمر صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم
ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم وتابع عمر ابيا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قرا
يوما بغير واو فقيل له فيها واو فقال هذه الواو خير عندي من الدنيا وما فيها يعني
بوشك المشاركة للمتاخرين في فضل المتقدمين وقال عطا والذين اتبعوهم باحسان يريد
الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالخير والرحمة والدعا اشار الى قوله والذين جاوا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية **وقوله** تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم ظاهر التفسير وقال الامام ابو منصور في الاية دلالة الرد على الروافض
لانهم يجعلون ابا بكر وعمر وهو لا ظلمة وعلى غير الحق بتولية الامارة والخلافة ابا بكر
وعمر لانه اخبر ان الله تعالى راض عنهم فدل انهم كانوا على حق وصواب وان من وصفهم
بالظلم والتعدي فهو الظالم والمتعدي وفيه دلالة وجوب تقليد الصحابة والاقتداء

بهم لانه مدح الذين اتبعوهم فدل انهم اذا اخبروا بخبر وقالوا قولا يجب العمل به ولا يسع
تركه وقال القشيري السابقون مختلفون فمن سابق بصدق قدمه ومن سابق
بصفا همته والسابق على الحقيقة من ساعدته القسمة بالتوفيق واسعدته
القضية بالتحقيق فسبق لهم من الله رحمته وصدقت لهم عنايته ويقال سبقت عنايته
بهم فسبقوا بطاعتهم له برضاه عنهم ووصلوا الى رضاهم عنه ثم ذكر بعد ذكر الانصار وهم
المخلصون من اهل المدينة المنافقين من اهل المدينة وذلك **قوله** وممن حولكم من
الاعراب منافقون ويتصل هذا بقوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا وقوله حولكم اي حول
مدينتكم وهو المحيط بها **وقوله** تعالى ومن اهل المدينة هولا سكانها وممن حولكم سكان
اطرافها والذين سبق ذكرهم في قوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا سكان البادية **وقوله**
تعالى مردوا على النفاق صفة من في المدينة ومن حولها اي عتوا وطغوا وثبتوا
عليه واغيوا خبثا قال مقاتل وممن حولكم من الاعراب منافقون يعني جهينة
ومزينة واسلم وغفار واشجع كانت منازلهم حول المدينة ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي
ومعتب بن قشير والجلاس بن سويد ووحوح بن الاسلت وابو عامر بن النعمان الراهب
سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق لا تعلمهم لا تعرف نفاقهم نحن نعلمهم نعلم نفاقهم
سنعذبهم مرتين عند الموت بضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وفي القبر بمنكر ونكير ثم
يردون الى عذاب عظيم في الاخرة وقال ابن عباس اول العذابين بدر والثاني
عذاب القبر والثالث جهنم وقال مقاتل العذاب الاول السيف يوم بدر والثاني
عند الموت والثالث في الاخرة وقال الكلبي القتل وعذاب القبر والنار وقال
مجاهد الاول القتل والسبي وقال الحسن الاول عذاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني قوله
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا والثاني عذاب القبر والعذاب الاليم العظيم في
النار وقال عطا هم الاوس والخزرج سنعذبهم مرتين الامراض في الدنيا وعذاب
الاخرة وذلك ان مرض المومن كفارة ومرض المنافق عقوبة وعلى هذا لا يكون قوله
ثم يردون الى عذاب عظيم عذابا ثالثا بل يكون اخبارا عن قدر العذاب في المرة الثانية
وقال الضحاك مصائب الدنيا وعذاب الاخرة وقيل هو اخراجهم الى الغزو ولحوق القتال
اخوانهم واحزانهم بالانفاق في الجهاد لتقوية اعدائهم على اوليائهم ثم ما يرون من عز
المسلمين وعلو قدرهم وازدياد غيظ انفسهم بذلك ثم العذاب العظيم في جهنم
وقيل الاول اخراجهم من المسجد والثاني تخريب مسجد الضرار والعذاب العظيم في

الاخرة وقال ابن عباس قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان
فانت منافق اخرج يا فلان فانت منافق اخرج يا فلان فانت منافق واخرجهم
من المسجد باسمائهم وفضحهم ولم يكن عمر رضي الله عنه شهد تلك الساعة فلقيهم عمر وهم
يخرجون من المسجد فظن انهم قد صلوا فاختبا منهم حيا انه لم يشهد الجمعة واختبوا
من عمر وظنوا انه قد علم بامرهم فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل
من المسلمين ابشر يا عمر فقد فضح الله المنافقين اليوم وقيل سنعذبهم مرتين على معنى تتابع
العذاب عليهم في الدنيا دون تعيين العدد وهو كقوله اولا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين وقوله تعالى لا تعلمهم كان ذلك يومئذ ثم كشف له احوالهم بعلامات قال
تعالى ولتعرفنهم في لحن القول ويجوز التعيين ايضا كما مر وقال القشيري اي لا
تعلمهم انهم على شيء ولكن حسبة امالهم وانا لنظهر ما لم يحتسبوه وقوله تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم اي اقروا وهم القسم الثاني من اقسام المؤمنين الذين ذكرناهم
قال ابن عباس هذا في اقوام كانوا مومنين تخلفوا عن غزوة تبوك لا على اعتقاد
الخلاف لكن حبرهم الاستعداد الى ان فاتهم اللحوق بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
منهم ذنبا لا نفاقا فندموا على ذلك واعترفوا فتاب الله عليهم وروي انهم كانوا ثمانية نفر
وقال الضحاك سبعة وقال قتادة تسعة منهم ابو لبابة الانصاري وهو من افاضل الصحابة
وروى حيان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانوا ثلثة ابو لبابة بن عبد
المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجه
الى تبوك فلما بلغهم ما نزل فيمن تخلف عن رسول الله عليه السلام ايقنوا بالهلاك
فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو الذي يحلهم وقال رسول الله وانا اقسم ان لا اكون اول من حلهم الا ان
اومر فيهم بامر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عسى من الله
واجبة فقام اليهم فحلهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم باموالهم فقالوا هذه اموالنا
التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا قال ما امرت فيها بامر فنزل خذ من اموالهم
صدقة وقال ذكر انهم ستة وفيهم جد بن قيس واوس بن حزام وثعلبة بن وديعة
وعامر كلهم من الانصار وقال الزهري ربط ابو لبابة نفسه بسارية
وحلف لا يحل نفسه ولا يذوق طعاما ولا شرابا حتى يموت او يتوب الله عليه فمكث

سبعا كذلك حتى غشي عليه ثم تاب الله عليه وحله النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله
صدقة الى الله ورسوله فقال عليه السلام يجزيك الثلث وقال سعيد بن
جبير ومن اصحاب ابي لبابة مرداس وكردم وابو قيس وقال الحسن هم ابو لبابة
مروان بن عبد المنذر واوس بن حزام ووديعة بن ثعلبة وكان سبب تخلفهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم خرج غداة يوم الخميس وكان قدم فقرا الصحابة وكان الاغنياء
والاقوياء مع رسول الله وقال ابو لبابة واصحابه نمكث اليوم ونلحق بهم فلما امسوا
ثقل عليهم الشيطان الخروج وكذا من قصر في الطاعة قليلا سهل الشيطان كثيرا
فقالوا نخرج سحرا فغلبهم النوم فلما اصبحوا خافوا ان خرجوا فلا يلحقوا بهم ان يهيجهم في الطريق
اعدا فقالوا نخرج في الليلة القابلة فلما امسوا قالوا نحن بعد وعثا فلا يمكننا لحوقهم فقعدوا
وقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا يقال خلطت الشيء بالشيء اذا امتزجا وخلطت
الما باللبن وخلطت الدراهم والدنانير وقال الكلبي خلطوا عملا صالحا التوبة واخر
سيئا تقاعدهم عن القتال وقال الحسن خلطوا عملا صالحا مثل هذا خروجهم الى الجهاد
معك واخر سيئا تخلفهم عن تبوك وقيل خرجوا مرة وقعدوا مرة وقوله عسى الله ان يتوب
عليهم قال الكلبي عسى من الله واجب وقوله تعالى ان الله غفور رحيم هذا ظاهر وقال
بعض العلما المسيء منا الى المخلوق اذا خافه ولم يخلصه من ذلك الا شيئان الانكار
والفرار والمسيء في حق الله تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والقرار قال قايلهم
اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا ٭ واعلم بان جحود الذنب ذنبان ٭
وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة قد روينا ان ابا لبابة واصحابه لما تاب الله عليهم
جاووا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتصدق بها كفارة لذنوبهم وشكرا
لما انعم الله عليهم من قبول التوبة فقال عليه السلام لم اومر فيها بامر فنزلت الاية ومن
للتبعيض وقد روينا انه اخذ الثلث وقوله تعالى تطهرهم الخطاب للنبي عليه السلام
اي تطهر نفوسهم من الذنوب بها وقوله تعالى وتزكيهم بها اي تحصل لهم الثناء
الحسن والرفعة بها والاضافة الى النبي عليه السلام بطريق التسبيب وقال الامام
ابو منصور اي تطهرهم من الاثام وتزكي من البخل والمنع واخلاق اللئام قال
القشيري اي تطهرهم من طلب الاعواض عليها وتزكيهم عن ملاحظتهم اياها تطهرهم
عن شح نفوسهم وتزكيهم بان لا يتكبروا باموالهم يتعززون بالتجرد عنها ويرون عظيم

منه الله عليهم بوحدانيه التجرد منها ثم اختلفوا في هذه الصدقة ما هي قيل صدقة نفل
والكلام مبتدأ غير مرتبط بشي وقيل هي صدقة حث النبي عليه السلام عليها يوم
الخروج الي تبوك وهو ما قلنا في قوله الذين يلمزون المطوعين من المومنين في
الصدقات فيرتبط هذا بذلك والايات نزلت في هذه القصه وقيل هي صدقة ابي
لبابة والمتخلفين والاية تتصل بالاية التي قبلها وقيل هي الزكوة ويدل عليه ما روينا
في قصة ثعلبة في قوله ومنهم من عاهد الله ان هذه الاية لما نزلت بعث النبي
صلى الله عليه وسلم المصدقين الي ثعلبة وغيره **وقوله** تعالى وصل عليهم اي ادع
لهم واستغفر لهم **وقوله** تعالى ان صلواتك سكن لهم قرا عاصم في رواية على التوحيد
والباقون صلواتك على الجمع **وقوله** تعالى انه سميع عليم اي سميع دعاك عليم
بصدق شفقتك وقيل سميع لما اظهروه لك من التوبة عليم بصدق نياتهم فيه ومعنى
السكن طمانينة القلب وقيل كان اذا اتى رجل بصدقة وهو مخلص دعا له واذا اتى
بها منافق لم يدع له وكان اذا دعي لمن اتى بالصدقة يسكن قلبه الي انه مخلص
وقيل لان المومن يسكن قلبه بدعا النبي عليه السلام لعلمه انه يستجاب له فيه
وقوله تعالى الم يعلموا يجوز ان يكون هذا الاستفهام بمعنى الاثبات ويجوز ان
يكون بمعنى الامر كما في قوله الا تعاتلون **وقوله** تعالى ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده اي عن عباده كلهم اذا اخلصوا وياخذ الصدقات اي يقبلها ويثيب
عليها وقيل جعل اخذ النبي عليه السلام اخذا له تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد
روي ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تقع في يد السائل فيربيها كما يربي
احدكم فلوه وهذا ترغيب للعباد في فعلها وبيان انه قابلها والمثيب عليها والمكثر
قليلها **وقوله** تعالى ان الله هو التواب اي الكثير قبول التوبة الرحيم برفع العقوبة
وهذا عقيب قوله انه قبل توبتهم ورضي صدقتهم **وقوله** تعالى وقل اعملوا اي قل
هولاء التائبين اعملوا الطاعات فيكمل بعد قبوله التوبة واخذ الصدقة فسيرى
الله عملكم فيثيبكم عليه ورسوله والمومنون فيعلمون بصدق توبتكم فيحافظونكم
ولا يهاجرونكم كما يفعلون بالمنافقين وستردون الي عالم الغيب والشهادة
اي ترجعون في القيمة الي جزا من يعلم الباطن والظاهر فينبئكم بما كنتم تعملون يجزيكم
به ويجزيكم عليه وقيل اي لا تنظروا الي قبول الله التوبة واخذ الصدقة
فتتركوا العمل بل اعملوا ما عشتم وقيل اي اصلحوا اعمالكم في المستانف واحذروا العود

الي

الي مثل ما كان منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين يراعون اعمالكم ولا يخفى
عليه ثباتكم على التوبة او زوالكم عنها والله لا يخفى عليه سرايركم وهو ينبيكم باعمالكم
ويجزيكم عليها وهو ترغيب وترهيب وقيل هو خطاب للمنافقين ووعيد لهم
وقيل هو خطاب للمومنين وقيل اعملوا فسيرى الله عملكم فيثيبكم ورسوله فيثيبكم
بشهادته ويزكيكم والمومنون فيشهدون لكم بالخير وروى الامام ابو منصور ان
النبي عليه السلام مر بجنازة فاثني عليها فقال عليه السلام وجبت فقيل يا رسول الله ما
وجبت قال الملايكة شهدا الله في السما وانتم شهدا الله في الارض فاذا شهدتم وجبت ثم
قرا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية قال وفيه دلالة ان اجماع الامة حجة وقال
القشيري خوفهم برويته سبحانه اعمالهم فلما علم ان فيهم من يتقاصر حالته عن الاحتشام لاطلاع
الحق قال ورسوله ثم قال لما نزلت رتبته والمومنون وقد حسر من لا يستحي من الحيا وسقط
من عين الله من هتك جلباب الحيا وقال عليه السلام ان مما ادرك الناس من كلام النبوة
اذا لم تستحي فاصنع ما شيت قال الشاعر اذا قل ما الوجه قل حياوه ولا خير في
وجه اذا قل ماوه **وقوله** تعالى واخرون مرجون لامر الله قري بالهمز وغير الهمز
ومعناه مؤخرون موقوفون الي ان يظهر امر الله فيهم **وقوله** تعالى اما يعذبهم
واما يتوب عليهم والله عليم حكيم قيل الارجا كان من الله د فكانت طايفة تقول ان
الله يتوب عليهم كما تاب على ابي لبابة واشكاله وطايفة تقول ان الله يعذبهم ويرد
توبتهم ويمنع الناس من مكالمتهم ويفرق بينهم وبين نسايهم او يامر بقتلهم او نفيهم فنزل
كان ص القران بقبول توبتهم بقوله وعلى الثلثة الذين خلفوا وقيل الارجا ان الله اذا خفي امرهم
مدة ثم بين توبتهم على اجمل الوجوه حيث قرن توبتهم بتوبته على النبي عليه السلام
والمهاجرين والانصار على ما نذكر في تلك الاية قال ابن عباس واخرون مرجون
لامر الله موخرون لامر الله ليقضي فيهم ما هو قاض وهم ثلثة نفر كعب بن مالك من بني
سلمة وهلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع الزبيدي وكانوا تخلفوا عن غزوة
تبوك وفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه وكانوا مرجين لامر الله لا يتولاهم اصحاب
رسول الله ولا يتبرون منهم حتى نزلت وعلى الثلثة الذين خلفوا وكانوا لم يوثقوا
انفسهم بالسواري ولم يذروا اتاب عليهم ام يعذبون وقال الضحاك
كانوا من افاضل الصحابة مياسير ولم يتبع لهم العذر كما استعد لابي لبابة واصحابه لانهم
لم يبالغوا في التنصل والاعتذار كما فعل ابو لبابة فاخرهم وقال ابن عباس

فوقفهم النبي عليه السلام خمسين ليلةً ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم وامرناهم
بالاعتزال منهم حتى شفهم القلق ونهكهم الحزن وضاقت عليهم انفسهم له عراض
الناس عنهم واعتزال الاهل والولد منهم وكانوا ممن شهدوا بدرًا فتاب الله عليهم بعد
خمسين ليلة **وقوله** تعالى والذين اتخذوا مسجدًا ضرارا وكفرا ذكر جماعة وانهم
طايفة من المنافقين بالمدينة كانوا مقيمين بقرب قبا بنوا مسجدًا يعارضون به
مسجد النبي عليه السلام بقبا وكانوا اثني عشر رجلا كلهم من الاوس والخزرج حزام
بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن
حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية ويزيد بن جارية ونبتل بن الحارث
ويخرج بن الضبعي وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت وكانوا اتوا رسول
الله عليه السلام وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة وليلة المطر والليلة الشاتية ونحن نحب ان تاتينا
فتصلي فيه فقال اني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا اتينا كم فصلينا
فيه فلما انصرف رسول الله عليه السلام من تبوك حتى نزل بواد بينه
وبين المدينة ساعة من نهار فاتاه خبر المسجد فدعا رسول الله مالك بن
الدخشم اخا بني سليم بن عوف ومعن بن عدي او اخاه عاصم بن عدي
فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فحرقاه وهدماه
وتفرقوا وتراسلت ونزلت هذه الاية وروي انهم بنوه بكتاب ابي عامر بن
النعمان المعروف بالراهب اليهم وذلك ان ابا عامر هو الذي حزب الاحزاب
على رسول الله فلما انصرف المشركون بما انصرفوا به خرج الى الشام ليستنصر
قيصر على رسول الله فكتب الى هولاء المنافقين بامرهم ببنا المسجد واخبرهم
انه سيظهر على رسول الله واذا جا صلى في هذا المسجد فنزل قوله والذين
اتخذوا مسجدًا ضرارا اي يضادون به اهل مسجد رسول الله ولا يقصدون
به الخير **وقوله** تعالى وكفرا اي كفرا منهم بالله لانهم اتخذوه لابي عامر
المشرك وقصدوا به مخالفة الله والرسول **وقوله** تعالى وتفريقا بين المومنين
ليصلي بعضهم فيه جاهلين بالحال فيتفرق الناس عن رسول الله فلا يتعرفون
في مسجده **وقوله** تعالى وارصادا اي اعدادا وقد ارصد اي عد ورصد
اي ترقب **وقوله** تعالى لمن حارب الله ورسوله من قبل اي اعدوا المسجد

لابي عامر وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بنا هذا المسجد يعني يوم الخندق
وقوله تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي لم نقصد به الا الرفق بالضعفا
والتسهيل في الشتاء **وقوله** تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم
ان اردنا الا الحسنى وهذا المعروف بالراهب سماه النبي عليه السلام الفاسق
وكان يترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جيت به قال جيت بالحنيفية
دين ابرهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها
قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما فعلته ولكن جيت بها بيضا نقية فقال ابو عامر اماتنا الله الكاذب
طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني خارج ذاهب الى قيصر فاتي
بجند يخرج محمدا واصحابه فمات الفاسق بالشام طريدا وحيدا كما دعا وابنه
حنظلة غسيل الملايكة استشهد يوم احد وقال الحسن لما اتمتر
هولا من النبي عليه السلام ان ياتي مسجدهم فيصلي فيه جعل ينتظر الوحي
فجعل لا ياتيهم واوليك لا ياتونه يفعلون بالصلوة في مسجدهم فلما طال ذلك
دعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فبينا هو يزره عليه اذا بجبريل نزل **وقوله**
لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم اي لا
تقم في مسجد الضرار للصلوة ما عشت وهو كقوله عليه السلام من صام
رمضان وقامه **وقوله** تعالى لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد
رسول الله بالمدينة استرلحا بذاته واظهار معالم شريعته النبي لا يقوم
بها الامن اتقى الله قال ابو سعيد الخدري وابي بن كعب قال النبي عليه
السلام هو مسجدي هذا **وقوله** تعالى من اول يوم اي اول الايام اذا
مرت يوما يوما كما تقول اعطيت كل رجل في الدار اي كل الرجال
رجلا رجلا **وقوله** تعالى احق ان تقوم فيه للصلوة من مسجد اسس
على غير التقوى بل ضرارا وكفرا وتفريقا وارصادا وذاك ليس كذلك فكيف
يكون هذا احق قلنا هو مبالغة ومعناه لو كان ذاك حقا ومعناه لو كان
ذاك حقا فهذا احق فكيف وذاك باطل وقيل هو مسجد قباء **وقوله**

تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي مخلصون يحبون ان يصلوا لله متطهرين
بابلغ الطهارة لا كاهل مسجد الضرار الذين يصلون صورة لا حقيقة وهم
متدنسون بالنفاق وقيل هذا التطهر هو التطهر عن الذنوب بالاخلاص لله
تعالى وعن جابر وانس وجماعة انه لما نزلت الاية لما نزلت دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل مسجد قبا فقال ان الله قد اثنى عليكم بطهوركم فما طهوركم قالوا نستنجي
بالماء فقال فعليكموه وقال عطا كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون
الليل على الجنابة وقوله تعالى والله يحب المطهرين اي يحب هولا ومن فعل
مثل فعلهم وقال يزيد بن سمرة اتت الحمى رسول الله عليه السلام في صورة
جارية سودا فقال رسول الله من انت قالت انا ام ملدم انشف الدم واكل
اللحم واصفر الوجه وارق العظم فقال النبي عليه السلام اذهبي فاقصدي
الانصار فان لهم علينا حقوقا فحم الانصار فلما كان من الغد قال ما لي لا ارى
الانصار قال حموا عن اخرهم فقالوا قوموا بنا نعدهم فعادهم وجعل يقول
ابشروا فانها كفارة وطهور فقالوا يا رسول الله فادع الله تعالى ان يديمها
علينا ايامًا حتى تكون كفارة لذنوبنا فانزل الله يثني عليهم فيه رجال يحبون
ان يتطهروا بالحمى عن معاصيهم والله يحب المطهرين وقال مقاتل امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الضرار بعدما هدم واحرق ان
يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف وقال الامام ابو منصور في هذه الاية
دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم
من الضرار والكفر والتفريق بين المومنين فاطلع الله نبيه على ما اسروا
فعلم انه انما عرف ذلك بالله وكذا قال في قوله تعالى والله يشهد انهم
لكاذبون وكذا قال في كثير من ايات هذه السورة فيما يرجع الى اضمارهم
السو في حق النبي عليه السلام واصحابه وقال القشيري فيه
رجال يحبون ان يتطهروا يتطهرون عن وضر المعاصي وذلك سمة التائبين
ويتطهرون عن الشهوات والاماني وذلك صفة الزاهدين ويتطهرون
عن محبة المخلوقين ثم عن شهود انفسهم فيما به يتصفون وذلك صفة
المحبين والله يحب المتطهرين باثارهم عن مساكنة المخلوقين وملاحظة
المسبوقين وقوله تعالى امن اسس بنيانه قرا نافع وابن عامر على ما لم

يسم فاعله وقرا الباقون على الفعل التام وبنيانه بالنصب على انه مفعول والالف
استفهام بمعنى الانكار والبنيان البنا وقوله تعالى على تقوى من الله ورضوان
حذف تنوينه لانه على وزن فعلى واصله وقوى وقوله تعالى هو على التفضيل
وشر كذلك وانما لم يدخل فيه الف افعل لان الخير والشر فيهما اشتراك فقد
يراد بهما الاسم بدون التفضيل وقوله تعالى ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار الشفا الطرف والجرف الوادي الذي يتجرف بالما اصله فيبقى واهيا وهو
من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشي من اصله والهار الساقط الواقع
الذي يتداعى بعضه في اثر بعض كما ينهال الرمل الرقيق والشي الرخو
قاله قطرب وقال ابو عبيدة اي رخو رثيع الانهدام ورجل هار اي ضعيف
وقد هار يهور هورًا اي انصدع بالهدم فهو هاير وانما قيل ههنا هار
لانه قلب فصار هار في مكان هاير كما يقال عاق يعوق ثم يقال في النعت
عاق على القلب قال الشاعر ۔ ولو اني رميتك من بعيد ۔ لعاقك من دعا الذيب
عاقي ۔ ويقال ايضا هار يهار فهو هار على التوقع وتقديره هور كما يقال
رجل مال اي متمول وتقديره مول وعلى هذا لا قلب وقوله تعالى
فانهار به في نار جهنم اي تساقط وتناثر به اي بصاحبه فسقط معا فيها
والبا للتعدية والاتصال ومعنى الاية اي الفريقين اولى بالخيرية من اسس
بناه على النفاق والشقاق والكفر والتفريق وانتظار الكفار ان ياتوه
فيقصدوا به كيد المسلمين وتدبروا في الاحتيال لتوهين الدين فلا
يلبث احتيالهم ان يبطل وظنونهم ان تخيب فينهدم البناوبهار الاساس
ثم تكون عاقبة اهله دخول جهنم ولم يقل هو في نار جهنم لمحال لانه ما دام
حيًا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها وقوله تعالى والله لا يهدي
القوم الظالمين اي لا يهديهم للرشد ولما يتم به تدبيرهم الفاسد كما قال
لا يهدي كيد الخاينين ولا يوفقهم ليجز عقوبة لهم على نفاقهم وقال
محمد بن اسحق ان الذي كان يامر في ذلك المسجد مجمع بن جارية فلما انزل في
شانه ما انزل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه وفرقت تلك الجماعة
وذهب من كان يصلي من بني عمرو بن عوف في مسجدهم الذي بنا
ذلك رسول الله بقبا كلم بنو عمرو بن عوف عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن

ليأذن لمجمع بن جارية فيأمّهم في مسجدهم فقال ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار
فقال له مجمع يا امير المومنين لا تعجل عليّ فوالله لقد صليت فيهم والله اني لا اعلم
ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلامًا قارئًا للقران وكانوا
شيوخًا ولم اعلم ما في انفسهم وكانوا لا يقرون من القران شيئًا فصليت ولا احسب
ما صنعوا شيئًا الا اني قلت يتقربون الى الله فعذره وصدقه وامره بالصلوة
لقومه **وقوله** تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي شكًا وشبهة
اي كان القي اليهم ابو عامر انه ياتي مسجدهم فيصلي فيه ويكون له ولهم الظهور على
المسلمين فلا يزال ذلك في قلوبهم **وقوله** تعالى الا ان تقطع قلوبهم قرا ابن عامر
وحمزة وعاصم في رواية حفص بفتح التاء واصله تتقطع فحذف احديهما تخفيفًا
وقرا الباقون بضمها وهو ما لم يسم فاعله من التقطيع وقال ابن عباس
هو الموت وقال عكرمة هو في القبر وقال المبرد تقطع القلب تشققه
وانصداعه ولا تقامع ذلك وهو كقوله لقطعنا منه الوتين وهو نياط القلب
والحيوة تنقطع عند انقطاعه وهذا اخبار بموتهم على نفاقهم واصرارهم عليه حال
حيوتهم وقيل معناه ان خطاهم وضلالهم فيما قصدوه ببناء هذا المسجد لا يزول عنهم
الا ان يموتوا فيستيقنوا بالموت لانه حال زوال الشكوك وقال المبرد اي لا
يزال هدم بنيانهم غيظًا في قلوبهم الى الموت قال الشاعر • قضينا من تهامة
كل ريب • وخيبر ثم اجممنا السيوفا • وقال الامام ابو منصور قال بعضهم
ريبة اي حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا **وقوله** تعالى والله عليم اي
بضماير العباد حكيم في التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد **وقوله** تعالى ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بدا السورة بالبراة من الكافرين ثم بالامر
بقتال المشركين ثم بالحث على الخروج الى الغزو وعظيم ما خلف فيه احوال المنافقين
وذم فيه المتخلفين ثم مدح في هذه الاية المجاهدين وذكر كرامتهم يوم الدين
فقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اخبر عز وجل
بانه تاجر عباده المومنين على ابدانهم واموالهم بما اعد لهم من جنات النعيم عنده
مع ان الاسباب كلها ملكه لطفًا منه بعباده كما قال هل ادلكم على تجارة تنجيكم
وهو كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا **وقوله** تعالى يقاتلون في
سبيل الله اي يبذلون انفسهم واموالهم في طاعة الله والجهاد لاعدايه على اعلاء

كلمة

كلمته فيقتلون ويقتلون اي تارة هم يقتلون العدو وتارة يقتلهم العدو فاذا فعلوا
ذلك فقد سلموا ما باعوا واستحقوا ابو عبد الله ثمن ما اعطوا وهو الجنة وهذا استعارة
من الكلام تشبيهًا بالبيع المعروف الذي حقيقته اعطاء شي واخذ شي بدلا عنه وقرا
حمزة والكساي فيقتلون بضم اليا على ما لم يسم فاعله ويقتلون على عكسه على الفعل الظاهر
وهذا ادل على ثبات قلوبهم وجرأتهم على عدوهم وانهم لم ينكسروا لما جرى على بعضهم
كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية **وقوله** تعالى وعدًا
عليه حقا في التورية والانجيل والقران وعدا نصب على الحال من قوله بان لهم الجنة او معناه
يوعد عليه حق فينصب بنزع الخافض ومعناه عهدًا عليه لازمًا وجبه الى انبيايه
واثبته في كتبه **وقوله** تعالى ومن اوفى بعهده من الله استفهام بمعنى النفي وهو بيان
ان المراد من الوعد المذكور قبله هو العهد وقيل بل المراد من هذا العهد هو الوعد وهو
بيان ان الشرا ليس على حقيقته وهو مبادلة صورة ومواعدة معنى **وقوله**
تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فافرحوا به فانكم تبيعون فانيا بباق
وتاخذون ثمنا من مشتر هو المالك بمبيع هو ملكه وحقه ثم لا يخرجا عن ايديكم بهذا
البيع الا حيوة منغصة فانية ومال تافه تتغاضون منها حياة مهناة دايمة
ونعيما في جنان الخلد باقية **وقوله** تعالى وذلك هو الفوز العظيم وهذا الشرا
على هذا الوجه لكم فيه ربح عظيم وروي عن عبد الله بن رواحة انه قال يا رسول الله
اشترط لربك ولنفسك علينا ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به
شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون به انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك
فما لنا قال الجنة قال ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الاية وقال
الحسن مر اعرابي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية فقال كلام من هذا قال
كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
وقال جعفر الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد
الاصمعي لجعفر الصادق • اثامن بالنفس النفيسة ربها • فليس لها في الخلق كلهم ثمن
• بها تشترى الجنات ان انا بعتها • بشي سواها ان ذلك غبن •
• اذا ذهبت نفسي بدنيا اصبتها • فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن •
وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الانبيا يا بني ادم ما خلقتكم لاربح عليكم انما خلقتكم
لتربحوا علي وفي التورية الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فان ربحتم

فلكم وان خسرتم فعلي وقال القشيري البايع لايستحق الثمن اذا امتنع عن تسليم المبيع
فكذلك لايستحق العبد الجزا الموعود الا بعد تسليم النفس والمال علي موجب وامر
الشرع ويقال لايكون في الشرع البايع والمشتري واحدا فيتولي طرفي العقد الا الاب
والجد لفرط شفقتهما وكمال نظرهما ولما كانت رحمة الله بالعبد اتم ونظره له ابلغ وكان
سبحانه اولي بالمومن منه بنفسه تولي العقد عنه عليه وقيل علم الله سوء خلقك
فاشتراك قبل ان اوجدك وغالي بثمنك لئلا يكون لك حق الاعتراض عند بلوغك
ويقال لايصح للمومن ان يتعصب لنفسه بحال لانها ليست له ومشتريها اولي بها
من صاحبها الذي يواجبني عنها وحكي عن الجنيد انه مرض مرضا فدعا الله ان
يشفيه فنودي في السر يا فضولي لم تدخل بيني وبين نفسك اما علمت ان تفسك لي
انصرف عنها كيف شيت وقيل اخبر انه اشتراها لئلا يدعي العبد فيها ولا يساكنها ولا
يلاحظها ولا يعجب بها وانما قال انفسهم ولم يقل قلوبهم لانها فيها فلا دخلت في الحكم معها
وقيل ذكر النفوس والاموال وجعل الجزا عليها الجنة فاما القلوب فعطاوها رؤيته جل جلاله
وقيل ذكر شرا النفوس والاموال لانها معيبة ولا يتبع المشترون في شرا المعيب فاشتري
بعد ذلك بكرمه تروعا لما اكسد علي العبد امتنانا عليه وقيل اشتري النفوس منهم بالثمن
فوهبوا له القلوب شكرا لذلك وقيل القلوب ليست في ايديهم فلا يقدرون علي تسليمها ولا
يشتري ما لا يمكن تسليمه كالطير في الهوا والسمك في الما وقال ابو علي
الدقاق القلوب موقوفة علي محبة الله والوقف لا يشتري وقال في قوله فاستبشروا
ببيعكم ولم يقل بثمن مبيعكم ليعلم ان الاستبشار بزوال الانفس والاموال عن حكمهم
وخلاصهم عن لغاتها وقوله تعالي التايبون وفي مصحف عبد الله التايبين نعتا للمؤمنين
المومنين فاما الرفع فلوجوه احدها هم التايبون والثاني فيقتلون ويقتلون
ولذلك ضمير وهذا بدل ذلك الضمير والثالث هو مبتدا وخبره مضمر في اخره
لهم الجنة وكذا ما بعده فوجوهه ما بينا ولما مدحهم وزكاهم بما كان منهم ذكر خصالهم
التي هي صفات المتحققين بالايمان ولذلك ختم بالايمان بقوله وبشر المومنين كما
افتتح به بقوله اشتري من المومنين وقال ابن عباس هذه الصفات بما شرطه
الله علي اهل الجهاد اذا وفوا الله بشرطه وفي لهم بشرطهم وقال الحسن هذه اعمالهم قبل
الجهاد وعنه في رواية قال علي هذا الشرط اشتري منهم واما تفسير التايبين
فقد قال قتادة وعطا التايبون من الشرك ثم لم ينافقوا في الاسلام وقيل الراجعون

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

عن المعاصي وقال القشيري التايبون اصناف فمن راجع يرجع من زلته الي طاعته
ومن راجع يرجع عن متابعة هواه الي موافقة رضاه ومن راجع يرجع عن شهود
نفسه الي شهود لطفه ومن راجع يرجع عن الاحسان بنفسه وانابته الي
الاستغراق في حقايق حقه وقوله تعالي العابدون بمحل العبادة والعبودية وقال
الكلبي اي المطيعون المخلصون وقال عطا الموحدون وقال الحسن الذين
عبدوا الله باتباع امره وانزجروا علي من دونه وقال القشيري العابدون الخاضعون
لله بكل وجه الذين لا تسترقهم كرايم الدنيا ولا تستعبدهم عظايم العقبي ولا يكون العبد
عبد الله علي الحقيقة الا بعد تحرره علي كل حادث وقوله تعالي الحامدون
اي المثنون عليه بالاية الشاكرون له علي نعمايه المادحون له بصفاته واسمايه
وقال القشيري الحامدون هم الذين لا اعتراض لهم علي ما يحصل بتقديره ولا
انقباض لهم عما يجب من طاعته وقيل هم الذين يحمدونه علي منعه وبلايه كما
يحمدونه علي صنعه وعطايه وقوله تعالي السايحون اي الصايمون قالت
عايشة قال النبي صلي الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام وقال سفيان
بن عيينة انما قيل للصايم سايح لانه تارك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح
كمن يسيح في الارض اي يسير فيها وقيل هم طلاب العلم الراحلون فيه وقال
القشيري هم الصايمون عن شهود غير الله المتنقون عن خدمة غير الله المكتفون
من الله بالله وقيل السايحون السايرون في الارض علي وجه الاعتبار طلبا للاستبصار
الذاهبون بقلوبهم في مشارق الارض ومغاربها بالتفكر في جوانبها والاستدلال
باياتها علي خلقها والجايلون باسرارهم في الملكوت فيجدون روح الوصال
ويعيشون بنسيم الانس بالتحقق بشهود ذي الجلال وقوله تعالي الراكعون
الساجدون اي المحافظون علي الصلوات فرضها ونفلها تذللا لله وخضوعا
وقال عطا الراكعون الساجدون بنية صادقة بلا ريا ولا سمعة وقال
القشيري الراكعون الخاضعون لله في جميع الاحوال بخمودهم تحت سلطان
التجلي وفي الخبر ان الله تعالي اذا تجلي لشي خشع له والساجدون بنفوسهم
في الظاهر علي بساط العبودية وبقلوبهم في الباطن عند شهود الربوبية وقوله
تعالي الامرون بالمعروف اي بالايمان والطاعة الناهون عن المنكر اي الكفر
والمعصية وقال بشار بن عبد الله الامرون بالمعروف اي باقامته

السنة والجماعة والناهون عن المنكر اي عن الهوى والبدعة وقال القشيري
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم الذين يدعون الخلق الى الله ويحذرونهم
عن غير الله يتواصون بالاقبال على الله وترك الاشتغال بغير الله وفي زيادة الواو
في قوله والناهون اقاويل قيل الواو تدخل للمبالغة في المدح للنعوت واحدا
كان او جماعة قال تعالى وسيدا وحصورا ونبيا وقيل لان الامر والنهي متقابلان والمعروف
والمنكر كذلك فكانا كالمتغايرين فادخل بينهما حرف العطف كما في قوله ثيبات
وابكارا وقوله وثامنهم كلبهم وقوله وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية ولا اصل لهذا
القول عند المحققين فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك ولا الاستعمال على الاطراد
كذلك قال تعالى الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر بغير واو وقال
ولا تطع كل حلاف مهين الاية بغير واو وفي الثامن وقوله تعالى والحافظون
لحدود الله قال الحسن هم اهل الوفا ببيعة الله وقيل حدود الله اوامره ونواهيه قال تعالى
تلك حدود الله فلا تعتدوها تلك حدود الله فلا تقربوها قيل هي معالم الشرع وقال
القشيري هم الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون اذا حركهم ويسكنون اذا سكنهم
ويحفظون مع الله انفاسهم وقوله تعالى وبشر المومنين اي الذين بايعهم الله ليستبشروا
قال بنفسه فاستبشروا وقال لنبيه وبشر ليتضاعف الاستبشار وقيل اي وبشر المومنين
من المجاهدين وغيرهم لان خص المجاهدين بقوله فاستبشروا اسكن قلوب القاعدين
بعذر بقوله وبشر لئلا يقنطوا وقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم واتصالها بما
قبلها انها حث للنبي والمومنين على قطع موالاة المشركين احيايهم وامواتهم قريبهم
وبعيدهم تاكيدا لما امرهم به من الجهاد اذ لا يتهيا ذلك مع الاقارب خصوصا
الا بقطع الموالاة والوداد وما كان تاكيد نفي كما في قوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها ما كان لله ان يتخذ من ولد وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وما
كان لنا ان نشرك بالله من شيء وما كنا سارقين وتقديره يتعد من اخلاقهم
ان يسالوا الله مغفرة المشركين وان كانوا اقرباهم بعد ان عرفوا انهم اعدا الله
والمستوجبون سخط الله والمستحقون عذاب الله وقال بعض اهل
التفسير من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي ظهر لهم شركهم فقد قال ان الله لا يغفر
ان يشرك به وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك اي بعدما

ماتوا على شركهم فقد انقطع رجاء صبرهم وذهبتم اهلا للمغفرة وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له تستغفر
لابويك وهما مشركان فقال اليس قد استغفر ابرهيم لابيه وهو مشرك فذكرت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقال الحسن اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقيل له ان فلانا يستغفر لابايه وهم مشركون فقال ونحن نستغفر
لهم فنزلت هذه الاية فامسكوا عن الاستغفار وقال سعيد بن المسيب لما حضرت
ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد
الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقالا يا
ابا طالب ترغب عن ملة ابيك فلم يزالا به حتى قال اخر ما كلمهم به هو على ملة عبد
المطلب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده باكيا وقال لاستغفرن
لك ما لم انه عنه فنزلت الاية وذكر الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر امه
في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما قام عند قبرها فاذا هو بجبريل فوضع
يده على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الاية فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبكى المسلمون فما رؤي يوما اشد بكاء اكثر من يومئذ وقال الامام ابو
منصور لا يصح حديث استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لعمه وامه وقد علم بكفرهما
وموتهما عليه ولا يخفى عليه ان الله لا يغفر للمشرك اذ في العقل والحكمة تعذيب
الكافر ابدا وان لا يغفر له اذ في ذلك تسوية بين الولي والعدو وهو ليس بحكمة
وجاز ان يكون استغفر للمنافقين قبل ان يتبين له نفاقهم فلما تبين له ذلك
كف عنه والاستغفار للمشركين حال حيوتهم يجوز على معنى سوال الاسلام له والمغفرة
بسببه فاما مع قيام الكفر فلا وقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه قيل لما رد النبي عن استغفار المشركين قال الناس
ان ابرهيم استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الاية ومعناها ولم يكن سوال
ابرهيم الله ان يغفر لابيه الا عن سبب انه كان وعد لابيه ذلك بقوله سلام
عليك ساستغفر لك ربي فوفى بذلك الوعد وسال الله ان يغفر له ومعناه
ان يهديه للاسلام ويجعله اهلا للمغفرة ويغفر له بعد اسلامه وهو كقول هود عليه
السلام لقومه واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكقول نوح عليه السلام لقومه
واستغفروا ربكم انه كان غفارا اليس هذا بامرهم ان يقولوا نستغفر الله ونكرهها

امر بالاسلام ليصيروا من اهل المغفرة فيغفر لهم وكذا قول ابي ابرهيم واغفر لابي
اي اعطه السبب الذي به تغفر له وهو التوحيد وعلى هذا القول يكون قوله وعد
خبرا عن فعل ابرهيم وقوله اياه كناية عن ابيه وقال بعض المفسرين بل قوله وعد خبر
عن فعل والد ابرهيم انه وعد ابرهيم وقوله اياه كناية عن ابرهيم وتلك المواعدة انه
كان قال لابرهيم اني اسلم وقت كذا فكان يستغفر له ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة
له بعد ما اسلم او سؤاله اعطاء الاسلام الذي به يغفر له وقيل كانت المواعدة موقتة فانتهى
ابرهيم الى ذلك الوقت فظن انه اسلم فاستغفر له مطلقا ولذلك قال انه كان من الضالين
اي قبل هذا كما قال سبحانك اني كنت من الظالمين اي قبل التوبة فلما ظهر له انه لم
يسلم تبرا منه وعلى القول الاول فلما تبين له انه عدو لله اي لما مات على الكفر تبرا منه وهذه
الجملة حاصل كلام الامام ابي منصور ثم اورد سؤالا على قوله قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لما استثنى هذا من الاقتداء علم انه لا يجوز
وسؤال الهداية للكافر والمغفرة بعدها جائز فما معناه واجاب ان معناه حتى
يعلم المراد من استغفاره اي اذا وقع عند السامع انه سؤال المغفرة مطلقا لا على
الوجه الذي قلنا فما ينبغي له ان يفعله مقتديا به في ظاهر الاستغفار **وقوله** تعالى
ان ابرهيم لاواه حليم اي دعا كثير البكاء وهو في اللغة المتاوه وهو المتوجع والمتحزن
قال المثقب العبدي • اذا ما قمت ارحلها بليل • تاوه اهة الرجل الحزين •
اصله تاوه بتاءين وقال ابن عباس الاواه التواب وقال ابن مسعود الدعا
وقال الحسن وقتادة الرحيم وقال مجاهد الموقن وقال كعب القايل اه عند
ذكر النار وقيل المومن وفي التاويلات عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاواه
فقال الدعا الخاشع المتضرع وفيها عن ابن عباس الاواه المومن وقيل الاواه
الفقيه الموفق وفيها قيل المسبح وقال في الحليم هو الذي لا يغضب ولا يسفه عند
سفه السفيه وقيل الحليم ههنا ان جهل الكافر لم يمنعه عن الدعا الى الله وعن الموعظة
الجميلة التي يرجوا بها الحمل على الاسلام وذلك مثل ما ذكر في سورة مريم في مخاطبة
ابيه في ايات **وقوله** تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين
لهم ما يتقون قال مجاهد ان الله لا يحكم بضلالكم عن الحق باستغفاركم للمشركين
الا بعد ان يبين لكم انكم منهيون عنه وقال الكلبي لما انزل الله الفرايض
فعلها الناس ثم جاء ما نسخها من القران وقد غاب ناس وهم يعملون بالامر الاول

من القبلة والخمر واشباه ذلك سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فانزل الله هذه الاية قال الكلبي ويقال وما كان الله ليبطل عمل قوم
قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ ونظيره وما كان الله ليضيع ايمانكم
وقوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية وقال الضحاك
وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون وما يذرون والاضلال
الاهلاك يقال ضل الما في اللبن وقال ابو روق وما كان الله ليترك قوما في
الضلال وان عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم ما نسخ من القران ثم يعملون به
بعد ذلك **وقوله** تعالى ان الله بكل شيء عليم بما ظاهر **وقوله** تعالى ان الله له
ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يتصل
بما مر من الحث على الجهاد ان له الخلق كله يتصرف فيهم كيف يشاء ويقضي فامضوا
على نيتكم ولا يهولنكم كثرة الاعدا وتوكلوا علي واوفوا لما بايعتم امركم
فان لم توفوا يا خذلتكم ثم لا يكون لكم ولي ولا نصير وعلى قول من حمل الاول
على النسخ فوجه الانتظام انه له ان ينسخ حكما بحكم وامر بحكم في اهل
السموات والارض بما يشا وقال القشيري ان الله له ملك السموات
والارض وهو لا يتجمل بوجود مملوكاته ولا يلحقه نقص بعدم مخلوقاته يحيي
من يشا بعرفانه ويميت من يشا بكفره وطغيانه يحيي من اقبل بتضرعه ويميت
من اعرض عنه بترفعه **وقوله** تعالى لقد تاب الله على النبي الاية قال ابن عباس
ولما نزلت هذه السورة وفي ابانها بيان معاملات المنافقين على التفصيل
ومنهم ومنهم ظننا انه لا يبقى احد منا الا انزل فيه قران الى ان نزلت هذه
الاية وكانت السورة تدعى الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة
وقوله لقد تاب الله على النبي قال ابو عبيدة هو مفتاح كلام لا لانه هو سبب
التوبة على القوم ذكره معهم كما في قوله انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
وقال ابن عباس هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه قال الله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم والمهاجرين قال الامام ابو منصور قيل هو في حق
زلات سبقت منهم يوم احد وحين قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وقيل هو في حق هفوات كانت منهم في غزوة تبوك
هموا ان ينصرفوا في غزوة الانصراف على غزاة لشدايد اصابتهم قال ويجوز

ان يكون اراد به الادامة والاثبات على التوبة الماضية كما عرف في قوله اهدنا وقوله يا ايها الذين امنوا امنوا انه على الدوام والثبات دون الابتداء والاثبات قال ويحتمل انه على انهم حيث صبروا على ما اصابهم من الجهد والشدة كشف الله عنهم اشيا كانت مستورة عندهم وجلى لهم اغطية كانت لا تنجلي لهم من قبل فازدادوا تفويضا وتسليما ورجوعا الى ربهم فذلك توبة الله عليهم وتوبتهم الى الله تعالى ثم الجمع بين المهاجرين والانصار وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا غاية تشريف لهم وتشهير حيث اشرك بينه وبينهم في التطهير **قوله** تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي في غزوة تبوك وقد اصابهم مشقة شديدة من قلة الزاد والماء والمركب وهذا عن مجاهد وجابر وقتادة قال عبد الله بن محمد بن عقيل كان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة قيل لعمر بن الخطاب في شان العسرة فقال خرجنا مع رسول الله عليه السلام الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله عودك في الدعا خيرا فادع الله لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء ثم سكبت فملوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر وقال قتادة ذكر لنا ان الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها هذا وقال الحسن ومعمر كان الرجلان والثلثة على بعير واحد يتعاقبون وكان زادهم التمر والمخض وشيئا من شعير واهالة مسنخة وفيها كانت قصة دعائه بتمر قليل وجعله في قصعة والدعا بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلثين الفا ازوادهم والتمر بحاله وفيها كانت قصة وضعه كفيه في ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه الشريفة حتى شربوا وسقوا دوابهم وملاوا اوعيتهم **وقوله** تعالى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم قرا حمزة وعاصم في رواية حفص يزيغ بالياء للتذكير لتقدم الفعل وقرا الباقون بالتاء للتانيث بسبب الجمع كما في قوله وتطمئن قلوبنا وقوله تزيغ اي يميل قلوب فريق منهم اي جماعة ولم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم بل قال قلوب فريق منهم وهذا الزيغ يجوز ان يكون ميلا عن المضي وقصدا للرجوع ويحتمل ان يكون وقوع الاضطراب في القلوب يقول تناهى بهم العسر واشتد عليهم الامر حتى قاربوا ان تضطرب قلوب بعضهم فتداركهم الله

وكذا كان حال الانبياء واتباعهم من قبل قال تعالى حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقال ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقال هنالك ابتلي المؤمنون **وقوله** تعالى ثم تاب عليهم اي وفقهم للرجوع اليه والاعتصام به وقبل ذلك منهم **وقوله** تعالى انه بهم رءوف رحيم والجمع بين الاسمين للمبالغة والتاكيد وانما كرر ذكر التوبة لوجوه احدها ان قوله لقد تاب الله هو التوفيق للتوبة **وقوله** تعالى ثم تاب عليهم لقبولها و الاول لما سلف والثاني لما كان منهم في هذه الغزوة او الاول للكل والثاني لمن كاد يزيغ قلبه على الخصوص وقيل الاول العفو والثاني التخفيف حيث ثقل بهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحرب قاله الحسن وهو كقوله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي خفف عنكم فاسقطه عنكم وقال القشيري كذا سنة الله مع اوليائه اذا اشرفوا على العطب وقاربوا من التلف واستمكن الياس من قلوبهم من النصر ووطنوا انفسهم على ان يذوقوا اليم الباس والعسر يمطر عليهم سحائب الجود والنصر الموعود فيعيد عود الحيوة بعد يبسه طريا ويرد ورد الانس عقيب ذبوله غضا جنيا **وقوله** وعلى الثلثة الذين خلفوا اي وتاب ايضا على الثلثة الذين خلفوا قال قتادة اي خلفوا عن غزوة تبوك وقال مجاهد اي عن التوبة وقيل اي الذين خلطوا عملا صالحا كما قال واخرون مرجون لامر الله او عن المذكورين في قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار فانهم ابتهلوا ودعوا فتاب الله عليهم وللاول وجهان احدهما انه تقدمهم القوم فهم مخلفون بتقدم اولئك والثاني خلفهم اي خلق فيهم التخلف ودل ذلك على خلق الافعال **وقوله** تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي اتسعت وقد رحب رحبا بضم راء المصدر فهو رحب بفتحها من حد شرف وما مع الفعل مصدر وتقديره برحبها اي بلغ منهم الغم والتاسف مبلغا لا يجدون منه مخرجا ولا يهتدون لحيلة وهو كما قال الشاعر ، كان بلاد الله وهي عريضة ، على الخائف المطلوب كفة حابل ، **وقوله** تعالى وضاقت عليهم انفسهم اي اشتد غمهم وضيق صدورهم وحزنهم فصاروا كانهم لا يجدون موضعا يخفونها فيه **وقوله** تعالى وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي ايقنوا ان لا معتصم من الله الا بالله ولا مخلص من عقاب الله الا عفو الله وقيل كان ذلك حين كلموا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلم يجبهم بشيء وحتى اذا تقتضي جوابا وهو محذوف ههنا ومعطوف عليه ثم تاب عليهم وهو ان يقال خفف عليهم او رحمهم ونحوه ثم تاب عليهم وقيل حتى اذا كلمة غاية وتقديره خلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وعلى هذا

الوجه لا حذف فيه **وقوله** ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا **وقوله**
تعالى ان الله هو التواب الرحيم وهذا ظاهر والاية نزلت في كعب بن مالك من بني سلمة
وهلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع الزهري وذكر محمد بن اسمعيل البخاري في الجامع
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه عن جده انه قال لم اتخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا غزوة تبوك وكان من خبري اني لم
اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي
قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم
فاخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم
كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان سيخفى له
ما لم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار
والظلال وتجهز رسول الله والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع
ولم اقض شيئا فاقول في نفسي انا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى خرج رسول
الله والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيئا فقلت اتجهز بعده بيوم او يومين
ثم الحقهم فغدوت بعد ان فصلوا لاتجهز فرجعت فلم اقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت
ولم اقض شيئا فلم يزل بي حتى اسرعوا وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم
يقدر لي ذلك فكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم
احزنني اني لا ارى الا رجلا مغموصا عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفا
ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في
القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه
والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه
الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني انه
توجه قافلا حضرني همي وطفقت اتذكر الكذب واقول بما ذا اخرج من سخطه
غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله قد اظل قادما
زاح عني الباطل وعرفت اني لن اخرج منه ابدا بشيء فيه كذب فاجمعت صدقه
واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد

فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون
ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم
تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك
الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا
لرايت ان ساخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن
حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي
ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله لا والله
ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت
وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا
قبل هذا ولقد عجزت الا تكون اعتذرت الى رسول الله بما اعتذر اليه المخلفون
قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا
يؤنبونني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي احد قالوا
نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما فقالوا مرارة
بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا
بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن كلامنا المسلمين من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت
في نفسي الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا
وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد
الصلوة مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله عليه
السلام فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلوة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد
السلام علي ام لا ثم اصلي قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلوتي
اقبل الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة الناس
مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت
عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب
الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله

اعلم فقاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي بسوق المدينة اذا
نبطي من انباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن
مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان فاذا
فيه اما بعد فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا
مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قراتها وهذا ايضا من البلا فتيممت بها التنور
فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله ياتيني
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها
ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبي بمثل ذلك فقلت
لامراتي الحقي باهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال كعب فجاءت امراة
هلال بن امية رسول الله فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضايع
ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت والله ما به حركة
الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال لي بعض
اهلي والله لو استاذنت رسول الله في امراتك كما اذن لامراة هلال بن امية ان
تخدمه فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله وما يدريني ما يقول رسول الله اذا
استاذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة
من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة
وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي
نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع
باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء الفرج
واذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلوة الفجر فذهب الناس يبشروننا
وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى
على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت
له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين
فلبستهما وانطلقت الى رسول الله فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة
يقولون ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول
الله عليه السلام جالس حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني
وهناني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال

كعب فلما سلمت على رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من
السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول
الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار
وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان
من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسول الله قال رسول الله امسك عليك
بعض مالك فهو خير لك قلت فاني امسك الذي بخيبر فقلت يا رسول الله ان الله انما
نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم احدا من المسلمين
ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا
واني لارجوا ان يحفظني الله فيما بقيت وانزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي
الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام
اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك
الذين كذبوا فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد قال
سبحانه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
قال كعب وكنا تخلفنا عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم
واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال الله تعالى
وعلى الثلثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما تخليفه ايانا
وارجاوه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اي القائلين الحق العاملين به ومع الصادقين في معنى
من الصادقين او في الصادقين لان مع هو للمصاحبة وفي للوعا ومن للتبعيض واذا
في جملتهم فهم على المعاني الثلثة وقيل هذا امر للصحابة اذ اخرجوا مع رسول الله ان
يتقوا مخالفته وان يكونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وافعاله وهو من
قولك انا مع فلان اي على مذهبه وقيل معناه اتقوا الله في الدنيا لتكونوا مع الصادقين
في الجنة في المعنى من قول الله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية
وطريقه طريق قولك ابني وجد كذا اي لياخذ كذا وفي قصة كعب التي سقناها
ما يدل على ان الاية نزلت في المجاهدين وقد قال الله فيهم وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وليس هو مجرد القول بل هو التحقيق

قال الله تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله
فكان معنى الاية ولا تعودوا الى التخلف عن رسول الله في مغازيه لتكونوا قد صدقتم
في ايمانكم وقال الحسن بلغني انه كان لاحدهم حايط كان يومئذ خيرا من مائة
الف درهم فقال يا حايطاه ما خلفني عن رسول الله الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب
فانت في سبيل الله ثم لحق برسول الله واما الاخر فلم يكن له الا اهل له فقال يا اهلاه
ما بطاني عن رسول الله ولا خلفني عنه الا انتن لا جرم والله لاكابدن المفاوز
حتى الحق بالنبي صلى الله عليه وسلم واما الثالث فلم يكن له اهل ولا مال فقال يا
نفس ما خلفني عن رسول الله الا حب الحياة لا جرم والله لاكابدن الشدايد حتى
الحق برسول الله ثم ركب بغلته ومعه زاد تحت ابطه فلحق رسول الله وقال
ابن عباس يا ايها الذين امنوا من اهل الكتاب اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال
مع المجاهدين وقيل يا ايها الذين امنوا من اهل مكة ولم يهاجروا اتقوا الله وكونوا مع
المهاجرين وقال الضحاك وكونوا مع الصادقين مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال
الامام ابو منصور اتقوا مخالفة الله فيما امركم به وكونوا مع الموافقين لامره ودلت
الاية على ان اجماع الامة حجة لانه امرهم بالكون مع الصادقين في دينه فلزم قبول قولهم
وقال ابن شهاب وكونوا مع الصادقين اصدقوا كما صدق هولاء الثلثة
وقال ابن مسعود والله ما يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم
صبيه ثم لا ينجز اقراوا ان شيتم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقال عبد الله بن عامر اتانا رسول الله عليه السلام في بيتنا وانا صبي فخرجت
العب فقالت امي تعال اعطك فقال عليه السلام ما اردت ان تعطيه قالت
تمرا فقال رسول الله عليه السلام اما انك لو لم تعطه كانت كذبة وقال قتادة
وكونوا مع الصادقين الصدق في النية والصدق في العمل والصدق في الليل
والنهار والصدق في السر والعلانية وقال اهل المعرفة هو الصدق في
الاحوال وفي الزبور كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني وقوله
تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه ثم خص جل جلاله ساكني المدينة من غير المهاجرين والانصار
ومن حولهم من الاعراب مزينة والاشجع وجهينة واسلم وغفار على ما حث عليه
الانصار فقال ما ينبغي لهولاء ان يتخلفوا عن رسول الله اذا استنفرهم واستنهضهم

ابل

الى الغزو ولا يضنوا بانفسهم عن نفسه حتى ينفرد هو بتحمل المشقة دونهم بل يلزمهم جميعا
ان يخرجوا معه وقوله ولا يرغبوا اي ولا ان يرغبوا عطفا على الاول والرغبة طلب
المنفعة فقولك رغب في كذا اي طلب المنفعة به وقولك رغب عن كذا اي طلب
المنفعة بتركه ومعنى لا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي يطلبوا المنفعة بتوفيقه
انفسهم دون نفس رسول الله وقال قطرب اي لا يكرهوا لانفسهم ما يرضاه الرسول
لنفسه وقال ابو الهيثم السجزي اي لا يكونوا اشفق على انفسهم منهم على رسول الله وقال
ابن كيسان اي لا يرضوا ان يكونوا في خفض ودعة ورسول الله في شدة ونصب
وقال القشيري اي ليس لهم ان يوثروا على النبي عليه السلام شيا من اهل وولد
ومال ونفس وزوج ولا يخرون بذلك ثم وصل به ما يحركهم عليه وهو قوله
تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله اي ذلك الحث
والترغيب بانهم لا ينالهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد وقوله
ولا يطؤن موطيا يغيظ الكفار اي ولا يطؤن باقدامهم او حوافرهم ارضا والموطي
يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون موضعا كالمرجع وقوله يغيظ الكفار
اي يغضبهم وقوله ولا ينالون من عدو نيلا اي لا يجدون ومعناه لا يصيبون
من احد منهم شيا من جرح او قتل او ضرب او تشريد او اخذ مال او نحو ذلك وقوله
الا كتب لهم به عمل صالح اي حصل لهم بكل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة وانما
قال به مع ذكر اشيا جملة لانه لما ادخل بين كل شيين لا مكررا صار كل فعل مفردا بالذكر
مقصودا بالوعد وهو كما قال اصحابنا من حلف لا ياكل خبزا ولا لحما يحنث بواحد
منهما ولو قال والله لا اكل خبزا ولحما لم يحنث الا بهما جميعا وقوله ان الله لا يضيع
اجر المحسنين اي هم محسنون والله لا يبطل ثوابهم وقوله تعالى ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة قال ابن عباس قليلة ولا كثيرة وقيل صغيرة انعال فرس
او خرز مطهرة او خصف نعل وكبيرة من كراع او سلاح او اعداد زاد وقوله
تعالى ولا يقطعون واديا قال ابن عباس مقبلين ومدبرين وقوله تعالى
الا كتب لهم به اي عمل صالح كامر منه وبسبقهم الا كتب لهم ذلك وقوله تعالى
ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي يامر بكتابة هذه الاشيا في كتبهم ليجزيهم يوم
القيمة فيجزيهم على كل واحد منهم جزا احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به شكرا
لسعيهم وتوفيرا لاجرهم قالوا في الاية ان من قصد طاعة كان قيامه وقعوده

ومشيه وحركاته فيها كلها حسنات مكتوبة لهم فما اعظم بركات الطاعات وقال
قتادة ما ازداد قوم في سبيل الله من اهاليهم بعدا الا ازدادوا من الله قربا
وقال القشيري ذلك بانهم لا يرفعون لاجله سبحانه خطوة الا قابلهم
بالف خطوة ولا ينقلون لله قدما الا القاهم لطفا وكرما ولا يقاسون فيه
عطشا الا اسقاهم من شراب لطفه كاسا ولا يتحملون لاجله مشقة الا اعطاهم
سرورا ونصرة ولا ينالون من الاعداء ما يوجب وهنهم الا شكر الله سعيهم
وقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
قال الكلبي لما انزل الله عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزوة تبوك
قال المومنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا سرية ابدا فلما قدم رسول الله المدينة وامر بالسرايا الى العدو نفر المسلمون
جميعا وتركوا رسول الله وحده بالمدينة فنزلت الاية فعلى هذا تفسير الاية ليس من
حكم المومنين ان ينفروا جميعا ويتركوا رسول الله بغير اصحابه ويضيعوا اهاليهم
واموالهم فهلا خرج من كل قبيلة جماعة لا منهم للغزو وقعد طائفة ليتعلموا
من رسول الله القران والاحكام والتفقه استفعل من الفقه وهو طلبه وتحصيله
والفقه فهم موجبات المعاني المضمنة فيها من غير تصريح بالدلالة عليها ولينذر
هولاء المتعلمون قومهم الخارجين للغزو اذا رجعوا من الغزو اليهم ليحذروا
مخالفة الشرع اذا سمعوا وعلموا ونحوه قال ابن عباس وما كان المومنون لينفروا
جميعا ويتركوا النبي عليه السلام وحده فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني
السرايا ولا يخرجوا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران تعلمه
القاعدون من النبي عليه السلام قالوا ان الله تعالى انزل على نبيكم بعدكم
قرانا وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم
ويبعث سرايا اخر ليتفقهوا في الدين حتى يتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا
السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون وذكر الامام ابو منصور هذا القول
وقولا اخر عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج للغزو خرجوا
جميعا معه فيبقى المدينة خالية من الرجال فنهى عن ذلك وقال وما ينبغي
للمومنين ان ينفروا كافة مع رسول الله فهلا نفر من كل عشيرة قوم ليتفقهوا في

الدين من رسول الله ولينذروا قومهم اهل المدينة اذا رجع المتفقهون اليها لعلهم
يحذرون وقيل ولينذروا اي ليخبروا الكفار المقيمين بالمدينة بما نصر الله به
رسوله وقهر اعداءه ليحذر الكفار عن ان ينالهم كذلك فيسلموا واليه ذهب الحسن وابن
كيسان وقال لا نسخ هذه الاية ما قبلها ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله وهذه في الظاهر تخالف قوله انفروا خفافا وثقالا
ولكن التوفيق بينهما ان النبي عليه السلام اذا خرج وفي اصحابه قلة فعلى الاخرين
ان يخرجوا معه واذا خرج وفي اصحابه كثرة قعد البعض لحفظ المدينة والاهل
والولد وقيل احدهما اذا عم النفير والاخر اذا لم يعم وذكر ايضا قولا ثالثا انه
في الوفود القادمين من الافاق للتعلم وقد روي ان حيا من بني اسد بن خزيمة
اصابتهم سنة وشدة فاقبلوا بالذراري معهم والصبية حتى نزلوا المدينة وافسدوا
طرقها بالعذرات ولعسروا واغلوا اسعارها فنزلت وما كان المومنون لينفروا
كافة الاية وفيه تعليم لهم ان الواجب عليهم ان ينفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوم يتعلمون ثم يرجعون الى مواضعهم فيعلمون اولئك قال وفي الاية دليل سقوط
فرض السفر للتعلم عن الكل اذا قام به البعض وفيها ايضا دليل سقوط فرض الجهاد عن
الجماعة اذا قام به البعض وفيها دلالة لزوم العمل بخبر الاحاد وان احتمل الغلط لان
الطائفة يحتمل اجتماعهم على الكذب كالرعية للملك او الغلط ثم الزمه قومهم قبول
خبرهم وقال القشيري المسلمون على مراتب فعوامهم كالرعية للملك وكتبة الحديث
كخزان الملك واهل القران كحفاظ الدفاين ونفايس الاموال والفقها بمنزلة
الوكلا للملك اذ الفقيه يوقع عن الله وعلما الاصول كالقواد وامرا الجيوش
والاوليا كاركان الباب وارباب القلوب واصحاب الصفا كخواص الملك وجلسايه
فيشتغل قوم بحفظ اركان الشرع واخرون بامضا الاحكام واخرون بالرد
على المخالفين واخرون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل قوم مفردون
بحضور القلب وهم اصحاب الشهود وليس لهم شغل يراعون مع الله انفاسهم
وهم اصحاب الفراغ لا يستفزهم طلب ولا يهزهم ارب فهم بالله لله يمحو ما سوى
الله واما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون الى الله وانما يفهم الخلق عن
الله اذا كان يفهم عن الله وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار اي يقربون منكم وقوله يليه وليا اي جاهدوا الاقرب فالاقرب

اليكم ولا تدعوا الاقرب وتقصدوا الابعد فيقصد الاقرب بلادكم واهاليكم واولادكم
وفيه انهم اذا امنوا الاقرب كان لهم مجاوزتهم الى الابعد قال ابن عباس امر
الله المومنين ان يقاتلوا الادنى فالادنى من عدوهم من اهل المدينة مثل قريظة
والنضير وخيبر وفدك وذكر ان الذين يلونهم من الاعدا يوم نزول هذه الاية
هم الروم الذين خرج بهم رسول الله عليه السلام غزوة الى تبوك لان بلاد العرب كانت
قد فتحت اليه وكانت مسافتهم الى الروم اقرب منها الى بلاد عاجم وكان الكلام متصلا
بما تقدم من ذكر غزوة تبوك وقال الامام ابو منصور قيل كان هذا الامر اولا
بقتال الادنى فالادنى ثم ورد الامر بقتال الكل بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا غزا ربايا وزكفا وقاتل الابعد ليكون اية لنبوته انه لا يبالي ولا
يخاف من تركه فنزلت الاية تعليما للمومنين امر الحرب كما علمهم ذلك في ساير الايات من
الاخذ بالحذر واعداد ما استطاعوا من قوة وقيل هذا انبا عن دوام الجهاد الى اخر
الابد لانه كلما فتح ناحية صار الذين يقاربون هولا يلونهم وقوله تعالى وليجدوا فيكم
غلظة قال الضحاك اي عنفا وقال مجاهد اي شدة وقال عطا اي شجاعة وقال
الحسن اي صبرا وقوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم اذا تقيتموه
في اوامره ونواهيه من الجهاد وغيره ومعكم اي معينكم وناصركم وحافظكم
وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي ممن
المنافقين من يقول لاصحابه او لضعفة المومنين على سبيل الهزو والاستخفاف
بالقران عند نزول السورة ايكم زادته هذه السورة تصديقا اي انا لم نزدد بهذه
ايمانا ولا احدث لنا تنزلها تصديقا بما يدعيه محمد من الوحي والشرايع التي
فيها المشاق والمخاطرة بالنفوس والاموال والاولاد ثم اجيبوا عن هذا بما ذكر
بعده وهو وقوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون اي فاما
المخلصون فان السورة صارت سببا لزيادة تصديقهم ويقينهم واخلاصهم
وهم يفرحون بما نزل فيها من الوعد على الايمان والعمل حتى يتبين ذلك في وجوههم
وبشرهم وقوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك وقيل نفاق
وقيل غل وقيل ضغن على المومنين وقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم اي
صارت سببا لزيادة كفرهم وتكذيبهم قال تعالى انما المشركون نجس وقيل الرجس
الاذى ومعناه امتلا صدورهم من الغيظ بما يرون من علو المسلمين وقهر

الكافرين

والمنافقين وقوله وماتوا وهم كافرون وهو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت
وهو كقوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم وقال القشيري انزال
القران لقوم شفا ولقوم شقا فاما المخلصون فزادتهم السورة ايقانا فارتقوا من
حد تامل البرهان الى روح البيان ثم من روح البيان الى انس العيان فشموس العرفان
طالعة على اسرارهم وانوار التحقيق مالكة لارواحهم فلا لهم تعب الطلب ولا عليهم
سلطان الفكر والدأب وشعاع شموس العرفان مستغرق لانوار العلم والبيان كما
يقول قايلهم • فلما استبان الصبح ادرج ضوءه • باسفاره انوار ضوء الكواكب •
وقوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا
هم يذكرون قرا حمزة اولا ترون بتا المخاطبة للمومنين وقرا الباقون بيا الغايبة خبرا
عن المنافقين اي عجبا منهم كيف قست قلوبهم وعميت بصايرهم عما يتتابع عليهم من انواع
المحن حتى لا يخلوا كل عام من محنة او محنتين ثم لا يرجعون عن كفرهم ولا يتعظون
بما يصيبهم وقال الحسن وقتادة هذه الفتنة هي القتل والسبي ونصر المومنين
وقال مجاهد القحط والجوع وقيل هتك استارهم كاخراجهم من المسجد وطردهم
عن المحافل وقيل بالمرض والحوادث قال الامام ابو منصور قيل يبتلون بالجهاد
والغزو فيتخلفون عنه فيظهر بذلك نفاقهم وقال عكرمة ينافقون ثم يومنون
ثم ينافقون وقال يمان بن رياب ينقضون عهدهم مرة او مرتين وقال
القشيري ان سنة الله تعالى ان لا يخلي ارباب التكليف من دلايل التعريف والتحريك
لهم في كل وقت بنوع من البيان والتحريك في كل اوان بضرب من الامتحان فمنهم
من لا يزداد بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجبة عن فوايد البيان واما
اصحاب الحقايق فما يكون لغيرهم في كل عام مرة او مرتين فلهم في كل نفس مرات وتارات
لا يخليهم الحق سبحانه من زواجر توجب تصاير وخواطر زواجر تتضمن تكليفات
واوامر قال قايلهم • كان رقيبا منك حال بمهجتي • اذا رمت تسهيلا على تصعبا •
وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي بعض هولا المنافقين
الى بعض ايما بعينه واستخبارا باشارته وقوله تعالى هل يريكم من احد اي
هل يتفقد انصرافكم احد من المسلمين وقوله تعالى ثم انصرفوا اي اذا وجدوا غفلة
من المومنين انصرفوا كراهة لسماع القران وقيل خوفا مما ينزل من ذكر مقابحهم
وقيل حذرا من نزول الامر بالجهاد وتكليف النبي عليه السلام اياهم بالخروج واضطرارهم

الى الاجابة اذا خاطبهم به وقيل هو كقوله واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم
نفورا **وقوله** تعالى صرف الله قلوبهم حيث اختاروا الانصراف عن الايمان وعلم الله
ذلك منهم صرفهم عنه وهو دليل خلق الافعال وهو كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وقال الحسن ثم انصرفوا على عزمهم الكفر والتكذيب بمحمد والقران **وقوله**
تعالى بانهم قوم لا يفقهون اي استحقوا ذلك عقوبة لهم على تركهم التدبر في القران
كمن لا يفقه ذلك **وقوله** تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ختم السورة بذكر
صفات الرسول الذي انزل عليه القران ومنه كان لهم البيان لما في هذه السورة
وساير القران وقوله من انفسكم اي ادمي مثلكم وقيل هو خطاب للعرب اي
من نسبكم عربي مثلكم وذاك اقرب الى الالفة وابعد من اللجاجة واسرع الى
فهم الحجة وقيل لما كان منكم قد عرفتم صدقه وامانته لم يقع في قلوبكم وهم كذب
ولا خيانة وقرا ابن عباس وفاطمة بنت رسول الله من انفسكم بفتح الفاء اي
من اشرفكم وافضلكم من قولهم شي نفيس اي خطير **وقوله** تعالى عزيز عليه ما
عنتم اي شديد عليه عنتكم اي هلاككم وقيل مشقتكم وقيل اثمكم وقيل العنت الامر
الذي يضيق به الصدر ولا يهتدي للمخرج منه اي لشفقته عليكم يشق عليه ما
يسوءكم وقيل اي لا يدعوكم الى شي فيه ذلك بل الى كل يسر وخفة وقال
عبد العزيز بن يحيى نعته بالعزة على ربه ثم قال عليه ما عنتم اي عليه الشفاعة فيما
اثمتم **وقوله** تعالى حريص عليكم اي على ايمان من لم يومن منكم **وقوله** تعالى
بالمومنين روف رحيم الرافة اشد الرحمة والرحمة اعم من الرافة لانه يستعمل في كل
نفع من المطر والسعة والعافية وغيرها وكان المعنى في الروف الشفيق العطوف
وفي الرحيم النافع المفضل وقال الحسن بن الفضل لم يجمع الله لاحد من الانبياء
بين اسمين من اسمايه الا لنبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال بالمومنين روف رحيم
وقال لابراهيم حليم ولاسمعيل صادق الوعد وليحيى وسيدا **وقوله** تعالى فان
تولوا اي فزدنا صفاتك عندهم فان اعرضوا عنك ولم يصدقوك بل خالفوك
وعادوك **وقوله** فقل حسبي الله لا اله الا هو فعرفهم ان الله الذي لا اله غيره
كافيك مكرهم وناصرك عليهم **وقوله** تعالى عليه توكلت اي اخبرهم انك فوضت
امورك كلها اليه **وقوله** تعالى وهو رب العرش العظيم اي ذو القدرة
والسلطان والملك والعرش عبارة عن الملك يقال ثل عرشه اي زال ملكه واك

حمل على العرش الذي هو فوق السموات فذكره ذكر كل المخلوقات لانه اعظمها فلذكره
ذكرها واضافة الله اليها بيان خلقه وملكه وقدرته وعلمه وعظمته وقال
القشيري لقد جاءكم رسول مثلكم في البشرية لكنه باينكم فيما افردناه به من
الخصوصية السنية لباس الرحمة عليكم واعمناه بشواهد العطف والشفقة على
جملتكم فقد وكل همته بشانكم واكثر همته في ايمانكم **وقوله** فان تولوا فقل حسبي
الله امره ان يدعو الخلق الى التوحيد ثم قال له فان اعرضوا عن الاجابة فكن لنا
بنعت التجريد وتعالى قال له يا ايها النبي حسبك الله ثم امره ان يقول حسبي الله وقوله
حسبك الله عين الجمع وقوله فقل حسبي الله تفرقة بل هو جمع الجمع اي قل ولكن بنا
تقول فنحن المتولون عنك وانت مستهلك في عين التوحيد فانت بنا ومحو
عن غيرنا وروى الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب انهم جمعوا القران في مصحف
في خلافة ابي بكر رضي الله عنه فكان رجال يكتبون ويملي عليهم ابي بن كعب فلما انتهوا
الى هذه الاية صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون ظنوا انها اخر القران فقال
لهم ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اقراني بعد هذه ايتين لقد جاءكم رسول
الى اخر السورة فهذا اخر ما نزل من القران فختم الامر بما فتح به بلا اله الا الله قال
تعالى وما ارسلنا من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال
البراء بن عازب اخر سورة انزلت كاملة براءة وقال يحيى بن جعدة كان عمر لا يكتب اية
في المصحف حتى يشهد عليه رجلان فجاء رجل من الانصار بالايتين من اخر سورة
التوبة فقال لا اسالك عليها بينة كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثبتها

سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي انزل ايات الكتاب الحكيم
الرحمن الذي يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم الرحيم الذي
لا راد لفضله يصيب به من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم وهذه السورة مكية
وهي مائة وعشر ايات وقيل تسع وقيل ثمان والاختلاف في تلك الايات مخلصين له الدين
وشفاء لما في الصدور لنكونن من الشاكرين وكلماتها الف وثمانمائة وثلث وثلاثون
وحروفها سبعة الاف وثمانمائة وسبعة وتسعون وروى ابي بن كعب عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة يونس اعطي عشر حسنات بعدد من كذب بيونس
وصدق به وبعدد من غرق مع فرعون وانتظام اول هذه السورة باخر تلك

السورة انه ختم تلك بثنائه بقوله وهو رب العرش وبدأ هذه السورة بانه الله وهو منزل الكتاب الحكيم ولانه ذكر في ختم تلك تولي الكفار وفي افتتاح هذه منهم التعجب والانكار وانتظام السورتين بان تلك السورة في ذكر المشركين والمنافقين وحسن عاقبة المخلصين وفي هذه السورة محاجة الكافرين وما آل اليه الكفار الماضين وخلاص المخلصين **وقوله** تعالى الر قال ابن عباس انا الله ارى وروى عكرمة عنه الر وحم ون اذا جمعت فهي الرحمن وقيل هي اسم السورة وقيل هي اسم القرآن وقيل هي ثلثة من اسماء الله تعالى وهي الله واللطيف والرحيم وقيل معناه الله بعث جبريل به الى رسوله وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والراء رحمته ۝ **وقوله** تعالى تلك قال ابو عبيدة اي هذه كما في اول سورة البقرة ذلك الكتاب وقال الزجاج اي الايات التي تقدم ذكرها قبل هذه السورة وقيل لما كانت الر اسم السورة فقوله تلك اشارة اليها وهو كقولهم هند هي الكريمة **وقوله** آيات الكتاب الحكيم اي الآتي بالحكمة وقيل اي المحكم عن التناقض والتغيير والتبديل وقيل اي الحاكم كالعليم بمعنى العالم اي فيه بيان الاحكام وهذا كله صفة القرآن وقيل هو صفة اللوح المحفوظ كما قال وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وعلى هذا يكون تلك اشارة الى الغائب على ظاهر وضعه اي هذه السورة تلك الآيات المكتوبة في اللوح المحفوظ وكلنا بحفظها الثقات ثم اوحيناها اليك في اوقات وقيل اي هذه تلك الآيات الموعودة لك يوم الميثاق وقال القشيري ذلك الكتاب الذي وعدتكم به وقد حققنا لكم الميعاد ووصلنا لكم اسباب الوداد وانقضى عنكم زمان البعاد فاستقيموا على نهج الاحباب ولا تنكبوا عن الاسباب **وقوله** تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا اي تعجب مشركوا مكة ان جعلنا لنا رسولا اليهم من جنسهم يفهمون عنه ويسكنون اليه ويعرفون صدقه وامانته ان انذر المشركين وبشر المؤمنين وهو كقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم الآية وما سمعنا بهذا ولم يعجب لان الخلق خلقه والملك ملكه وله ان يرسل اليهم رسولا ويامرهم بما يريد وينهاهم عما يريد واوضح هذا في العقول فارسال البشر اولى واقرب الى ان يسكنوا اليهم وان يعقلوا عنهم من ارسال الملائكة الذين لا يعاينون ثم ليس في نفس ما اتوا به شيء تنكره العقول انما هو حث على الشكر والطاعة للمنعم ودعا الى شرائع بها صلاح بينهم وتالف قلوبهم وارتفاع

النظام

التظالم عنهم وانذار لمن عصيه بالعذاب الاليم وتبشير لمن اطاعه بالنعيم المقيم ۝ **وقوله** تعالى ان لهم قدم صدق قيل اي سوابق اعمال صالحة قدموها ذخرا لآخرتهم والقدم ما قدم من عمل قال حسان • لنا القدم العليا اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع • وقال ذو الرمة • لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على البحر • والصدق الحسن ويذكر على الاضافة بطريق المدح فيقال رجل صدق وثوب صدق وفرس صدق وعن ابي سعيد الخدري انهم قدم صدق قال محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم يوم القيمة وقيل يذكر اليد مكان الصنيعة مجازا والقدم مكان السعي ايضا لان الكسب يقع باليد والسعي بالقدم وقال تعالى وكان سعيكم مشكورا وقال ابن عباس والحسن قدم صدق عمل صدق يقدمون عليه قال تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق يعني الجنة وقال عطا مقام صدق لا زوال عنه ولا بؤس فيه وقال الربيع بن انس ثواب صدق وقال قتادة سلف صدق وقال يمان بن رئاب ايمانهم وقال الامام ابو منصور ويحتمل ان معناه انه تثبت اقدامهم ولا تزل قال الله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها وقال ابن عباس في رواية سبق لهم السعادة في الذكر الاول وقال عبد العزيز بن يحيى هو قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل هو تقديم الله يوم القيمة هذه الامة قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقال عليه السلام ان الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها انا ومحرمة على الامم حتى تدخلها امتي **وقوله** قال الكافرون ان هذا لساحر مبين في اوله مضمر اي لما جاءهم وانذرهم قال الكافرون ان هذا المدعي لساحر وهو قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي اي يخدعنا بتخاييله ويقودنا الى الانقياد له ويعرض انفسنا واهالينا واولادنا للتلف في محاربة عدوه وقرأ الباقون لسحر مبين اي ان هذا الذي اتى به لكم لسحر ظاهر وقال الاستاذ ابو علي الدقاق جوز الكفار ان يكون المنحوت من الخشب والمعمول من الصفر والشبه الها معبودا او تعجبوا ان يكون مثل محمد في جلالة قدره رسولا مبعوثا هذا هو الضلال البعيد وقال القشيري ان لهم قدم صدق هو ما قدموه لانفسهم من طاعات اخلصوا فيها وعبادات صدقوا في القيام ٤٠ وقيل هو ما قدم الحق لهم يوم القيمة من عنايته بشانهم وما قضى لهم من فنون

احبابهم وقيل هو ما دفعوه من اقدامهم في بدايتهم في زمان ارادتهم فان لاقدام المريدين المرفوعة لاجل الله حرمة عند الله ولايامهم الخالية في حال ترددهم وليالهم الماضية في طلبه وهم في حرقة تحيرهم حق رعاه الله شعر من يتنزح رنه دار قد تحوتها ريب الزمان فاني لست انساك شعر تلك العهود تشدها مختومة عندي كما هي عقدها لم يحلل وقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش مر تفسيره في سورة الاعراف وقوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد يقضي الامر وحده والامر جنس اريد به الجمع اي يدبر الامور كلها ويمضيها في الدنيا والاخرة من خلق افعال العباد واقوالهم واحوالهم وانها الحوادث من الكون والموت والعز والذل والصحة والمرض والسعة والضيق والخير والشر واعطاء الذكور والاناث من الاولاد وتصريف الليل والنهار والريح والسحاب والحر والبرد وكل شي قال تعالى كل يوم هو في شان ولما كان الموكلون على بعض هذه الحوادث الملايكة قال في وصفهم فالمدبرات امرا وكذلك امور الاخرة كلها من الثواب والعقاب واللطف والعتاب والعفو والحساب والكشف والحجاب بتدبيره وتقديره وقوله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه اي لا يفعل شيا من هذه الامور بشفاعة احد وقوله تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي هو المستحق للعبادة فاياه فاعبدوا وقال القشيري في قوله في ستة ايام ولا يحتاج في فعله الى مدة وكيف وهو خالق المدة خلق السموات والارض في ستة ايام وتلك الايام ايضا من جملة ما خلق من الانام ثم استوى على العرش معناه اتصافه بعز الصمدية وجلال الاحدية وانفراده بنعت الجبروت وعلا الربوبية تقدس الجبار عن الاقطار والمعبود عن الحدود والديان عن المكان يدبر الامر اي الحادثات صادرة عن تقديره حاصلة بتدبيره فلا شريك يعضده ولا معارض يقصده ذلكم الله ربكم تعريف وقوله فاعبدوه تكليف فحصول التعريف بتحقيقه والوصول الى ما ورد به التكليف بتوفيقه وقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي الى جزاء الله رجوعكم جميعا يوم القيمة وقوله تعالى وعد الله حقا نصب على اضمار الفعل اي وعد الله ذلك وعدا صدقا انه يبدو الخلق اي ليتعبدهم ثم يعيده اي يميتهم ثم يعيدهم احيا يوم القيمة ليجزيهم والخلق فعله مصدر فلم يجمع ومعناه الجمع فلذلك وحد الكناية بعده وقوله ليجزي الذين امنوا

وعملوا

وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال الامام ابو منصور بالقسط اي يجزي المحسن جزاء الاحسان والمسي جزاء الاساءة ويفصل بين العدو والولي في الجزاء وهو العدل ويحتمل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالفضل فقد قال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وسماه قسطا وهو العدل لان العدل وضع الشي في موضعه وهذا وضع الفضل موضعه فكان عدلا من هذا الوجه ويحتمل ان يكون بالقسط صفة للعاملين اي عملوا الصالحات بقسطهم في الدنيا اي عدلهم وقوله تعالى والذين كفروا لهم شراب من حميم من ما حار مغلي قد انتهى حره وهو في جهنم ومن صفته انه كالمهل يشوي الوجوه وانه يقطع امعاهم وقوله تعالى وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اي عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بكفرهم وقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا اي خلق الشمس فجعلها ضيا للخلق بالنهار والقمر نورا اي خلق القمر فجعله نورا لهم بالليل والضيا نور معه حر والنور لا حر معه والضيا اعم واتم من النور والضيا والنور مصدران جعلا نعتين وقال الكلبي جعل الشمس ضيا بالنهار والقمر نورا بالليل وقال القشيري للعقول نجوم وهي للشياطين رجوم وللعلوم اقمار وهي انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على اسرار العارفين طلوع شعر ان شمس النهار تغرب بالليل وشموس القلوب ليست تغيب وكان في السما شمسا وقمرا والشمس ابدا بضيايها والقمر في الزيادة والنقصان ابدا كما استتر بمحاقه بدا بعد ذلك حتى يكمل بدرا باشراقه ثم ياخذ في النقص الى ان لا يبقى منه شي بتمام امحاقه ثم يعود جديدا وكل ليلة يحل مزيدا فاذا صار بدرا تماما لم يجد اكثر من ليلة لكماله مقاما ثم ياخذ في النقصان الى ان يخفى شخصه ويتم نقصه كذلك من الناس من هو مردود بين قبضه وبسطه وصحوه ومحوه وذهابه وايابه لا فنا فيستريح ولا بقا له دوام صحيح قال شعر كلما قلت قد دنا حل قيدي قدموني فاوثقوا المسمارا وقوله وقدره منازل اي وقدر القمر منازل فعل يتعدى الى مفعولين وهو كقوله والقمر قدرناه منازل يجري في كلها كل شهر مرة وانما خص القمر لانه هو الذي تعرف الشهور وباجتماعها تكون السنون وقيل معناه وقدرهما منازل اي الشمس والقمر

[illegible]

وانما وحد اكتفا كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في ومن يكسب خطية او اثما ثم يرم به بريا واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وهذا لانه يعرف بالشمس ابتدا النهار وانتهاوه واجتماع الايام والليالي تعرفا الشهور **وقوله** تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب فعدد السنين معرفة الشهور وتمام السنة والحساب هو الاجال والمواقيت المقدرة بالشهور والسنين وقال الامام ابو منصور بالشمس تعرفون اوقات الصلوات والشتاء والصيف والربيع والخريف ولا يعرف ذلك بالقمر وبالقمر يعرف الشهور والسنوت ولا يعرف ذلك بالشمس وفي مصحف حفصة وقدرهما منازل **وقوله** تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الكيساني ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفته وقال الامام ابو منصور قال بلون ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الشهادة له على الخلق وهو شهادة الوحدانية له والالوهية وقال بعضهم ما خلق الله ذلك الا لامر الكاين لا محالة وهو البعث ويحتمل ما خلق الله ذلك الا بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا **وقوله** تعالى نفصل الايات لقوم يعلمون قرا ابو عمرو بالياء على قوله ما خلق الله ذلك الا بالحق وقرا الباقون بالنون بناء على قوله انا اوحينا ومعنى قوله نفصل اي نبين العلامات التي يستدل بها على الحق وخص العالمين بذلك لانهم هم المنتفعون بها **وقوله** تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لقوم يتقون قال ابن عباس قال اهل مكة ايتنا باية حتى نومن لك فنزلت هذه الاية اي فيما يتعلق بما خلقنا من الشمس والقمر من اختلاف الليل والنهار زيادة ونقصان متعاقبة على نسق واحد لايات لان في ذلك بقا الدنيا الى حين وتدبير معايش اهلها فمن تدبر ذلك علم ان الدنيا مخلوقة لملك الخلق فيها وخالقهم لا يهملهم بل جعلها لهم دار عمل فلا بد من امر ونهي ثم جزا ليفرق بين المطيع والعاصي فمن تدبر هذا اتقى العاقبة وما فيها للعاصي من العقوبة فكان الانتفاع للمتقين فلذلك اضيف اليهم وقال القشيري في اختصاص النهار بضيائه وانفراد الليل بظلامه من غير استيجاب لهذا ومن غير استحقاق عتاب مع هذا دلالة على ان الرد والقبول والمنع والوصول ليس بمعلول بسبب ولا حاصل بامر مكتسب كلا انها ارادة ومشية وحكمة وقضية والنهار

وقت

وقت حضور اهل الغفلة في اوطان كسبهم والليل وقت ارباب الوصلة لانفرادهم بشهود ربهم **وقوله** تعالى ان الذين لا يرجون لقانا قيل اي لا يخافون عقابنا وقال مقاتل لا يخافون البعث كما قال ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة وقيل اي لا يطمعون في ثوابنا وهذه الكلمة من الاضداد وقد اوضحنا ذلك في قوله ويرجون من الله ما لا يرجون وانما سمي ذلك لقا الله لانه لا يقدر على ذلك الا الله فجعل لقاء لقاه تفخيما لشانه كما جعل اتيان جلايل ايات الله اتيان الله لذلك **وقوله** تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اي سكنوا اليها فلم يفكروا في عاقبة ولا حساب ولا جزا **وقوله** تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون اي لا يتدبرون فيها **وقوله** تعالى اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون اي من الكفر والمعاصي وقال القشيري القوم انكروا جواز الروية فلم يرجوها والمومنون امنوا بجواز الروية فاملوها وقيل لا يرجون لقاه لانهم لم يشتاقوا اليه لانهم لم يحبوه ولم يحبوه لانهم لم يعرفوه ولم يعرفوه لانهم لم يطلبوه ولم يطلبوه لان الله تعالى اراد ان لا يطلبوه ولو اراد ان يطلبوه لطلبوا ولو طلبوا لعرفوا ولو عرفوا لاحبوا ولو احبوا لاشتاقوا ولو اشتاقوا اليه لرجوا لقاه ولو رجوا لقاه لراوه قال الله تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هديها وقال في قوله ورضوا بالحيوة الدنيا اصحاب الدنيا رضوا بالحيوة ومحبوا الجنة والعباد والزهاد ركنوا الى الجنة ورضوا بها فبقوا عن مراتب الوصلة وقال ولما كان الذي لا يرجو لقاه ماواه العذاب والفرقة ثبت ان الذي يرجو لقاه فعاقبته الاقتراب والوصلة واللقا والزلفة **وقوله** تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وهم الذين يرجون لقا الله يهديهم ربهم بايمانهم قيل يرشدهم بايمانهم في الدنيا الى الخيرات ويرزقهم الدوام عليه والثبات وعلى هذا القول يكون قوله تجري من تحتهم الانهار اي وتجري باضمار الواو وبحذف يصير كلاما مبتدا غير الاول ابتدا وقيل يهديهم في الاخرة الى الجنة وعلى هذا الاضمار قال مجاهد يهديهم ربهم لهم نور يمشون به وقال الضحاك يهديهم ربهم الى الجنة في الاخرة وقال مقاتل يهديهم ربهم على الصراط الى الجنة بالنور **وقوله** تعالى تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم في البساتين كما قال قد جعل ربك تحتك سريا وما كانت قاعدة عليه ولكن كان ذلك بين يديها وكذا قالوا في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي وقيل اي بامرهم ومشيتهم كما قالت

بهذا تحت تصرفه وكذا قالوا في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي **وقوله** تعالى في
جنات النعيم يتنعمون فيها من غير مشقة ولا مونة **وقوله** تعالى دعويهم فيها اي
دعاوهم وهو من دعا يدعوا كالشكوي من شكا يشكوا سبحانك اللهم اي كلام اهل
الجنة فيها تنزيه الله عما كان في الدنيا يضافا اليها من الاضداد والشركا **وقوله**
تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين اي واخر ما يتكلمون فيه من النعم الحمد لله
رب العالمين يحمدونه على ما ادر عليهم من نعمه يبتديون كل نعمة بالتسبيح لله ويختمونها
بالحمد لله كما كانوا في الدنيا يبتديون النعمة بالتسمية ويختمونها بالحمد وقيل هي على
حقيقة الدعوى الذي يكون من المدعي قال الامام ابو منصور قال قائلون
اي يدعون في الاخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له ما ادعوه في الدنيا
من ذلك فان التسبيح هو تنزيه الله وتبريته عن جميع العيوب الذي وصفته بها
المشبهة والملحدة وقيل الدعوى هي التمني قال تعالى ولهم فيها ما يدعون اي يتمنون
ويشتهون روى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال دعويهم فيها سبحانك اللهم
كلما اشتهى اهل الجنة شيئا قالوا سبحانك اللهم فجاءهم ما يشتهون وقال الكلبي
دعويهم فيها اي قولهم في الجنة سبحانك اللهم فاذا سمع الخدام ذلك اتوهم بما يشتهون
وقال مقاتل هذا علم بين اهل الجنة وبين الخدم في الطعام فاذا قالوا ذلك اتاهم
الخدم بالموايد فوضع بين ايديهم ما اراد واعلى مايدة ميل في ميل **وقوله**
تعالى وتحيتهم فيها سلام اي تحية بعضهم لبعض ذلك قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا
سلاما وقال الكلبي يحيي بعضهم بعضا بالسلام وياتيهم الملايكة من عند ربهم
بالسلام **وقوله** واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال الكلبي اذا فرغ احدهم
من كلامه قال الحمد لله رب العالمين وقال مقاتل اذا فرغوا من الطعام والشراب حمدوا
ربهم على ما اعطاهم وقال ابن جريج اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم
فياتيهم فيتلم عليهم فيردون عليه فاذا اكلوا حمدوا وقيل دعويهم فيها هو من دعوى اهل
الدنيا وهو بلد اعتيم في الحروب يا لفلان ومعنى الاية انهم كانوا في الدنيا متضاغنين
متقاتلين فاذا صاروا الى الجنة نزع ذلك من قلوبهم وصاروا اخوانا على سرر
متقابلين فيكون تداعيهم بتسبيح الله وتحميده فلذلك وصله بقوله وتحيتهم
فيها سلام وقال الامام ابو منصور له ثلثة اوجه احدها انه بيان انه
ليس على اهل الجنة من العبادات شي سوى التوحيد وهي كلمة التوحيد والثاني

انهم

انهم يقولون ذلك لعظيم ما راوا من النعم وعجيب ما عاينوا والثالث شكرا لما اعطاهم
من الوان النعم وقال محمد بن علي الباقر كلام اهل الجنة ثلثة التسبيح والتحميد
والتسليم بعضهم على بعض ورزق الله هذه الثلثة للمومنين في الدنيا في الصلوة يفتتحون
الصلاة بالتسبيح ويفتتحون القراءة بالتحميد ويختمون بالسلام وقال الحسن
بن علي اذا ارادوا الطعام والشراب سبحوا واذا فرغوا حمدوا واذا اشتاقوا هللوا
واذا التقوا سلموا واذا تفرقوا بعد التزاور فاخر دعويهم اي اخر كلامهم عند التفرق
الحمد لله رب العالمين وقال القشيري دعويهم فيها سبحانك اللهم اي ثناوهم
عليه عند اللقا سبحانك اللهم وتحيتهم من الله عند اللقا السلام يحمدونه حمدا ابديا
سرمديا وهو يحييهم بسلام ازلي هو كلام ابدي وعز صمدي وحب احدي
وقوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وهذه
منتظمة بقوله لا يرجون لقانا فهم عن اياتنا غافلون ولغفلتهم اذا انذروا استعجلوا
العذاب جهلا منهم ولو عجل الله لهم ذلك اذا استعجلوه بدعائهم كما يستعجلون
بالخير لما قاموا للعذاب بل ماتوا لان تركيبهم لا يحتمل ذلك في الدنيا وقضي اجلهم
اي فرغ منه وقطع وقال ابو ذويب ◦ وعليهما مسرودتان قضاهما ◦ داود او
صنع السوابغ تبع ◦ وقرا ابن عامر لقضي اليهم اجلهم بالنصب على الفعل الظاهر اي
لقضي الله اليهم اجلهم والباقون بالضم على ما لم يسم فاعله وقال الامام ابو
منصور تقدير الاية على هذا القول ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه كما يعجل
لهم الخير اذا استعجلوه لهلكوا واستعجالهم ذكر في ايات فامطر علينا حجارة من السما
او ائتنا بعذاب اليم سال سايل بعذاب واقع يستعجل بها الذين لا يومنون بها
ويقولون متى هذا الوعد الى قوله الان وقد كنتم به تستعجلون ويستعجلونك
بالسيئة يستعجلونك بالعذاب اتى امر الله فلا تستعجلوه واستعجالهم الخير في ايات
ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون واذا مس الانسان الضر دعانا ونحوها وعلى
هذا قيل انها نزلت في النضر بن الحارث ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقيل هو
في دعا الانسان على نفسه او غيره بالهلاك عند الغضب ونظيره قوله ويدع الانسان
بالشر دعاه بالخير وكان الانسان عجولا قال الكلبي ولو يعجل الله للناس الشر
العقوبة اذا دعوا على انفسهم او على اولادهم اخزاهم الله ولعنهم الله كما يعجل لهم بالخير
اذا دعوه بالرحمة والعافية والفرج فيرزقهم ويدفع عنهم لماتوا وهلكوا ؛

وقال مقاتل لو استجيب لهم في الشر كما يحبون ان يستجاب لهم في الخير لهلكوا وقال
الامام ابو منصور مع بين القولين ويشبه ان يكون معناه ولو يعجل الله للناس
الشر باكتسابهم الشر وارتكابهم اياه كما يعجل لهم الخير وقت اكتسابهم الخير لهلكوا
وقوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وهذا ابتدا كلام معناه
فنحن نذر اي نترك الذين لا يخافون البعث في تماديهم يمضون متحيرين وقيل فيه
مضمر لكنا لا نفعل ذلك بل نوخر عذابهم الى الاخرة وندعهم في الدنيا كذا وقال
القشيري معناه لو اجبناهم اذا دعوا على انفسهم واعزتهم عند غيظهم وضجرهم
لعجلنا اهلاكهم لكنا نمهلهم لا نجيبهم ورحمتنا عليهم لا تسمح بالاجابة دعا وربما يشكوا
العبد بانه لا يجيب دعاه وترك اجابته لطف منه به قال ٭ اناس اعرضوا عنا ٭
٭ بلا جرم ولا معنى ٭ اساوا ظنهم فينا ٭ فهلا احسنوا الظنا ٭ وقوله تعالى واذا
مس الانسان اي واذا اصاب الواحد من المشركين البلاء والمكروه في بدنه او ماله
دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي على اي حال كان من اضطجاع او قعود او قيام فلما
كشفنا عنه ضره اي فاذا ازلنا عنه بلاه مر اي استمر على شركه ثم لا يرى ذلك منا
وعاد الى ما كان عليه كان لم يدعنا الى ضر مسه اي كان لم يدعنا في بلا اصابه
كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون اي كالذي زين لهذا الانسان زين لسائر
المشركين المجاوزين حدود الشرع بالاشراك بالله وتكذيب الانبيا ووضع الاموال
والانفس في الموضع الذي لا ينتفعون به في عبادة الاصنام وغيرها ما كانوا يعملون
من الدعا عند البلاء والنسيان عند الرخا وهذا التزيين من الله تخليقا ومن
الشيطان وسوسة ومن الاصحاب دعوة وتلبيسا قال ابن عباس نزلت
الاية في ابي حذيفة بن المغيرة وقال عطا في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
وقال الامام ابو منصور قال بعض اهل التاويل جميع ما ذكر في القران الانسان فالمراد
منه الكافر يا ايها الانسان انك كادح يا ايها الانسان ما غرك ان الانسان لفي خسر
وعندي من دخل في هذه الصفة من اهل الايمان وهي الدعا عند البلاء وتركه
عند الرخاء فهو مراد بهذه الاية وانشد القشيري في معنى من كان لم يدعنا
قول الشاعر ٭ كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ٭ ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا ٭
وقوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا قال ابن عباس بين
القرنين ثمان وعشرون سنة لما ظلموا كفروا بالله وهو وضع الشي غير موضعه وهو

ظلم نفسه ايضا وجاءتهم رسلهم بالبينات اي وقد كانت رسلهم جاوهم بالحجج الواضحة
وقوله تعالى وما كانوا ليومنوا اي علمنا انهم لا يومنون بدعا الرسل واظهار الايات
وقوله كذلك نجزي القوم المجرمين اي كذلك نفعل بالمجرمين الذين نعلم
انهم لا يومنون فنحن قادرون على معاجلة هولا المستعجلين بالشر لكنا نمهلهم
لعلمنا ان فيهم من يومن وهو كعكرمة بن ابي جهل وخالد بن الوليد ونحوهما وقوله
تعالى ثم جعلناكم خلايف في الارض اي سكانها من بعدهم لننظر كيف تعملون قال
الامام ابو منصور يحتمل جعلكم مكان اوليك لم نهلككم وهو تذكير للنعمة ويحتمل
جعلكم خلايف اوليك في المحنة والعبادة اي ابتليكم بالامر والنهي كما فعل باوليك
وقوله لننظر قال لم يزل الله تعالى عالما بما كان ويكون منهم من الطاعة والمعصية
ولكن ليعلمهم عصاة ومطيعين لان المعصية انما تكون بعدما يكون النهي والطاعة
انما تكون بعدما يكون الامر فيعلمكم عصاة كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم
مطيعين كما علم انه يكون منكم طاعة وقال القشيري من لم يعتبر بمن سبقه اعتبر
به من خلفه ومن لم يعتبر بما سمعه اعتبر به من تبعه وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله وهذا اخبار بعض جهالات المشركين
معناه واذا تقرا عليهم اياتنا في القران واضحات الاعجاز في النظم والمعنى ليسمعوه
ويتدبروه قال الذين لا يومنون بالبعث والجزا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقران غير
هذا ليس فيه شتم لالهتنا ولا تسفيه لاحلامنا ولا وعيد بالعذاب لنا ولا امر ولا نهي بما يشق
علينا او بدل القران فاجعل فيه بدل السب مدحا وبدل الوعيد وعدا والانبا بغيره
قد يكون مع قيامه وتبديله لا يكون الا برفعه ووضع اخر مكانه او تغيير اشيا منه وقوله
تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي لانه ليس قولي ولا كلامي وانما هو وحيه الي
وذلك قوله ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اتبع الا الوحي وقوله اني اخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي اخشى ان عصيت الله بترك تبليغه الكل او بتبديله
على مرادكم عذاب يوم القيمة وقيل عذاب يوم هايل في الدنيا يترادف عليه العذاب
فيه قال قتادة هم مشركوا مكة وقال الكلبي هم المستهزوون بالقران وهم
خمسة رهط الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل السهمي والاسود بن المطلب والاسود
بن عبد يغوث والحارث بن غيطلة وقال مقاتل قال الذين لا يرجون لقاءنا عبد الله
بن ابي امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس

العامري والعيص بن عامر بن هاشم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا القرآن ليس فيه
ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسك قل ما
يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي فاذا امرت بامر فعلت ولا ابتدع ما لم
اومر به اي اخاف ان فعلت ما لم اومر به عذاب يوم عظيم لنسخها قوله ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر وانزل الله في شانهم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ن
وقال القشيري اذا اقترحوا عليك ان تاتيهم بما لم امرك به او تريهم ما لم اظهر عليك
فاخبرهم انك غير مستقل بك ولا موكول عليك انا القائم عنك المصرف لك وانا المبتدئ
لما اجريه عليك غير مبتدع بما يحصل منك وقوله وقوله تعالى قل لو شاء الله ما
تلوته عليكم اي قل يا محمد لهؤلاء لو شاء الله ما قراته عليكم بان لا ينزله علي ولا ادريكم به اي ولا
اعلمكم الله به دريت الشيء دراية اي علمته وادريته غيري اذا اعلمته وقوله تعالى
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون قال الضحاك فقد لبثت فيكم قبل نزول
القرآن عمرا طويلا اربعين سنة ولا اقرا عليكم شيئا ولا اتيتكم به افلا تعقلون انه ليس من
قبلي وقيل افلا تعقلون اني لو كنت اردت شيئا من طاعتي لربي فيما اوحاه الي لكان
ذلك قبل نزول القرآن وهو وقت شبابي مكن وانا على ذلك حينئذ اقدر وعلى الدفع
عن نفسي اقوى واذا تلوته عليكم في هذا الوقت فانما ذلك للوحي ولخوف العذاب بالعصيان
وقيل فقد لبثت فيكم عمرا قبل نزوله تعرفون حالي في مولدي ومنشاي وسفري
وحضري لم اشتغل بتعلمه ولا اختلفت الى من يعرفه فاذا كانت هذه حالي وجيتكم
به من غير تعلم فاعلموا واعقلوا انه من عند الله وقال الامام ابو منصور ويحتمل لبثت
فيكم سنين لم تعرفوني كذبت قط فكيف افتري على الله واخترع القرآن من عند
نفسي وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون
قال ابن عباس من اظلم ممن اختلق على الله كذبا ان معه شريكا وصاحبة وولدا
وعبد الاوثان او كذب بمحمد والقرآن انه لا ياس المشركون ويحتمل هنا ثلثة اوجه
احدها انه اخبار من الله والمعنى المذكور في الاية من المشركين الكذب والتكذيب جميعا
والثاني انه متصل بقول النبي صلى الله عليه وسلم امره الله في الاية الاولى ان يقول ومعناه
انه قال لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا اضاف اليه ما لم ينزله او بدل ما انزله ومن
نفى ما انزله عنه فكذبه فيه اي لا اظلم من هذين احدهما ينفيه عن نفسه والاخر يثبته
للمشركين والثالث انه نفى الامرين عن نفسه اي اذا اتيت بغير هذا القرآن او بدلت بما

القرآن كنت مفتريا على الله الكذب وكذبته فيما انزله على انه لا يفلح المجرمون اي لا يظفرون
بمطلوب ولا يصلون الى مامول ولا يامنون من محذور وقوله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قال ابن عباس
اي ويعبدون من دون الله الاصنام التي لا تضر من عصاها ولا تنفع من اطاعها في
معاش ولا رزق ولا غيره ويقولون يعني اهل مكة هؤلاء يعنون الاصنام شفعاؤنا عند
الله قال الحسن اي في اصلاح المعاش لانهم كانوا لا يقرون بالمعاد قال تعالى واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الارض اي اتخبرون الله بما لا يعلمه موجودا اي بما يعلمه غير موجود اي لو كان موجودا
لكان معلوما له وجوده لانه عالم بكل شيء فكيف يصح وجود ما لا يعلمه وقوله تعالى
سبحانه هو تنزيه الله عن كل سوء وتعالى عما يشركون وقرا حمزة والكسائي بتا المخاطبة كما
قال اتنبئون والباقون على الغائبة كما قال ويعبدون ويقولون وقال القشيري من
علق قلبه بالمخلوقين في استدفاع المضار واستجلاب المسار فهو كالناكب عن سبيل من عبد
الاصنام اذ الموجد والمنشئ للاشياء عن العدم هو الله المتفرد في الازلية والقدم وقوله
تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما
فيه يختلفون قال ابو روق وما كان الناس الا امة واحدة على ملة الاسلام زمن نوح
بعد الغرق فاختلفوا فتفرقوا ولولا كلمة سبقت من ربك بان جعل للدنيا مدة واجلا لقضي
بينهم لاقيم عليهم الساعة وقال الكلبي انه واحدة كافرة على عهد ابرهيم عليه السلام
فاختلفوا فتفرقوا مومنا وكافرا ولولا كلمة سبقت من ربك ان الله اخر هذه الامة فلا
يهلكهم بالعذاب كما اهلك الذين من قبلهم لقضي بينهم فيما فيه يختلفون من الدين وقال
الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك في حكمه انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من الثواب
والعقاب دون القيمة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة باعمالهم والكافرين النار
بكفرهم ولكنه سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وقال مجاهد والسدي
كان الناس امة واحدة على الاسلام في زمن ادم والاية تنتظم بقوله ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وهي تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تاخير العذاب
عنهم وقيل لقضي بينهم فيما فيه يختلفون باهلاك المبطلين وتخليص المحقين وقوله
تعالى ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات المقترحة كما قالوا لن
نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات وقوله تعالى فقل انما الغيب لله

اي مالك الاشيا الغايبة والعالم بها هو الله وهو اعلم بما نزل عليكم من الايات وما لم ينزل
وانما انا نذير مبلغ قد بلغتكم ما انزله علي من القران الذي جعله اية لي فليس بعد هذا
الا العقوبة المنتظرة وقوله تعالى فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي فانتظروا هلاككم
فانا منتظرون ذلك وقال الحسن فانتظروا مواعيد الشيطان فيما يغركم وعنكم اني معكم
من المنتظرين لمواعيد الله وقوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرا مستهم
اي واذا اعطينا المشركين خصبا بعد جدب ومطرا بعد قحط وسعة بعد ضيق تدعوهم
بذلك الى الشكر وقوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا اذا كلمة مفاجاة اي ظهر منهم مكر
في اياتنا اي حملهم الطغيان على اخفا قصد السو في اياتنا بان تصبوا اعلام
الدعا الى الشكر منهم بعد صورتها وتغيرها عن وجهها ويقولون هذا شي جاءنا
باستحقاقنا وهو كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وكقوله ولين اذقناه نعما بعد
ضرا مسته ليقولن هذا لي وقوله تعالى قل الله اسرع مكرا اي هو استدراج منه لهم من
حيث لا يعلمون واملا لهم وهو اسرع من فعلهم فلا حاجة له في امضا به الى تلبث
ويحتمل ان يكون معناه يستعينون بنعمة الله على الاحتيال على المومنين والانفاق في
ابتغا الغوايل لهم فيوقف الله تعالى نبيه على ذلك قال تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الى قوله ويمكرون ويمكر الله وقال مقاتل بن حيان اذا لهم مكر لا يقولون
هذا رزق الله وانما يقولون سقينا بنو كذا وهو قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
قل الله اسرع مكرا اي صنعا فقتلهم الله يوم بدر وقوله تعالى ان رسلنا اي الحفظة
من الملايكة يكتبون ما تمكرون اي تقولون في الصد عن الايمان والتكذيب وقال
الامام ابو منصور قل الله اسرع مكرا اي اسرع جزا المكر واعجل اخذا لكم من حيث
لا تعلمون انتم وقوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر وفي قراة ابن عامر ويزيد
ينشركم اي يهيي لكم اسباب الانتشار وقرا الباقون يسيركم اي يهيي لكم اسباب
السير طلبا للمعاش ويهديكم الى ذلك وييسر لكم ذلك بالدواب وغيرها وقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن واشتقاقها من فلكة المغزل وفلك السما
ومعناها الدوران في الماء وهي تجي للجمع والواحد وتذكر وتونث وهنا بالجمع
بقوله وجرين بهم والنون للجمع ثم رجع الى المغايبة بقوله بعد ذكر المخاطبة
حتى اذا كنتم وهو طريق مسلوك لاهل اللسان ومعدود في الفصاحة والبيان
مع انه خطاب لمن كان في تلك الحالة واخبار لغيرهم من الناس وهو كقول لبيد

بانت

بانت تشكي الي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا وقوله تعالى بريح
طيبة اي جرت السفن براكبيها بريح لينة لا يستطاب هبوبها ويستتم مرور السفن بها
وقوله تعالى وفرحوا بها اي سروا بطيب الريح وامن السفينة كما لها وقوله
تعالى جاءتها ريح عاصف اي انقلبت الريح فصارت عاصفة شديدة الهبوب
وقوله تعالى وجاءهم الموج من كل مكان اي تلاطمت الامواج من كل جانب من جوانب
السفينة وقوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم اي اشرفوا على الهلكة وغلب ظنهم انهم
لا يتخلصون من الغرق وقوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين اي الاعتقاد والعلم
انه لا يخلصهم منها غيره وقوله تعالى لين انجيتنا من هذه اي فقالوا ربنا لين خلصتنا
من هذه الريح لنكونن من الشاكرين لك لا نكفر نعمك ولا نعبد غيرك ولا نشرك بك شيا
وقوله تعالى فلما انجيهم اي منها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اي عادوا الى خلاف
الشكر واستطالوا في الارض على الناس بغير ان يكون ذلك مباحا لهم فيكون حقا
وقهروهم وسلبوهم وقتلوهم ونسوا عهودهم وقوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم اي بغيكم يجلب الى انفسكم المكاره فهو واقع عليكم ضاركم وقوله
تعالى متاع الحيوة الدنيا قرا عاصم في رواية حفص بالنصب على الحال والقطع
والباقون بالرفع على اضمار هو او ذاك اي ومدة البغي وصاحبه مدة قليلة في
الدنيا كالشي يتمتع به ثم ينقضي وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم في الاخرة فننبيكم
بما كنتم تعملون فنخبركم بذلك ونجزيكم عليه وقال محمد بن كعب القرظي ثلث من كن
فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم متاع الحيوة الدنيا على
انفسكم ولا يحيق المكر السي الا باهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه وقال
القشيري يريد انهم يصبحون في النعم يجرون اذيالهم ثم يمسون يبكون بليالهم وقد
يبيتون والبهجة ملكتهم ثم يصبحون وحقايق التقدير اهلكتهم قال
افنا زمانا والعيون قريرة ومن بعد غدا والعيون سوافك
فاذا رجعوا الى الله باخلاص الدعا جاد عليهم بكشف البلا فلما انجيهم وبالاجابة
راعاهم اذا هم الى عنهم يرجعون وعلى مناهجهم في تمردهم يسلكون وقال انما بغيكم
على انفسكم اي تمتعكم في ايام قلايل ثم تلقون غب ذلك وبيلا وتقاسون
بذلك عذابا طويلا وقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما ثم بين
متاع الحيوة الدنيا المذكورة في الاية المتقدمة انما مثل هذه الحيوة اوصفة

يعني الحيوة القريبة المدة كمطر انزلناه من السحاب فاختلط به نبات الارض اي فنبت
به نبات مختلف الانواع مختلط بعضها ببعض وهو فيما لم ينبت بعد فنبت به
ويجوز ان يكون في النبات الحادث اذا نزل به المطر اختلط بالمطر اي اتصل كل
واحد منها بالاخر فاهتز وربا مما ياكل الناس من اللباب والانعام اي البهايم
من المواشي وغيرها من القشور وهو فيما يشتمل على القشر واللب وقد ينبت
ما ياكل كله الناس كالحبوب وما ياكل كله الانعام كالحشيش **وقوله** تعالى
حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها والزخرف الذهب وقال قتادة
بهجتها وقال الضحاك حسنها وقال ابو العالية جمالها **وقوله** وازينت اي تزينت
ادغمت التاء في الزاي وزيدت الالف ليكون الابتدا بالمتحرك اي اكتسبت رونقا
وجمالا باختلاف الوان النبات من صفرة وحمرة وخضرة وبياض ونحوها **وقوله**
تعالى وظن اهلها انهم قادرون عليها اي على استصحاب تلك الحالة وحصلوا على غير
شي منها لان القادر عليهم وعليها اهلكها وقيل اي قادرون على اخذ ما فيها من النبات
والحب والثمر وعلى التنزه بزهرتها والانتفاع بوجوه منافعها **وقوله** تعالى
اتيها امرنا وهو ما نرسله عليها من عذاب يستاصل نباتها من برد او ريح او
عاصفة او نحو ذلك ليلا اي بالليل او نهارا اي بالنهار فجعلناها حصيدا اي مقطوعا
ساقطا كان لم يغن بالامس اي لم يكن على تلك الصفة فيما قبل وقد غني بالمكان
اذا اقام به وهو من حد علم **وقوله** تعالى كذلك نفصل الايات اي كما بينا
هذا المثل نبين ساير الايات لقوم يتفكرون اي هم المنتفعون بها وقال
الامام ابو منصور قيل ضرب مثل الحيوة الدنيا بالزرع من وجوه احدها
انه يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي يتسارع الى الزوال والانقطاع
بالافة والثاني انه يخبر عن تغيرها وانقلابها كالنبات الذي يتغير في ادنى
مدة والثالث انه ذكر سرور صاحب الدنيا وابتهاجه بالحيوة الدنيا كما يكون ذلك
لصاحب الزرع به ثم يكون ما ذكر والرابع ان معناه مثل الحيوة الدنيا للحيوة الدنيا
فيما ينفقون فيها مثل صاحب الزرع الذي ينفق عليه لما يامل من النما فيه ثم يكون
ما ذكر ولو علم ذلك في الابتدا ما فعل فكذلك صاحب الدنيا فيما يفعل وقال
القشيري شبه الحيوة الدنيا بالما المنزل من السما ينبت به النبات وتخضر به الارض
وتظهر الثمار ويوطن اربابها عليها النفس فتصيبهم جايحة سماوية بغتة وتصير كان

جامعة الملك سعود
عمادة شؤون المكتبات

لم يكن كذلك الانسان بعد كمال سنه وتمام قوته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه
المنية وكذلك اموره المنتظمة تبطل وتختل بوفاته كما قيل • فقدناه لما تم واعتم بالعلى •
• كذاك كسوف البدر عند تمامه • ومن وجوه تشبيه الاحوال الدنيوية بالما المنزل
من السما ان المطر لا يستنزل بالحيلة كذلك الدنيا لا تتاعد الا بالقسمة ثم المطر وان
كان لا يجي الا بالتقدير فقد يستسقى كذلك الرزق وان كان بالقسمة فقد يلتمس من الله
وليسغطا ومنها ان الما في موضعه سبب حيوة الناس وفي غير موضعه سبب
خراب الموضع كذلك المال المستغنى سبب سلامته وانتفاع المتصلين به وعند من لا يستحقه
سبب طغيانه وتبت بلا من هو متصل به كما قيل • نعم الله لغاب ولكن • ربما استقبحت
على اقوام • ومنها ان الما اذا كان بمقدار كان سبب الصلاح فاذا جاوز الحد كان سبب الخراب
كذلك اذا كان بقدر الكفاية والكفاف فصاحبه منعم فاذا زاد وجاوز الحد اوجب
الكفران والطغيان ومنها ان الما ما دام جاريا كان طيبا فاذا طال مكثه تغير كذلك
المال اذا انفقه صاحبه كان محمودا فاذا ادخره وامسكه كان معلولا مذموما ومنها
ان الما اذا كان طاهرا كان حلالا يصلح للشرب ويصلح للطهور وانا لة الاذى واذا كان
غير طاهر فبالعكس فكذلك المال اذا كان حلالا وبعكسه لو كان حراما وبقال كما
ان الربيع تتورد اشجاره وتظهر ازهاره وتخضر رباعه وتتزين بالنبات من الرهان
وتلاعه ثم لا يومن ان تصيبه افة من غير ارتقاب وتنقلب الحال بما لم يكن من الحساب
كذلك من الناس من تكون له احوال صافية واعمال بشرط الخلوص زاكية وغصون
انسه متدلية ورياض قربه مونقة ثم تصيبه عين فيذبل عود وصاله ويتبدد
باب عوايد اقباله كما قيل • عين اصابتك ان العين صايبة • والعين تسرع احيانا الى الحسن •
وقوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام لا يدعوكم الى الركون الى الدنيا التي هي
بعرض الافات بل الى الجنة التي فيها السلامة من كل العاهات قال
الزجاج دار السلام دار السلامة عن كل افة والسلام والسلامة كاللذاذ واللذاذة
والرضاع والرضاعة وقال الحسن وقتادة السلام الله وداره الجنة ومعنى
الاية على القول الاول والله يدعوكم الى العمل للاخرة التي يسلم صاحبها من
الخوف والحزن ونعيمها من التغير والفنا **وقوله** تعالى ويهدي من يشا الى
صراط مستقيم اي من حسنت اجابته الله لها هداه الى الطريق الذي يفضي اليها
فالدعا عام والهداية خاصة اذ الكل مدعوون والسعدا منهم مهديون وقيل

دار السلام دار التحية قال الله تعالى وتحيتهم فيها سلام وهي من بعضهم لبعض وقال
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وهو سلام الملائكة وقال تعالى سلام
قولا من رب رحيم وهو سلام الله تعالى وقال القشيري الدعا تكليف والهداية
تعريف فالتكليف على العموم والتعريف على الخصوص والتكليف بحق سلطانه والتعريف
بحكم احسانه الدعا قوله والهداية طوله ودار السلام دار السلامة سلم اهلها من الفرقة
والحرقة سلموا من الحرقة فحصلوا في لذة عطائه وسلموا من الفرقة فوصلوا الى عزيز لقائه
وقيل لا يصل الى دار السلام الا من سلمت نفسه عن سجود الصنم وقلبه عن الشرك
والظلم ودرجات تلك الدار متفاوتة فالذي سلم قلبه عن صحبة الاغيار اعلى درجة
ممن سلم نفسه من الذنوب والاوضار والصراط المستقيم طريق المسلمين فهذا
للعوام بشرط علم اليقين ثم طريق المؤمنين وهو طريق الخواص بشرط عين اليقين
ثم طريق المحسنين وهو طريق اشراف الخواص بشرط حق اليقين فهولاء بنور العقل
اصحاب البرهان وهولاء بكشف العلم اصحاب البيان وهولاء بضيا المعرفة بوصف
العيان وهم الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمحسن من سلم الخلق منه باجمعهم
عن قلبه وقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي للذين احسنوا الاعمال
الحسنى قال ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشرة امثالها وعن علقمة قال
وزيادة هي التضعيف وقال الحسن وزيادة عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف
وقال مجاهد الحسنى الجنة والزيادة هي المغفرة والرضوان وقال علي بن
ابي طالب الزيادة غرفة من لولوة واحدة لها اربعة ابواب الغرفة والابواب
من لولوة واحدة وقال الامام ابو منصور قيل الحسنى الجنة لانها جزا الاحسان
كما سمي النار السوای قال ثم كان عاقبة الذين اساوا السوای لانها جزا الاساءة
قال وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد يحبه المحسنون فيهابه كل احد
من غير سلطان قال وقيل التضعيف حتى يكون عشرا وسبعمائة وما شاء الله
يدل عليه قوله في مقابلته والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قال وقد يكون
الزيادة هي قبول حسناته مع ما فيها من الخلط بالسيئات قال وقد يكون الحسنى ما
تقدره العقول وتدركها وتصورها الاوهام والزيادة هي التي لا تقدرها
العقول ولا تدركه ولا تصوره الاوهام كما قال وفيها ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابي بن كعب سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذه الاية فقال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ولدينا مزيد قال يتجلى لهم ربهم وعن
صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند
الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هذا الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا
ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فينظرون اليه والذي
نفس محمد بيده ما اعطاهم شيئا هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم من النظر اليه والاية
تنتظم بجميع هذه الاقاويل كلها واولى التفاسير تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قال به جماعة من الصحابة والتابعين ابو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان
وابو موسى الاشعري وكعب بن عجرة وصهيب بن سنان وعبادة بن الصامت
وابن عباس وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن ابي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة
والحسن والضحاك والسدي ومقاتل وعطا وعامة المفسرين الزيادة النظر الى
وجه الله تعالى وروى قيس بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون
هذا القمر لا تضامون في رؤيته وهذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي
بالمرئي وهو القول الحق وعليه اهل السنة والجماعة وروى منصور بن عمار عن
نجيد بن نجيح قال الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان
امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم فتمطرهم منعمات وقوله تعالى ولا يرهق
وجوههم قتر اي لا يغشاها غبار وقيل القتر غبرة معها سواد اي على وجوههم سيما
الفرح والسرور كما قال تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال وجوه يومئذ ناضرة
وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وهو خلاف وجوه اهل النار ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ههنا كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما وقوله تعالى ولا ذلة اي هوان وقوله تعالى اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون هذا ظاهر وقال القشيري للذين احسنوا في الواجبات
ولم يخلوا بالمندوبات وقيل احسنوا اي لم يبق عليهم حق الا قاموا به ان كان
حق الحق فمن غير تقصير وان كان حق الخلق فمن غير تأخير وقيل احسنوا في

الدال كما احسنوا في الحال فاستداموا ما فيه استقاموا وقيل الحسنى في الدنيا توفيق بدوام
تحقيق في تمام وفي الآخرة غفران معجل وعيان على التأبيد متصل **وقوله**
وزيادة قال اهل المعرفة الحسنى الرؤية والزيادة دوامها وقيل الحسنى اللقا والزيادة
البقا في حال اللقا ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اي لا يردون من عز شهوده
الى رؤية غيره هم فيها خالدون في فنون افضاله في جميع احوالهم **وقوله** تعالى
والذين كسبوا السيئات قال الكلبي عملوا الشرك والمعاصي جزاء سيئة اي لهم جزاء
سيئة بمثلها وهي النار فهي مثلها اي موافقة لعملهم اعتقدوا الشرك على الابد فعوقبوا
فيها على الابد وترهقهم ذلة اي تغشيهم هوان وآثار خيبة وحرمان وهو كقوله
ووجوه يومئذ باسرة وكقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة **وقوله**
تعالى ما لهم من الله من عاصم اي من مانع من عذاب الله من جهة اصنامهم واعوانهم
وقوله تعالى كانما اغشيت وجوههم قطعا قرا ابن كثير والكسائي بسكون
الطاء وقال الاخفش معناه اي بعضا من الليل وقرا الباقون بفتح الطاء وهي
جمع قطعة **وقوله** تعالى من الليل مظلما نصبه على الحال من قوله من الليل حال
الظلمة وهو كقوله وتسود وجوه **وقال** القشيري في سموا بذل الحجاب في عوقبوا
تابيد العذاب **وقوله** تعالى اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا ظاهر
وقوله تعالى و يوم نحشرهم جميعا اي نجمع الذين كسبوا السيئات وما عبدوهم من
دون الله في الموقف و**قوله** تعالى ثم نقول للذين اشركوا اي للمشركين مكانكم نصب على
الاغراء معناه الزموا مكانكم واثبتوا مكانكم **وقوله** تعالى انتم وشركاؤكم انتم توكيد
لاسم المخاطبين بالامر بلزوم مكانهم وشركاؤهم عطف عليه واضاف الشركا اليهم لانهم
القائلون بذلك **وقوله** تعالى فزيلنا بينهم اي فرقنا بينهم وقد زلته ازيله اي
فرقته وزيلته للتكثير وليس من الزوال ذاك واوي وهذا يائي قال تعالى لو
تزيلوا وجاء في الحديث خالطوا الناس وزايلوهم اي خالطوهم بالابدان وفارقوهم
في الاعمال تقول انا نقول للمشركين الزموا مكانكم والحقكم للحساب لا تفترقوا وقيل
اي اثبتوا مكانكم مع شركائكم ليعينوكم ويشفعوا لكم ويعصموكم عن عذاب
الله وهي كلمة توبيخ فزيلنا بينهم اي ميزنا بين العابدين والمعبودين لان المعبودين
ان كانوا ملائكة فهم يميزون عن اهل النار الى المواضع التي هي مقاماتهم **وقوله**
تعالى وقال شركاؤهم قيل هم الملائكة ما كنتم ايانا تعبدون وهو كقوله ويوم

نحشرهم

نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن اي قالت الملائكة ان الجن وهم الشياطين دعتهم الى
عبادتنا ونحن منهم براء فانما عبدوا الشياطين **وقال** الكلبي ومقاتل ومجاهد
شركاؤهم الاصنام ينطقهم الله تعالى فيقولون ما كنتم ايانا تعبدون ما علمنا بعبادتكم
وما امرنا بها ولا عبادة الا بامر المعبود وعلى هذا قوله فزيلنا بينهم اي فرقنا
بين المشركين واصنامهم وما كان بينهم من التواصل وقيل اي جعلنا الاصنام ترابا
وجعلنا المشركين في النار وقيل شركاؤهم اغواتهم وقرناؤهم في الشرك وقوله
فزيلنا بينهم فلم يتناصروا قال تعالى وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون وقيل
هو تفريقهم في الدركات في النار لان بعضهم اسفل من بعض **وقوله** تعالى فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي ما كنا عنها الا غافلين
وشهيدا بيننا وبينكم اعم واحسن من قوله شهيدا لنا ولكم وعلينا وعليكم لانه يتضمنها
قال الكلبي لما قالت الاصنام لم نعلم بعبادتكم ايانا قالوا بل عبدناكم بامركم فيقولون
هذا وعلى قول من قال هم الملائكة فهم يقولون هذا اي الله يشهد ويعلم انا لم نعلم بها ولم
نرض ولم نامر **وقوله** تعالى هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت قرا حمزة والكسائي تتلوا
بتاءين من التلاوة اي تقرا في كتابه وهو قول الفرا وقيل تتبع وقال ابن زيد تعاين
وقيل هو معنى ما روي يمثل لكل عابد معبوده فيقال له اتبعه فيتبعه حتى يورده
النار وقرا الباقون تبلوا بالبا المعجمة من تحتها بواحدة **وقال** ابن عباس اي
تختبر ومعناه في هذا الموقف تختبر كل نفس ما قدمت من عمل حتى ترى تنتفع به او لا
تنتفع والمعنى ظهور الاعمال اي هنالك يظهر للعاملين اعمالهم التي قدموها وكذلك قوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا انه يرجع الى ظهور اعمالهم **وقوله** تعالى وردوا الى الله مولاهم
الحق اي ردّ العابدون والمعبودون الى حكم الله الذي هو مولاهم في الحقيقة لا مولى
لهم غيره فيحكم بينهم ويبين الكاذب من الصادق **وقوله** تعالى وضل عنهم ما كانوا
يفترون اي بطل ما كانوا يقولون نعبدهم ليشفعوا لنا **وقال** القشيري انما
يقفون على خسرانهم اذا ذاقوا طعم هوانهم واذا ردوا الى الله لم يجدوا الا البعد والطرد
عن الله وذاك جزا من آثر غير الله على الله **وقوله** تعالى قل من يرزقكم من
السما والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون وهذه محاجة لهم بما

بيطر عتم ... وقولهم بالشرك بقول قل يا محمد للمشركين من ينزل من السما ومن يخرج من
الارض رزقكم ومن يدبر امر ذلك امن يملك اسماعكم وابصاركم يصرفها كيف
يشا ولو اراد ان يسلبها خيها لفعل ومن يخرج الولد الحي من النطفة الميتة وعلي
القلب ويخرج الشجرة من النواة وعلي القلب والزرع من الحبة وعلي القلب
والمومن من الكافر وعلي القلب ومن يقدر امور الخلايق فسيقولون
الله لان ذلك اعتقادهم فقل لهم افلا تتقون من تعجيزكم اياه عن اعادة الموتى
احيا في الاخرة كما كانوا في الدنيا وقال الامام ابو منصور افلا تتقون عقوبته
ونقمته بالاشراك ويحتمل افلا تتقون عبادة غيره دونه واشراك غيره في الالوهية
به ويحتمل افلا تتقون صرف شكره الي غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم
بهذه النعم ويحتمل افلا تتقون عصيانه ومخالفته وقد عرفتموه وقال القشيري
فسيقولون الله ولكن ظنا لا عن بصيرة نطقا لا عن تصديق سريرة وقوله
تعالى فذلكم الله ربكم الحق اي فاعل ذلك كله هو الله الحق كقوله الربوبية
والالاهية وقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اي فليس بعد عبادته اذا
عبدتم غيره الا الضلال عن الحق وقوله تعالى فاني تصرفون اي من اين تصرفون
عن هذا الامر بعد المعرفة وقوله تعالى وقال عطا فكيف تصرف عقولكم
الي عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يخلق ولا يرزق وقوله تعالى كذلك
حقت كلمة ربك قرا نافع وابن عامر كلمات ربك ههنا وفي اخر هذه السورة
علي الجمع والباقون علي التوحيد اي حق كلام ربك اي حكمه علي الذين فسقوا
وهم قوم باعيانهم خرجوا عن طاعة الله وعلم الله منهم اختيار البقا علي الضلالة
انهم لا يومنون وهو كقوله لقد حق القول علي اكثرهم فهم لا يومنون وقوله
تعالى قل هل من شركايكم من يبدو الخلق ثم يعيده قل الله يبدو الخلق ثم
يعيده فاني توفكون قال ابن عباس اي قل يا محمد لاهل مكة هل من اصنامكم
من يبدو الخلق في بطن امه نطفة وعلقة ومضغة ثم يعيده يبعثه بعد
الموت فان اجابوك فقل الله والا فقل لهم الله يبدو الخلق ثم يعيده بعد
الموت فاني تصرفون فمن اين تصرفون عن الحق استفهام بمعنى التوبيخ والخلق
اسم جنس فصلح للجمع وهو في الاصل مصدر ايضا فلا يثني ولا يجمع وقوله تعالى
قل هل من شركايكم من يهدي الي الحق قال مقاتل قل هل من شركايكم

اللات

اللات والعزي ومناة والاصنام التي تعبدونها احد يهدي الي دين الاسلام اي فلا
بد لهم من ان يقولوا لا لانها لا تعقل ولا تميز ولا تضر ولا تنفع فقل لهم انت وذلك
قوله تعالى قل الله يهدي للحق اي الي الحق والهداية تعدى علي ثلثة اوجه
يقال هديته كذا ولكذا والي كذا قوله تعالى افمن يهدي الي الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى قرا ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع يهدي بفتح الهاء
وتشديد الدال واصله يهتدي فادغمت التا في الدال ونقلت فتحتها الي الها لئلا
يجتمع ساكنان وقرا ابو عمرو ونافع في رواية غير ورش يهدي باختلاس فتحة الهاء
وتشديد الدال بعد الهاء وعن عاصم في رواية بكسر اليا لانكسار الهاء لتتفق
الحركات وقرا حمزة والكسائي يهدي باسكان الهاء وتخفيف الدال علي الاصل الثلاثي
واما معناه فقد قال عطا ان محمدا دعا قومه الي الحق والرشاد فهو احق ان
يتبع ممن لا يدعو الي حق ولا يهتدي الا ان يهدى وقال الحسن افمن يهدي
الي الحق وذلك هو الله احق ان يتبع اي يعمل بامره امن لا يهدي الي خير اي هو
جماد لا يعرف هدى من ضلال ولا خيرا من شر ولا نفعا من ضر وقوله
تعالى الا ان يهدى قيل هو استثنا منقطع ومعناه لكنه يهدى اي يحمل وينقل
من مكان الي مكان والهدية ما يحمل وينقل من مكان الي مكان والهدى ما
ينقل الي الحرم وهدا العروس نقلها الي بيت زوجها اي هو لا يستطيع ان ينتقل
بنفسه فكيف يهدي غيره وقال الامام ابو منصور ويحتمل الا ان ينطقه
الله تعالى في القيمة ويهديه الي القول الحق كما تقدم ذكره في قوله ما كنتم ايانا تعبدون
ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاذا فعل الله بهم ذلك صاروا كذلك ويكون
معناه الا ان يهدى اي يجعلهم الله بحيث يهتدوا اذا هدوا ويجيبوا اذا دعوا وقوله
تعالى فما لكم استفهام بمعنى التوبيخ كيف تحكمون كذلك ومعناه كيف تقضون بالجور
وصرف العبادة والشكر الي من لا يملك شيا وقوله تعالى وما يتبع اكثرهم
الا ظنا اخبر بالسبب الذي صاروا به الي الضلال فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا
اي بغير دليل كما اقتدا بهم باسلافهم ظنا منهم انهم مصيبون وقوله تعالى
ان الظن لا يغني من الحق شيا اي لا ينفع في معرفة الحق نفعا ما اي لا يدل عليه
ولا بوجه وقوله تعالى ان الله عليم بما يفعلون من الشرك واتباع الظن
وترك الحق فهو يجازيهم علي ذلك وهو وعيد وقال الامام ابو منصور

قال بعضهم وما يتبع اكثرهم الاصنام كبراوهم بقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم هولاء شفعاونا عند الله وقال بعضهم اتباعهم فان الكبرا عرفوا البراهين
وعاندوا والعوام قلدوا ظنا منهم ان الكبرا على الحق وقوله تعالى وما كان هذا القران ان
يفترى من دون الله قال الامام ابو منصور هذا يخرج على وجهين احدهما ما كان
هذا القران بالذي يحتمل الافترا من دون الله لخروجه عن طوق البشر ووسعهم وذلك الذي
يحيل كونه مفترى في نفسه والثاني لما اودع فيه من الحكمة والصدق يدل على كونه من
عند الله اذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب والاختلاف وهذه الاية تتصل بقوله
ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي وقوله تعالى
ولكن تصديق الذي بين يديه نصبه بكان اي يصدق هذا القران الكتب المتقدمة
ولو كان محمد هو الذي افتراه من عند نفسه لم يخرج موافقا لها لان محمدا لم يعرف
سائر الكتب ولما خرج موافقا لها دل انه من عند الله جا قال الله تعالى وما كنت تتلو
الاية وقوله تعالى وتفصيل الكتاب اي ما كتب لهم وعليهم وقال الحسن وتفصيل
الكتاب الوعد لمن اطاعه بالنعيم المقيم والوعيد لمن عصاه بالعذاب الاليم وقوله
تعالى لا ريب فيه من رب العالمين اي لا شك فيه انه كلام رب الخلايق اجمعين وقوله
تعالى ام يقولون افتراه ام منقطع عما قبله فيتصل بقوله اكان للناس
عجبا او يضمر ههنا استفهام وهو افيعرفون بهذا ام يقولون افتراه وقيل معناه بل
كما في قوله ام يقولون تقوله وقوله تعالى قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين وهو امر تعجيز اي انتم اصحاب لسان وبيان وانما انا
رجل منكم فتكلفوا انتم ان تاتوا بسورة مثل هذا القران في نظمه وصحة معانيه
وزوال الاختلاف عنه واستعينوا بمن استطعتم من خلق الله ان كنتم صادقين
انه مفترى ولان محمدا يقدر على الاتيان بقران غيره وتبديله وقال
القشيري انسدت بصايرهم فلم يزدادوا بكثرة السماع الا عمى على عمى كما ان اهل الحقيقة
ما ازدادوا الا هدى على هدى فسبحان من جعل سماع خطابه لقوم سبب تحيرهم
ولاخرين موجب تبصرهم وقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم
تاويله اي ليس تكذيبهم القران لقولهم بكونه مفترى عندهم بيقين لكنهم كذبوا
به ظنا من غير احاطة علمهم به انه كذلك ولم ياتهم حقيقة ما يؤول اليه عاقبة من
كذب به من نزول النقمة بهم وقال ابن عباس وتاويله ما يكون منه في الدنيا وما

يكون

يكون منه في القيمة من العذاب وقال الامام ابو منصور قيل بل كذبوا بالبديهة
ما لم يحفظوا نظمه ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبروا ليعلموا معناه وتاويله وتفسيره
وقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم من الامم رسلهم تشريعا لا تثبتا وقوله
تعالى فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم وعقولهم كيف نزل بهم
العذاب فليتق هولا ان تكون عاقبتهم كذلك وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتخويف للمكذبين وقوله تعالى ومنهم من يؤمن به قال الكلبي ومقاتل
ومن اهل مكة من سيؤمن بالقران يصدق به ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق
انه من عند الله وربك اعلم بالمفسدين في الارض بالمعاصي وقيل بمن يدوم منهم
على فساد الكفر ممن يتوب منهم وقال الامام ابو منصور اي على علم بما يكون منهم
خلقهم لا عن غفلة وجهل لا يضره فساد مفسد ولا ينفعه صلاح مصلح ولا يحتمل
انه على الوعيد والتهديد وقوله تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم
بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون اي فان كذبوك قبل ان يكون ايمان من علم الله
انه يومن فقل لهم لي عملي في التبليغ والتنبيه ولكم عملكم الذي تو ثرونه لانفسكم
انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون كل يحاسب على عمله دون عمل غيره
قال الكلبي ومقاتل نسختها اية القتال وقال القشيري برح الخفا
وكشف الغطا فلا المحسن بجرم المسيء معاقب ولا المسي بحكم المحسن مخاطب
بل كل بما يعمله محاسب وقوله ومنهم من يستمعون اليك اي الكل دلالة للفهم
ومن اسم جنس فصلح للجمع بمعناه وقوله تعالى افانت تسمع الصم ولو كانوا
لا يعقلون استفهام بمعنى الجحد اي لست تقدر على افهام من يتصامم عن سماع الحق
فلا يعقله ولا يفهمه وقوله تعالى ومنهم من ينظر اليك وحد الفعل لانه واحد
في اللفظ وان كان جمعا في المعنى للجنس وقوله تعالى افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
اي كما ليس لك ان تسمع الصم فتجعل لهم اسماعا يعقلون بها عنك ما تقول فليس لك ان
تهدي العمي الى طريق يسلكونه وهم لا يبصرون وهو كقوله انك لا تهدي من احببت
الاية وقال الامام ابو منصور نفى في الاول العقل وفي الثاني البصر لانه
بالبصر يوصل الى اهتداء الطرق والسلوك فيها الا ترى ان البهايم قد تبصر
الطرق وتسلك فيها وتتقي بها المهالك ولا تعقل لما ليس لها سمع العقل مع سماعها
الصوت فبظاهر البصر يبصر الاشيا وبظاهر السمع بدون العقل لا يعرف الاشيا

وقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون اخبر ان
ما حل بالهالك من عذاب الاستيصال فانما حل بهم بظلمهم انفسهم والله تعالى منزه
عن ان يظلم احدا من خلقه وقيل ان الله لا ينقص من ثواب العباد شيا ولكن
ينقصون ذلك بفعلهم وقوله تعالى ويوم يحشرهم اي واذكر يوم يحشرهم
الى الموقف كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار هي مقدار من الزمان تقسم به اليوم والليلة
على اربع وعشرين منها ذكرهم القيمة وما فيها من الجزا ليخافوا ويتهيبوا الهول قال
ابن عباس كان لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة من النهار وقال الضحاك وصغرت الدنيا
في قلوبهم من هول ما استقبلوا وكانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة وقوله تعالى
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا ساعة ثم تنقطع المعرفة قال تعالى ولا يسال حميم
حميما وقال فلا انساب بينهم يومىذ ولا يتساءلون وقوله تعالى قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله قيل هو حالهم حين حشروا وقيل هو ابتدا ومعناه قد هلك وغبن
المكذبون بالقيمة اغترارا بحطام الدنيا وهذه حالها ولم يكونوا مهتدين حيث
اعتقدوا التكذيب بالقيمة ويحتمل ان يكون قوله وما كانوا عطفا على قوله كذبوا
ويحتمل ان يكون عطفا على قد خسروا وقال القشيري الايام بمر مضيها في حكم
اللحظة لمن افكر فيها ومتى يكون لها اثر بعد تقضيها والاتي من الوقت قريب
وكان قد والماضي من الدهر بعيد كان لم يعهد وقوله تعالى واما نرينك اصله
وان ما ان للشرط وما صلة والنون للتاكيد ومعناه وان اريناك وقال مقاتل
واما نرينك في حيوتك بعض الذي نعدهم من العذاب يعني القتل ببدر او نتوفينك قبل
عذابهم وكان البعض هو القتل ببدر وساير العذاب نزل بهم بعد الموت فالينا
مرجعهم بعد الموت فنخبرهم باعمالهم ثم الله شهيد ثم لترتيب الاخبار اي ثم نخبركم ان
الله شهيد على ما يفعلون من الكفر والمعاصي فنجزيهم عليها وقوله تعالى ولكل
امة رسول فاذا جا رسولهم في الاخرة قضي بينهم بالعدل كما يقضي بينك وبين امتك
وهم لا يظلمون في اعمالهم فلا ينقصون من حسناتهم ولا يزادون على مساويهم
وقال ابن عباس فاذا جا رسولهم فكذبوه قضي بينهم وبين رسولهم يوم
القيمة فيقول الله تعالى الم ياتكم رسلي بكتبي فيقولون ما اتانا لك رسول ولا كتاب
ثم يوتى بالرسول فيقول قد بلغتهم كتابك ورسالاتك فيقول الله من يشهد لك
فيقول الملايكة فتدعى الملايكة فيقولون نشهد انه قد بلغ وقال عطية

العوفي فاذا جا رسولهم وبلغهم الرسالة فكذبوه قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا بالعدل
فعذب المكذبون ونجي الرسل والمومنون وهم لا يظلمون وهم لا يعذب احد من غير ذنب
ولا على غير حجة قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال
القشيري لم يخل زمانا من شرع ولم يخل شرعا من حكم ولم يخل حكما عما يتعقبه من
ثواب او عقاب وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قال مقاتل لما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم يعني من العذاب قالوا متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بنا فنزل هذا وقوله تعالى قل لا
املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شا الله ان يملكنيه وهكذا لا املك انزال العذاب
بكم الان وقوله تعالى لكل امة اجل اذا جا اجلهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون قال مقاتل اي قل يا محمد لكفار مكة لا املك لنفسي دفع سو عنها
ولا سوق خير اليها الا ما شا الله فيصيبني فكيف املك انزال العذاب بكم ولكل
امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح المحفوظ فاذا جا وقت عذابهم لا يتقدمون
ساعة حتى يعذبوا ولا يتاخرون فكذلك لهذه الامة والعذاب القتل ببدر
وقوله قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون فيه
تقديم وتاخير واضمار تقديره ما ترون وما تقولون ماذا يستعجل منه المشركون
ان اتيكم عذابه الذي تستعجلونه اخذا بالليل او بالنهار كيف تصنعون وقال
القشيري من عرف كمال القدرة لم يامن اخذ الفجاة ومن خاف البيات لم يستلذ
السبات ومن توسد الغفلة ايقظته فجاة العقوبة ومن استوطا مركب الزلة
عثر به في وهدة المحنة وقالت بنت الربيع بن خثيم لابيها ما لك لا تنام فقال ان
اباك يخاف البيات وقوله ثم اذا ما وقع امنتم به استفهام بمعنى التوبيخ اي بعد
ما استعجلتم العذاب اذا وقع امنتم بالله وهو غير نافع لكم لان الايمان باس فقيل
امنتم اي صدقتم بالعذاب وكنتم تستعجلون به استهزا وتكذيبا وحين رايتم صدقتم
به وقوله تعالى الان اي يقال لهم ذلك والالف المقطوعة في اوله استفهام
بمعنى التوبيخ والان اصله من قولك ان لك ان تفعل كذا ادخلت عليه الالف
واللام للتعريف وجعل كالاسم وترك على الفتحة لانه فعل في الاصل وهو كما روي
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال جعلا كاسمين وتركا على ما كانا
فعلين يعني يقال لهم الان تومنون وترجون الانتفاع به وقد كنتم في مهل

الذي لاختياركم فيه لو اردتم فيه الايمان لا منكم فلم تفعلوا والان حين رفع الابتلا
ترجون الانتفاع بالايمان الذي لا اختيار لكم فيه على الغيب بل انتم اليه مضطرون اي
ان هذا مما لا يكون وهذه اشيا لم تكن بعد واخبر عنها بفعل ماض تنبيها على انها
كاينة لا محالة وهو كقوله واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس **وقوله**
تعالى ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني
يعني ثم يقال للذين ظلموا انفسهم بالشرك والتكذيب ذوقوا عذاب الخلد فانه خالد
لكم لا يزول تصيرون الى القبر فتعذبون فيه ثم يبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون
فيها خالدين وهو جزا وفاق لكسبكم **وقوله** ويستنبئونك احق هو اي ويستخبرونك
يا محمد بعد هذا الاقتصاص منك عليهم احق ما تقول وانت فيه جاد مستقر للصدق
فيه ام هذا عجيب **وقوله** تعالى قل اي وربي اي قل نعم اقسم بالله انه حق والي
لا يقال الا مع الايمان ولا يذكر مع الافراد **وقوله** تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين
وقال الكلبي ويستخبرونك اي اهل مكة احق ما جيتنا به من نزول العذاب
نبا والبعث بعد الموت قل نعم وربي ان العذاب نازل بكم وما انتم بسابقين وقال
الامام ابو منصور ويحتمل احق ما تدعونا اليه من التوحيد وهو كقولهم لابرهيم اجيتنا
بالحق ام انت من اللاعبين وقولهم لموسى اتتخذنا هزوا **وقوله** تعالى ولو ان
لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به قال الامام ابو منصور
اخبر انه لو كان لكل نفس اشركت جميع ما في الدنيا ملكا له لافتدت به
عند نزول العذاب به لشدة العذاب طلبا للخلاص وان كان الذي منع الكفار
عن الايمان هو حبهم الدنيا وحرصهم عليها وبخلهم بها قال تعالى ورضوا بالحيوة
الدنيا الاية **وقوله** تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب هذا ابتدا غير
معلق بلو ومعناه اخفوها اي عن اتباعهم وقيل اي اضمروها على ما كان منهم من
التكذيب وقيل اي اظهروها والاسرار لغة في الاظهار والاخفا جميعا وهو من الاضداد
وهو قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب ونحو ذلك **وقوله** تعالى وقضي بينهم بالقسط
اي بالعدل اي يجري المحسن على احسانه والمسي على اسايته فلا ينقص من
ثواب ولا يزاد على عقاب **وقوله** تعالى وهم لا يظلمون ثم قوله واسروا وقضي
ماض ومعناه المستقبل لانه من امور الاخرة لكنها كاينة لا محالة فلذلك
ذكره بصيغة التحقيق وقال القشيري لا يقبل منهم صرف ولا عدل ولا

بقع

بقع فيما سبق من الوعيد خلف ولا ينفعهم ندامته وان صدقوها ولا تنالهم
كرامته وان طلبوها ولا يجري عليهم ظلم في الجزا كلا بل هو الله العدل في القضا
الفرد في العلا نعت الكبرياء **وقوله** الا ان لله ما في السموات والارض
اي ليس لظالم ملك ما في الارض ليفتدي به بل هو لله ووجه اخر انه قادر
على تحقيق ما اوعد به لانه مالك ما في السموات والارض **وقوله**
تعالى الا ان وعد الله حق اي كاين بالرحمة كان او بالعذاب **وقوله** تعالى
ولكن اكثرهم لا يعلمون قال الامام ابو منصور اي لا ينتفعون بعلومهم
ويحتمل لا يكتسبون سبب العلم بالتامل والنظر في الادلة وقال في الاول
الاية انه دلالة البعث من وجهين احدهما ان من قدر على ايجاد السموات والارض
لا عن شي قدر على احيا الخلق بعد افنايهم والثاني ان خلق السموات والارض
وتعليق منافع بعضها ببعض والافضال على الخلق بانواع النعم من كمال
الحكمة وقد اخبر انه ما خلقهما باطلا فلو كانت للفنا ولا حيوة بعده كان يكون
خارجا عن الحكمة ولا وجه له **وقوله** تعالى هو يحيي ويميت واليه ترجعون
تحقيق للاول وقال القشيري يحيي القلوب بانوار المشاهدات ويميت
النفوس بانواع المجاهدات قال وقيل يحيي من اقبل عليه ويميت من اعرض عنه
يحيي بالرجا ويميت بالقنوط **وقوله** تعالى يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من
ربكم قال ابن عباس يا ايها الناس يعني قريشا قد جاتكم موعظة من ربكم
في القران وهي ما دعا الى النسك والخشوع وصرف عن الاثم والفسوق وقال
الامام ابو منصور وقيل هي النهي قال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله اي ينهيكم
قال وقيل هي التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب قال وقيل
هي التي تلين كل قلب قاس وتجلي كل قلب مظلم **وقوله** تعالى وشفا لما في
الصدور الشفا كالدوا لازالة الداء وداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه
اعسر واطباوه اقل والشفا منه اجل وقال القشيري شفا كل
احد على حسب حاله فشفا المذنبين بوجود الرحمة وشفا المطيعين بوجود
النعمة وشفا العارفين بوجود القربة وشفا الواجدين بشهود الحقيقة
قال ويقال شفا العاصين بوجود النجاة وشفا المطيعين بوجود الدرجات
وشفا العارفين بالقرب والمناجات **وقوله** تعالى وهدى اي ارشاد الى

الصواب ورحمة ومنة من الله تعالى على عباده ببيان شرايع الدين والامور التي
توصلهم الى جنته ونعمته **وقوله** تعالى للمومنين ايهم الذين ينتفعون بها
وقيل ورحمة للمومنين اي تخليص من العذاب للذين يومنون به اي يصدقون
بانه من عند الله وقال القشيري الموعظة لارباب الغفلة ليتوبوا والشفا
لاصحاب الحضور ليطيبوا قالوا وقيل الموعظة للعوام والشفا للخواص والرحمة
لجميعهم وبرحمته وصلوا الى ذلك **وقوله** قل بفضل الله وبرحمته الفضل
الزيادة في النعمة وفضل الله افضاله كالنبات يجي بمعنى الانبات في قوله تعالى والله
انبتكم نباتا اي قل يا محمد لهولا الذين همتهم جمع الاموال واسباب الترفه
في الدنيا لا الايمان بفضل الله وبرحمته افرحوا لا بالمال واسباب الجلال
والجمال وهو **قوله** تعالى فبذلك فليفرحوا وقوله وقرا الحسن
بتا المخاطبة وكان الكساي يعيب هذه القراة والفرا يجيزها لانه رد الى الاصل
وهو كقوله صلى الله عليه وسلم لتاخذوا مصافكم وقرا العامة بيا المغايبة واللام
في امر المغايبة لازمة وفي المخاطبة جايزة **وقوله** تعالى هو خير مما يجمعون
هو يرجع الى قوله فبذلك وذلك يرجع الى ما سبق ذكره وهو فضل الله
ورحمته وقيل هما يرجعان الى القران لانها تتصل بالاية الاولى وهي في ذكر
القران وفيه الفضل والرحمة اما الرحمة فقد قال في الاية الاولى وهدى
ورحمة واما الفضل فقد قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم
اياته الى ان قال ذلك فضل الله وقال ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وفضله
فضل الله الاسلام ورحمته القران وقال الضحاك على عكسه وقال
ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله وقال ابن عمر
فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبكم قال تعالى حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وقال خالد بن معدان فضل الله الاسلام ورحمته سننه وقال
عبد العزيز بن يحيى فضل الله النعم الظاهرة ورحمته النعم الباطنة وقال ابو بكر
الوراق فضل الله النعما وهو ما اعطا وحبا وبه رحمته الالا وهو ما صرف
وزوى وقال سفين بن عيينة فضل الله التوفيق ورحمته العصمة وقال
سهل بن عبد الله فضل الله الاسلام ورحمته السنة وقال الحسن بن الفضل فضل
الله الايمان ورحمته الجنة وقال ذو النون المصري فضل الله دخول الجنان

ورحمة

ورحمته النجاة من النيران وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الله وبرحمته
قال بكتاب الله والاسلام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الثبات على الاسلام وقيل
فضل الله الاسلام ورحمته ان جعلنا من امة محمد عليه السلام وقال القشيري
فضل الله ما اباح لهم من الخيرات ورحمته ما ازاح عنهم من الافات وفضل الله ما اكرمهم
به من اجراء الطاعات ورحمته ما عصمهم من ارتكاب الزلات فضل الله دوام التوفيق
ورحمته تمام التحقيق وفضل الله ما يخص به اهل الطاعات من صنوف احسانه ورحمته
ما يختص به اهل الزلات من وجوه غفرانه وفضل الله المعرفة في البداية ورحمته المغفرة
في النهاية فضل الله ان اقامك لشهود الطلب ورحمته ان رزقك الوجود بعد الطلب
فضل الله ان عرفك بنظر البرهان ورحمته ان اشهدك بحكم البيان الى ان تراه غدا
بكشف العيان فضل الله الروية ورحمته ابقاوهم في حالة الروية وقوله تعالى فبذلك فليفرحوا
اي بما اهلكم له لا بما تتكلفون من حركاتكم وسكناتكم وتتصلون اليه بنوع من
تصنعكم وتعملكم هو خير مما يجمعون من الاموال الوافية وتتصفون به من الاحوال
الزاكية قال وتعالى الذي لك منه في سابق القسمة خير لك مما تكلفته من صنوف
الطاعة والخدمة وقال الامام ابو منصور وفي الاية ان الله تعالى بانزال القران
متفضل اذ له ان لا ينزل وفيه ان الفترة يواخذون في حال فترتهم **وقوله** تعالى قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قال الامام ابو منصور
اضاف انزاله الى السما وان كانت الارزاق مما تخرج من الارض لما ان اسبابها متعلقة
بالسما من المطر والشمس والقمر في الانبات والانضاج والتلوين وقال تعالى وفي
السما رزقكم وما توعدون وهو على هذا ويجعل قوله انزل اي خلق كما قال
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة
والسايبة والوصيلة والحامي وقيل ما جعلوا لله من الحرث والانعام وفيه تنبيه
بيان الامرين وفيه دليل على ان الحرام من رزق الله كالحلال **وقوله** تعالى
قل الله اذن لكم استفهام بمعنى الانكار ام على الله تفترون اي على الله تكذبون
وقال الكلبي قل يا محمد لاهل مكة قل ارايتم ما انزل الله في الكتاب من رزق
الله حلالا فجعلتم مما رزقكم الله حراما على النسا وحلالا على الرجال وهذا في
شان البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي قل الله امركم به ام على الله تختلقون
الكذب ما لم يامر به وقال مقاتل قل لكفار مكة قريش وخزاعة وثقيف

وعامر بن صعصعة وبني مدلج وعامر والحارث بني عبد مناة ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
يعني الحرث والانعام فجعلتم منه حراما وحلالا يعني ما حرموا للالهة من الانعام قل الله اذن
لكم بتحريمه بل على الله تفترون الكذب كقوله ام انا خير يقول بل انا خير **وقوله**
تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع
واضمر فيه خبره باسره اي وما ظنهم بالله في يوم القيمة ماذا يفعل بهم جزاء على افترايهم
عليه وقال الامام ابو منصور فان قيل كيف اوعدوا بيوم القيمة وهم لا يومنون
بالبعث قيل فذا لزمهم الحجة على كون البعث بما اقام من الدلايل وبما جعل في عقولهم من
الايمان به اذ ليس من الحكمة خلق الخلق للفنا خاصة وبعد فانه قد يوعد المرء بما لا يتيقن
به ويخوف عليه وان لم يحط علمه به ومعنى اخر ما ظن الذين يفترون على الله الكذب
لو خرج الامر حقا وظهر ما قال من البعث رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** تعالى ان الله
لذو فضل على الناس قال الامام ابو منصور اي على كل الناس بما ساق الى الكل من
الرزق كافرهم ومومنهم وبما اخر عنهم العذاب وبما بعث اليهم الرسل والكتب عن ان
كان منهم سابقة صنع يستوجبون به ومنه خصوص فضل على المومنين ولكن اكثرهم
لا يشكرون فضله وانعامه عليهم لجهلهم بمواقع النعم التي ساقها اليهم **وقوله** تعالى
وما تكون في شان واتصاله بما قبله ان الله لذو فضل على الناس في الامهال وليس
امهاله لغفلة عن احوالهم علمه لانك يا محمد ما تكون في شان اي امر وما تتلو منه اي وما
تقرا مما انزل عليك من قران ولا تعملون اي ولا تعمل انت وساير الناس من عمل الا
كنا عليكم شهودا عالمين به شاهدين عليه اذ تفيضون فيه اي تشرعون
فيه وتنبسطون وتنتشرون وما يعزب عن ربك قال ابن عباس اي لا يغيب
وقرا الكساي بكسر الزاي وغيره بالضم وهما لغتان ومعنى العزوب البعد والغيبة
من مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة وقيل الذرة ما يتراءى في الهواء عند وقوع الشمس
في الكوة وكونها في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قراهما حمزة
بالرفع ردا على موضع قوله من مثقال ذرة لان من زايدة لتاكيد النفي تقديره
وما يعزب عن ربك مثقال ذرة **قوله** تعالى الا في كتاب مبين قال ابو روق
هو اللوح المحفوظ وقيل اي هو مثبت عند الله كتبه ملايكة الله واحصاه الله
ويقال ردهم الى كتابة ذلك عليهم لعدم اكتفايهم في الامتناع عما نهوا عنه برويته
وعلمه وقال القشيري خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم في جميع احوالهم ورويته لما

ليلفون من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياهم منه وهذه حالة
المراقبة فالعبد اذا علم انه يراه مولاه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم
حول ما نهاه وانشدوا في معناه • كان رقيبا منك خالي بمهجتي • اذا رمت تسهيلا
عليه تصعبا • وقال اخر • اعاتب عنك النفس في كل خصلة • تعاتبني فيها
وانت مقيم • وما يعزب عنه مثقال ذرة وكيف يخفى عليه ذلك او يتقاصر عنه علمه
وهو منشيه وموجده وبعض احكامه الجارية عليه مخصصه **وقوله** تعالى الا
ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولا خوف يوم القيمة اعداه ذكر ما يعطي
فيه اولياه قال ابن كيسان اولياء الله هم الذين تولى الله هديهم بالبرهان
الذي اتيهم وتولوا القيام لحقه والدعا اليه عامة خلقه وقيل هم الذين تولاهم الله
كرامته وثوابه وقال القشيري الولي على وزن فعيل مبالغة من الفاعل وهو
من توالت طاعاته من غير ان يتخللها عصيان ويجوز ان يكون الفعيل بمعنى المفعول
ههنا كالجريح والقتيل فيكون الولي من يتوالى عليه احسان الله وافضاله ويكون في
معنى كونه محفوظا في عامة احواله من المحن واشد المحن ارتكاب المعاصي فيعصمه
الله على دوام اوقاته عن الزلات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن اولياء
الله فقال هم الذين اذا راوا ذكر الله وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم
الانبيا والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله فقال رجل من هم يا رسول الله وما
اعمالهم لعلنا نحبهم بذلك قال رجال يتحابون بروح الله من غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها بينهم فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا
خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون قال ابن زيد اولياء الله هم الذين وصفهم الله في الاية التالية الذين
امنوا وكانوا يتقون **وقوله** تعالى لا خوف عليهم اي من النار ولا هم يحزنون
ان يخرجوا من الجنة وقال ابن كيسان لا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم
يحزنون على فوات ثواب الله وقال القشيري لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الاجل ولا في الحال لان حقيقة الخوف توقع محذور يصيب في المستقبل والحزن
ترقب محبوب يزول في المستانف وهم بحكم الوقت ليس لهم تطلع المستقبل والحزن
من الخونة وهم في الحال في روح الرضا بما يجري **وقوله** تعالى الذين امنوا

وكانوا يتقون قيل هو نصب نعتا لقوله الا ان اولياء الله وقيل هو مبتدا وخبره لهم
البشرى وقال الكلبي يتقون الشرك والمعاصي وقال القشيري امنوا اقاموا
بقلوبهم موجب المعارف وكانوا يتقون استقاموا بنفوسهم باداء الوظايف وقوله
تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا من الملايكة عند قبض الارواح وفي الاخرة
تتلقاهم لادخال الجنة وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الرؤيا
الصالحة يراها المسلم او ترى له وقال الضحاك تعلم اين هو قبل ان يموت
وقال الزهري هي البشارة قبل الموت وقال ابن عباس هي قوله لنبيه
عليه السلام وبشر المومنين وقال الحسن هي ما بشر الله المومنين في كتابه وفي الاخرة
قوله يبشرهم ربهم وقوله تعالى لا تبديل لكلمات الله اي لمواعيده في كتبه على
السنة رسله وقيل لهذه البشارات وقيل لما مضى من سنته في الاولين من الاهلاك
والاستيصال للمكذبين وقيل اي لحجج الله وبراهينه وقوله تعالى ذلك هو الفوز
العظيم اي ذلك التبشير وقيل اي ذلك الموعود هو الفلاح العظيم لانه نيل جميع ما
يرجى والامن من كل ما يخشى وقال القشيري لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة اذا قاموا بما به امروا واستقاموا في ترك ما عنه زجروا بشرتهم
الشريعة بالخروج عن عهدة الالزام وبشرتهم الحقيقة باستيجاب الاكرام فما كوشفوا
به من الاعلام هذه البشرى في عاجلهم واما في اجلهم فالحق يتولى ذلك قال تعالى
يبشرهم ربهم فالذي تنال البشارة العظمى ما يجدونه في قلوبهم من ظفرهم بنفوسهم
وسقوط ماربهم والرضا بالكاين بتقدير ربهم هذه هي النعمة العظمى ووجدان
هذه الحالة هي البشارة الكبرى وقوله تعالى ولا يحزنك قولهم اضاف النهي
الى قولهم لانه هو السبب لحزنه ومعناه لا تحزن بقولهم وهو كقولك لا اربنك
ههنا تضيف النهي عن الرؤية الى نفسك ومعناه لا تكن ههنا فاريك ومعنى الاية
ولا تحزن بقولهم متى هذا الوعد وقال ابن عباس ولا يحزنك تكذيبهم وقوله
تعالى ان العزة لله جميعا هو ابتدا بمعنى فان العزة كلها لله له المنعة والسلطان وقوله
تعالى وهو السميع اي لاقوالهم العليم اي بضمايرهم وافعالهم وهو منزل بهم عذابه فلا
يمتنعون منه وقال ابن المسيب ان العزة لله يعز من يشاء وقوله ولله العزة
ولرسوله وللمومنين وعزة الرسول والمومنين بالله جميعا فهي كلها لله وقال
مقاتل ولا يحزنك قولهم انك مفترى كذاب وقيل في القران انه سحر وانه مفترى

وقيل

وقيل في الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وقوله تعالى الا ان لله من في السموت
ومن في الارض اي كلهم عبيده يفعل بهم ما يشاء لا يمنع من نفذ به من شاء تقديره
وقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء له وجوه احدها انه استفهام
ومعناه اي شيء يتبع الذين يدعون الاصنام شركاء لله ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون
الا الظن وهو توهمهم شفاعة الاصنام لهم حتى قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقالوا اتخذوا من دون الله شفعاء انهم لا يخرصون اي وما هم الا يكذبون
وقيل يتقولون الظن والثاني ان ما بمعنى الذي ومعناه والذي يتبعون الذين يدعونهم
شركاء ما يتبعون فيهم الا الظن والثالث ان ما للنفي ومعناه ولا يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء وهو مفعول يتبعون لا يدعون اي الذين يتبعونهم ليسوا بشركاء
وانما يتبعونهم ظنا انهم بها تنفعهم وهو ظن كاذب والرابع ان ما نفي وان نفي وهو
تكرار لنفي شيء واحد للتاكيد وهو كتكرار قبل في قوله وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
من قبله لمبلسين وقوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
وهو اخبار عن قدرته على ما تعجز عنه اصنامهم يقول هو الله الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه اذا اويتم الى منازلكم منصرفين من الحركة والاضطراب في طلب المعايش
وجعل النهار ذا ابصار اي يقع فيه الابصار على المبصرات ويكون فيه بروز الاشياء
للعيون بعد الاستتار بظلمة الليل وهو كقوله في عيشة راضية اي ذات
رضا وماء دافق اي ذي دفق وليل نايم اي ذي نوم اي ينام فيه وقال
جرير لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم
وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي لعلامات على قدرة الله ووحدانيته
لمن يسمع المواعظ فيتدبرها بقلب حاضر قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد وقال القشيري الليل لاهل الغفلة بعد وغيبة
ولاهل الندم توبة واوبة وللمحبين زلفة وقربة واوحى الله الى داود كذب
من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني وقوله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على
الله ما لا تعلمون وهذا تعجيب من الله تعالى من جرأة المشركين على الافترا على الله
باضافة الاولاد اليه وحاجهم في ذلك فقال قالوا اتخذ الله ولدا وهم ما كانوا يقولون
ان الملايكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال سبحانه تنبيها للعباد على تنزيهه ثم قال

هو الغني له ما في السموات وما في الارض اي فلا حاجة به الى الولد الذي انما يتكثر به ويتعزز به في الحيوة وبعد الوفاة فمن كان مالكا للسموات والارض لم يوصف بالحاجة الى التكثر والتعزز ثم اخبر انه لا سلطان لهم بهذا اي لا حجة **وقوله** تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام بمعنى الانكار وقال القشيري لا يجوز في صفة الله تعالى الولادة لتوحده وانه لا قسيم له ولا يجوز منه التبني ايضا لتفرده وانه لا شبيه له وقال الامام ابو منصور ان في الشاهد من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحد وجوه ثلثة اما لحاجة تمسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على اخر ممن يخافه واذا كان له ملك السموات والارض وملك ما فيها وكلهم عبيده واماؤه فلا حاجة تقع له الى الولد اذ هو الغني والمالك **وقوله** تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون اي الذين يقولون لله ولد لا ينجون في الاخرة من العقوبة ولا يصلون الى ما رجوا من الاصنام من الشفاعة **وقوله** تعالى متاع في الدنيا اي هو متاع او لهم متاع اي تمتع وانتفاع بالدنيا الفانية مدة قصيرة **وقوله** تعالى ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون من الظاهر **وقوله** تعالى واتل عليهم نبا نوح هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما ناله من ابتداء قومه بالتكذيب واعلام للمشركين المستعجلين بالعذاب ان الامم الماضين استعجلوا فامهلوا الى زحف القول ثم اخذوا فليس امهالي هؤلاء لعجز بل لما كان للاولين حتى وقع الياس من ايمانهم ومعنى قوله واتل عليهم نبا نوح اي واقرا يا محمد على قومك المشركين خبر نوح النبي عليه السلام **وقوله** تعالى اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم اي شق عليكم وثقل مقامي اي فيابي فيكم بحقوق الله وتذكيري بايات الله اي التي اوحاها الي وجعلها علامات كفته هذا الدين فعلى الله توكلت اي اعتمدت فاجمعوا امركم قراءة نافع بالوصل من الجمع وقرا الباقون بالقطع من الاجماع وهو العزم اي اعزموا على امركم **وقوله** تعالى وشركاءكم قال الفراء اي وادعوا شركاءكم اضمروا فعلا اخر سوى الاول وهو كقول القايل

علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا وقال اخر ورايت زوجك

في الوغى متقلدا سيفا ورمحا اي ومعتقلا رمحا وقال الزجاج هو مفعول معه اي مع شركائكم وقال بعضهم اجمعوا اي اعدوا منيع على الايمن جميعا امركم وشركاءكم اي الهتكم وقيل اي الذين يشاركونكم في التكذيب **وقوله** تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال المبرد اي فرجوا عن انفسكم ولا تقولوها

وقيل ضيقا وحزنا وقيل اي مغطا ملبسا قاله الاخفش وانشد لطرفة **شعر** لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد وهو من قولهم غم الهلال واصله ان من اضمر شيئا فكر في اصحابه وانتهز الفرصة فيه وهو في غم منه والتباس لا يدري ايتهيا له امضاؤه ام لا **وقوله** تعالى ثم اقضوا الي اي افرغوا الي مما تريدون بي ومعناه امضوه وهو كقوله فاقض ما انت قاض واذ خال الي على معنى القوافي الي ما استقر رايكم عليه مفروغا منه ولا تنظرون اي لا تمهلون وقال ابن عباس فاجمعوا امركم قولكم وعملكم وشركاءكم واستعينوا بالهتكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة يعني اظهروا امركم ولا تكتموه ثم اقضوا الي امضوا الي ولا تنظرون اي لا تربصوا في اصدا وقال الضحاك اي انهضوا الي ولا تؤخرون **وقوله** تعالى فان توليتم اي فان اعرضتم مما سالتكم من اجر فتحتجوا به على اعراضكم وقيل اي فلا ضرار علي لاني لم ادعكم الى الايمان لاجر احد منكم يفوتني اذا لم تؤمنوا وانما الضرر في ذلك عليكم بما يفوتكم من ثواب الله وقال الامام ابو منصور يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسالكم اجرا على ذلك فيكون لكم عذر في الاعراض وهو كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون وفيه دلالة منع اخذ الاجر على تعليم العلم لانه لو جاز ذلك لكان لهم عذر ان لا يتبعوا ذلك ولا يتعلموا شيئا من ذلك وفيه هدم شرايع الله تعالى واسقاطها **وقوله** تعالى ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين اي المنقادين وقيل من المخلصين **وقوله** تعالى فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلايف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي اسكناهم في الارض بعد اهلاك الذين قبلهم واغرقنا المكذبين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الذين انذرهم نوح وقال الامام ابو منصور كان انذر جميع قومه من امن ومن لم يؤمن فيحتمل ان يكون معناه فانظر كيف كان عاقبة من اجاب ومن لم يجب ويحتمل ان يكون معناه عاقبة الذين لم يقبلوا الانذار ولم يجيبوا وكانت الهلاك والاستيصال **وقوله** تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم اي اقوامهم كصالح الى ثمود وهود الى عاد وغيرهما فجاؤوهم بالبينات اي المعجزات **وقوله** تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اي فاصروا على التكذيب وكان في علم الله انهم لا يؤمنون وكذلك ارادتهم كذلك نطبع على قلوب المعتدين اي نختم على قلوب الظالمين المجاوزين الحد اي من علمنا منه اختيار الاصرار على الكفر خذلناه واوجدنا منه ذلك وقيل اي فما كان المتاخرون ليؤمنوا بما كذب به من قبلهم من الامم كقوم عاد

وثمود وقال ابن عباس فلم يكونوا ليصدقوا الرسول والكتاب بما كذبوا به في أخذ
الميثاق عليهم وقال الفراء لم يكونوا ليؤمنوا لك يا محمد بما كذبوا به في الكتاب الاول
يعني اللوح المحفوظ وقال الامام ابو منصور ويحتمل بما كذبوا به من قبل بعث
الرسول ويكون دليلا على ان اهل الفترة يواخذون بالتكذيب في حالة الفترة ويحتمل
وما كانوا ليومنوا بعد اتيان البينات بما كذبوا به من قبل اتيان البينات وقال
القشيري قص الله عليه نبا الاولين وشرح له جميع احوال الغابرين ثم فضله على كافتهم
اجمعين فكانوا نجوما وهو البدر وكانوا انهارا وهو البحر به انتظم عقدهم وبنوره
اشرق نهارهم وبظهوره ختم عددهم فكان كما قيل يومك وجه الدهر من اجله
حن غد والتفت الامس وقوله ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون
وملايه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين اي ثم ارسلنا من بعد الرسل موسى
واخاه هرون الى فرعون واشراف قومه ووزرايه واهل مشورته باياتنا من العصا
واليد وغيرهما فتعظموا عن الانقياد لموسى واخيه وكانوا عتاة مردة لا يبالون
من اكتساب الاثام وقال ابن عباس باياتنا التسع وكانوا قوما مجرمين
مشركين وقوله تعالى قال موسى اتقولون للحق لما جاكم استفهام بمعنى التقريع
وقوله تعالى اسحر هذا وهو بلفظ الاستفهام وقد ذكر عنهم انهم قطعوا القول
به حيث قالوا ان هذا لسحر مبين فيجوز ان يكونوا قطعوا القول به مرة وذكروا بلفظة
الاستفهام على وجه الانكار مرة يعني اتاتينا بهذا على مقابلة سحرنا مع كثرته
وتقدمنا في صنعته فذكر الله تعالى ما ذكر وافي الكلامين جميعا ويجوز ان يكون
معناه اتقولون للحق لما جاكم وتم الكلام اي تقولون هذا للحق لما جاكم ثم قال اسحر
هذا وهو استفهام بمعنى التوبيخ والتعجب من قولهم وليس بحكاية لقولهم وقوله
تعالى ولا يفلح الساحرون اي لا يفوزون في الدنيا ولا في الاخرة وقال الامام
ابو منصور الفلاح الظفر بالحاجة والغلبة والسحر باطل فيكون مغلوبا
والحق غالبا ويحتمل والساحرون في الدنيا لا يفلحون في الاخرة ويحتمل ان
يكون معناه لا يفلح الساحرون بسحرهم في حال سحرهم وكذا لا يفلح الظالمون
ولا يفلح الكافرون فاذا فعلوا ذلك افلحوا وقوله قالوا اجئتنا لتلفتنا اي
لتصرفنا وقد لفته فالتفت اي صرفته فانصرف وقوله تعالى عما وجدنا
عليه اباءنا لا نعرف نبوة ولا ملكا ولا الها غير فرعون وقوله تعالى وتكون

لكما الكبرياء في الارض اي الملك في ارضنا فتستعظموا علينا وقوله تعالى وما نحن
لكما بمومنين اي بمصدقين في دعوى النبوة ووعيد العذاب اراد واقطع اطماعهم
في ايمانهم وقال ابن عباس عما وجدنا عليه اباءنا كان يعبدها اباؤنا وكانت
لفرعون اصنام صغار صنعها لهم وامرهم بعبادتها وتكون لكما الكبرياء اي السلطان
والملك والشرف في الارض اي في ارض مصر وقال الامام ابو منصور
ويحتمل وتكون لكما الالوهية التي كان يدعي فرعون لنفسه لان عندهم ان من
اطيع واتبع فقد عبد ونصب الها وقال القشيري ركنوا الى التقليد فيما
دانوا واستحقوا استدامة ما عليه كانوا فلحقهم شوم العقيدة وسوء الطريقة
حتى توهموا ان الانبياء انما دعوهم الى الله لتكون لهم الكبرياء على خلق الله ولم يعلموا انهم
انما دعوهم الى الله بامر الله وقوله تعالى وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
عليم ولما جا موسى بالعصا واليد البيضا وصارت العصا ثعبانا قالوا لفرعون
انه سحر فاستشارهم فاشاروا عليه بجمع السحرة فامر بذلك وانما قال بكل ساحر
للتعاون ولئلا يفوته شي من السحر بتخلف البعض وقوله تعالى ولما جا السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي فترون ان يبطل الله ذلك ولم يكن هذا امرا
منه بالسحر ولا رضا به لكنه تهديد من الوجه الذي قلنا والوثوق بالحجة يمكن
الخصم من الابتدا بالشبهة حتى اذا بلغ الغاية جا الحق فدمغ الباطل وليس
لما علم انه الله غالب وقوله تعالى فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر قرا
ابو عمرو بالمد على الاستفهام وعلى قراته ما جئتم به استفهام اي اي
شي جئتم به ثم قال السحر اي اهو السحر وقرا الباقون بغير مد وعلى هذا ما جئتم
به بمعنى الذي جئتم به وهو مبتدا والسحر خبره ومعناه هذا هو السحر الذي
اصنعتموه الخ ومعنى قراة المد اتجيئون بالسحر تقصدون به معارضة
المعجزة وهو انكار عليهم وقوله تعالى ان الله سيبطله اي يجعله مغلوبا
ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال الامام ابو منصور اي لا يجعلهم باعمالهم
الفاسدة صالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة وقوله تعالى ويحق
الله الحق بكلماته قال الامام ابو منصور الحق حق وان لم يحق والباطل باطل
وان لم يبطل وقد قال ليحق الحق ويبطل الباطل ولكن معناه ليجعل الحق
في الابتدا حقا فيصير حقا ويجعل الباطل في الابتدا باطلا فيكون باطلا اي

بما ابطاله الباطل بكون باطلا وبتحقيقه الحق بكون حقا **وقوله** بكلماته
اي برسالات رسله اذ بهم يظهر الحق من الباطل وهم حجج الله في الارض
وبالحجج يظهر الحق من الباطل ويحتمل باياته التي انزل عليه بها يظهر
الحق وبطلان السحر ويحتمل بكلماته بمواعيده بظفر موسى وقومه وهلاك
اعدايه وقيل احقاق الحق اظهاره وتمكينه بالدلايل الواضحة والايات
اللايحة حتى يرجع الطاعن عليه حسيرا والمناصب له كسيرا وقيل في
قوله بكلماته هي مواعيده بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض الاية **وقوله** تعالى فلا يصلون اليكما باياتنا الاية وهو كقوله ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا الصالحين ثم بين الكلمة فقال انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون **وقوله** تعالى ولو كره الكافرون المجرمون قال
مقاتل يعني القبط وقال القفال اي فرعون وقومه لانه سماهم
مجرمين في قوله فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين والمجرم من اعتاد كسب المعاصي
تعالى فلان جريمة اهله اي دايم على الاكتساب لهم **وقوله** تعالى فما امن
لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وان فرعون
لعال في الارض وانه لمن المسرفين قال ابن عباس يعني لم يصدق موسى
الا قليل من قوم فرعون وهم سبعون اهل بيت من القبط من اهل فرعون
والامهات من بني اسرايل فجعل الرجل يتبع امه واخواله على خوف من
فرعون وملايهم يعني اشراف قومه وجنده ان يقتلهم
وان فرعون لعال في الارض لمخالف في ارض مصر وانه لمن المسرفين يعني
مع المشركين في النار وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في قلة من امن به
وقيل معنى الاية فما صدق موسى الا اعقاب قوم من قوم موسى وهم
بنو اسرايل كان الزمان بعد مجي موسى امتد على موسى حتى مات كثير
من الاباء وبقي اولادهم فامنوا به وهو قول مجاهد والصحيح فما امن
لموسى من قوم فرعون الا ذرية من قومه حققوا قولهم وما نحن لكما بمومنين
الا اليسير من قلنا ان امهاتهم كن اسرايليات امنوا ميلا اليه من جهة قرابة
الامهات ومع هذا كانوا خايفين من فرعون واعوانه ان يفتنوهم عن
دينهم اي يصرفوهم اذا كان فرعون الي ان اهلكه الله عاليا في ملك الارض

لانهم بالغلبة والقهر مسرفا مجاوزا القدر في الكفر بادعاء الالهية وقتل النفوس
وقيل مؤمن الا نفر اليسير امراة فرعون وخزبيل مؤمن ال فرعون وخازن فرعون
وامراة خازنه ثم قوله وملايهم على الجمع له ثلثة اوجه احدها انه يرجع الى الذرية
والثاني انه يرجع الى فرعون وكان ملكا وذكره ذكر مع اتباعه كقبايل قدم الخليفة
اي مع اتباعه وانا اخاف السلطان اي اخافه واتباعه والثالث انه ذكر فرعون ومعناه
ال فرعون اضمر الاول كما في قوله واسال القرية اي اهل القرية وقال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
اي يا امة النبي **وقوله** تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين اخبر ان موسى لم يضعف قلبه لقلة من امن به من قوم فرعون بل قال
لمن امن به منهم على الله توكلوا ولا تخافوا فرعون وملاه وقال الامام ابو منصور
فيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد لانه بدا بالايمان وختم بالاسلام وانما جمع بينهما
لانه يشير الى زيادة فايدة مع ان الاصل واحد فان الايمان هو اعتقاد تصديق كل
حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق ولان الايمان هو التصديق بكلية الاشيا فيها انها
لله بالربوبية والالاهية والاسلام هو جعل كلية الاشيا لله سالمة وقال القشيري
بين انه لا يكفي الاقوال بل لا بد من صدق الاحوال وحقيقة التوكل توسل يتقدمه تصل
ثم تعلم ان نجاته بفضل الله سبحانه يحصل لا بما ياتي به من التكلف والتعمل **وقوله**
تعالى فقالوا على الله توكلنا اطاعوه الى ما امرهم به **وقوله** تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين قال مجاهد له معنيان احدهما لا تعذبنا بايدي قوم فرعون
وهو كقوله على خوف من فرعون وملايه ان يفتنهم والثاني لا تعذبنا بعذاب من عندك
فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا وما سلطنا عليهم فيفتتنوا فتنة كفر وضلال
وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي اخرجنا من بين اظهرهم
فامنهم ونعبدك امنين وقيل اي خلصنا من استعبادهم واخذهم بالاعمال
الشاقة والمهن الخسيسة **وقوله** واوحينا الى موسى واخيه اي هرون ان تبوا لقومكما
بمصر بيوتا اي اتخذا وقيل اي تمكنا ومصر لا ينصرف لانه مونث معرفة لانها بلدة
او كورة او ارض لقومكما اي لاجلهم واجعلوا اي انتما وهم بيوتكم قبلة قال
مجاهد اي نحو الكعبة وقيل فيه اضمار اي اجعلوا بيوتكم قبلة الى الكعبة وقال
ابن عباس ان فرعون لما اتاه موسى بالرسالة امر بمساجد بني اسرايل فكسرت كلها
وكانت المساجد ظاهرة فامرهما الله ان يجعلا لقومهما مساجد في جوف البيوت

ولا يظهروها واقيموا الصلاة اي حافظوا عليها بشروطها وبشر المومنين اي يا موسى بشرهم
بقرب الخلاص وخص موسى به لان هرون كان تابعا له وذلك ان موسى كان يامر
فرعون بان يرسل معه بني اسرايل فيخرجوا من مصر الى الشام بوعد الله ان يورثهم
اياها ويجعلهم سكانها وكان فرعون يابى عليه وكان لذلك وقت معلوم فامرهما
الله ان يقيما بمصر مطمئنين متمليين لا يستعجلان وان يامرا بني اسرايل بذلك
ويتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها سرا منتظرين للفرج وهكذا عادة
المسلمين اذا حزبهم امر فزعوا الى الصلاة وقال الامام ابو منصور ويحتمل
هذا الامر بالانفصال من فرعون وقومه باتخاذ البيوت لهم في طرف من المصر
حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا على ذلك ولا يكون المرور عليهم وكان
ذلك الاتصال من جهة القبلة وقال القشيري مهدنا لهم لعبادتنا
محال وهي نفوسهم ولمعارفنا منازل وهي قلوبهم ولمحبتنا مواضع وهي ارواحهم
ولمشاهدتنا معاهد وهي اسرارهم فنفوس العارفين بيوت الخدمة وقلوب العارفين
اوطان المعرفة وارواح المهيمين مشاهد الحكمة واسرار الموحدين منازل
الهمة **وقوله** تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
في الحيوة الدنيا ضاق صدر موسى من معاملة فرعون وقومه فدعا عليهم فقال
ربنا انك اعطيت فرعون وملاه زينة في هيئاتهم في المحافل واذا ركبوا وبرزوا
للناس واموالا من ذهب وفضة **وقوله** تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك اي
يا ربنا اعطيتهم ذلك ليضلوا الناس عن طاعتك **وقوله** تعالى ربنا اطمس على
اموالهم اي اهلكها واذهب اثارهم لانهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما
امرتهم ان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك قال ابن عباس بلغنا
ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير **وقوله**
تعالى واشدد على قلوبهم قال الامام ابو منصور يحتمل هذا وجهين واجعل على قلوبهم
قساوة وغلظة تنفر الاتباع منهم ومن تقلدهم عن اتباعهم وتقليدهم فيكون
ذلك اهون علينا استنقاذ الاتباع منهم وادعى للاتباع الى الايمان والثاني
اطبع على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم اي ليروا ذلك ويحتمل الغاية
اي الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يومنوا الى الغرق وكان ذلك
ايمان باس فلم يقبل منهم وقوله فلا يومنوا يحتمل النصب جوابا للامر بالفاء ويحتمل

عطفا

عطفا على قوله ليضلوا ويحتمل الجزم بالنهي على معنى الدعا وهو كقول الشاعر ٥
فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ٥ ولا تلقني الا وانفك راغم ٥
وقال مجاهد وابن عباس واشدد على قلوبهم فلا يومنوا اي اهلكهم كفارا وقال
مجاهد واشدد على قلوبهم بالضلال فلا يومنوا بالله بما يرون من الايات حتى يروا
العذاب الاليم وقال الامام ابو منصور هذا محمول على ان الله تعالى اخبر موسى
انهم لا يومنون فيسعه هذا الدعا كما اخبر الله تعالى نوحا انه لن يومن من قومك
الا من قد امن فلا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاما قبل ان يخبره بذلك
فلا يسعه ان يدعو بهذا وهو انما ارسله اليهم ليدعوهم الى الايمان وهذه الاية
دليل على ان الدعا على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا ولا يكون رضا بالكفر
ولا استحسانا له بل هو غاية استقباح له فانه لا يدعو به على احد الا وعنده
افحش جناية وعليه اعظم عقوبة **وقوله** تعالى قد اجيبت دعوتكما والدعا كان
من موسى وحده في الظاهر فانه قال وقال موسى ربنا وانما قال دعوتكما لوجوه
احدها انه يحتمل ان هرون دعا ايضا وانما ذكر عن موسى لانه كان اصلا
ويحتمل ان هرون اقتدى به فيما دعا واتبع الفاظه فيه فكان الاصل
لموسى فاضيف اليه ثم كانت الاجابة لهما والثالث ان موسى كان يدعو وهرون
يومن والتامين دعا فان معناه كذلك فليكن **وقوله** تعالى فاستقيما اي
على ما انتما عليه من الابلاغ والوعظ الى حلول الوقت ولا تستعجلا **وقوله**
تعالى ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فرعون وقومه وقرا ابن عامر ولا
تتبعان بتخفيف النون وهو اخبار لا نهي وقرا الباقون بالتشديد ولا تتبعان
نهي والنون للتاكيد كما في الواحد لا تقولن ولا تفعلن وقال ابن عباس
وابن جريج مكث فرعون بعد الدعوة اربعين سنة وقال القشيري
من شرط الدعا الافتقار في الابتدا ثم حسن الانتظار في الانتها وكمالها
بالرضا بجريان الاقدار بما يبدو من المسار والمضار والاستقامة في الدعا
سقوط التقاضي على الغيب والجمود عن الاستعجال بحسن الثقة وجميل الظن **وقوله**
تعالى وجاوزنا ببني اسرايل البحر اي اجبنا دعاهما وامرنا بني اسرايل بالخروج للوقت
المعلوم ويسرنا لهم اسبابه فلم يعلم فرعون وملاه بهم وله يجبرا استعدادهم للخروج
لاخفائهم ذلك عنهم وصرفنا اياهم عنهم باشتغالهم بدفن ابكارهم اذ متن تلك الليلة ٥

وقوله تعالى فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا لحاقهم وكذا قولهم له فاتبعهم مشرقين
بغيا اي استطالة عليهم وعدوا اي ظلما عليهم واعتداء قال قليس كان مع موسى عليه
السلام من بني اسرايل ستماية الف وكان مقدمته فرعون سبعماية الف كل رجل على
حصان على راسه بيضة وبيده حربة وهو خلفهم في جمع كثير فلما انتهى بنوا اسرايل
الى البحر قالوا يا موسى اين ما وعدتنا هذا البحر بين ايدينا وهذا فرعون على اثرنا وجنوده
فقال موسى للبحر انفلق ابا خالد فقال لن انفلق لك انا اقدم منك واشد خلقا فنودي
موسى ان اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق وكانوا اثنى عشر سبطا حتى كان
لكل سبط طريق قال وهب وارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وكانوا بحيث
لا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع بعضهم كلام بعض فاوحى الله تعالى الى الجبال من الماء
ان تشبكي فظهرت مشبكات حتى راوا وسمعوا او مضوا فعاد البحر الى حاله فلما
انتهى اول جنود فرعون هابت وثنا الحصان فرعون فرس عليه جبريل وفرعون
لا يراه فوجد الحصان ريحها فانسل خلف فرس جبريل في الما فقال فرعون ها بني
البحر فلما دخل اخر جنود فرعون البحر وخرج اخر بني اسرايل انطبق عليهم فلما الجمه
الغرق وذلك قوله تعالى فلما ادركه الغرق بفتح الها القرب من الهلاك بغمر
الما والغرق بتسكينها الهلاك فيها وقوله تعالى قال امنت انه قرا حمزة والكسايي
وخلف انه بالكسر على الابتدا فقوله امنت كلام تام وقوله انه ابتدا كلام اخر وهو كان تبدل
عن الاول وقرا الباقون بفتحها لوقوع امنت عليها وقوله تعالى لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين اي المومنين وقيل اي المخلصين وقيل اي المنقادين
وقوله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين اي قال جبريل الان استفهام
بمعنى التوبيخ واضمر فيه الان امنت اي عند الغرق وهو حالة الباس وقد
عصيت امر الله بالايمان قبل هذه الحالة وكنت من المفسدين في ارض مصر بالدعاء
الى عبادة غير الله وقال القشيري اي بعد طول الامهال والاصرار على ذميم
الافعال والركض في ميدان الاغترار وفوت وقت الاعتذار هيهات هيهات
لقد استوجبت ان ترد عذرك لوجهك فلا لعذرك قبول ولا لك الى ما ترومه
وصول وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قال فرعون لا اله
الا الله اتاه جبريل فحشى فاه التراب مخشية ان تدركه رحمة الله وقال
الامام ابو منصور لم يقبل ايمان فرعون في ذلك الوقت لوجهين احدهما ان ايمانه

عند

٧٢

عند خوف الهلاك ايمان دفع الباس لا ايمان حقيقة وهو كايمان الكفرة في
الاخرة والثاني ان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فاذا امن في وقت خرجت
نفسه من يده لم يصر مسلما نفسه الى الله اذ نفسه ليست في يده فيسلمها وعن كعب
الاحبار قال امسك الله نيل مصر عن الجري فقالت القبط لفرعون ان كنت ربا فاجر
الما فركب وامر جنوده بالركوب وكان منادية ينادي كل ساعة ليقف فلان
بجنوده فاذا فاذا فجعلوا يقفون على درجات حتى بقي هو وحجابه ووزراوه فامرهم
بالوقوف فتقدمهم وخلا بحيث لا يرونه ونزل عن دابته ولبس ثيابا فاتاه جبريل
وهو وحده بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمه ولا سيد له غيره
فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس
الوليد بن مصعب ان الزبا ان جزا العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق
في البحر فاخذه جبريل ومر فلما الجمه الغرق وايقن بالهلاك ناوله جبريل خطه
وخرقه قال كعب ورماه الما الى الساحل كانه ثور فذلك قوله تعالى فاليوم
ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة من الارض اي ارتفاع ببدنك اي جسدا بلا
لا روح فيه وقيل اي مع درعك والبدنة والبدن الدرع وقيل ننجيك
من النجاة وهي الخلاص اي نخلصك من دواب البحر فتخرج ولم تاكلك
وروي ان بني اسرايل قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا فالقاه البحر الى
الساحل فعاينوه واتقنوا بموته وقوله تعالى لتكون لمن خلفك اية اي تكون
لمن بقي بعدك علامة فيزول وسواس الشيطان وخدعه عن الضعفة بتوهمهم
حيوته او خلاصه عن الهلاك اذ كان عندهم الها معبودا وتكون اية يستدلون
بك على ما يلزمهم من الانقياد للانبيا والاجابة لدعوتهم والا حل بهم ما
حل بك وقوله تعالى وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اي فعلنا ذلك
بفرعون مع تكبره واشرافه ودعوته الالهية فنحن على اهلاك هولا المشركين الذين
هم دونه لقادرون ولو فكروا والعلموا ذلك ولكنهم غافلون وقال السدي
قالت بنوا اسرايل ان فرعون لم يغرق وانه يدركنا الان ويقتلنا فاوحى الله
الى البحر فقذفه فاخذ بنوا اسرايل اسلحتهم وقال ابن عباس لم يكن الما
يبنذ الغريق قبل فرعون فلما اغرق الله فرعون امر الما ينبذ الغريق وذكران
انه في قراة ابي حنيفة فاليوم ننجيك بالحا المهملة من تحتها من التنحية وهي التبعيد

ببدنك تثنية البدن لتكون لمن خلفك بالفاء آية اي نبعدك من الرحمة بما كسبت
يداك من الجفوة لتكون لمن خالفك كخلفه ابدا وقوله تعالى ولقد بوأنا بني
اسرائيل مبوأ صدق اي مكناهم بعد اغراق فرعون وقومه مكانا محمودا
حسنا وانزلناهم منازل فرعون وقومه واورثناهم ارض الشام وهي منازل
الصدق قاله قتادة وقال الحسن اي مصر وهو منزل صالح امن خصب وقال الضحاك
مصر والشام وقال الامام ابو منصور ويحتمل قوله مبوأ صدق اي صدقناهم بما
وعدنا بقولنا ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية ويحتمل مبوأ المحل الصدق
كما قال وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات
اي الاقوات والاطعمة المستطابة ويحتمل المن والسلوى وقوله تعالى فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم قيل فما اختلفوا في نبوة محمد الى ان جاءهم فحينئذ كفر بعضهم به وامن
بعضهم والعلم معرفتهم به قبل خروجه قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل بل
كانوا مختلفين في كثير من امور دينهم قبل المبعث طلبا للرياسة وبغيا من بعضهم على
بعض حتى دام ذلك الى القتال لتقشفا في الدين وبالتعصب للمذاهب وقوله حتى جاءهم
العلم اي الكتاب والاحكام فما اختلفوا بعد قراءتهم موسى على الوجه الذي قلناه ۝
وقوله تعالى ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق
من المبطل ويجزي كلا منهم على استحقاقه وينزله منزلة استحقه على حكم وعده ووعيده
وقيل اراد به اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم انزلهم الله منازل كرامته
وفضله فما اختلفوا في محمد حتى جاءهم العلم عيانا اي المعلوم وهو محمد عليه السلام
وقال القشيري يقول اذللنا لهم الايام واكثرنا عليهم الانعام واكرمنا لهم المقام
وابحنا لهم فنون الحسنات وادررنا عليهم جميع الخيرات فلما قابلوا النعمة بالكفران واصروا
على البغي والعدوان اذقناهم سوء العذاب وسددنا عليهم ما فتحنا لهم من التكريم
والايجاب ذلك جزاء من حاد عن طريقة الوفاق وجنح الى جانب الشقاق
وقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك يقول ان قصة فرعون وموسى
على ما قصصته عليك فان كنت شاكا فيه فسل المؤمنين من اهل الكتاب عن ذلك
وقوله تعالى لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي الشاكين وتكلم
الناس في هذه الاية واكثروا لان ظاهرها مشكل وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
يشك فيما انزل عليه قال اكثر المفسرين الخطاب للنبي عليه السلام والمراد غيره من شك فيه

والعرب تفعل كذلك وفيه المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ومثله
في القران يا ايها النبي اتق الله ويدل عليه قوله في اخر الاية ان الله كان بما تعملون
خبيرا على الجمع وقال القتبي الخطاب لغيره وهو من شك فيه قال كان
الناس على عهد رسول الله اصنافا منهم كافر مكذب لا يرى الا ان ما
جاء به باطل ومنهم مؤمن مصدق يعلم انما جاء به حق وشاك في الامر لا يدري
كيف هو يقدم رجلا ويؤخر اخرى فخاطب الله هذا الصنف من الناس
فقال ان كنت ايها الشاك في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد
فسل الاكابر من اهل الكتاب والعلماء الذين يقرءون الكتاب من قبلك مثل
عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري واشباههم يشهدون على صدقه
ولم يرد المعاندين منهم وقيل خرج هذا الكلام مخرج المبالغة في تثبيته
وهو كقولك لعبدك ان كنت عبدي وتعلم انه كذلك فانته الى امري والا فتنل
الناس بخبرك انك عبدي وهو لا يشك في عبوديته لسيده وتقدير هذه الاية
على هذا فاذا اخبرناك بما نعلم انك لا تشك فيه فان كنت في شك فيه فسل العلماء تعرف
حقيقة الامر اي انما اخبرناك به صدق وينبغي للكفار ان يصدقوك فان لم
يصدقوك فليسألوا غيرك من اهل الكتاب والامور اذا وقفت فيها المبالغة
خرج الخطاب فيها الى ما لا يكون قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقال وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا اي لو جاز كون هذه الاشياء لكانت في هذه الحال
فكذا هذا معناه لو كنت ممن يلحقك شك فيما اخبرناك به فسل اهل
الكتاب لازالوا عنك الشك بتصديقهم اياك فيما اخبرناك به وهو كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك اي لو كنت ممن يجوز عليك ذلك ليبطل عملك وقيل
علم الله تعالى ان الرسول لا يشك وانما خاطبه بهذا ليقول انا لا اشك ليثاب
على ذلك كما قال لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين ليقول سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ليثاب على ذلك وقد روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لجبريل لا اشك ولا اسأل وقال الزهري نزلت
الاية في السماء ومعنى قوله فسل الذين يقرءون الكتاب اي الملائكة وقال
عبد العزيز بن يحيى اي فان كنت في ضيق صدر من تعنت الكفار بما انزل عليك

فسل اهل الكتاب كيف صبر الانبيا على اذى قومهم وكيف كانت عاقبة امرهم
وقوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
هي خطاب رسول الله ظاهرا والمراد به غيره او هي خطاب غيره وهو على ما مر
في الاول وان حملت على خطابه وارادته فقد مر مرات ان العصمة لا تزيل
النهي بل قيام النهي شرط لتحقيق العصمة **وقوله** تعالى ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يومنون ولو جاتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم هي تسلية
رسول الله عليه السلام وازالة ضيق صدره بتاخر اسلام قومه وقال
الامام ابو منصور حقت عليهم كلمة ربك هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ويحتمل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الى قوله ما كانوا ليومنوا
وحاصله ان من علم الله منه اختيار الكفر واصراره عليه شا له الكفر فلا
يومن ابدا وقوله حتى يروا العذاب الاليم اي عند الباس فيومنون ولا ينفعهم
او في القيمة ولا يقبل منهم **وقوله** تعالى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها
الا قوم يونس اي فهلا وهو تحريض وقرية اي اهل قرية اي فهلا امن اهل قرية من
الذين عوجلوا بالعذاب فكان ينفعهم ايمانهم ويقبل منهم وههنا مضمر ولم
يومنوا فضرهم كفرهم الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحيوة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح صاحبه وقال الحسن يقول
لم يكن ذلك فيما خلا ان يومن اهل قرية باسرها حتى لا يشذ منهم احد
الا قوم يونس يقول فهلا كانت القرى كلها هكذا **وقوله** تعالى ومتعناهم
الى حين اي الى حين حضور اجالهم واكثر المفسرين على ان ايمان قوم يونس
لم يكن حين عاينوا العذاب لكن يونس اخبرهم بدنوه وله العذاب بهم وفارقهم
وتلك حالة لم يزل التكليف فيها عنهم فراجعوا عقولهم فابصروا رشدهم
فامنوا فانصرف العذاب الذي كان اشرف عليهم عنهم وكان ذلك بخلاف ما كان
فرعون حين ادركه الغرق لانه امن في حال معاينة العذاب وهي حالة زوال
التكليف عنهم فلم ينفعه الايمان كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
وقوله كشفنا عنهم لا يدل على حصولهم في العذاب بل يقع ذلك على اشراف
العذاب عليهم كما قال وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كان الانقاذ منها
حالة الاشراف عليها لا لحصولهم فيها وقال قتادة ذكر لنا ان قوم يونس

كانوا

كانوا بنينوى من ارض الموصل فلما فقدوا نبيهم قذف الله في قلوبهم التوبة فلبسوا
المسوح وخرجوا فنزلوا على تل وفرقوا بين كل بهيمة وولدها وعجوا اربعين
ليلة فلما علم الله الصدق من قلوبهم كشف عنهم العذاب وتاب عليهم ومتعهم
الى حين الموت وقال وهب قال يونس لقومه ان اجلكم اربعين يوما
وليلة فان لم تستجيبوا له عذبكم عذابا يفسدكم ويستاصلكم قالوا فان
اية ما بيننا وبينك الاجل فان راينا اسباب العذاب صدقناك فخلوا مدينتهم
يا تمرون وينتظرون في امره فلما مضى من الاجل خمسة وثلثون يوما اغامت
السما غيما اسود هايلا ثم يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ثم
اسودت سطوحهم منه فلما راوا ذلك قد تابع عليهم ايقنوا بالهلاك
فنقلوا يونس اليهم فنزل بين اظهرهم وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسايهم
وصبيانهم ودوابهم فعجوا الى ربهم وفرقوا بين ذوابهم واولادها فحن بعضها
الى بعض وعلت اصواتها وفعلوا ذلك عمدا ليختلط اصواتها باصواتهم
وحنينها بحنينهم ليرحمهم ربهم فرحمهم واستجاب لهم وقبل توبتهم وكشف العذاب
عنهم فذلك قوله الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي وقال
مقاتل كان العذاب فوق روسهم قدر ميل فكشف الله عنهم يوم عاشورا يوم الجمعة
فحذر الله اهل مكة انهم ان امنوا عند نزول العذاب لم ينفعهم كما لم ينفع الامم الخالية
الا قوم يونس وقال القشيري تداركتهم الرحمة الازلية فيما اجرى عليهم
توفيق التضرع فكشف عنهم العذاب برحمته وصلوا الى تضرعهم لا بتضرعهم وصلوا
الى رحمته و**قوله** تعالى ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا اخبر عن كمال
قدرته ونفوذ مشيته انه لو شا لامن من في الارض كلهم فلا يبقى فيها الا مومن
موحد ولكنه شا ان يومن به من علم منه اختيار الايمان به وشا ممن علم انه يختار الكفر
ولا يومن به ان لا يومن به **وقوله** تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين استفهام
بمعنى النفي اي لا تملك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان لان الايمان يكون بالاعتقاد
والاقرار ولا يمكن الاكراه على الاعتقاد وقيل كان هذا بمكة حين لم يومروا بالقتال
ثم امروا بالمدينة بالقتال وهو اكراه على الايمان وقال ابن عباس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلام ابي طالب وقومه فابى الله ذلك عليه الا
من علم في سابق علمه انه لا يومن واترل الله قوله تعالى وما كان لنفس ان تومن الا باذن

قال عطا اي بمشية الله وهو كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقال عطية العوفي اي بقضا الله وقدره وقال عبد العزيز بن يحيى اي بعلم الله وتوفيقه وقال الامام ابو منصور لا تحتمل الاية الاهدا ولا تحتمل الامر والاطلاق لانه كم من مامور بالايمان لم يومن به فلم يحتمل الامر ولا تحتمل الاباحة لانه لا يباح ترك الايمان بحال **وقوله** تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون هذا مبتدا ومعناه ويجعل الاثم وقيل العذاب وقيل اي جزا الرجس اي الكفر وقيل الرجس الشيطان قال عليه السلام في دعا الخلا اللهم اني اعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم اي ويسلط الشيطان على الذين لا يستعملون عقولهم ولا يعملون بما يدعوهم اليه **وقوله** تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض اي قل يا محمد للمشركين انظروا اي شي في السموات والارض من العبر من مجي الليل والنهار ومجرى النجوم والافلاك ونتاج الحيوان وخروج الزروع والثمار ووقوف السموات والارض بغير عماد وكل ذلك تدبير يقتضي مدبرا لا يشبه الاشيا ولا تشبهه وقيل اي فيها عجايب الصنع الذي انتم مقرون بان الله خلقها فانكم اذا نظرتم علمتم ان من صنع من لا يجوز ان يكون له في ملكه شريك **وقوله** تعالى وما تغني الايات والنذر يجوز ان يكون ما نفيا ويجوز ان يكون استفهاما والنذر الرسل عن قوم لا يومنون اي وما ينفع ذلك اذا لم يستدلوا به فيومنوا وقال القشيري الادلة وان كانت ظاهرة فما تغني اذا كانت البصاير مسدودة كما ان الشمس وان كانت طالعة فما تغني اذا كانت الابصار عن الادراك بالعمى مردودة قال **شعر** وما انتفاع اخي الدنيا بمقلته ❁ اذا استوت عنده الانوار والظلم ❁ **وقوله** تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فهل ينتظر هولاء المتبعون للهوى والظن التاركون للنظر والاستدلال في الشرك والتكذيب الا ان ينزل عليهم من عذاب الله ما نزل على الامم الخالية المكذبة انبياها وقال قتادة الامثال وقايع الله في الاولين قوم نوح وعاد وثمود وقال يمان بن رباب مثل ايام الذين خلوا اي مثل عذابهم والعرب تسمي العذاب ايما والنعما ايما قال الله تعالى وذكرهم بايام الله اي بنعم الله وكلما مضى عليك من خير او شر فهو ايام لوقوعه في الايام **وقوله** تعالى قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي انجاز وعد الله لي في انزال العذاب بكم ان اقمتم على تكذيبي وقال الامام ابو منصور يحتمل هل ينتظرون يوما من الهلاك الا مثل ما انتظر الذين خلوا من قبلهم برسلهم من الهلاك ويحتمل هل ينتظرون

من نزول العذاب بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب بهم ويحتمل هل ينتظرون من تاخيرهم الايمان الى وقت نزول العذاب بهم الا مثل ما اخر اولئك وهو يخرج على الاياس من ايمانهم **وقوله** ثم ننجي رسلنا والذين امنوا اي ثم نخبركم ان من سنتنا اذا انزلنا العذاب بقوم ان نخرج من بينهم رسولنا والذين امنوا معه **وقوله** تعالى كذلك حقا علينا ننجي المومنين من العذاب في كل زمان حقا علينا ظاهره واجبا علينا وحقيقته وعدا منا موكدا لا خلف فيه لا ان العباد لا يجب لهم على الله تعالى وقال الامام ابو منصور ثم ننجي رسلنا اي انجينا لانه لا رسول بعد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا مستقبل بمعنى الماضي وفي بعض الايات ماض بمعنى المستقبل **وقوله** قل يا ايها الناس وهم المذكورون في اول السورة اكان للناس عجبا ان كنتم في شك من ديني ما هو وفي دين الاسلام الذي علمتم ما هو فكن شككم احق هو ام لا فها انا اكشف لكم ما بينته وحقيقته اما الاول فذلك قوله فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام والجن والملايكة ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم اي يميتكم وهو الذي يحييكم فهو القادر على كل شي على الكمال فله استحقاق العبادة دون غيره وهو اشارة الى بيان حقيقة دينه وقال الامام ابو منصور ويحتمل ان كنتم في شك من ديني الاسلام احق هو فكنتم في دينكم ايضا فان لم تجيبوني الى هذا الدين للشك فيه ودعوتموني الى دينكم مع الشك فيه فهو سفه ويحتمل ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به وادعوكم اليه فاني لا اشك فيه فلا اعبد الذين تدعون من دون الله بهذا منضم ويحتمل ان كنتم في شك من ديني ما ادين به وما اعبد فلا تدينون بذلك ولا تعبدونه فانا لا اعبد ما تعبدون ولا ادين ما تدينون وهو كقوله لكم دينكم ولي دين **وقوله** تعالى وامرت ان اكون من المومنين اي امرني الله به فقال كن من المومنين ولذلك عطف عليه ما هو بصحته بصيغة الامر وهو قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا قال ابن عباس اي اخلص عملك وقيل قوم افعالك وتوجهك على ما امرت به وقيل اي اقم وجهك في الصلوة نحو القبلة وقيل اي اقم نفسك لله خالصة سالمة لا نصيب فيها لغير الله وهذا قول الامام ابي منصور وقال ايضا اقم نفسك على ما عليها بنيتها اذ خلقتها اذ خلقة كل نفس تشهد على وحدانية الله تعالى والوهيته وقال ايضا اقم وجه امرك لما تدين به وتقيم عليه وقوله حنيفا اي مستقيما **وقوله** تعالى ولا تكونن من المشركين اي قيل لي ذلك عطفا على الاول وكذلك قوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

اي لا يقدر على نفع ولا على ضر وهو صفة الاصنام فان قيل ولم قال ما لا ينفعك ولا يضرك
وهو لو نفع وضر لم تجز عبادته لانها لا تحق الا لله وحده قلنا معناه لا ينفعك ولا يضرك
نفع الاله وضره ولان عبادة ما لا ينفع ولا يضر اخسر للصفقة وابعد عن الشبهة وقوله
تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو اي وقيل لي ذلك ايضا وهو عطف
على الاول وقال ابن عباس ان يمسسك الله بضر اي يصبك بفاقة في معيشتك
او آفة في جسدك فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يردك بخير يصبك بسعة وغنا
وصحة جسم فلا راد لفضله يقول فلا مانع لرزقه يصيب به من يشاء من عباده يخص
من يشاء من خلقه وهو الغفور الرحيم غفور لمن تاب من شركه رحيم بانعامه على جميع
خلقه امره ان لا يخاف شيئا من الاصنام او احدا من اولئك الاقوام في مجاهرتهم
بخلاف دينهم بل يخاف الله ان دعا من دونه ما لا يضره ولا ينفعه لان الله تعالى ان اصابه
بضر فلا كاشف له غيره وان اصابه بخير فليس لاحد سوى الله رده وهو الغفور الذي
يستر الذنوب والرحيم بمن يتوب وقال الامام ابو منصور وفي الاية نقض على
المعتزلة فانه قال وان يردك بخير فلا راد لفضله وهم يقولون اراد الله من
الكافر الايمان وهو رده فلم يؤمن وتسميته فضلا يدل على انه ليس على الله شي فان الفضل
هو فعل ما ليس عليه وقال القشيري قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني
ان كنتم في غطاء الريب فانا في ضياء من الغيب انتم في ظلمة الجهل وانا في شموس الفضل
انتم في سدفة الضلالة وانا في خلعة الرسالة وعلى نور الدلالة انتم في وهدة العوج وانا
ثابت على سواء النهج وقال في قوله وان اقم وجهك اي وقيل لي واخلص قصدك
للدين وجرد قلبك عن اثبات كل ما حقه قهر التكوين وقال في قوله وان يمسسك الله
بضر الاية كما تفرد بابداع الضر واختراعه فلا شريك يعضده كذلك توحد بكشف الضر
وصرفه فلا نصير يعينه وقال عذاب الضر حين كان بفعله فما اوجب عين الضر
من الحزن والكرب بدل مكانه اضافته الى فعله السرور والطرب وقوله تعالى قل يا ايها
الناس اي المذكورون في اول هذه السورة وهم مشركو قريش قد جاءكم الحق من ربكم
قال ابن عباس يعني جاءكم محمد بالقران وقيل اي بيان ما يجب عليكم ان تعتقدوه
وتقولوا به وتعملوا عليه وقال الامام ابو منصور بعد ذكر ان الحق هو محمد وقيل
هو القران ويشبه ان يكون هو الدين الذي شكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك
الشك ان لم تكابروا من الحجج والبراهين فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي فمن سلك

سبيل الرشاد المودي الى الحق الذي جئت به فانما يهتدي لنفسه لما يفوز به من رضا
خالقه ومن ثوابه بالنعيم المقيم الذي لا يشوبه كدر ولا يلحقه غير ومن ضل عن
هذا السبيل فوقع في غيه فانما يضل على نفسه اي ضرره على نفسه باعوجاجه عن
طريق الحق لا يضر خالقه كما لا ينفعه باهتدايه وما انا عليكم بوكيل قال
الحسن اي بحفيظ احفظ اعمالكم فانما انا نذير والله الحافظ عليكم اعمالكم وقيل اي
لست مسلطا على ادخال الايمان في قلوبكم وانما انا مبلغ مرشد وقوله تعالى واتبع
ما يوحى اليك اي لست عليهم بوكيل بمسلط على قلوبهم فتتصرف فيها لكنك مبلغ
فاتبع وحينا قال الحسن واتبع ما يوحى اليك من ربك من دينه الذي بينه في
كتابه ثم عزاه واصبر على ما تسمع منهم من الاذى والتكذيب لك حتى يحكم الله فياتيك
امره وحكمه وما وعدك من اظهار دينه ونصرك وهو خير الحاكمين في عدل حكمه
وانجاز وعده وصدق كلماته وقيل وهو خير الحاكمين لانه لا يلحقه في حكمه زلل ولا خلل
ولا يمنعه عن امضايه مانع وقال ابن عباس كان من حكمه امره بالقتال ونسخ
به وما انا عليكم بوكيل وقال الضحاك حكم بالقتل يوم بدر واحد والاحزاب
وقال انس لما نزلت هذه الاية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانصار فجمعهم
ولم يجمع معهم غيرهم فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني وقال
انس فلم نصبر وقال القشيري واصبر اي قف عند جريان احكامنا وانسلخ
عن مرادك بالكلية ليجري عليك ما يريد من القضية قال ابن عباس سورة
يونس كلها مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به فانها مدنية نزلت
في اليهود والحمد لله رب العالمين

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي انزل الكتاب المحكم
المفصل المبين الرحمن الذي جعل العاقبة للمتقين الرحيم الذي لا يضيع اجر المحسنين
وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة هود اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط
وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة ان شا الله من السعدا وهذه السورة مكية
وهي مائة وثلث وعشرون اية وقيل اثنتان وعشرون اية وقيل احدى وعشرون والاختلاف
في سبع ايات بريء مما تشركون بما دللنا في قوم لوط من سجيل منضود انا عاملون
ان كنتم مومنين ولا يزالون مختلفين وكلماتها الف وستماية وخمسة عشر وحروفها

سبعة الاف وستماية وسبعة وثلثون وانتظام هذه السورة بسورة يونس ان هذه السورة
تشتمل علي ما اشتملت عليه تلك السورة من محاجاة المشركين وتنبيههم واذكارهم
اقاصيص الامم الخالية وغير ذلك من المعاني وانتظام اول هذه السورة باخر تلك
السورة انه ذكر هناك اتباع ما يوحي اليه وذكر هاهنا صفة الكتاب الذي اوحي اليه
ولانا ختام تلك ببيان انه الفصل والاحكام وافتتاح هذه ببيان ان منه التفصيل والاحكام
وقوله تعالي الر مرت الاقاويل فيه في تلك السورة وقال القشيري
الحروف الثلثة هنا ثلثة من صفات الله تعالي اي بانفرادي بالربوبية ولطفي بمن
عرفني بالاحدية ورحمتي علي كافة البرية ان هذا كتاب احكمت اياته اي حفظت
عن التبديل والتغيير ثم فصلت ببيان نعوت الحق مما يتصف به من جلال الصمدية
وما تعبد به الخلق من احكام العبودية ثم لاح لقلوب المحبين فيه من لطايف القربة
في عاجلهم والبشري بما وعدهم به من عزيز لقايهم به في اجلهم وخصايصهم التي امتازوا
بها عمن سواهم **وقوله** تعالي كتاب اي هذا كتاب وقيل اي هذه السورة المسماة
الر كتاب احكمت اياته اي نظمت نظما محكما لا يلحقه خلل ولا تناقض في النظم
والمعني ثم فصلت اي جعلت فصولا حلالا وحراما وامرا ونهيا وترغيبا وترهيبا
ومواعظ وامثالا لكل معني منه فصل غير مختلط بغيره حتي يتمكن من تدبرها
كلها وقال الحسن احكمت بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وقال
قتادة احكمت اياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام وقال مجاهد احكمت
اياته بالجملة ثم فصلت بينت بذكر اية اية وقيل فصلت اي بينت فيها ما بالناس اليه
حاجة في امور دينهم وقيل فصلت اي انزلت متفرقة شيا بعد شي **وقوله** تعالي
من لدن حكيم خبير اي انزله رب حكيم محكم للامور واضع كل شي موضعه خبير عالم
بحقيقة الاشياء انزله الله لم يفتره محمد ولا تقوله ولا قال الشياطين ولا الكهنة
ولا الشعراء وقيل خبير بوجوه المصالح فيها لم ينزلها جملة بل منفصلا لما قالوا لولا
نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا وقال ابن عباس
احكمت اياته اي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرايع بها وقيل فصلت فسرت
ثم قيل في قوله من لدن انه صلة قوله احكمت ثم فصلت اي الاحكام والتفصيل من
الله وقيل هو صلة قوله كتاب اي هو منزل من عند الله وقال الامام ابو منصور
احكمت فلا ياتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم فصلت بينت ما يوتي وما يتقي

وما لهم وما عليهم وفيه بيان جواز تاخير البيان لان ثم للتراخي **وقوله** تعالي الا تعبدوا
الا الله وهو فصل فيه اي لا تعبدوا ويجوز نصبا بان وان مع الفعل مصدر ومعناه
ترك عبادتكم غير الله مما فصل فيه ويجوز جزما بالنهي وتقديره قل يا محمد الر كتاب
احكمت اياته ثم فصلت ومن تفصيله اني اقول لكم لا تعبدوا غير الله فاني لكم منه نذير
مخوف بالعذاب ان عصيتموه ومبشر بالثواب اذا اطعتموه **وقوله** تعالي وان
استغفروا ربكم عطف علي الاول وهو دليل ان الاول جزم بالنهي وهذا عطف الامر علي
النهي وهو اولي من تاويل من اوله علي اعراب النصب ومعناه سلوا ربكم ان يستر ما
اسلفتم من الذنوب بالشرك ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالاخلاص له والاستغفار
بنظم الندم علي ما سلف واحسان العمل في المستقبل حتي يكون الانسان راجعا بعمله
الي ربه ولهذا قدم الاستغفار علي ذكر التوبة وتقديره اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام
والندم علي سالف الاجرام والثبات علي الطاعة في باقي الايام وارجعوا الي الله
بالاخلاص والاستسلام علي الثبات والدوام وقيل اي اطلبوا المغفرة بان تجعلوها
غرضكم ثم توصلوا الي مطلوبكم بالتوبة واجعلوها سببكم فالمغفرة اول في الطلب
واخر في السبب وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم السالفة ثم توبوا اليه في المستانفة
متي وقعت منكم المعصية **وقوله** تعالي يمتعكم متاعا حسنا هو جواب الامر وتقديره
ان تفعلوا ذلك يمتعكم الله في الدنيا فتمتعون بالارزاق المباحة والملاذ المحللة
متاعا حسنا لا تذمون عاقبته كمتاع المشركين الي اجل مسمي وهو مدة العمر لكل انسان
وقال الامام ابو منصور متاعا حسنا اي تستحسنونه في الاخرة ذلك التمتع واما الكفار
فانهم لا يستحسنون في الاخرة ما متعوا به في الدنيا لان تمتعهم في الدنيا كان للدنيا
وتمتع المسلمين كان للتزود للاخرة واصل التمتع اطالة الشي والمذفيه يقال جبل ماتع
اي طويل ومتع النهار اذا ارتفع وقال الله تعالي خبرا عن نوح اعبدوا الله واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم ويوخركم الي اجل مسمي وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل
السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا فهذا
كله من المتاع الحسن وقال الكلبي استغفروا ربكم اي صلوا لربكم وقال
مقاتل فدعا رسول الله اهل مكة الي التوبة والاستغفار وعبادة الله فابوا فابتليهم
الله بالقحط سبع سنين حتي اكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب **وقوله**
تعالي ويوت كل ذي فضل فضله قال ابو العالية اي من كثرت طاعاته في الدنيا زادت

درجات في الآخرة لأن الدرجات تكون بالأعمال وقيل أي يؤت كل ذي أفضال على الناس جزاء
أفضاله سمّي جزاء الفضل كما سمّي جزاء السيئة سيئة وقيل أي ويؤت كل ذي فضيلة في
الدين بعمل صالح جزاء فضيلته وعمله وقال ابن عباس أي من زادت حسناته
على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت
حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف ثم يدخلون الجنة وقال الإمام أبو
منصور ويحتمل وأن كل ذي فضل فضله ما آتاه بفضله ويحتمل ويؤت كل ذي
فضل في الدنيا فضله في الآخرة وهو كما روي أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف
في الآخرة أي يجعلون أهل الشفاعة فيصطنعون المعروف إليهم وقوله تعالى
وإن تولوا أصله تتولوا حذفت إحدى التائين تخفيفا أي وإن تعرضوا عما فصلت لكم من
هذه المعاني وتصروا على الشرك فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير أي عظيم شديد
وهو يوم القيامة لما فيه من الأهوال وقيل عذاب يوم كبير قبلهم يوم بدر ثم قوله
إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير هذا وعيد يوم القيامة وقوله قديرا أي على مجازاتكم
على أعمالكم وغير ذلك وقال القشيري ابتدؤوا باستغفاركم ثم توبوا بترك
أوزاركم والتنقي عن إصراركم قال ونقال استغفروا من الذنوب ثم توبوا عن توهم
نجاتكم باستغفاركم لعلكم بأن نجاتكم بكرمه لا بأعمالكم وقال أيضا استغفروا لطلب
حظوظكم من عفوه فإذا فعلتم ذلك فتوبوا عن طلب كل حظ ونصيب وارحلوا إلينا
واكتفوا بنا راضين بما نختار من التجاوز عنكم أو غير ذلك مما نختار لكم وقال
في قوله يمتعكم متاعا حسنا هو إعطاء الكفاية مع زوال الحرص وقيل هو القناعة بالموجود
وقيل هو أن لا يحوجه إلى المخلوق ولا يجعل عليه لأحد منة لا سيما اللئيم وقيل هو أن يوفقه
لاصطناع المعروف إلى المستحقين وقيل هو أن يقضي على يديه حوائج الناس وقيل
أن لا تلم في حال شبابه بزلة ولا يضعف في حال مشيبه عن الله بغفلة وقيل هو أن
يكون راضيا بما يجري عليه من حالتي العسر واليسر وقال في قوله ويؤت كل ذي
فضل فضله هو أن يستر عليه فضله حتى لا يلاحظ حاله ومقامه بل ينظر إلى نفسه
وإلى ما منه وله بعين الاستحقار والاستصغار وقيل هو أن يرقيه عن التعريج في
أوطان البشرية إلى ساحات شهود الأحدية فيتنقى عن شح البشرية والتكدر بما يبدو
من مفاجأة التقدير وقال في قوله إلى الله مرجعكم ينقطع الدعاوى عند
الرجوع إلى الله وتنتفي الظنون ويحصل اليأس من غير الله ويبقى العبد بنعت الاضطرار

في وصف الانتظار وقوله تعالى ألا إنهم يثنون صدورهم أخبر عن معاداة المشركين
النبي صلى الله عليه وسلم وجهلهم بالله في ظنهم أنهم يستخفون منه فقال ألا تنبهوا على
أحوال المشركين وقفوا على جهلهم فإنهم يسرون العداوة في قلوبهم وهو كقوله طوى كشحه
ووجه ذلك أن من ثنى الشيء أي عطفه وطواه خفي في أثنائه ما يقع فيه وخفي باطن
الشيء المطوي فجعل مثلا لإضمار العداوة في الصدور ليستخفوا منه أي يقصدون بذلك
إخفاء ذلك على الله جهلا وقوله ألا حين يستغشون ثيابهم أي علموا أنهم حين
يتغطون بثيابهم ويدخلون رؤوسهم فيها يعلم ما يسرون وما يعلنون أي يعلم الله ما
يضمرون فكيف وهم بارزون ولكنهم أهل جهل ومن كان هذا حاله لم يستبعد منه أن
يشرك بالله غيره وقوله إنه عليم بذات الصدور أي بأسرارها وضمائرها ووجه
آخر أنهم كانوا إذا احتاجوا في أمر من الأمور أن يمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم طأطؤوا
رؤوسهم وتغشوا ثيابهم لئلا يراهم رسول الله عليه السلام فيحتاجوا إلى الدخول
عليه أو التسليم عليه فأخبر الله عن ذلك وقال ألا إنهم يثنون صدورهم وهو عبارة
عن شدة خفض الرأس حتى يحتاج صاحبه إلى أن ينحني فيثني صدره فيقول ألا حين
يفعلون هذا ويضمرون البغض في بعض الأحوال إذ يغطوا رؤوسهم بثيابهم ليخفوا
أشخاصهم من النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه الله ويعلم ما يسرون في منازلهم عليه
وما يعلنون عليه به ووجه آخر يثنون صدورهم أي يحنون صدورهم لتخفض
رؤوسهم وتطامن آذانهم فلا يصل إليها ما يقرأ عليهم رسول الله عليه السلام من
القرآن وهو كقوله في قصة نوح وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم وقال ابن عباس يثنون صدورهم أي يخفون
ما في صدورهم من الشحناء والعداوة نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي كان
رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي
بقلبه على ما يكره وقال قتادة أي يحنون صدورهم وأخفى ما يكون
الإنسان إذا حنى صدره وتغطى بثوبه وأضمر همته في نفسه وقال مجاهد وعكرمة
يثنون صدورهم شكا في الله وفي رسوله وقال السدي يثنون صدورهم
أي يعرضون بقلوبهم عنك من قولهم ثنيت عناني وقال [illegible] يعلم ما يسرون
من العداوة وما يعلنون من الوفاق إنه عليم بذات الصدور أي بما في القلوب
من الخير والشر وقال الإمام أبو منصور ليستخفوا منه إن كانت الآية

في المنافقين فهو الاستسرار والاستتار من رسول الله لانهم كانوا يظهرون موافقته
ويضمرون مخالفته وان كانت الاية في المشركين فهو على الاستسرار والاستتار
من الله لانهم كانوا لا يبالون من مخالفة رسول الله وعندهم ان الله لا يطلع على
ما يسرون وفيه دلالة نبوة محمد حيث اخبر عن ضمائرهم فثبت انه علم ذلك بالله
وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين اي وما من شيء من الحيوانات التي تدب على الارض الا
والله متكفل برزقها اي بما يقيتها اذ لا بد من الخلق لا بد له مما يقيم حيوته
ولا قوام للحيوانات الا بكفايتها وهي رزقها وقال مجاهد ما جاءها من
رزق فمن الله وربما لا يرزقها حتى تموت جوعا ولكن ما كان من رزق فمن الله وعلى
بمعنى من كقوله اذا اكتالوا على الناس **وقوله** يعلم مستقرها ومستودعها اي يعلم
مستقرها من الارض تاوي اليه وموضعها الذي تموت فيه او تدفن فيه فتستودع
فيه الى حين تبعث وقال مجاهد مستقرها في الارحام ومستودعها في الاصلاب
كل في كتاب مبين الا في اللوح المحفوظ مكتوب وقيل يكتب الان موجودا كما
كتب في اللوح معلوما يعني من كانت هذه قدرته وهذه صفته في الاحاطة بالاشيا
كيف يخفى عليه ما يفعله هولاء المشركون من ثني صدورهم ظانين ان ذلك يخفى عليه
وقال الامام ابو منصور قيل مستقرها بالليل ومستودعها بالنهار في معايشها
ويشبه ان يكون هذا اخبارا عن العلم بها في كل حال من سكونها وحركتها يخبر انه
اذا لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض وما كان في الارحام وما استودع
في الاصلاب كيف يخفى عليه اعمالهم التي عليها العقاب ولكم بها الثواب وقال
القشيري اروح القلوب عن تعب التقسيم والافكار عن نصب الترجم في باب الرزق
حيث قال الا على الله رزقها فسكنت القلوب لما تحققت ان الرزق على الله قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا احيل احدكم الى ملي فليحتل ويقال اذا كان الرزق على الله فمن
المحال طلبه من غير الله قال ولم يقل ما تشتهيه ومقدار ما يكفيه بل هو موكول الى
مشيته فمن موسع عليه ومن مقتر **وقوله** تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام فسرناه عند قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في سورة الاعراف
وقوله تعالى وكان عرشه على الماء بين ان خلق العرش والماء كان قبل خلق السموات
والارض والعرش شبه سرير الملك ليطوف الملائكة به ويحيون حوله ويمجدون

الله ويعظمونه من حوله كما قال وترى الملائكة حافين من حول العرش الاية ووقوف
العرش على الماء والماء على غير قرار اعظم اعتبارا كما قال قدرة الجبار ولو شاء
لجعل العرش على غير قرار كما جعل الماء الذي هو ادعى للقرار واحوج اليه على
غير قرار وعن كعب الاحبار انه قال لما اراد الله تعالى خلق الماء خلق ياقوتة خضرا
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش
على الماء **وقوله** تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق جميع ذلك ليعامل
عباده معاملة المختبر لهم مظاهرة في الاحتجاج عليهم ليمتثلوا امره ويؤدوا اعلى
نعمه شكره ويستدلوا باياته على وحدانيته وقدرته على ما يشاء وفي ذلك اثبات
البعث ليجازي المحسن على احسانه والمسيء على اساته ومعنى الابتلا فعل ما
يظهر به الشي وان كان معلوما الا ترى ان الرجل يخالف الرجل في جودة
فضته ورداءتها وهو عالم بحقيقة ما يقول فيقول لصاحبه تعال ندخلها
النار فننظر جيدة هي ام رديئة وقوله تعالى ايكم احسن عملا قال ابن
عباس ايكم اعمل بالطاعة وقال مقاتل ايكم اتقى لله وقال الحسن
ايكم ازهد في الدنيا واترك لها وقال القشيري احسن الاعمال
ما غاب عن ملاحظة عامله هو ما ينظر اليه صاحبه بعين الاستصغار له
والاستقلال وقيل احسن الاعمال ما لا يطلب عليه صاحبه عوضا وقيل ما
غاب عنه صاحبه لاستغراقه في شهود المعبود **وقوله** تعالى ولئن قلت
انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وصل هذا بما ذكر من خلق السموات والارض لان ذلك ذكر اساسا لهذا
اي خلقناها على الاتساق والانتظام دلالة على الخالق وكان خلقها
للتمحيص وما خلقت لانفسها لا لها للفنا ولو كان لذلك لا للابتلا كان عبثا
والابتلا ظهر المحسن والمسيء وجزاء ذلك بعد الموت البعث ولو قلت
يا محمد للمشركين انكم مبعوثون للجزاء على المكشوف منكم بالابتلاء انكروا
وتعجبوا وقالوا ما هذا القول الا سحر ظاهر اي خديعة منكم لنا ومنع عن
لذات الدنيا وزينتها واجترار الى الانقياد لكم والدخول في طاعتكم
وقال الامام ابو منصور قوله انكم مبعوثون من بعد الموت نفس
هذا الكلام لا يحتمل ان يسمى سحرا لكن معناه انه اذا اخبرهم به واقام الحجج والبراهين

عليه قالوا للسحر والبراهين هذا سحر ويحتمل وجها آخر وهو انه بيان سفههم انهم
اعتادوا نسبة كل شي الي السحر حتي الاشيا التي لا تحتمل السحر وهو الاخبار لان
السحر انما يكون في تقليب الاشيا واما فيما يخبر عن شي يكون فلا **وقوله**
تعالي ولين اخرنا عنهم العذاب الي امة معدودة ليقولن ما يحبسه اي استعجلوه علي
سبيل الاستهزا يعنون ان هذا الوعيد بالتعذيب علي التكذيب لتبين كذبه ثم اخبر
انه معني لاستعجالهم وهو قوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم اي بكرم اعوان
ولا بحيلة محتال ولا بقوة من قبلهم ولا من قبل الهتهم **وقوله** تعالي وحاق
بهم ما كانوا به يستهزون اي يحيق بهم يعني ينزل بهم ماضي بمعني المستقبل لانه
كاين لا محالة فالحقه بالحاصل الموجود **وقوله** تعالي ولين اذقنا الانسان
منا رحمة اي اذا اعطينا المشرك المكذب بالله منا سعة في الدنيا وصحة في الجسم
ووفورا في الولد ليشكر لنا بها وليستعين بها علي طاعاتنا **وقوله** تعالي ثم
نزعناها منه اي لكفرانه فاذقناه ضيقا وسقما ونقصا في المال والولد **وقوله**
تعالي انه ليوس كفور اي يايس وكفر نعمتنا وقال انما يبتني ربي فلا اعبد ربا
يبتيني كانه يايس من زوال ما حل به فهو لذلك معرض عن ربه لا يتوقع خيرا
ولا يامل فرجا وجا في التفسير ان الانسان عبد الله بن ابي امية المخزومي اذقناه
رحمة رزقا ونعمة ثم نزعناها منه اي سلبنا اياها منه انه ليوس في الشدة كفور في
النعمة **وقوله** تعالي ولين اذقناه نعما بعد ضرا مسته ليقولن ذهب السيات
عني انه لفرح فخور اي ولين ابدلنا الباسا لنعما لم يران ذلك استدعا للشكر
ولكنه يقول ذهب السيات عني اي الاحوال السية التي كانت تسوني اي كان
ذلك سوا صابني وذهب كما يكون هذا في اكثر الاحوال ويصيب كثير الناس
يبتلون عليهم الامور فلا يعتبر بما يمتحن به ولا بما ينعم عليه ولا يتقابل البوس لصبر
ولا النعمة بالشكر اعطا للعبودية حقها ولكنه في حال البوس يحيل ذلك علي ان الله تعالي
اهانه وفي حالة النعمة يعدها اتفاقا حسنا يجد عليه زمانه انه لفرح اي من عاداته
الفرح والبطر بالنعمة والفخر بها علي الكافة حتي يخرج بذلك الي تكذيب الانبيا
وجحود البعث والجزا **وقوله** تعالي الا الذين صبروا وعملوا الصالحات هو استثنا
منقطع معناه لكن الذين صبروا علي المكاره وصبروا عن المعاصي وعملوا الصالحات
لهم مغفرة الذنوب واجر كبير ثواب عظيم ويجوز ان يكون علي حقيقة الاستثنا ويكون

الانسان

الانسان المذكور في الاية الاولي بمعني الناس لانه اسم جنس يصلح للجمع فيكون معناه اكثر
الناس علي كذا او قوم مستثني منهم وعلي القوم جميعا يخرج قوله ان الانسان خلق
هلوعا الي قوله الا المصلين الي قوله في جنات مكرمون وقوله ان الانسان لفي خسر
الاية **وقوله** تعالي فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضايق به صدرك ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جا معه ملك انما انت نذير والله علي كل شي وكيل قال مقاتل
ان اهل مكة قالوا ايتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا ولا مخالفة ابايك فهم رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان يدع سب الهتهم فانزل الله هذه الاية وقال الامام ابو منصور
وهذا علي النهي اي لا تترك بعض ما يوحي اليك وهو كما يقول رجل لاخر لعلك تريد ان
تفعل كذا وهو ينهاه عنه وتتضمن له البشارة بالامن مما يخاف ان يلحقه من جهتهم
ولزوم التبليغ وذلك لان الاخيار اذا ابتلوا بالاشرار فقد يوذن لهم بمفارقتهم
وترك الامر فيهم فبين انه ليس ذلك وعليه التبليغ مع ذلك **وقوله** تعالي وضايق
به صدرك يذكر للضيق العارض والضيق للضيق اللازم وكان ما يلحقه من كلامهم
امرا عارضا فلذلك قال ضايق به صدرك ان يقولوا اي بان يقولوا قال
مقاتل قال هذا عبد الله بن ابي امية لولا انزل عليه كنز وكان مالا لهم خطر او جا معه
ملك اي ليصدقه بما يقول قال الله انما انت يا محمد نذير مخوف مبلغ ليس بيدك الاتيان
بالاموال وانزال الملايكة والله علي كل شي وكيل اي حافظ لكل ما يقولون فيك او هو الحفيظ
عليهم لا انت قال تعالي وما ارسلناك عليهم وكيلا ونظير هذه الاية لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مومنين **وقوله** تعالي ام يقولون افتراه ام كلمة عطف علي
استفهام مر بالف وتقديره ايكذبونك ام يقولون افتراه وقيل ايكتفون بما اوحينا
اليك ام يقولون افتراه وقال المفسرون يقولون معناه بل يقولون
افتراه **وقوله** قل فاتوا بعشر سور مثله اي مثل القران مفتريات اي علي زعمكم
ان القران مفتري وهذا امر اعجاز كما مر في سورة البقرة وهذه الاية نزلت
قبل قوله قل فاتوا بسورة مثله ونزل اولا قوله قل فليأتوا بحديث مثله وهو
كل القران فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور فلما ظهر عجزهم عنها تحداهم
بسورة فلما ظهر عجزهم لزمتهم الحجة بالكلية **وقوله** تعالي وادعوا من استطعتم
من دون الله من الجن والانس ليعينوكم علي الاتيان بعشر سور مثله في نظمه ومعانيه
والاخبار الصادقة عن الامور الماضية والاتية والاطلاع علي ما في ضمايركم

فاتوا بما فيه هذه المعاني والاطلاع على ما في ضمير محمد ان كنتم صادقين انه افتراه من
عنده ولسانكم مثل لسانه **وقوله** تعالى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون له وجهان احدهما فان لم يستجب لكم ايها المشركون
احد من العرب ولا من غيرهم ممن استعنتم به علمائهم بالعجز وانتم عاجزون
ايضا فاعلموا حينئذ ان القران انزل من عند الله وان الله انزله بعلمه اي هو عالم
بانزاله على ما يكون حجة على خلقه ويحتمل انزله بالانباء التي هو عالم بها يعلمها من
يشاء من خلقه فاستدلوا بذلك على ان لا اله الا هو ويحتمل واذ عجزتم عن معارضته
فاعلموا ان محمدا محق في دعوى الرسالة فلا يجوز ان يكون كاذبا فيما يخبركم به
انه لا اله الا هو وحده دون اصنامكم فهل انتم مسلمون ان لكم ان تومنوا بالله
وتصدقوه ووجه اخر فان لم يستجب هولاء المشركون لكم يا محمد ويا اصحاب
محمد الى ما دعوتموهم اليه من معارضة القران على نظمه فيتيقنوا الكم انتم بحجاجهم
واضرارهم ودوموا على علمكم بان القران من عند الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون منقادون لله مخلصون له دايمون على الايمان والاحسان **وقوله**
تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اي الداعي
لهولاء المشركين الى الدوام على الشرك الدنيا وزينتها وقال الفرا تقديره من
يرد الحيوة الدنيا ولذلك قال في جوابه نوف اليهم بحذف اليا للجزم وقال
الامام ابو منصور اختلف فيها فقال بعضهم الاية في الكفار يعملون اعمالا هي في
الظاهر صالحة من التصدق على الفقرا وعمارات الطرق واتخاذ القناطر والرباطات
يقول نوف اليهم جزا اعمالهم في الدنيا وهم فيها لا ينقصون وهو ما وسع عليهم في
الدنيا وجايز ان يكون نوف اليهم اعمالهم فيها اي نرد عليهم اعمالهم التي عملوها في
الدنيا فلا نقبلها وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون ما قدر لهم من الرزق الى
انقضا مدتهم بشركهم بالله **وقوله** تعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا
النار خالدين فيها بشركهم وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون مما هو
طاعة عندهم وقال بعضهم هي في المومنين الذين عملوا الصالحات مراآة للخلق
نوف اليهم جزا اعمالهم فيها من الذكر والشرف وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباهات
وغيرها وبطل ما كانوا يعملون في الاخرة لانهم عملوها لغير الله فلا يجزون باعمالهم
تلك والى هذا يذهب ابن عباس قال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عما

يراد العبد المعروف بالخير يشدد عليه الموت والرجل المعروف بالشر يهون عليه
الموت فقال المومن يكون له الذنوب فيجازى بها عند موته فيفضي الى الجنة الاخرة
ولا ذنب عليه والكافر تكون له الحسنات فيجازى بها عند الموت يخفف عنه كرب
الموت يفضي الى الاخرة وليست له حسنة او كلام هذا معناه وعلى هذا معنى الاية
انهم لا يستوجبون بتلك الاعمال الا النار لانه اذا راى بها لم يخلصها لله وضيع امره
ومن ضيع فرايض الله استوجب التعذيب عليه ولله العفو ولبس في الاية انه لا محالة
يعذبهم بعمل المراآة قال القشيري يقول من قنع منا بالدنيا الى الدناة صفقته
ما ظننا عليه بامتاع ايام تقل مدتها لكن يعقبها ازيد كما لها شرى زوالها ويتبع
طعم عسلها سم حنظلها **وقوله** تعالى افمن كان على بينة من ربه استفهام بمعنى
النفي والاية في بيان عدم التسوية بين المومنين وهم المذكورون في الاية
الاول معناه افمن كان على بينة من ربه اي حجة وبيان وهم المومنون
بمحمد والقران فهم على بيان وحجة بمجي محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** تعالى
ويتلوه شاهد منه واي ويتبع محمدا الذي هو البينة شاهد به اي من يشهد بصدقه
من جانبه وهو القران **وقوله** تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اي
ولهذا المومن مع هذا الشاهد شاهد قبله وهو كتاب موسى التورية الذي انزله
الله اماما لبني اسرائيل يقتدون به ورحمة لهم انقذهم الله به من النار في الاخرة
ومن استعباد فرعون وقومه في الدنيا وفي التورية الشهادة لمحمد والبشارة
به والاخبار بصفته وصفة امته يقول افمن اجتمعت له هذه الحجج وهي النبي
والقران والتورية الشاهدة المبشرة فامن بها كمن اعرض عنها للتدبر ومال الى
الحيوة وزينتها فهذا هو الجواب المحذوف وبه يتم النظم بين الايتين وقال
الحسين بن علي وعبد الرحمن بن زيد الشاهد هو النبي صلى الله عليه وسلم ومنه
ومن الله وقال ابن عباس ومجاهد وابرهيم والفرا والزجاج هو جبريل يتلو
القران على محمد وقال علي والحسن وقتادة شاهد منه النبي صلى الله عليه وسلم هو لسانه وقال
مجاهد ويتلوه شاهد منه وقال مالك يحفظه ويسدده وقال ابن حبيب ورايت في
بعض التفاسير الشاهد صورة النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان من كان له
حس صحيح ونظر اليه علم انه ليس بوجه كذاب متخرص ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون ويو
هذا التفسير قوله منه وقال مقاتل ليس الذي هو على بيان من ربه كالذي هو على

النار لجعل جوابه فيما بعده والاول جوابه فيما قبله وهو كقوله ام من هو قانت
قيل جوابه فيما قبله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل فيما بعده
قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار **وقوله** تعالى الذين يؤمنون
به قيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم اصحاب موسى اهل الكتاب
الذين امنوا بمحمد وقيل به قيل باي القران وقيل اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقوله ومن يكفر به من الاحزاب ففي الهاء قولان ايضا كالاول **وقوله**
تعالى من الاحزاب اي الفرق والاصناف وهم اليهود والنصارى والمجوس والمشركون
وقوله تعالى فالنار موعده اي ان لم يسلم **وقوله** تعالى فلا تك في
مرية منه اي شك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
التابين الحق فيكون همهم الصدق بما قدمت دلائله **وقال** القشيري
افمن كان على بينة من ربه البينة لاقوام برهان العلم ولاقوام بيان الكشف
على القطع والجزم يشهد هو الحق ما لم يطلع عليه غيرهم فهم كما قيل . ليلي بحي من
وجهك شمس الضحى . وانما السدفة في الجو . والناس في الظلمة من ليلهم .
ونحن من وجهك في الضوء . **وقوله** تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اي لا اظلم ممن على نفسه ممن كذب على فنفوا عنه كلامه واضافوه الى غيره
وقوله تعالى اولئك يعرضون على ربهم في موقف القيمة ويقول الاشهاد
الملائكة الذين كتبوا اعمالهم وقيل الانبياء وقيل اهل الجمع هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قالوا
ان له اندادا واضدادا **وقوله** تعالى الا لعنة الله على الظالمين هو اخبار من
الله تعالى وتعليم الخلق ان يلعنوهم وهم المشركون الواضعون العبادة في غير موضعها
والضارون لانفسهم وقال الامام ابو منصور اولئك يعرضون على
ربهم اي يعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم كقوله اذ وقفوا على ربهم اي عند
ربهم اذ الامر والنهي كان من لا نفسهم فكان عرضهم لهم **وقوله** تعالى الذين يصدون
عن سبيل الله اي يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتخويف
وادخال الشبه ويبغونها عوجا اي يطلبون لها اي السبيل وهي مؤنثة
بها عا عوجا اي يطلبون ان يعدلوا الناس عنها وهم بالاخرة هم كافرون اي
جاحدون وقوله اولئك هو جواب قوله الذين يصدون عن سبيل الله **وقوله**
لم يكونوا معجزين في الارض اي فائتين هربا اي لا يتخلصون من عذابه ولو ساروا واحيث

سارو

ساروا في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يتولون نصرهم ورد العذاب عنهم في الدنيا
والاخرة بل يضاعف لهم العذاب اي يتواصل ولا ينقطع ويزادون عذابا على عذاب قال
تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وقال كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
وقال الكلبي يضاعف على الرؤساء ضعفا على غيرهم من الاتباع بما كانوا يسمعون الحق ولا
يبصرونه **وقوله** تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي كانوا يستثقلون
ان يسمعوا القران وان ينظروا الى عجائب خلق الله بالاعتبار وفي متعارف الكلام ما استطيع ان
اسمع كلام فلان وان انظر الى فلان اذا كان مستثقلا له ودلت الاية ان الاستطاعة التي هي علة
الفعل وهي قدرة الفعل حقيقة تكون مع الفعل فان الله تعالى نفى ذلك عنهم حيث انتفى عنهم
الفعل فاما الاستطاعة التي هي سلامة الاسباب والالات فقد كانت ثابتة لهم فانهم
كانوا ذوي اذان وعيون **وقوله** تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي
اوردوا انفسهم الهلاك والعذاب بدلا من غير ان اغاضوا من انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
اي اوردوا انفسهم الهلاك والعذاب هدرا من غير ان اعاضوا من انفسهم من اعراض الدنيا بدلا بل نفعوا
في الدنيا بعبادة الاصنام ووردوا الاخرة وقد فقدوا ولم يحصلوا منها ومن عبادتها على نفع وكانوا
مفترين في انها الهة وشفعاء وشهداء **وقال** ابن عباس اي بطل افتراؤهم فلم يجلب نفعا لهم
وقوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا جرم كلمة تقولها العرب بمعنى لا بد
ولا محالة وكثرت في الكلام حتى صارت بمعنى حقا وقيل لا نفي وجرم اي كسب يعني كسب كفرهم
خسرانهم وقيل جرم اي قطع اي قطع لهم عن الخسران **وقال** ابن عباس لا جرم نعم
وقال الضحاك لا شك **وقال** ابو النضر بن شميل لكن وقال مجاهد حقا اي انهم في الاخرة
هم الاعظمون خسرانا والاشدون عذابا وهوانا **وقال** القشيري حاولتهم الذين خسرت
صفقتهم وبارت بضاعتهم لقوا الهوان وذاقوا الياس والحرمان **وقوله** تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الاولياء بعد
ذكر الاعداء واخبتوا اختلفت الفاظ المفسرين فيه **فقال** ابن عباس اي انابوا الى
ربهم **وقال** مجاهد اي اطمأنوا الى ذكر ربهم **وقال** قتادة اي خشعوا وخضعوا
وقال الحسن الاخبات الخشوع بالمخافة الثابتة في القلب وقيل الاخبات
سكون الجوارح خضوعا لله والخبت الارض المستوية الواسعة **وقوله** تعالى مثل
الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع فالفريقان المذكوران في هذه الايات وهما الكافرون
والمؤمنون فالاعمى والاصم هو المشرك عمي بعين قلبه فلم ينظر نظر اعتبار وصم يسمع قلبه

فلم يستمع الى الوعظ ولا ذكار والسميع والبصير هو المومن ابصروا الحق بعيون قلوبهم وسمعوا باذان
القلوب مواعظ ربهم **وقوله** هل يستويان مثلا استفهام بمعنى النفي وانما ثني وان ذكر اربعة
اسما وهي جمع لان الاعمى والاصم في صفة انسان واحد وكذا السميع والبصير لواحد فكانا اثنين
وقوله تعالى افلا تذكرون اي تتعظون استفهام بمعنى الامر اي اتعظوا **وقوله** تعالى ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه ذكر قصص الانبيا تنبيها على ما يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصبر على
اذى قومه المشركين وتحذير المشركين ان ينزل بهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل
بالاولين في تكذيب المرسلين وتبشير للمومنين بالنصر والنجاة والتمكين وقال ابن عباس
سمي نوحا لكثرة نياحه على نفسه وذلك انه مر بكلب فقال لما قبحه فاوحى الله اليه اخلق
انا احسن منه فاخذ يبكي وينوح على نفسه حتى اوحى اليه يا نوح كم تنوح فاذا كان في طول عمره
تعالى فعلة واحدة او قال كلمة واحدة لم يوذن فيها فناح على نفسه الى ان سمي بالنياحة فكيف
حال من لا يذكر يوما مضى من عمره في مدة تكليفه الا على ذنوب كثيرة **وقوله** تعالى اني لكم
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي اني لكم بالفتح لوقوع فعل الارسال عليه وقرا الباقون بالكسر
على الابتدا وتقديره فقلنا له قل لهم اني لكم نذير اي مخوف لكم مبين اي مظهر ذلك **وقوله**
الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم قيل اي لئلا تعبدوا وقيل بان لا تعبدوا ثم هو
يحتمل النهي ويحتمل النصب لوقوع فعل الارسال او الانذار على المصدر **وقوله** عذاب
يوم اليم في الظاهر صفة العذاب وانما خفض ولم ينصب للمجاورة وقيل هو صفة
اليوم وتقديره عذاب يوم اليم عذابه كما قال اخشى عذاب يوم شديد عذابه وهو كقوله في
يوم عاصف اي عاصف الريح وهذا اليوم يجوز ان يكون في الدنيا ويجوز ان يكون في
الاخرة وقال ابن عباس هو الغرق والطوفان **وقوله** تعالى فقال الملا الذين كفروا
من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا
من فضل بل نظنكم كاذبين اي قال اشراف قومه الذين يتكلمون عمن دونهم ما نريك الا
انسانا مثلنا والذي تدعيه من النبوة يوجب لك فضلا علينا يلزمنا به ان نكون اتباعا لك وانما
انت ادمي مثلنا ولم يتبعك من قومك خيار قومنا وعقلاونا فيلزمنا اتباعهم بل اتبعك سفلتنا
وسقاطنا والرذل الحقير وجمعه الارذل وجمع الجمع الاراذل بادي الراي قرا ابو
عمرو بادي مهموزا ومعناه اول الراي اي اتبعوك باول رايهم من غير ان يتفكروا او
يتاملوا وقرا غيره بادي الراي بغير همز اي ظاهر الراي اي بما بدا لهم من غير تامل وقيل
هم اراذلنا بادي الراي اي باول الروية وبظاهر الراي نعرفهم انهم اراذل وما نرى

لك يا نوح ولا لمن اتبعك علينا فضلا لمتموه بمخالفتنا في ديننا فنتبعك لطلب ذلك الفضل بل
نظنكم كاذبين في دعوى الرسالة والاظهر ان الاراذل جمع الارذل فقد قال تعالى في سورة
الشعرا حكاية عنهم واتبعك الارذلون وقال الامام ابو منصور وهكذا كان الكفار يردون
على الرسل بقولهم ان انتم الا بشر مثلنا وجواب ذلك ما قال حكاية عنهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن
على من يشا من عباده وجواب قولهم وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا ان هولا لما لم
يتبعوا الروسا الذين هم ارباب الاموال والنعم واتبعوا الرسل الذين لم يروا في ايديهم ذلك دل
انهم انما اتبعوهم بالحجج والبراهين وقوله بل نظنكم كاذبين دل انهم كانوا يردون الدلالات
والبراهين بالظنون الكاذبة وقال القشيري انكروا نبوته لمشاكلته اياهم في الصورة ولم
يعلموا ان المباينة بالسيرة والسريرة لا بالصورة ونظروا الى الرسل بعين الاستحقار روسا بهم وهم
بالاستصغار وما استصغر احد الابرية الفضل عليه الا سلطه الله عليه والمرء باصغريه
وبالمعاني الامتياز لا بالمباني كما قيل ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه رجل مزير
فان اك في شراركم قليلا فاني في خياركم كثير **وقوله** قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اي قال نوح
يا قوم اخبروني ان كنت على بيان وحجة ووضوح من ديني وكان الله اتاني رحمة من عنده بان جعلني
رسولا اليكم ووعدني النصر عليكم فاشتبهت عليكم تلك الرحمة وخفيت حتى صرتم كالعمي
عنها ايتهيا لي ان الزمكم اياها اي اقهركم واكرهكم على فهمها ورويتها بابصار قلوبكم
وانتم لها كارهون ويحتمل ان يكون المراد من الرحمة ما انعم الله عليه من الهدى يقول ان كان
الله هداني فاردت ان اشرككم فيها وحقي عليكم فظننتم بي غير الحق ايتهيا لي ان الزمكم
هذه النعمة واوصلها اليكم على كره منكم قال ابن عباس على بينة من ربي اي على
دين وقال الضحاك اي على بصيرة وقال عطا على امر ظاهر مكشوف وقال مقاتل
على معرفة واتاني رحمة من عنده قال ابن عباس يعني الرسالة والعلم فيه وقال
مقاتل الهدى **وقوله** تعالى فعميت عليكم قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضم العين
وتشديد الميم اي عماها الله عليكم اي اخفاها وقرا الباقون بفتح العين وتخفيف الميم
اي خفيت تقال عمي علي خبر فلان اي استتر وقال القشيري ان كنت على بينة من
ربي الصبح لا خلل في ضيايه تكون الخفاش عميانا والسيف لا خلل في مضايه
تكون ضاربيه صبيانا **وقوله** تعالى ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله
وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون اي لا اطلب منكم

على تبليغ الرسالة مالا فلا تهمة علي فيما ادعوكم اليه ولا صورة تحصون من يطمع في اموالكم والرياسة في
امور الدنيا عليكم فتظنوا بي الكذب وما اجري الا على الله بو عبد الله فسه اعمل ونشر ارجو وما
انا بطارد الذين امنوا اي واتبعوا والطرد الابعاد على وجه الهوان اي اذا كنت لا اسالكم عليه شيئا
من اموالكم فارتدادكم واضلكم عندي سوا لانه داعي للجميع ممن اجابني قبله وقولكم اتبعوك
بادي الراي فعلي الحكم بظاهرهم ما ارى فاكتفي بظاهر ايمانهم واكل باطنهم الى الله فانهم ملاقوا ربهم
وصايرون اليه فيسايلهم عن اعمالهم ويجزيهم على وفق صنيعهم ويطردهم عن رحمته ان استحق
بمخالفة باطنهم ظاهرهم وقيل سالوه طردهم ليوشوا به انفة من ان يكونوا معهم وهذا عن ابن
جريج ثم قال ولكني اراكم قوما تجهلون فتظنون ان الناس يتفاضلون بالاحسان والانساب
لا بالاعمال والاحوال وقيل تجهلون انهم خير منكم لايمانهم وكفركم وقوله تعالى ويا قوم
من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون اي من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم افلا تذكرون
فتخطرون ببالكم فتعلموا انه لا يجوز لي طردهم واكرامهم اولى هذا وقال القشيري من قربه الله
وادناه يوجب لصاحبه الخزي في دنياه والصغر في عقباه وقوله تعالى ولا اقول لكم
عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم
لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين اي ولا ادعي ان عندي خزاين
الاموال فابذلها لكم لتتبعوني واستميلكم بها لتطيعوني وقيل ما عندي خزانة الهداية لاهديكم
انا الى الحق دون الاراذل ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تشاوون عن الامور الكاينة من
بعد من النعم والمحن لتطلبوها وتتحرزوا عن المخاوف ولا اقول اني ملك من السما اخبركم باخبار
السما ولا اقول لهولاء الذين تحتقرهم اعينكم وقد زريت عليه اذا عبته وازريت
عليه اي قصرت به وازدريته اي احتقرته لن يوتيهم الله خيرا اي ايمانا الله اعلم بما في قلوبهم
من الصدق وغيره وعليه اعتمادي وبذلك قوله ولا اعلم الغيب اي بما في قلوبهم ولو طردتهم
فانا اذا من الظالمين لنفسهم بطرد من امرت بقبوله وقوله تعالى قالوا يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اي خاصمتنا فبالغت فيه وقد جادله يجادله اي خاصمه
ليرجعه عما عليه واصله الجدل وهو الفتل وليس ذلك مما يثبت عندنا صدقك في
دعوى رسالتك فخاف انذارك فاتنا بما تعدنا من العذاب على مخالفتنا اياك ان كنت
صادقا في ذلك وقوله قال انما ياتيكم به الله ان شا وما انتم بمعجزين انما كلمة تحقيق
ومن تحقيقه ان يكون له دون غيره اي ليس الي الاتيان بالعذاب الي وانما ياتي به الله ان شا
واذا شا صرفه عنكم وما انتم بفايتين عنه ان تاخر عنكم حتى لا يلحقكم بل يلحقكم

شيئا وقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو
ربكم واليه ترجعون النصح نقيض الغش وهو امحاض ارادة الخير في الدلالة وقيل هو اعلام
موضع الغي ليتقى يقول نصحتكم ولكن لا ينفعكم نصحي اذا لم تقبلوه واراد الله اغواكم هو ربكم اي يدبركم
ومعيشتكم في الدنيا الى وقت اهلاككم ثم اليه ترجعون فيحاسبكم ويجازيكم وقوله
تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بري مما تجرمون
قال مقاتل هذا كلام اعترض في قصة نوح والمعنى ام يقولون اهل مكة افترى محمد القران
اختلقه من تلقا نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلي جزا جرمي وانا بري مما تجرمون انتم ثم
رجع الى قصة نوح وقيل تقديره وتلفيقه افيقول اهل مكة بما اخبرتهم يا محمد من قصة
نوح تقديرا كذلك ام يقولون اختلقه فان قالوا ذلك فقل ان افتريته فعلي عقاب ذنبي وانتم
بريون من جرمي لا تواخذون به وانا ايضا بري من جرمكم لا اواخذ به وقال الامام
ابو منصور قال بعضهم هو قول قوم نوح ان نوحا افترى على الله انه ارسله اليهم فاجابهم
بما اجاب فعلى هذا القصة منتظمة وقوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يومن من
قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي اوحينا اليه فقلنا له لن يصدقك بعد
هذا منهم الا من قد اسلم فلا تحزن والابتياس هو حزن في استكانة وهو افتعال من البوس
اولا تقصر بصونه من اصابه البوس مما فعلوا ولما اخبر بذلك واليس من ايمانهم دعا عليهم
فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال الامام ابو منصور دلت
الاية ان للايمان حكم التجدد فان قوله الا من قد امن استثنا ممن لا يومن في المستقبل
فكان اثباتا لايمانهم في حادث الوقت وقوله تعالى بما كانوا يفعلون يحتمل الكفر
لان الانبيا كانوا يحزنون بكفر المشركين قال الله تعالى لنبينا محمد عليه السلام لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مومنين ويحتمل انهم كانوا هموا بقتله والمكر به فقال لا تحزن بما كانوا يبغون
في هلاكك فاني اكافيهم وقوله تعالى واصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا
اياك حفظ من يراك ويملك دفع السو عنك وقيل باعين اوليائنا من الملايكة الموكلين
بك ووحينا اي امرنا وتعريفنا صفتها وقدرها وهياتها ولا تخاطبني في الكافرين بسوال
النجاة وقيل بسوال الامان وقيل في سوال بعض اهلك من جملتهم اي كلهم حق القول عليهم
بانهم لا يومنون وانهم مغرقون وهو تعريف للمشركين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
المستعجلين العذاب ان الله لا يعذبهم عذاب الاستيصال الا اذا كان في معلوم الله انهم
لا يومنون ولا يخرج من اصلابهم من يومن وقال القشيري في قوم بشرط العبودية

في صنع السفينة بامرنا وتحقق بشهودنا فانك بمرأى منا ومن علم اطلاع الحق عليه لم يلاحظ
نفسه ولا غيره ولا شيا وقد تحقق بان المجري هو الله سبحانه ثم قال له راع حق الادب
فلم يكن لك اذن منا في الشفاعة فلا تخاطبنا فيه وقوله تعالى ويصنع الفلك
وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف
تعلمون اي وكان يصنع السفينة اي يعملها وكلما مر عليه اشراف قومه سخروا منه اي من
نوح وقيل من صنعه قيل كانوا يقولون صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل
السخرية اظهار خلاف الابطال على جهة يفهم منها استضعاف عقل من يسخر به ومنه
التسخير وهو التذليل والاستصغار وقيل لما كانت طويلة عريضة واسعة ولا ماء هناك
يحمل مثلها كانوا يتضاحكون ويتعجبون من عملها وقال نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
قال الزجاج اي ان تستجهلونا فانا نستجهلكم وقيل ان تسخروا منا في الدنيا فانا نسخر
منكم في الاخرة فسوف تعلمون اذا نزل بكم العذاب وقيل فانها تظهر لكم عاقبة هذا العمل
بما تعلمون انا كنا نسخر منكم اذ نكتكم جهلكم حقيقة علمنا ولا ينكشف لكم عاقبة ما يراد بكم
من قال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين وكانت من الساج وجعل لها ثلثة ابواب
بعضها اسفل من بعض وجعل لها ثلثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع
وجعل في البطن الاوسط الانعام والدواب وركب هو ومن معه البطن الاعلى مع ما يحتاج
اليه من الزاد وقال مقاتل وحمل معه جسد ادم وجعله معترضا بين الرجال
والنساء وفي تفسير مالك بن سليمان الهروي ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا
احملنا فقال نوح انكما سبب الضر والبلاء فانا لا احملكما قالتا احملنا ونحن نضمن
لك انا لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ما ضرتاه وقوله تعالى من ياتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم يتصل هذا بقوله فسوف تعلمون من ياتيه عذاب ولقوله وجهان
الرفع اذا جعل معناه فسوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه والنصب اذا جعل تقديره
فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه اي يفضحه وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم
اي يجب عليه عذاب دائم اي عذاب الاخرة وهو كقوله اغرقوا فادخلوا نارا
وقوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك
الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا قليل اي فعمل السفينة وفرغ
ومضى زمان حتى اذا جاء امرنا اي حضر وقت مجيء امرنا باهلاكهم وفار اي ارتفع الماء من الارض

بثة

لبثة انه فاع التنور قال الحسن كان تنورا لحوا حتى صار الى نوح فقيل له اذا رايت الماء يفور
من التنور فاركب انت واصحابك السفينة وقال مقاتل ومجاهد تنور الخابزة
وكان في منزل نوح وقال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان
التنور على يمين الداخل فيه مما يلي باب كندة وقال ابن عباس التنور وجه الارض وبه
قال الزهري وسفيان بن عيينة وقال قتادة التنور اشرف موضع في الارض
وقال الضحاك وفار التنور اي انبجس من وجه الارض وقال علي رضي الله عنه
فار التنور اي طلع الفجر وقال عطا فار التنور اي طلعت الشمس وقوله تعالى قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين في رواية حفص عن عاصم كل بالتنوين اي من كل صنف
من البهايم والسباع ودواب البر والبحر والهوام والطيور زوجين وهو مفعول اثنين
وهو توكيد له وقرا الباقون على الاضافة اي من كل صنف له ذكر وانثى والزوج
واحد له شكل والزوجان ذكر وانثى قال الحسن في قوله ومن كل شي خلقنا زوجين السما
زوج والارض زوج والشتا زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج حتى
يصير الامر الى الله الفرد الذي لا يشبهه شي وكان الله اراد ان يكون عنده في السفينة اصل
لكل حيوان ليتناسل اذا زال الطوفان لان الباقي كان يهلك بالغرق وقوله واهلك
عطف على الاول يعني واحمل اهلك وهم اولاده ونساوه الا من سبق عليه القول منهم
اي الوعيد وقيل الحكم بالهلاك وهذا المستثنى ابنه كنعان وامراته ومن امن عطف
على الاول وهو بمعنى اي والذين امنوا وما امن معه الا قليل قال الاعمش هم سبعة وقال
ابن جريج ثمانية وقال ابن عباس ثمانون نفسا ولما خرجوا من السفينة بالجودي موضع
سكنوا قرية هناك تسمى لذلك سوق الثمانين وقيل كانوا عشرة وهم نوح وبنوه الثلثة
ونساوهم وستة امنوا به وقال الكلبي كان في السفينة ثمانون نفسا نوح وامراته
سوى التي غرقت وثلثة بنين له سام وحام ويافث وثلث نسوة لهم واثنان وسبعون
انسانا سواهم وروى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن في السفينة مع
نوح غير ثمانية نوح وامراته وبنوه وكنائنهم وقال سعيد بن المسيب ولد
نوح ثلثة سام وحام ويافث وولد كل واحد منهم ثلثة فولد سام العرب وفارس
والروم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والصقالب وولد حام السودان
والقبط والبربر وقوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها اي
وقال نوح اركبوا اي ادخلوا السفينة وهو الاظهر وقيل وقال اركبوا فيها وقولوا بسم الله

مجريها ومرسيها ويحتمل ان لا يكون هذا على معنى التكلم به ولكن على معنى ما يقال للرجل بني على اسم
الله وافعل كذا باسم الله دعا له اي افعله متبركا لك فيه وقوله مجريها ومرسيها وقرا
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مجريها بفتح الميم ومعناه جريها وقرا الباقون بضم
الميم ومعناها اجراها وقيل مجريها موضع جريانها ووقت جريانها وبالضم موضع اجرائها
ووقت اجرائها وفي اعرابه وجهان الرفع لانه خبر الابتدا والنصب بنزع الخافض عند مجريها
او في مجريها ومرساها بالضم بالاجماع من الارسا وهو الاثبات وله ثلثة معاني ايضا
الاثبات وموضع الاثبات ووقت الاثبات واعرابها الرفع والنصب ايضا على ما مر فالرفع على
الاخبار والنصب على التبرك والتكلم بالتسمية وقال الضحاك كان نوح اذا اراد
ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست والارسا امساك
السفينة بما تقف به وقال الامام ابو منصور ويحتمل انها بسم الله تجري وبه تقف وانها
ليست كسائر السفن التي باهلها تجري وبهم تقف وهم يتولون اجراها ووقوفها وسفينة
نوح كانت جريها بالله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك وعلى ذلك قوله وهي تجري
بهم في موج كالجبال وما كان في تصرف الناس لم تجر في مثل هذه الحالة سالمة وقوله
تعالى ان ربي لغفور رحيم اي غفور لنا رحيم بنا يستر علينا الزلات ويرحمنا بالنجاة
قال الكلبي ركب فيها نوح لعشر مضين من رجب وخرجوا منها يوم عاشورا وقوله
تعالى وهي تجري بهم كالجبال اي ركبوا في السفينة فجرت بهم في امواج عظيمة التي
تشبه الجبال وقوله تعالى ونادى نوح ابنه وكان في معزل اي معتزل عنه يا بني
اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ولم يقل من الكافرين لان حاله كانت ملتبسة عليه
لانه بنا فقه وقيل علم كفره لكن معنى نداءه يا بني اسلم ولا تكن ثابتا على الكفر مع الكفار
واركب معنا تسلم وقوله تعالى قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء اي قال ابنه كنعان
سالتجئ الى جبل يمنعني من الماء ويمسكني قال لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع اليوم
من عذاب الله الذي نزل بامته الا من رحم اي الا الله الذي قد رحمنا بما امتنا من الغرق
وقيل لا عاصم اي لا معصوم كما في قوله عيشة راضية اي مرضية وقوله من ماء دافق
اي مدفوق وقال الشاعر بطي القيام رخيم الكلام اضحى فوادي به فاتنا اي مفتونا
وكذلك قوله الا من رحم اي الا من رحمه الله وانما يرحم الله من اسلم فاسلم تسلم وكان هذا
حين فار التنور قبل ان يصير الطوفان بحال يصير الغرق في حال يعاينون اسباب الاخرة
فيكون ايمانهم ايمان باس وقوله تعالى وحال بينهما الموج قيل اي حال بين كنعان وبين

الالتجا بالجبل الموج وقيل حال بين نوح وبين ابنه الموج وكان من المغرقين قال الامام ابو
منصور اي صار من المغرقين او كان في علم الله انه يغرق الا انه كان من المغرقين قبل
ذلك وعلى هذين الوجهين قوله في ابليس وكان من الكافرين وقال القشيري اخطا
المسكين من وجهين احدهما انه راى الهلاك من الماء وكان من الله وراى النجاة والعصمة
من الجبل وهو من الله فرد ويقال احتمل ان لو قيل له يا نوح غرقنا العالم بدعائك فلا
عليك ان غرقنا ولدك في جملتهم وذكر الشيخ الامام ابو بكر القاضي في تفسيره قال يروى
عن عكرمة انه لما قال نوح لابنه كنعان اركب معنا فقال ساوي الى جبل اتخذ قبة من صفر
وحمل فيها الطعام والشراب وردم بابها فلما علا الما فوقها القى الله عليه البول فجعل يبول ولا ينقطع
حتى امتلات القبة فغرق الله الكفار بالما وغرقه ببوله وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي
ماك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
قال ابن عباس وقيل يا ارض ابلعي ماك اي انشفي ماك الذي خرج منك ويا سما اقلعي
اي احبسي ماك وغيض الما اي نقص ونشفته الارض وصار ما نزل من السماء هذه البحور
وقضي الامر اهلك من هلك ونجا من نجا واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض
ستة اشهر على الجودي وهو جبل بارض الموصل وقيل بعدا سحقا للقوم الظالمين يعني
قوم نوح الذين غرقوا وقال لو معنى الاية جرت بهم السفينة الى ان تناهى الامر وبلغ
هذا المبلغ والبلع والابتلاع الازدراد والاقلاع والامساك والغيض النقص متعدي
والاستوا والاستقرار وقضي الامر فرغ منه والبعد الهلاك وما ذكر في الاية
من القول فيحتمل ان يكون الملائكة قالت ذلك لفظا وقد وضع الله فيهما فهما ويحتمل
ان يكون عبارة عن بلوغ الامر ذلك المبلغ وجريه على ما جرى كما في قوله ان يكون
له كن فيكون وفي الاية من عجيب البلاغة وجوه كثيرة منها انه خرج مخرج الامر
على معنى التعظيم لفاعله لانه من غير معاناة ولا لغوب ومنها حسن تقابل
المعاني ومنها حسن ائتلاف الكلمات ومنها حسن البيان في تقدير الحال ومنها الايجاز
من غير اخلال ومنها سياق كل القصة في اوجز خطبة الى غير ذلك مما عليه هذا الكلام
من الحسن العجيب واللطف البديع وقال الضحاك مطرت السما اربعين يوما
الليل والنهار وخرج ما الارض اربعين يوما فارتفع الما على كل جبل خمسة عشر
ذراعا وسارت بهم السفينة وطافت بهم الارض كلها ستة اشهر لا يستقر
على شيء حتى اتت الحرم وطافت اسبوعا ورفع البيت الى الذي بناه ادم الى

السما السادسة وهو البيت المعمور وقال قتادة بعث نوح الغراب لينظر فوجد
جيفة فوقع عليها فبعث الحمامة فاتته بورق الزيتون فاعطيا الطوق في عنقها
والخضاب في رجليها وقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين اي دعا الله فقال يا رب ان ابني
من اهلي وقد وعدتني انجا اهلي ووعدك الحق الصدق لا خلف فيه وانت
الحاكم بالعدل لا يشوب حكمك زلل ولا خطا فرجع وقد حكمت بانجا اهلي وهذا
ابني مشرف على الهلاك فعرفني السبب فيه لاكون على علم فيمكن له قلبي قال
ابن عباس كان هذا ابنه من صلبه وقال مجاهد كان ابن امراته وقال قتادة سالت
عنه الحسن فقال والله ما كان ابنه قلت ان الله تعالى اخبر عنه انه قال ان ابني
وانت تقول لم يكن ابنه وان اهل الكتابين لا يختلفون في انه كان ابنه فقال الحسن
ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب وقال ان نوحا قال من اهلي ولم يقل مني وان
وعدك الحق اي الوعد بالعذاب هو الصدق وانت احكم الحاكمين وقضيت للقوم
بالنجاة وللقوم بالغرق وقوله تعالى قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال
الامام ابو منصور كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لما لعله كان يظهر الموافقة
له والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي وسال له نجاته وقد سبق منه النهي عن
سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسال على الظاهر
الذي عنده كما كان اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسوله ويضمرون خلافه
ولم يعلم بذلك حتى اطلعه الله عليه فكذلك حال نوح ولم يكن قوله ليس من اهلك
تكذيبا لقوله له ان ابني من اهلي لكن معناه ليس من اهلك على ما عندك وليس
من اهلك الذي بشرتك بنجاتهم وقوله تعالى انه عمل غير صالح قرا الكسائي عمل الفعل
اي عمل عملا ليس بصالح اي كفر وما اسلم وافسد وما اصلح وقرا الباقون انه
عمل بالتنوين غير صالح بالرفع وله وجهان احدهما ان سؤالك هذا عمل ليس
بصالح وهذا عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقيل عمل نعت للابن مصدرا
اقيم مقام الفاعل قاله الزجاج وانشد قول الخنسا

ترتع ما رتعت حتى اذا ذكرت ۝ فانما هي اقبال وادبار ۝

اي مقبلة ومدبرة وقال ابن عباس ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم

وقال

جامعة الملك سعود عمادة شؤون المكتبات قسم المخطوطات

وقال الضحاك اي ليس من اهل دينك وولايتك فلا تسالني ما ليس لك به علم اي اخبرتك
عن حال ابنك اذ كنت غير عالم به فلا تسالني بعد هذا ما ليس لك به علم اي معرفة
باطنه حتى اذن لك فيه اني اعظك ان تكون من الجاهلين هو كما قال لنبينا صلى الله عليه
وسلم فلا تكونن من الجاهلين وان كان في علمه انه لا يكون من الجاهلين وهو كما ذكرنا
مرات ان العصمة لا تمنع النهي عن الشي بل النهي تطهير العصمة وقوله تعالى قال رب
اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم اي ان اعود الى سؤال ما لا اعلم بالاذن
في سؤاله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين اي وان لم تستر على ما مضى من هذا
السؤال ولم ترحمني بقبول انابتي اكن من الهالكين وهذا ثنا من الله تعالى على نبيه
نوح وتعريف لنبيه محمد تعظيم الانبيا فيما امر الله تعالى وتوقيهم عن تقصير يقع منهم او
انبساط وان قل وقال الامام ابو منصور وقوله وترحمني اي بالعصمة عن العود
الى مثله اكن من الخاسرين وقوله والا تغفر لي وترحمني اي بالعصمة عن العود الى
مثله اكن من الخاسرين وهو طلب المغفرة والرحمة بالكناية وهو ابلغ واكد من قوله
اغفر لي وارحمني لان قوله والا تغفر لي وترحمني قطع رجاء المغفرة والرحمة من غيره
وهو اخبار انه لا يملك احد ذلك غيره وليس في قوله اغفر لي وارحمني قطع كون
ذلك من غيره بل هو يدل على طلب المغفرة والرحمة لا غير وعلى ذلك سؤال ادم وحوا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم اي قلنا
له لانه قال بسلام منا وقيل قالت الملائكة بامرنا يا نوح اهبط اي انزل من السفينة
الى الارض وقيل من الجودي الى قرار الارض بسلام اي بتحية كما قال سلام على
نوح في العالمين وهو الثنا الحسن وقيل بسلامة من الافات وبركات جمع بركة
وهي ثبوت الخير بنمائه وهي في حقه تكثير ذريته واتباعه وجعل اكثر الانبياء من
ذريته وانما الدين في القرون الخالية الباقية من نسله وسائر المنافع وعلى امم
ممن معك قال الامام ابو منصور اراد الامم التي كانوا من بعده فانه لم يكن
معه يومئذ الا نفر يسير وذلك فدل على ان دين الاسلام جميعا دين واحد وان اختلفت
شرايعهم فانه جعلهم ممن معه على اختلاف شرايعهم ثم يجوز ان يكون هذا السلام
ما سال والا تغفر لي وترحمني والبركات ما سال رب انزلني منزلا مباركا وقوله
تعالى وامم سنمتعهم هذا ابتدا اي امم من الكفار من نسلك امتعهم في الدنيا الى انقضاء

اجالهم ثم يصيبهم في الاخرة عذاب اليم في النار وقوله تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين اي هذه
الانباء من انباء الغيب الامم السالفة التي يغيب العلم بها عمن لم يعرفه الله نوحيها اليك
نقصها عليك لتقف عليها بعد ان كنت انت وقومك لا تعلمونها اذ كنتم اميين ويحتمل
ان يكون العرب لم يعرفوا خبر الطوفان لشهرته لكن لم يعرفوا قصة الابن الذي غرق
وهذا اولى وقوله فاصبر اي على ما امرت به ونهيت عنه وقيل على اذى الكفار وقيل
صبر الانبياء قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم ان العاقبة للمتقين قيل اتقوا الشرك
فانه ذكر هذا بمقابلة قوله وامم سنمتعهم وهم الكفار وقيل اي الذين اتقوا الشرك والمعاصي
ولهم العاقبة الحميدة المطلقة وقد مر سياق هذه القصة بتمامها في سورة الاعراف
وقوله تعالى والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره وشرحه في سورة الاعراف ان انتم
الا مفترون ما انتم في عبادتكم غير الله الا مفترون على الله في اضافتكم اليه الشركاء
وقوله تعالى يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني اي خلقني
افلا تعقلون ما اقول لكم فتدبرونه فيتبين لكم صدقي وقال الامام ابو منصور ان
انتم الا مفترون يحتمل في تسميتكم الاصنام الهة ويحتمل في قولكم الله امرنا بهذا ويحتمل
في انكاركم الرسالة او البعث بعد الموت افلا تعقلون ان الله واحد وانه بعث كل
نبي وقوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره في اول هذه السورة
وقدم الاستغفار على التوبة لان المغفرة هي الغرض والتوبة سبب يتوصل به
اليه فقدم ذكر الغرض على السبب وقيل استغفروا بالايمان ثم ارجعوا بالكم واموالكم
اليه دون غيره يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل المطر في وقته دارا لا ينقطع
والمدرار الكثير الذي لا ينقطع والمدرار الكثير المتتابع ومفعال صفة مبالغة كقولهم
مهذار ومطعان ومطعام ومغوار وقال ابن عباس مدرارا متتابعا وقال
مقاتل بن حيان ديمة وقال ابن كيسان غزيرا كثيرا وقوله تعالى ويزدكم
قوة الى قوتكم اي يهب لكم اموالا واولادا زيادة على ما حصل عندكم اليوم من
ذلك فتقتدروا على دفع اعدائكم بكثرة عددكم وكانوا في قوة فوعدوا الزيادة على ذلك
وقال مقاتل حبس الله المطر عنهم ثلاث سنين واعقم ارحام نسائهم فلذلك قال
ذلك وقوله تعالى ولا تتولوا مجرمين اي لا تعرضوا عن الايمان مدبرين

وقال

٨٨

وقال القشيري ثم توبوا بعد الاستغفار من توهمكم ان نجاتكم باستغفاركم ثم تحققوا
انكم لا تجدون نجاتكم الا بفضل ربكم بفضله وصلتم الى استغفاركم لا باستغفاركم
وصلتم الى نجاتكم وقوله يرسل السماء عليكم مدرارا الاستغفار قرع باب الرزق
واذا رجع العبد الى الله بحسن تضرعه فتح الله عليه ابواب رحمته ووفر عليه اسباب
نعمته وقوله تعالى قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة واضحة على دعوى رسالتك
ليلزمنا تصديقك والانقياد لك وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك اي من اجل قولك
كما يقال كسوتك عن عري اي من اجل عريك وقيل الباء وعن متناوبان قال تعالى
فسل به خبيرا وقال ههنا عن قولك اي بقولك وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين
وقوله تعالى ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما
تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ما نقول الا اصابك بعض الهتنا
بجنون اي خبل عقلك قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل اي ما نظن وما نقول فيما بيننا
اذا ذكرناك صدنتك الا ان بعض اصنامنا التي تعبدها اصابك بجنون عقوبة لك على
الدعاء الى تركها ورفض عبادتها فقال هود ليس كما تقولون واني اشهد الله واشهدكم
اني بريء من شرككم غير موافق لكم على دينكم فاستعملوا الكيد انتم والهتكم التي تزعمون
انها اعترتني بسوء في الاساءة بي وايصال المكاره الي ثم لا تؤخروا ذلك انتظر هل يمكنكم
او يمكن الهتكم ان تفعلوا بي شيئا من السوء وهذا دليل صحة نبوته لانه قال ذلك
لثقته بوعد الله تعالى بحفظه ونصرته فان قالوا لم قالوا ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء فدل لو قولا غير ذلك قلنا معناه اي في سبب الخلاف ويدل عليه
ظاهر الخالفان قالوا لم قالوا اشهدوا ولم يشهدوا مثل الشهادة قلنا لتقوم الحجة
عليهم لا بهم وقوله تعالى اني توكلت على الله ربي وربكم اي فوضت امري الى الله
مدبري ومدبركم ومقيتي ومقيتكم لا اعتمد الا عليه ولا اخاف غيره اذ كل شيء في
قبضة قدرته وسلطانه ما من دابة اي نفس تدب على الارض الا هو آخذ بناصيتها
على ما يريد بها والاخذ بالناصية كناية عن الاذلال والقهر وكانت العرب اذا اسرت
رجلا فارادت اطلاقه جزت ناصيته ومثله قوله يؤخذ بالنواصي والاقدام
وقوله تعالى ان ربي على صراط مستقيم قيل اي ان ربي يدل على الحق لا يعدل عنه
وقوله تعالى فان تولوا اصله فان تتولوا سقطت احدى التائين تخفيفا اي فان
تعرضوا بعد هذا عن الايمان فلم يلزمني من تبعة اعراضكم شيء وقوله تعالى فقد

فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم من الدعا الى الايمان وقوله تعالى ويستخلف ربي قوما غيركم
اي ويهلككم الله بعد هذا ويجعل غيركم خلفا عنكم وقوله تعالى ولا تضرونه شيا ولا يبطل
ملكه باهلاككم نقص ولا تقدرون على ان تضروه او تضروا اولياه بكيدكم وقوله تعالى ان
ربي على كل شي حفيظ اي لا يخفى عليه شي ولا يذهب عنه ولا يفوته وقيل اي لكل شي حفيظ
فيحفظ انبياءه واولياءه وقيل يحفظ الاعمال فيجازي عليها وقوله تعالى ولما جاء
امرنا اي امرنا باهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ اي شديد واصل الكثيف للثقل وهو هنا استعارة عن الشدة والهول وهو ما
نزل بهم من عذاب الدنيا وقيل هو عذاب الاخرة ايضا في حق المومنين وقوله برحمة منا قال
الامام ابو منصور هذا يدل على ان من نجا نجا برحمة الله لا بعمله ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته ويحتمل قوله برحمة منا اي ببعث هود اليهم حتى اتبعوه فنجوا لذلك
ويحتمل برحمة منا اي بتوفيقنا اياهم الى الايمان حتى نجوا به وقوله تعالى وتلك عاد
جحدوا بايات ربهم بالنبي والحجج وعصوا رسله لانهم اذا عصوا هودا فقد عصوا كل الرسل
يدعون الى الله فعصيان واحد منهم عصيان الكل واتبعوا امر كل جبار عنيد اي كل
متكبر مخالف وهم روساوهم قال السدي الجبار الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد
وقال عكرمة الجبار الذي يقتل على الغضب وقال ابو عوسجة الجبار المتجبر هو
المتكبر والعنيد هو المعاند المخالف وقال القتبي العنيد والعنود والعاند
المعارض لك بالخلاف عليك وقال ابو عبيدة العنيد والعنود والعاند الجاير
وفي الاية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يقاسيه من البلاء وتقوية للمومنين
فيما ندبوا اليه من حسن الرجا والوعيد بتبديل ما كانوا يلقونه من الشدة بالرخاء
وقوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي الحقوا واللعنة الطرد
ومعناه لعنوا في الدنيا والاخرة طردوا وابعدوا عن رحمة الله ثم بين السبب فقال
الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود اي هلاكا منصوب على المصدر
باضمار الفعل وقد مر شيا في القصة في سورة الاعراف وقوله تعالى والى
ثمود اخاهم صالحا عطف على قوله ولقد ارسلنا نوحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره مر تفسيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها اي ابتدا خلقكم من
الارض بخلق ادم ابيكم من التراب وجعلكم عمارها اي ساكنيها وعامري الارض كلها

قال

قال الشاعر * فانك من بيت لعيني معجب * واعجب لي عيني من البيت عامره * وقيل اي
القايمين بعمارتها بالزراعة والغرس والبنا والحفر وقيل اي عمركم فيها اي جعل لكم فيها
اعمارا وقيل اي عمرها لكم اي جعلها لكم مدة عمركم وقوله تعالى فاستغفروه ثم توبوا اليه اي
اسالوه مغفرته بالايمان ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالندم وسوال الثبات وقوله
تعالى ان ربي قريب اي الى من رجاه مجيب لمن دعاه وقال ابن عباس واستعمركم فيها اي
اعاشكم وقال الضحاك اطال عمركم وقال مجاهد اعمركم من العمرى وقال
قتادة اسكنكم فيها وكانت ثمود تسكن وادي القرى بين المدينة والشام وكانت عاد
باليمن وقوله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي كنا نرجو لك الانتفاع
بك ونتوقع الفتوح في ديننا من حكمتك فاخلفت رجاءنا وقيل كنت ترحم الضعفا وتعود
المرضى ونحو ذلك فلما دعاك الى النبوة فصدت تخالفنا وتسفهنا وقوله تعالى اتنهينا
ان نعبد ما يعبد اباونا الذين كانوا اكمل عقولا منا وابصر بالامور كلها وهو استفهام
بمعنى الانكار وقوله تعالى واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب اي في شك مريب موقع
الريبة فيك اي التهمة اي نتهمك فيما تدعونا اليه من ترك عبادة الهتنا وافراد ربك بالعبادة
في شك يوجب اتهامك فيما تضيفه الى الله اذ ليس يجوز ان يكون اباونا يجهلون الحق
ويتركون الدين الذي يرضى الله به وقوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير اجابهم عن قولهم
واننا لفي شك مما تدعونا اليه فقال اخبروني عنكم ان كنت محقا في دعوى الرسالة وكنت
على بيان من ربي في انه الله الذي لا اله الا هو وانه ارسلني اليكم وامرني بانذاركم وكان
الله اعطاني من عنده كرامة خصني بها من الايمان والرسالة ايجوز لي مع هذا ان اعصي
ربي فاقصر في تبليغ رسالته واقابل رحمته بمعصيته فاستحق نزول عذابه
وسخطه ومن ينصرني حينيذ فيمنع عني عذابه فما تزيدونني بهذا الاحتجاج غير ان
اضللكم واضلل اباكم قال ابن عباس اي غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن
بن الفضل غير نسبتي اياكم الى الخسارة وقال الامام ابو منصور قال بعضهم
فما تزيدونني بمجادلتكم اياي الا خسرانا وقيل فما تزدادون بمعصيتي اياي الا خسرانا
لانفسكم وقال القتبي غير تخسير غير نقصان وقال ابو عوسجة هو من
الخسران خسرته اي الزمته الخسران وقوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله قال
الامام ابو منصور اذا اضيفت جزوية الاشيا الى الله تعالى فهو على تعظيم تلك الجزيات

المضافة اليه واذا اضيف كلية الاشيا اليه فهو على ارادة تعظيم لله تعالى وتبجيل نحو قوله له
ملك السموات والارض وله كل شيء وقوله تعالى لكم اية يقول اذ شككتم في امري فهذه
اية الله معجزة تبين لكم صدق نبوتي والاية فيها ان الله اخرجها لكم من الصخر وهيئا مدونها
وخرجت وهي حامل كما طلبوا وكانت تشرب يوما تنفرد به ولهم يوم وتاتي في المرعى
يوما والوحش يوما وقد مرت قصتها في سورة الاعراف وقوله تعالى فذروها تاكل في
ارض الله ولا تمسوها بسوء قيل بمنع عن المشرب فقد قال ناقة الله وسقياها وقيل بعقر
وقوله تعالى فياخذكم عذاب قريب اي عاجل ان مسستموها بسوء قال ابو موسى
الاشعري اتيت مصدرها اي مصدرها الذي صعدت اليه فلم نجد مقدارا فاذا هو
ستون ذراعا وقوله تعالى فعقروها فعقرها احمر ثمود قدار بن سالف ومعه مسطرع بن
مهرج فقال تمتعوا في داركم اي بلدكم وقيل اي دار الدنيا ولو اراد بها المنازل لقال في
دياركم وقيل اراد بها الواحد الجمع كما في قوله ثم يخرجكم طفلا وتقديره ليتمتع كل واحد منكم في داره
والتمتع التلذذ بالمدركات الحسية تقول امهلكم الله تعالى ثلثة ايام بلا زيادة ثم تعذبون
وهو العذاب القريب الذي ذكرت لكم ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه ويروى
انه قال لهم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ثم يجي هلاككم فتصبح الوانكم في اول يوم مصفرة
وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم تستاصلون في اليوم الرابع فكان
كما قال لانهم عقروا الناقة يوم الاربعا واستوصلوا يوم السبت وقوله تعالى
فلما جاء امرنا اي بالعذاب نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا اخرجناهم من بينهم
وقوله تعالى برحمة فسرناها في قصة عاد ومن خزي يومئذ قرا الكسائي ونافع
في رواية ورش وقالون وعاصم في رواية العمري والبرجمي وعباس عن ابي عمرو
بنصب الميم على الظرف والباقون بالخفض على الاضافة والخزي الفضيحة بالعذاب
المهين المميت صلى وقوله تعالى ان ربك هو القوي العزيز اي القادر على اهلاك من
يريد المنيع بسلطانه من ان يغالبه العبيد وقيل القوي في نعمه وليايه العزيز المنتقم
من اعدايه وقوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل وقيل الصيحة
ابتدا بوقوع العذاب ونزول الصاعقة وقيل هو الصوت الهايل الذي يجي فلا
يتمالك لها القلوب بل تنفطر وتنخلع فيموت السامعون لها وقال الامام ابو منصور
قيل الصيحة الصاعقة وقيل هو اسم لكل عذاب ولا يدري كيف كان او كان على بهم
قدر صيحة لسرعة وقوعه بهم او لما راوا العذاب صاحوا فيما بينهم فلما جاتهم الصيحة

ماتوا

ماتوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي صاروا وقيل كان العذاب بالليل فلذلك قال فاصبحوا
جاثمين اي ساقطين على الوجوه وقيل ساقطين على الركب وقيل لازمين بالارض
وقال ابن عباس ميتين وقال قتادة هلكى وقال مجاهد خامدين وقال ابن
كيسان ساقطين كجثوم الطير وقوله تعالى كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا بها حتى
المكان غنا من حد علم اذا اقام الا ان ثمودا كفروا ربهم فلذلك استحقوا هذا العذاب الا
بعدا لثمود اي هلاكا وقرا الكسائي وحده بالتنوين والخفض موافقة للاول والباقون
تركوا تنوينه وفتحوه ونونوا الاول لان ثمودا ان جعل اسم قبيلة لم يصرف لاجتماع التعريف
والتانيث فيه وان جعل اسما للقوم صرف لان العلتين لم يجتمعا ولما جاز صرفه وترك صرفه
اختير الصرف في النصب دون الرفع والجر لان النصب اخف وقوله تعالى ولقد جات
رسلنا ابرهيم بالبشرى رسلنا اي الملايكة قال ابن عباس جبريل وملكان وقال الضحاك
كانوا تسعة وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صورة الغلمان الحسان كانوا نزلوا
لاهلاك قوم لوط ونزلوا بنواحي الشام وابرهيم كان ببلاد فلسطين فمروا به ولوط كان
ابن عم ابرهيم فجاوا ابرهيم بالبشرى قيل البشارة بهلاك قوم لوط وقال الحسن البشارة
بان الله يهب له ولدا اسحق ويجعله رسولا الى عباده ويعده يعقوب نافلة وقيل بسلامته
وسلامة قومه مع هلاك قوم لوط وقيل بدوام الخلة والوصلة وقيل بسلام الله وقيل
هو سر بين الحبيبين لا اطلاع عليه للغير قال قايلهم بين المحبين سر ليس يفشيه
قول ولا قلم للخلق يحكيه وقوله تعالى قالوا سلاما نصب بوقوع القول عليه كانه
قال اظهروا اسلاما وقدموا سلاما وما يجري مجراه وقيل قالوا معترفين على نطقه وسلاما منصوب
باضمار الفعل كانهم قالوا نسلم عليك سلاما او قالوا اسلم سلاما لان السلام بمعنى السلامة
وهو كقوله فضرب الرقاب انه نصب على اضمار الفعل وقوله تعالى قال سلام اي عليكم
سلام وقال الفرا قال اخبر نكرهم سلام اي هو سلام اي سلامة اذ نتا الله من انتم وقوله
فما لبث ان جا بعجل حنيذ اي ولد بقرة سمي به لتعجيل امره بقرب ميلاده وقال ابن
عباس ومجاهد وقتادة اي نضيج وقال الخليل اي مشوي وقال ابن عرفة مشوي
بالرضاف والرضف الحجر المحمي وهو فعيل بمعنى مفعول وقد حنذه اي شواه تحت الارض
بالحجارة المحماة وقيل هو السمين الذي يسيل منه الودك ومعنى ما لبث اي ما مكث اذ
كان عنده طعام معد للاضياف كل يوم واعجل تقديم الطعام فامر بذبح عجل وحنذه
وحمل قرب لمكنه بسبب التعجيل كعدم اللبث مبالغة مجازا وقال الامام

الامام ابو منصور فيه دليل على ان الادب اذا نزل الضيف هو تقديم الطعام قبل المحادثة
والمسايلة ولو كان ابرهيم اشتغل بذلك عرف انهم ملايكة فلم يشتغل باتخاذ الطعام
وقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم اي لما راهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام
للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكروا انكر واستنكر قال الاعشى • وانكرتني وما كان
الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا • وقال ابو العالية يقال نكر
بقلبه وانكر بعينه وقوله تعالى واوجس منهم خيفة اي اضمر وقيل احس وقيل انكرهم
حين لقيهم لانه غير معهم قال تعالى في سورة الحجر قال سلام قوم منكرون وازداد
ذلك حين لم يتناولوا الطعام فاضمر في قلبه خوفا وكان القوم اذا نزل بهم
ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجي لخير وانه يحدث نفسه بشر وقوله
تعالى قالوا لا تخف لما علمت الملايكة انه استشعر خوفا منهم امنوه بان كشفوا الامر
فقالوا انا ارسلنا الى قوم لوط اي لاهلاكهم وقيل انهم دعوا الله باحيا العجل
فصار حيا الى مرعاه اي وثب وقوله تعالى وامراته قايمة هي سارة بنت هاران
بن ناحور بنت عم ابرهيم بن ازر بن ناحور قيل كانت قايمة من ورا الستر تنظر الى
الملايكة وابرهيم وقيل كانت قايمة على روسهم تخدمهم على الطعام وكانت عجوزا فلم
يكن بذلك باس حكاه الامام ابو منصور وقال لسنا ندري اين كانت قايمة وقوله
تعالى فضحكت قيل ضحكت تعجبا لما اشرف من العذاب على قوم لوط وهم غافلون فانه
وصله بقوله انا ارسلنا الى قوم لوط وقيل ضحكت سرورا بما زال من الروع عنها
وعن ابرهيم بظهورهم ملايكة وقيل ضحكت تعجبا من امتناع الاضياف عن الاكل وقال
وهب ضحكت تعجبا من ان يكون لهما ولد وقد هرما وعلى هذا يكون في الاية تقديم
وتاخير فبشرناها باسحق فضحكت وقال قتادة ضحكت من خوف ابرهيم منهم وهم
عدد قليل وهو بين خدمه وحشمه وقال عكرمة ضحكت اي حاضت تقول العرب ضحكت
الارنب اذا حاضت وقيل ضحكت سرورا بالبشارة بالولد وقد بلغت تسعين
سنة وابرهيم ابن ماية وعشرين سنة وقوله تعالى فبشرناها باسحق اي على السنة
الرسل وهم الملايكة بولد اسمه اسحاق ومن ورا اسحق يعقوب قرا حمزة وابن عامر وعاصم
في رواية حفص يعقوب بالنصب والباقون بالرفع وهو على الابتداء ووجه النصب انه
المعطوف على المخفوض بخافض وبينهما حايل يحتاج فيه اعادة الخافض فيقال
مررت بزيد ومن بعده بعبد الله فاذا لم ياتوا بالباء في عبد الله نصبوه وكانهم ارادوا

رايت من بعده عبد الله ووجه اخر ان قوله فبشرناها باسحق بمنزلة قوله ووهبنا لها اسحق
معطوف عليه يعقوب بالنصب وقيل الورا النافلة ايضا فانه يكون بعده ودلت الاية
ان الذبيح هو اسمعيل فان الله تعالى بشر ابرهيم بان يكون لاسحق ولد فكان يعلم انه لا يموت حتى
يولد له ذلك فلا يكون على هذا في الامر بذبح هذا الولد امتحان اذ يعلم انه لا يتحقق في الذبح
للحال فتعين للابتلا الولد الاخر وهو اسمعيل وقوله تعالى قالت يا ويلتى لما بشرت
باسحق تعجبت فقالت يا ويلتى فافصحت بالدعا بالويل على ما جرت به العادة وكانها قالت
يا عجبا وانا عجوز اي مسنة ولم يدخلها الها لانها وصف للانثى خاصة وهذا
بعلي شيخا اي زوجي ونصب شيخا على الحال وعلى القطع لانه نكرة نعت به معرفة ان هذا
لشي عجيب ولم يكن هذا منها انكارا لقدرة الله بل هذا مما يرد مثله على النفس اذا سمع بغتة
على ما عليه طبع البشرية وقد يكون التعجب من جهة تنبيها لرغبة كون ذلك فتقول اترى يكون
هذا مني يكون قريبا او بعيدا او احول شابة وزوجي شابا او نكون على حالنا
فانه عجيب عادة وقوله تعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي لا تعجبي ان رزقك الله مثلكما
ولدا رحمة الله وبركاته عليكم يحتمل ان يكون اخبارا اي انتم اهل بيت انزل الله عليكم
الرحمة والبركات بما اتى من النبوة وتم من النعمة ويحتمل الدعا اي واصل الله لكم يا اهل
بيت ابرهيم رحمته وبركاته ومن الرحمة الولد الصالح ومن البركات تكثير النسل الطيب
ودلت ان الازواج من اهل البيت وفيه رد على من انكر من الرافضة ان يكون ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم من اهل البيت في قوله انما يريد الله ليذهب الرجس اهل البيت
وقوله تعالى انه حميد مجيد قال الحسن اي محمود كريم وقيل اي محمود على نعمه عند
خلقه وكريم منعم على عباده فانتم اولى بهذه النعمة اذ كنتم اهل خلته وموالاته
ثم اول القصة قالوا سلاما وفي هذه الاية ذكر الرحمة والبركات وهو تمام
التحية ولما قالوا لهم رحمة الله وبركاته عليكم بقي هذا الدعا على السنة هذه الامة
في الصلوات كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم وعلى ال ابرهيم والبركة الزيادة
والنمو وقد استجيب ذلك فبنوا اسرايل منهم وهم الخلق الكثير والعرب من اولاد
اسمعيل وهم الجم الغفير وقوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي الخوف راعه
يروعه اذا افزعه وخوفه وهو ما مر واوجس منهم خيفة وجاته البشرى وهو
ما بينا واضمر جواب لما ههنا وهو انبسط لمقالهم وصنيعهم وقوله تعالى يجادلنا في
قوم لوط اي جعل يجادلهم قال الحسن يجادل رسلنا من الملايكة واختلف في ذلك

الجدال قال الحسن وقوله ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وقال
قتادة قال اتعذبون خمسين من المومنين ان كانوا فيها قالوا لا حتى نزلهم الى عشرة فقالوا
لا وذلك قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل جادلهم ليعلم باي شي استحقوا
عذاب الاستيصال وهل ذلك واقع بهم لا محالة ام على سبيل الاخافة ليقبلوا الى
الايمان والطاعة وقيل يجادلنا اي يسايلنا اسالهم رجاء ان يسلموا وسمي جدالا لانه
كان يحرص في السوال حرص المجادل وقال القشيري كانت مراجعة ابرهيم
مع الله في امر قوم لوط لا لحظ نفسه فسلم له الجدال وهذا يدل على علو شانه
حيث تجاوز عن ذلك وقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب الحليم البطي الغضب والاواه
الدعا وقيل الرحيم وقيل المتاوه اسفا على ما فات قوم لوط من الايمان والمنيب الراجع
الى الله بالاخلاص الى الله وهذا مدح له وبيان ان سواله كان عن رحمة ورقة ولم
يكن معارضة ولا اعتراضا على قضيته وقوله تعالى يا ابرهيم اعرض عن هذا
اي قيل له تول عن هذا الجدال والسوال لان العذاب نازل بهم لا محالة انه قد جا
امر ربك اي عذاب ربك وقيل اي امر الله بالعذاب وانهم اتيهم عذاب غير مردود اي
سياتيهم عذاب لا يرد ولا يدفع بالشفاعة فسكن وترك السوال وقوله تعالى ولما
جات رسلنا لوطا سيء بهم اي ساه مجيئهم اي حزنه والكناية ترجع الى الرسل وضاق بهم
ذرعا اي ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة في
الحقيقة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره عن احتمال ما وقع اي لما صار
هولاء الملايكة من عند ابرهيم الى لوط في صورة البشر وراهم حسان الوجوه خاف
عليهم من قومه ان يقصدوهم في منزله ولا يمكنه دفعهم ولم يمكنه التصريح به للاضياف
وساه وضعف عن احتماله وقال الامام ابو منصور يحتمل ان يكون كلاهما لهلاك
قومه ويحتمل ان يكون احدهما في هذا والاخر في ذاك وقال هذا يوم عصيب اي
شديد ولا يستعمل الا في الشر ماخوذ من العصابة كانه التف على الناس بالشر او التف
بعض شره ببعض وقيل هو من احاطته شره بالناس ومنه عصابة الراس وعصبة
الرجل قرابته المحيطون به وقوله تعالى وجاه قومه يهرعون اليه قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة والسدي يسرعون في المشي وقال الضحاك يسعون وقال الفرا هو مشي
بين الهرولة والجمز وانما اسرعوا الى الاضياف لما اعلمتهم امراة لوط وكانت كافرة
فقالت ما رايت احسن وجوها ولا اطيب ريحا ولا انظف ثيابا منهم وقوله تعالى

ومن قبل كانوا يعملون السيات كناية عن اتيانهم الذكران قال هولاء بناتي هن اطهر لكم قال
مجاهد اي بنات قومي لان النبي كالاب لقومه وازواجه امهاتهم واولادهم كالاولاد وقال
مقاتل وجماعة اراد بنات صلبه هن اطهر لكم اي احل لكم بالنكاح وقال الحسين بن
الفضل اي على شرط اسلامكم وقال اخرون لعل في ذلك الوقت كان يباح نكاح المشرك
المسلمة وكان ذلك جايزا في ابتدا الامر في هذه الامة فان النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع وكانا كافرين ثم قوله اطهر لا يدل على ان اتيان
الذكران كان طاهرا لكنهم اعتقدوا ذلك طهارة فبنى ذلك على زعمهم كما روي ان ابا سفيان
بن حرب قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل الله اعلى واجل وقال
الامام ابو منصور ويحتمل ان يكون هذا تعريفا لهم خبث ذلك الفعل ويكون معنى قوله هن اطهر
لكم اي هذا اقل خبثا من ذاك اي الزنا بالبنات دون اتيان الذكران في الخبث وكانوا يعتقدون
حرمة الزنا فبين ان هذا يزول بالنكاح وذاك لا يزول بحال وقوله فاتقوا الله ولا
تخزون في ضيفي اي لا تخجلوني في اضيافي ولا تفضحون فيهم وقوله تعالى اليس منكم
رجل رشيد اي مهتد الى طريق الحق فينهاكم عن هذا ويدفعكم عن اضيافي وقال
عكرمة اليس منكم رجل يقول لا اله الا الله وقوله تعالى قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق قال محمد بن اسحق اي ليس لنا بزوجات وقيل اي ما لنا فيهن من حاجة ن
فجعلوا تناول ما لا حاجة لهم فيه كتناول ما لا حق لهم فيه وانك لتعلم ما نريد من اتيان
الذكران وقوله تعالى قال لو ان لي بكم قوة اي غلبة وجوابه محذوف وهو ابلغ لان
النفس فيه تذهب كل مذهب وقيل هو كلمة تمني اي ليت لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
مجاز عن عشيرة يلتجي بهم ويستغيثهم وفي الخبر ما بعث الله تعالى بعده نبيا الا وهو في كثرة
من عشيرة ومنعة تسكينا لقلبه وقيل لو ان لي قوة على هذا بنفسي لهدمتكم وعن هذه
الحالة انجيتكم وقوله قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بمساة فما
قال ابن عباس وكان لوط اغلق بابه والملايكة في داره وقومه على الباب يناظرونه
فقال جبريل انا رسل ربك فافتح الباب ففتح ودخلوا وذلك قوله ولقد راودوه عن
ضيفه فطمسنا اعينهم اي اعميناها ومحوناها وقوله فاسر باهلك قرا ابن كثير ونافع
فاسر بالوصل من سرى والباقون بالقطع من اسرى وهما لغتان في اللازم والتعدية
ههنا بالباء واهله اولاده والمومنون معه بقطع من الليل قال ابن عباس بطايفة
من الليل وقال الضحاك ببقية وقال قتادة بصدر وقال الاخفش

بعد جنح **وقوله** تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك رفعا بدلا عن قوله احد
وانا فوق بالنصب على الاستثنا والنهي عن الالتفات امر بان لا يكون ليتباعدوا
عن القوم فلا ينالهم اثر عذابهم وقيل اي لا تشتغل قلوبكم بما خلفتم من المال والمتاع
وامضوا مخففين مسرعين **وقوله** تعالى انه مصيبها ما اصابهم من العذاب لانها كانت
منهم فقال لوط لجبريل متى وقت هلاكهم فقال الان موعدهم الصبح فقال لوط اريد
اسرع من ذلك فقال اليس الصبح بقريب استفهام بمعنى التقرير للاثبات **وقوله**
تعالى فلما جاء امرنا اي العذاب الذي امرنا به جعلنا عاليها سافلها اي جعل جبريل
عالي قريتهم سافلها بامرنا على ما مر سياق القصة في سورة الاعراف وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل منضود اي وامطرنا عليهم بعد التقليب حجارة من سجيل قيل حجارة
صلبة ليست من جنس حجارة البرد وقال ابن عباس وقتادة هو فارسي معرب سنك
وكل كالديباج والجاموس وقال ابو عبيدة هو شديد من الحجارة وقيل هو مثل السجل
في الارسال اي الدلو وقيل السجيل هو الارسال وقيل هو مثل السجل المسدد اللام وهو
الكتاب اي حجارة كتب الله ان يعذبهم بها وقال الفرا هو طين طبخ حتى صار كالارحا
ومنضود اي يتبع بعضها بعضا كالمتاع المنضود بعضه على بعض وقيل كانت منضودة
في السما معدة **وقوله** مسومة عند ربك نصب لانها نعت قوله حجارة اي معلمة
في خزاين الله التي لا يتصرف فيها الا باذنه بعلامات تعرفها الملايكة اذا امروا بان
يمطروها وقال الحسن اي مختومة وقال الربيع بن انس مكتوبة على كل حجر اسم
من رمي بها وكذا قال عكرمة **وقوله** تعالى وما هي من الظالمين ببعيد اي
لم تكن لتخطيهم وقيل ابعث المنفردين عنهم في الامصار باسفار وقيل من مشركي
قريش وسال النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقوله
بعيد اي بمكان بعيد **وقوله** تعالى والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله نوحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره من تفسيره ولا تنقصوا المكيال عطف على
قوله والميزان كانوا مشركين فدعاهم الى التوحيد واخلاص العبادة لله ثم نهاهم
عن ظلم الناس في الكيل والوزن وحذرهم سو عاقبته **وقوله** تعالى اني اراكم
بخير اي اراكم في الخصب وسعة الرزق وكثرة النعم ورخص الاسعار على وجه لا ضرورة
بكم معه الى نقص الكيل والوزن فاستبقوا نعمة الله عليكم **وقوله** واني اخاف
عليكم عذاب يوم محيط كما قال يوم اليم ويوم شديد ويوم عصيب اي اخاف عليكم

ان تلقيهم هذه النعمة بالكفران وظلم الناس ان يا تيكم عذاب محيط بكم فلا تتخلصون عنه
وقوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي اتموها بالعدل اعادة الامر
بالاتمام بعد تقديم النهي عن ضده وهو كقولك صل قرابتك ولا تقطعها فيكون
الجمع بين الامر به والنهي عن ضده دليلا على تاكد وجوبه **وقوله** تعالى ولا تبخسوا
الناس اشياءهم اي لا تنقصوا الناس ما استحقوه عليكم بالعقود **وقوله** تعالى ولا
تعثوا في الارض مفسدين العثي المبالغة في الافساد من غير علم وجعل هذه المعاملة
افسادا في الارض لانه تبديل حكم الدين والله اصلح الارض بالامر بالمعاملات التي
اذا عملوا بها اعتدلت احوالهم وزال التظالم عنهم فمن غير هذا فقد افسد **وقوله**
تعالى بقية الله خير لكم اي ما يبقيه الله لكم بعد ايفاكم حقوق الناس بالقسط في الكيل والوزن
احمد عاقبة واكثر بركة مما تبقونه انتم لانفسكم من فضل الخيانة **وقوله** تعالى ان كنتم
مومنين قيل هو متصل بقوله اوفوا ولا تبخسوا ان كنتم مومنين فيحتمل انهم كانوا يقرون
بان الله خالقهم وما لكم كما قال في حق مشركي العرب ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله
والاقرار بالالوهية لله يوجب طاعته فيما امرونهي ويحتمل انه متصل بقوله بقية الله خير لكم
اي هي خير لكم ان صدقتموني فيه وعلمتم به حصل لكم هذا الخير وقال الامام ابو منصور
وقيل اي ما ابقى الله لكم من الثواب في الاخرة خير لكم من الاموال في الدنيا وقيل طاعة الله
التي تبقى ثوابها خير لكم من هذا **وقوله** تعالى وما انا عليكم بحفيظ قال اي لست
اشهد بما عليكم حتى اعلم بخسكم وانما اعلم ذلك باخبار الله وفيه اثبات رسالته
وقيل وما انا عليكم بحفيظ اي بمسلط عليكم اجبركم على هذا وانما انا مبلغ منذر وقيل
ما انا بما مور بحفظكم فاوخذ بفعلكم **وقوله** تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان
نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا قيل كان شعيب يصلي الصلوات وكانوا
يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن المساوي كما
عرف الله تعالى عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر فقالوا له على وجه
الاستهزا به اصلواتك تامرك ان تامرنا بترك عبادة ما كان يعبد اباونا
وان نترك التبسط في اموالنا بما نشا من ايفا ونقص وقيل ادينك يامرك
بهذا فسمي الدين بها لانها اعظم شرايع الدين وما خلت عنها شريعة احد من المرسلين
وقيل كانوا يكسرون الدراهم الصحيحة فكانوا يبيعون بالصحاح عددا وبالمكسورة
وزنا فيقع البخس بذلك وقيل كانوا يقطعون اطرافها فيستفضلون القراضات

وبتابعون بكتابي على انه درهم تام وقوله تعالى انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه
الضال وهذا تسمية على القلب على وجه الاستهزا كما يقال للحبشي ابو البيضا وهو كقول
خزنة جهنم لابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم وقال الشاعر فقلت لسيدنا يا حليم
انك لم تاس اسوا رفيقا وقيل معناه انك عندنا حليم رشيد ولست تفعل ما
يقتضيه حالك عندنا فتسفهنا وتمنعنا عما كان عليه اباونا العقلا وهذا ليس
بفعل الحليم الرشيد وهو كقول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا وقوله تعالى قال يا
قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي على حجة وبيان في التوحيد والصلوات ورزقني
منه رزقا حسنا اي اعطاني ذلك من عنده عطا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى
ما انهاكم عنه اي اخالفكم في ترك ما امرتكم به ميلا الى فعل ما انهيتكم عنه بل لا امركم
بشي الا عملت به ولا انهيكم عن شي الا انتهيت عنه وقوله تعالى ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا الاصلاح في الارض ما قدرت عليه وقوله
تعالى وما توفيقي الا بالله اثبت الارادة والفعل من نفسه والتوفيق من ربه
وهو الجمع بين الطاعة والاستطاعة وهو مذهب اهل السنة والجماعة وخلاف
قول الجبرية والقدرية وقوله تعالى عليه توكلت واليه انيب اي عليه اعتمدت لما كان
لا يتم شي الا بتوفيقه واليه انيب في المستقبل اي ارجع اليه في تمام ما نويته وجواب هذا
الكلام محذوف اي اتسفهونني على ذلك كله وتشافهوني عليه وهو استفهام بمعنى
التوبيخ وقيل الجواب على هذا التقدير ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا
فاعدل عن عبادته مع هذه الحالة الداعية اليها الموجبة لها وقيل رزقا حسنا اي
نبوة وقيل توفيقا للاعمال الصالحة وقيل الكفاية في المعائش وهو كما مر وانا في
منه رحمة ومعناه اذ كنت على بيان نهتدي به الى امور الدين وكفاف اصلح به
امور الدنيا فانه مستغني عن اموالكم فلا امركم بالاتيان ولا انهاكم عن البخس طمعا في
ما لكم بل ارشادا لكم الى رشادكم اصلاحكم وقال القشيري الرزق الحسن ما
كفي عنه صاحبه كد طلبه ولم يصبه تعب بسببه وقال الرزق الحسن ما وجد
عن مرتقب ولا محتسب ولا مكتسب وقال الرزق الحسن ما يستوفيه شهود الرزاق
ويختطفه عن التمتع بوجود الارفاق وقال في التوكل هو ترك التدبير لشهود
التقدير والثقة بالموعود عند عدم الموجود ويبين ذلك بانتفا الاضطراب
عند عدم الاسباب وقيل هو السكون والثقة بالمضمون وثباتا لسكون القلب

مضمون

٩٤

الرب وقوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي قال الحسن وقتادة اي لا يحملنكم وقال
الزجاج اي لا يكسبنكم شقاقي اي معاداتي ومخالفتي وقد شاقه مشاقة
وشقاقا اي صار في شق وخصمه في شق ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
او قوم هود او قوم صالح اي لا يحملنكم ذلك على ان تصروا على الكفر فيصيبكم مثل
ما اصابهم وما قوم لوط منكم ببعيد اي لم يبعد واالعهد بما جرى عليهم ن
وقال الامام ابو منصور ذكرهم حال هذه الامم لانهم كانوا يقلدون اباهم فيقول
فعلوا ذلك لكن اصابهم ما اصابهم فاخشوا ذلك وتقول ايضا ان قلدتم الذين عبدوا
الاوثان فهلكوا فهلا تقلدون الذين لم يعبدوا ونجوا وقوله تعالى واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه قد فسرناه في هذه السورة مرارا وقوله تعالى ان ربي رحيم بمن استغفره
وتاب اليه ودود من الود وهو الحب ويجوز ان يكون بمعنى الوادّ ويجوز ان يكون
بمعنى المودود فان الفعول يصلح لهما وقال الامام ابو منصور اي احق ان
يود لما منه كل احسان والناس جبلوا على حب من احسن اليهم ويجوز ودود لمن توسل
اليه وقوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي لا نفهم لانك تحيلنا على امور
غائبة وانا لنريك فينا ضعيفا قال الحسن اي مهينا وقيل سفيانن اي ضعيف البصر
وقال سعيد بن جبير وقتادة اي اعمى وقيل اي ضعيف البدن وقيل اي لا مال لك
ولا اعوان فلا تقدر ان تحملنا على مرادك ولا تمتنع عنا ان قصدناك وقوله تعالى
ولولا رهطك اي عشيرتك وهم على ديننا لرجمناك قيل لرميناك بالحجارة وقيل لطرد
كقولهم لنخرجنك يا شعيب وهو من قوله وجعلناها رجوما للشياطين وهو طردهم ناك
وابعادهم عن الاستماع وقوله تعالى وما انت علينا بعزيز اي في نفسك وانما نعز
رهطك وتكره ايحاشهم فنكع وقوله تعالى قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من
الله اي اكرم عندكم واعز من الله الذي بعثني اليكم والزمكم اعزازي والانقياد
لي اسنقهام بمعنى الانكار وقوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا اي جعلتم امر
الله ظهريا اي تستخفون به فلا تسمعون مواعظه وتكذبون باياته ولا تمرون باوامره
وتعبدون عن غيره فتقول العرب جعلت حاجتي وراء ظهرك وفي ضده جعلت
حاجتي نصب عينيك وامام وجهك ومجازه جعله لا يبالي به فيسهو عنه وينساه
والظهري منسوب الى الظهر كالدهري بالضم منسوب الى الدهر والسهلي بالضم
منسوبا الى السهل وتغير الحركات في النسبة كثيرا وقوله تعالى ان ربي بما تعملون

محيط اي يعني عالم بالكلية جازيكم عليها **وقوله** تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي
عامل اي اثبتوا ما انتم عليه فاني عامل على مكانتي اي منكم العصيان ومني الابلاغ
وهو صيغة امر معناه التهديد وقيل اي اعملوا فقد مكنتم في الدنيا من العمل وقيل
اي على تمكن منكم من عملكم وتثبت فيه كما قال نوح فاجمعوا امركم وشركاءكم
وقوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وفي قصة نوح
فسوف تعلمون ليتصل بالفاء فيصير كالجواب وههنا تحذفها وهو استيناف اي سوف
تعلمون الذي ياتيه عذاب يفضحه والذي هو كاذب **وقوله** تعالى وارتقبوا اي وانتظروا
ما يكون من حكم الله بيني وبينكم اني معكم رقيب منتظر مراقب لذلك **وقوله** تعالى ولما
جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مر تفسير هذه
الكلمات مرات وقال ههنا واخذت على تانيث اللفظ وقال في قصة صالح واخذ على
تذكير المعنى فانه في معنى الصياح ومر سياق القصة في سورة الاعراف **وقال**
الامام ابو منصور سوف تعلمون في العاقبة من ياتيه منا عذاب يخزيه نحن او انتم وتعلمون ايضا
من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين يدعي على الفريق الاخر
الكذب وارتقبوا هلاكي وانا ارتقب هلاككم او ارتقبوا لمن العاقبة منا لنا او لكم
وقوله تعالى الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هلك كل واحد من الفريقين بالصيحة قال
ابن عباس لم يعذب بعذاب واحد قومان الا قوم شعيب وصالح فاما قوم صالح فاخذتهم
الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب من فوقهم فنشات لهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا كهيئة
الظلة فيها ريح فلما راوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فسال عليهم العذاب
من فوقهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة **وقوله** تعالى ولقد ارسلنا موسى
باياتنا وسلطان مبين الايات والسلطان واحد عند بعضهم وهي المعجزات لكن كرر لاختلاف
الصفتين لانها سميت ايات من جهة العبرة العظيمة وسميت سلطانا من جهة القوة القطعية
وقال الامام ابو منصور يحتمل ان تكون الايات هي الاوامر والسلطان هي البراهين
وقال القشيري الايات هي المعجزات الباهرة والسلطان المبين استيلاؤه على
قلب من رآه كما قال والقيت عليك محبة مني لم يره احد الا احبه ولم ياخذه في الله
فشل ولا ضعف لطم وجه فرعون وهو رضيع ووكز القبطي حتى اتى عليه واخذ
براس اخيه يجره اليه **وقال** ان هي الا فتنتك ولم يعاتبه الله في شيء من ذلك بل تجاوز

عنه لما اعطاه من السلطان والقوة **وقوله** تعالى الى فرعون وملايه اي الاشراف من
قومه والارسال اليهم يكون ارسالا الى العامة **وقوله** تعالى فاتبعوا امر فرعون
في كل ما امرهم به وما امر فرعون برشيد اي بمؤد الى الحق والصواب **وقوله**
تعالى يقدم قومه يوم القيمة اي يتقدمهم فيكون قدامهم وهم خلفه لانهم رضوا
بان يكون قايدهم في الدنيا الى خلاف ما دعا اليه موسى **وقوله** تعالى فاوردهم
النار اي يوردهم اياها وذكر بصيغة الماضي الحاقا له بالكاين المتحقق لانه يكون لا محالة
والايراد الادخال **قال** ابن عباس كل ما في القران من الورد في ذكر جهنم فهو الدخول
منه قوله وبيس الورد المورود اي المدخل المدخول وقوله وان منكم الا واردها وقوله
انتم لها واردون وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يرد بها كل بر وفاجر ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا **وقوله** تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
اي واتبعهم الله ما انزل بهم من العذاب لعنا لهم في الدنيا وفي الاخرة وقوله يلعن بعضكم
بعضا وقيل هو الطرد في الدنيا والاخرة عن الرحمة فلم يرحموا لا في عذاب الدنيا ولا في
عذاب الاخرة **وقال** القشيري هو الطرد في الدنيا عن الايمان وفي الاخرة عن الجنان
وقوله بيس الرفد المرفود وهو في اللغة لمعنيين الرفد العون والرفد العطا وجعل
مقابل ما لاهل الجنة من المعونة والعطية كما ذكر البشارة بالنار في حق الكفار بمقابلة
بشارة المومنين بالمسار والمبار **وقوله** ذلك من انباء القرى اي ذلك النبا وهو الخبر
العظيم نقصه عليك منها قايم وحصيد اي نخبرك بامورها يتبع بعضها بعضا وهو
القرى التي سكنها الامم الخالية منها ما هو الان عامر قد باد اهله وخلفهم غيرهم
كعاد وفرعون ومنها ما هو حصيد اي مستاصل خراب كقرى قوم لوط ونحوها وقال
ابن عباس قايم يرى له اثر وحصيد لا يرى له اثر **وقال** مجاهد قايم اي خاوية على
عروشها وحصيد مستاصل وقال قتادة قايم لم يذهب اصلا وحصيد ذهب اصلا
وقال محمد بن كعب القرظي منها قايم خربة حيطانها ومنها حصيد ساقط
وقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم اي ما نفعتهم
ولا دفعت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي اصنامهم التي
اعتقدوها الهة معبودة لما جاء امر ربك اي العذاب الذي امر به وما زادوهم غير تتبيب
قال مجاهد وقتادة اي غير تخسير وقيل اي غير اهلاك اي ما زادهم الاصنام الا
الخسار والهلاك لان عبادتهم اياها افضت بهم الى ذلك **وقوله** تعالى وكذلك

اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد اي وكما اخذنا هذه القرى
التي سميناها اي اهلها ناخذ سائر اهل القرى اذا ظلموا بالشرك وقوله ان اخذه
اليم شديد اي عقوبته لاهل الشرك موجعة غليظة وقوله تعالى ان في ذلك
لاية لمن خاف عذاب الاخرة اي كما فعلنا بهم واخبرنا عنهم عبرة لمن اتقى وخشي عقوبة
العقبى وقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس اي يجمع فيه الناس وصل النعت
للتقدم كما توحد الفعل والمراد جميع الناس وغيرهم فيه من الملايكة والجن والطير
والحيوانات لكن خص الناس بالذكر لانهم هم المقصودون بالجمع وذلك يوم مشهود اي يشهده
اهل السموات واهل الارض وقوله تعالى وما نوخره الا لاجل معدود اي وما نوخر
هذا اليوم الا لاجل معلوم العدد عندنا لا يتقدم ولا يتاخر وقوله تعالى يوم يات قرا
عاصم وابن عامر وحمزة بغير ياء في الوصل والوقف اتباعا لخط المصحف وهو لغة هذيل
يقولون لا ادر وقرا الباقون بالياء في الوصل والحذف في الوقف الا ابن كثير فانه يقف
بالياء ايضا ونصبه باضمار واذكر هم يوم وهو مضاف الى يات وهي اضافة غير محضة
لانه الى فعل لا الى اسم وانما جاز لان اليوم اسم زمان والزمان مع الفعل يتناسبان من
حيث ان الفعل لا ينفك عنه وينصرف بتصرفه ولا يكون موجودا الا وقتا واحدا كالزمان
لا يبقى وقوله لا تكلم نفس الا باذنه اي لا تتكلم حذفت احدى التائين تخفيفا اي لا يشفع
احد احدا الا باذن الله تعالى كقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والهاء في قوله
الا باذنه يرجع الى الله كما في قوله مجموع له وقد ذكر قبله وكذلك اخر ذلك وقيل مجموع
له وقد ذكر قبله يرجع الى اليوم كما قال ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقال يوم يجمعكم ليوم الجمع لكن الجمع الى الله
فكان قوله الا باذنه راجعا الى ذلك المدلول وقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد
اي ممن شهده وجمع له شقي ومنهم سعيد وحذف تكرار منهم اختصارا كما في قولك بين فلان
وفلان عداوة وقوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار كلمة اما لتمييز نوع من نوع او
شخص من شخص ففي النار اي مواضع النار لهم فيها زفير وشهيق قال الكلبي عن ابن عباس
الشهيق اول صوت الحمار والزفير اخره وقال الضحاك الزفير حين ينهق والشهيق
حين يفرغ من نهيقه وقال مقاتل الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره وقال
ابو العالية الزفير اخراج النفس والشهيق رد النفس وقال ابن عباس في رواية الزفير صوت
شديد والشهيق صوت ضعيف وقيل الزفير هو النفس العالي للتحسر على الشيء الذي

فات والشهيق صوت في شدة توقدها والشهيق الصوت الفظيع يخرج من الجوف بمد
النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق اي ممتنع طولا وقيل ذلك اذا قيل لهم
اخسؤوا فيها ولا تكلمون فصاروا لا يتكلمون ولم يبق لهم الا اصوات منكرة لا حروف معها
وقوله خالدين فيها ابدا ما دامت السموات والارض خالدين نصب على الحال من فعل
الزفير والشهيق وقوله ما دامت السموات والارض كلمة تذكر للتابيد كما يقال لا اكلمك ما
حنت النيب وما اطت الابل وما اورق الشجر وما اينع الثمر وما جن ليل وما سال
سيل وما طرق طارق وما نطق ناطق وقوله تعالى الا ما شاء ربك قيل الاستثنا
يرجع الى الموحدين منهم كان الاستثنا صنفان منهم كفار مخلدون فيها وموحدون مذنبون
يخرجون منها بعد مدة وقال ابن عباس الا ما شاء ربك اي يخرج اهل التوحيد منها وقال الضحاك
الا ما شاء ربك اي من كان منهم من اهل القبلة فاذا اراد الله اخرجهم وقال قتادة ان قوما يصيبهم
سفع من ذنوبهم نار بذنوبهم فيحرقوها ثم يخرجهم الله منها وقال ابن كيسان الا ما شاء ربك
في الفريقين من تعميرهم في الدنيا قبل مصيرهم الى الجنة والنار وقال الزجاج في
هذه الاية اربعة اقوال قولان لاهل اللغة الكوفيين والبصريين وقولان لاهل المعاني فاما
احد قولي اهل اللغة فهو ان الا ههنا بمعنى سوى كما تقول في الكلام ما كان معنا رجل الا زيد
او لي عليك الف درهم الا الالفان التي عليك مثله فيكون معناه على هذا ما دامت السموات والارض
سوى ما شاء ربك من الخلود فيها ابد الابدين حتى لا يخرجوا منها قط وزادت عليهم اضعاف
مدة السموات والارض الى ما لا ينقطع فيه الاوهام والثاني ان الاستثنا من الاخراج مع انه
لا يريد ان يخرجهم منها كما تقول لافعلن كذا الا ان اشاء غير ذلك وانت تريد ان لا تترك ذلك
فالمعنى على هذا انه لو شاء ان يخرجهم لاخرجهم ولكنه حكم انهم خالدون فيها ولا تبديل
لحكمه فاما القولان لاهل المعاني فاحدهما خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك من مقدار توقفهم على ورودهم وبروزهم للمحاسبة والثاني وقع الاستثنا على الزيادة في
النعيم والعذاب وتقديره خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من زيادة
النعيم وزيادة العذاب وقيل الاستثنا واقع من العذاب المذكور في الاية وهو الزفير
والشهيق اي لهم فيها زفير وشهيق مدة السموات والارض الا ما شاء ربك من نقلهم من
هذا النوع الى نوع اخر من العذاب وقوله تعالى ان ربك فعال لما يريد اي حكمه ماض
في الفريقين على ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وقوله تعالى واما الذين سعدوا
ففي الجنة قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بضم السين والباقون بفتحها وسعد

بسعد سعادة لازمة من حد علم وسعده بنعله متعدي من حد صنع وقوله تعالى خالدين
فيها ابدا ما دامت السموات والارض هو على ما قررنا في الاية الاولى وقوله تعالى عطا غير
مجذوذ اي غير مقطوع وذلك ان الاستثنا ليس للنقصان فكان للزيادة وقوله تعالى
فلا تك في مرية مما يعبد هولا ما يعبدون الا كما يعبد اباو هم من قبل اي لا تك في شك
مما يعبد هولا المشركون من دون الله انه باطل فانهم ما يعبدون الا كما يعبد ابا وهم
من قبل تشبيها بهم والفا لعادتهم لا بحجة وقوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم اي انصبائهم
ووصلا انه جنس فيصلح للجمع اي من العذاب غير منقوص من قدر استحقاقهم وقال
ابن عباس نصيبهم من خير او شر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة وقوله
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي في الكتاب وهو التورية واختلاف
قومه فيه كان من ثلثة اوجه احدها انه امن به بعضهم وكفر بعض والثاني انهم زادوا
فيه ونقصوا منه وهو ما ذكر من التحريف والثالث في تاويله على ما حبوا وتقريره على
مقتضاه وهذا التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول يا محمد اختلف فيما انزل عليك فلا يشق
عليك فقد اختلف فيما انزل على من قبلك وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك
اي قول سبق منه انه لا يعاجلهم بالعذاب بل يمهلهم الى ان يبلغ الى الكتاب اجله لقضي
بينهم اي بالعذاب المستاصل وقال الامام ابو منصور ويحتمل ولولا انه كان من حكمه
انهم اذا اختلفوا في الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يهتدون الى شيء ان يبعث رسولا
يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى لقضي بينهم بالهلاك ثم قوله بينهم يجوز ان يكون في
كفار عصر رسول الله عليه السلام ويحتمل ان يكون في قوم موسى وقوله تعالى وانهم لفي
شك منه مريب اي من العذاب وقيل من الدين لانهم مقلدون اباهم ومريب نعت شك وهو
الموجب اتهام الراي فيه وقوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم فيه اربع قراات
قرا ابن كثير ونافع بتخفيفهما وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة وحفص عن عاصم بتشديدهما وقرا ابو
عمرو والكسائي بتشديد ان وتخفيف لما وقرا عاصم في رواية ابي بكر بتخفيف ان وتشديد
لما اما تخفيفهما فان للتاكيد واصله التشديد وخفف للتيسير فبقي ناصبا كما كان ولما لام التاكيد
وما صلة زائدة موكدة وليوفينهم لام تاكيد ايضا وهو جمع بين تاكيدات وتقديره وان كلا من
الامم المتقدمة والمختلفين في كتاب موسى وكانك يوفيهم ربك يا محمد جزا اعمالهم
والجزا مضمر وكذلك تاويل تشديد الاول وتخفيف الثاني ويجوز على هاتين القراتين
ان تكون لما المخففة لام الابتدا وما بمعنى الذي ويكون نظير قوله وان منكم لمن ليبطئن

وأما

وأما تشديدهما فان للتاكيد ولما بالتشديد له وجوه منها قول الفرا وهو ان اصله لمن ما
فاجتمعت ثلث ميمات حين ادغمت ثم خففت فصارت لما وتقديره وان كلا من المكلفين
او المختلفين لما ليوفينهم وتكرار اللام التاكيد في موضعين على طريق قولهم اني لحمد الله
لصالح ومنها قول الزجاج ان لما بمعنى جمعا من قولك لممت الشيء المه لما اي
جمعته ولما على وزن فعلى لمعنى جمعا فلم تنصرف كما تقول تترى وتقديره وان كلا جميعا
ليوفينهم وعليه قراة الزهري لما بالتنوين ومنه قول المازني انها في معنى المخففة شددت
للتاكيد واما تخفيف ان وتشديد لما فان للنفي كما في قوله ان كل نفس ولما في معنى الا كقولك
سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وعليه قوله ان كل نفس لما عليها حافظ اي ما كل نفس الا عليها
حافظ وتقديره ههنا ما كلهم الا ليوفينهم وهو اختيار الزجاج وقوله تعالى انه بما
يعملون خبير اي عليم وهو وعد ووعيد للفريقين وقوله تعالى فاستقم كما امرت اي استقم
على طاعة الله كما امرت به من التبليغ والانذار والوعظ والصبر على ما قلده قال
تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت وقال ابو منصور هو المذكور في قوله قالوا
ربنا الله ثم استقاموا فقوله قالوا اقرار والاستقامة عليه ان يجعل في نفسه وجميع
امور الربوبية والالوهية لله وياتي ما يجب ان يوتى وينتهي عما يجب ان ينتهى عنه
ويتبع امره ونهيه وقوله تعالى ومن تاب معك اي وليستقم من تاب من الشرك
ورجع الى الله باعماله مخلصا بها على ايمانهم واخلاصهم وقوله تعالى ولا تطغوا اي
لا يحملنكم امهال الله على مجاوزة امره وقيل اي لا تطغوا في الاستقامة فتخرجوا عن
حدها بالزيادة على ما امرتم به فرضا او نفلا وقيل اي لا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حدها
بالزيادة على ما امرتم به فرضا او نفلا وقيل اي لا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن
الاستقامة والطغيان مجاوزة المقدار في الفساد وقوله تعالى انه بما تعملون بصير
يرى اعمالكم ويعلم اسراركم ويوفي جزاكم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الاية ولذلك
قال لاصحابه حين قالوا له قد اسرع الشيب فيك يا رسول الله قال شيبتني هود والواقعة
واخواتها وقالت عايشة فاستقم كما امرت اي على القران قال السدي الخطاب له والمراد
امته وقال القشيري يحتمل ان يكون السين في الاستقامة سين الطلب اي سل من
الله الاقامة لك على الحق ويحتمل ان يكون معنى قوله فاستقم اي فاقم يقال استقام واقام
كما يقال استجاب واجاب قال ويقال المستقيم من لا ينصرف عن طريق الله ما لم يصل الى

الى الله يصل بسره وبراه ووعده بتقواه ويبالغ في ترك هواه قال ويقال استقامة
النفوس في نفي الغفلة واستقامة الارواح بنفي العلاقة واستقامة الاسرار بنفي
الملاحظة واستقامة العابدين ان لا يدخروا انفسهم عن العبادة فلا يخلون بادابها
يقضون عسيرها فلا يخلون بادابها يقضون عسيرها ويسيرها واستقامة الزاهدين
ان لا يرجعوا الى دنياهم بتركها كون قليلها وكثيرها واستقامة التائبين ان لا يلموا بعد
التوبة بزلة فيدعون صغيرها وكبيرها **وقوله** تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون
من حد علم في اللغة هو السكون الى الشي بالمحبة له والميل اليه قال ابن عباس اي لا تميلوا وقال
ابو العالية اي لا ترضوا باعمالهم وقال قتادة اي لا تلحقوا بالمشركين وقال ابن حبان
اي لا تسكنوا وقال السدي اي لا تداهنوا وقال سفيان الثوري من لاق
لهم دواة او برى لهم قلما او ناولهم قرطاسا يكتبون عليه دخل في هذا قال الله تعالى
احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي واعوانهم وقال العشرية لا تعملوا باعمالهم لا تمدحوهم
على اعمالهم لا تتركوا الامر بالمعروف عليهم لا تاخذون اشياء من حرام اتوا لهم لا تملقوهم
من قلوبكم لا تخالطوهم لا تعاشروهم كل ذلك محتمل **وقوله** تعالى فتمسكم النار جواب
النهي بالفاء فنصب لذلك وقيل في النظم تقديم وتاخير فتمسكم النار ثم لا تنصرون اي
لا تعانون بدفع العذاب عنكم وما لكم من دون الله من اوليا يتولونكم ويدفعون
عنكم وقيل هو معترض على نظمه ومعناه فتمسكم النار ولا اوليا لكم حينئذ يتولون
دفعه عنكم ثم لا تنصرون **وقوله** واقم الصلوة طرفي النهار قال سعيد بن جبير
الطرفان الغداة والعشي فصلوة طرف الغداة صلوة الفجر وفي طرف العشي الظهر
والعصر وفي الخبر سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى صلوتي العشي اما الظهر
واما العصر **وقوله** تعالى وزلفا من الليل جمع زلفة وهي المنزلة واراد بالزلف ساعات
الليل وهي كالمنازل والمراحل المزدلفة اي المقتربة واراد بذلك صلوة المغرب والعشا
في قول قتادة والحسن **وقوله** تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس والضحاك
وقتادة والسدي وعطا والحسن اي الصلوة الخمس وروى عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الصلوات كفارات الخطايا واقروا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات وقال
الامام ابو منصور قيل الصلوات نفسها تكفر الخطيئات وقيل تذكر مرما ارتكب من الذنوب
فيندم عليها فذلك المكفر **وقوله** تعالى ذلك ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين وقيل

النبي عن الركون الى الذين ظلموا والامر باقامة الصلوات عظة للذاكرين الله بقلوبهم والسنتهم
فهم يذكرون فضله وعدله وثوابه وعقابه فيخشون ويرجون فيتعظون ويتيقظون
وقال ابن عباس نزلت الاية في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري وكان رجلا
يبيع التمر فاتته امراة تبتاع تمرا فراودها عن نفسها ثم ندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله راودت امراة عن نفسها ونلت منها ما ينال الرجل من امراته الا الجماع فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انتظر ما يامر في فيه ربي وحضرت صلوة العصر فصلى النبي صلى الله
عليه وسلم العصر فلما فرغ اتيه جبريل بهذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين ابو اليسر فقال
ها انا يا رسول الله قال اشهدت معنا هذه الصلوة قال نعم قال فانها كفارة لما عملت فقام عمر
بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله اهذه له خاصة ام لنا عامة فقال بل لكم عامة
وقال مقاتل بل نزلت في ابي مقبل عمرو بن قيس التمار اتته امراة في السوق تريد التمر فقال
لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت تمر اجود من هذا هل لك فيه قالت نعم فذهب بها
الى بيته فقبلها وجعل يده ورجلها والمراة تقول له اتق الله فتركها وسقط في يده فاتى
ابا بكر رضي الله عنه فساله عن ذنبه فقال له ابو بكر استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر
رضي الله عنه فساله فقال كذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله فانزل الله هذه وقال
القشيري الحسنات ما يجود به الحق والسيات ما يذنب به العبد وقيل حسنات الندم يذهبن
سيات الجرم وقيل حسنات العرفان يذهبن سيات العصيان وقيل حسنات العناية
يذهبن سيات الجناية **وقوله** واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قيل واصبر على امر الله
والصلوة له كما قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها فانه احسان والله لا يضيع
اجر المحسنين وقيل واصبر على اداء ثقل الرسالة وعلى ما ينالك من الاذى بتبليغها ولا
تكالمهم فانه احسان وقيل واصبر على المعاصي واحسن الاعمال ان الله لا يضيع اجر
المحسنين وقال ابن عباس اجر المحسنين اي المصلين وقال القشيري الصبر
تجرع كاسات التقدير من غير تعبيس وقيل الصبر حبس النفس على معانقة الامر ومفارقة
الزجر فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي العاملين ان الاجر على الصبر وعلى الطاعة بفضل
الله لا بفعل العبد **وقوله** تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن
الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا
مجرمين بين انه لم يهلك القرون التي ذكر قصصها الا بظلمهم فقال فهلا كان من
القرون الماضية ذوو عقل وتدبير وبقية خير ينهون قومهم عن الفساد في الارض

ومواطئها الى الكفر والمعاصي والتطاول وسفك الدما ونهب الاموال وانتهاك الحرم
لتمتنعوا عن ذلك كله وتحقيق هذا التوبيخ نفي وجود ذلك اي لم يكن فيهم اولوا
بقية ينهون هذا الا قليلا منهم ولم يقبل الباقون قولهم وهذا القليل هم المومنون
لانبياء الذين قال الله انجينا فلانا والذين معه واتبع الظالمون ما اترفوا فيه اي نعموا
فيه والمترف المنعم والترفه النعمة اي ان المتنعمين الذين نشاوا في اللذات لم ينهوا عن
الفساد ولم ينتهوا بانفسهم بل اتبعوا ما اترفوا فيه من الاموال والاحوال وكانوا مجرمين
مشركين مستكثرين من المعاصي ودلت الاية ان اكثر من يميل الى الكفر والباطل هم المترفون
قال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي ليس من صفة ربك انه يهلك اهل القرى ظالما اي بغير
ذنب منهم اي لم يهلك اهل القرى التي عدت في هذه السورة وهو ظالم قال تعالى وما ربك
بظلام للعبيد وقيل قوله بظلم اي بظلم واحد منهم وهم مصلحون غير ظالمين بانهم
وقيل يعني بشرك بالله وهم مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ودلت ان هذه القرى
لو تكافت عن الظلم لم يهلكوا وقال القشيري المصلح من قام بحق ربه دون حظ
نفسه وقيل المصلح من اهتم لنفسه فاثر نجاته على هلاكه وقيل هو المصلح قلبه لمعرفة
سيده والمصلح سره لمشاهدة سيده وقوله تعالى ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة
اي متفقة على الايمان والطاعات كما قال ولو شا الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك اي ولكن شا ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك فلا يزالون
مختلفين هكذا كما شا الا من رحمه الله فعصمه عن الاختلاف لما علم منه اختيار الحق ووفقه
للنظر والاستدلال فادرك به الحق ولذلك خلقهم اي لما هم عليه من الاختلاف وقوله
تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي مضى قول ربك بما علم منهم
وهو كقوله ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وقال عكرمة ومجاهد ولا يزالون مختلفين يعني اهل الاهوا الا من رحم ربك يعني
اهل السنة والجماعة وقال عطا بن ابي رباح ولا يزالون مختلفين يعني اليهود
والنصارى الا من رحم ربك وهم الحنيفية وللرحمة خلقهم وقال ابن عباس والضحاك
ومجاهد وقتادة وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم وقال الحسن وللاختلاف خلقهم
وبه قال مقاتل بن حيان ويمان بن رباب وعطا قال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل
ميسر لما خلق له وقال القشيري ولو شا الحق لجعلهم ارباب الوفاق ثم لم يوجبوا

لملكته

لملكته تزيدا ولو شا لجعلهم ارباب الخلاف ثم لم يوجبوا الحق له شينا ولا يزالون مختلفين
لانه كذلك اراد بهم الا من رحم ربك في سابق حكمه فعصمه عن الخلاف في حاصل علمه
ولذلك خلقهم كلا لما اقامهم به ونصبهم له واثبتهم فيه من وفاق وشقاق وجحود وتوحيد
وتمت كلمة ربك اي لا تبديل لقوله ولا تحويل لحكمه وقوله تعالى وكلا نقص عليك من انبا
الرسل ما نثبت به فوادك اي وكل القصص وقيل اي وكل الذي تحتاج اليه نخبرك به من
اخبار الرسل ما نثبت به فوادك ما بدل عن كلا قاله الزجاج وقيل اي وكلا اي ومن كل
ومعنى الاية ونقص عليك هذه الاقاصيص كلها من اخبار الرسل تثبيتا لفوادك اي تسكينا
له وتقوية على الاستقامة وتبليغ الرسالة وتقرير الحجج والصبر على اذى الكفار والاستعانة
على الصبر باقامة الصلوات وقال ابن عباس ما نثبت به فوادك يعني نشدد وقال
الضحاك نقوي وقال ابن جريج نصبر وقال بعضهم نطيب وقوله تعالى وجاءك
في هذه الحق اي في هذه السورة ما يحق تدبره والعمل به وقال الحسن اي في هذه الدنيا
الحجج والبراهين وقوله تعالى وموعظة وذكرى للمومنين اي المومنون هم الذين ينتفعون
به وقيل لمن همته الايمان بالله والعمل بما يعقبه لا لمن اترف فيها واتبع ما اترف فيه
وقال القشيري قص على نبينا قصص الجميع ولم يذكر قصته لاحد تشريفا له وتخصيصا
قال ولم يكن ثبات قلبه بما قص عليه ولكن كان استقلال قلبه بمن كان يقص عليه وفرق
بين من يستقل بما يسمع وبين من يستقل بمن منه يسمع وانشد لبعضهم شعر

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني ❊ جنونا فزدني من حديثك يا سعد ❊

وقوله تعالى وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون اي قل يا محمد
للمشركين اعملوا على تمكنكم ما احببتم انا عاملون بما امرنا وهذا اشد وعيد وتهديد
وقوله تعالى وانتظروا انا منتظرون قال ابن جريج انتظروا ما يعدكم الشيطان من
الغرور فانا منتظرون ما يعدنا الله من النصر والعلو وقال بعضهم انتظروا ما اعدتم
به على الكفر فانا منتظرون ما وعدنا به على الايمان وقوله تعالى ولله غيب السموات
والارض اي هو العالم بعواقب الامور وبغيب السموات والارض وهو ما غاب عن حس
العباد فلم فلن يخفى عليه شي من افعال المشركين واقوالهم فيحاسبهم ويجازيهم عليها
وقوله تعالى واليه يرجع الامر كله اي الامور كلها فهو حقيق اي لا ينفذ فيها الا حكمه
فهو المستحق لذلك الافراد بالعبادة فاعبده يا محمد بالاخلاص وتوكل عليه غير خايف سواه
ولا راجي غيره وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون فيثيب المومنين المطيعين ويعاقب

الكافرين والعاصين وقال القشيري تجلّى على العباد العواقب واخفى دونهم السوابق
والزمهم القيام بما كلفهم في الحال فقال فاعبده فان تقسم القلب وتزاحم الظن فتوكل
عليه اي استدفع البلاء عنك بحسن الظن ودوام الرجا وما ربك بغافل عما يعملون
بل احاط بكل شيء علما وامضى في كل امر حكما وقال كعب الاحبار فاتحة التورية
فاتحة سورة الانعام الى قوله يعدلون وخاتمة التورية خاتمة هود ولله غيب السموات
والارض الاية

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل احسن القصص قصة
يوسف الرحمن الذي جعل الملك بعد السجن حصة يوسف الرحيم الذي كشف
بالتقوى والصبر غصة يوسف روى كعب الاحبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال علموا ارقاكم سورة يوسف فانه اي مسلم تعلم سورة يوسف وعلمها ملك
يمينه واهله هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة ان لا يحسد مسلما وسورة
يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية والف وسبعمائة وست وسبعون كلمة وسبعة الاف
ومائة واثنان وستون حرفا وانتظام هذه السورة باخر السورة التي قبلها انه
افتتح هذه بقوله الر ومعناه انا الله ارى من العرش الى الثرى فلي غيب السموات والارض
العلى والاراضي السفلى ولست بغافل عما تعمل الورى ووجه اخر انه قال في اواخر
تلك وكلا نقص عليك من انباء الرسل وقال في اوائل هذه نحن نقص عليك احسن
القصص وقد قصت احسن القصص وانتظام كل هذه السورة بتلك السورة ان السورة
في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اصابه من الاذى والنوائب وفي تلك السورة ذكر
ما لقي الانبياء من الاجانب وفي هذه السورة ذكر ما لقي يوسف من الاقارب وقوله تعالى
الر ذكرنا فيها اقاويل المفسرين في اول يونس وقيل معناه انا الله ارى من العرش الى
الثرى وقيل انا الله ارى ما نزل بيوسف من البلوى من الجب والسجن والشكوى
ثم جعله ملك الدنيا وجمعه مع شيخه المبتلى وقوله تعالى تلك ايات الكتاب
المبين اي تلك الايات او السور المنزلة قبل هذه السورة هي ايات الكتاب وقيل اي
تلك الايات المكتوبة في اللوح الموعودة لك او تلك الايات التي اخبرت الانبياء
بانزالها عليك هي ايات الكتاب وقيل تلك بمعنى هذه كما مر في قوله ذلك الكتاب لا
ريب فيه واوردنا دليله اي هذه السورة او هذه الايات او الر هذه الحروف
التي هي اسم هذه السورة ايات الكتاب المبين اي فيه بيان ما بالناس حاجة اليه

في دينهم وقال ابن عباس يعني فيه بيان الحلال والحرام وقال قتادة فيه بيان الرشد والضلال
وقال ابو منصور فيه بيان الحق والباطل والعدل والجور وقال القشيري في انزال الكتاب
عليه وارسال الرسول اليه تحقيق لاحكام المحبة وتاكيد لاسباب الوصلة فان من عدم حقيقة
الوصول استانس بالرسول ومن بقي عن شهود الاحباب تسلى بوجود الكتاب وقوله
تعالى انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا اي كلاما مجموعا بلسان العرب لعلكم تعقلون اي ليعقلوا
عن الله خطابه فيتدبروه ويعملوا بما فيه وقال الامام ابو منصور لا ندري باي لسان
كان في اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه انزله بلسان العرب وهكذا كل كتاب انزل بلسان المنزل عليهم
لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم وما تاتون وما تذرون ولعلكم تعقلون ان هذه الانباء التي يخبركم
بها محمد من الله تعالى لانها كانت في كتبهم بغير لسانه فاخبر على معنى ما كان في كتبهم فدل على انه عرف
ذلك بالله او لعلكم تعقلون بان فيه شرفكم لانكم تصيرون متبوعين لاحتياج الناس الى معرفة ما
فيه والناس اتباع لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وقوله
تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اي نحن نخبرك احسن الاخبار والقصص مصدر وهو
اتباع الخبر بعضه بعضا تباعه على وجهه يقال فلان حسن الاقتصاص للحديث اذا كان
جيد السياق له لا يقطع معانيه المرتبطة بعضها ببعض فيفسد نظمه ويبتر معانيه
قال الله تعالى وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وقال فارتدا على اثارهما قصصا اي اتباعا
ويجوز ان يكون القصص اسما كالخبر وقوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القران اي
بوحينا وما مع الفعل مصدر كقولك اكرمك بما اكرمتني اي باكرامك اياي وقال تعالى
وجزاهم بما صبروا اي بصبرهم وقوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين اي وقد كنت
من قبل هذا الوحي من الغافلين عن هذه القصة ونحوها وما كنت من قبله الا من الغافلين فان
كلمة ان المخففة مع اللام بعدها لها طريقان على ما مر مرارا وقال الامام ابو منصور وهذا يدل
على ان الايمان بجملة الانبياء والرسل ايمان بهم وان لم يعرف انفسهم واسماءهم وقصصهم
والغفلة ثلثة انواع مذمومة ومحمودة وغير مذمومة ولا محمودة فالمذمومة الغفلة عن
الله وعن ذكره وعن الاخرة قال الله تعالى عن اياتنا غافلون وقال هم عن الاخرة هم
غافلون والمحمودة هي الغفلة عن المعاصي قال تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
وغير المحمودة والمذمومة ما في هذه الاية والغفلة عن النبي هو ان لا يخطر ذلك بباله
وروي ان الصحابة قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث
فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا

يا رسول الله لو وعظتنا وذكرتنا فانزل الله الر تلك ايات ... الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ثم
في تسميته احسن القصص وجوه قيل لانه ليست قصة من قصص القران تتضمن من النكت
والفوايد ما تتضمن هذه القصة وقيل لامتداد الاوقات فيما بين اولها واخرها قال
ابن عباس كان بين رويا يوسف ومصير ابيه واخوته اليه اربعين سنة وعليه اكثر
المفسرين الا الكلبي فانه يقول كان بين روياه ومصير ابيه اليه ثمانون سنة وقيل احسن القصص
اي اعجب القصص وقيل لانها مجموعة في سورة وساير القصص متفرقة في ايات وسور وقيل
لانها في ابوين واولاد لبنين فيهم اجنبي وعدو وقال محمد بن يحيى الشاعري هي احسن القصص
لما فيها ثلثة احوال مراعاة طاعة الله في الرخاء والبلاء وكتمن الاخلاق في المعاملة
واقامة المروة ببذل السعة عند القحط والسنة فمراعاة الطاعة عند البلاء
بحدودها وشروطها وصفوتها وحلاوتها في صفقة ضعف العبيد من عجوبات اللطف
والتوفيق وكتمن الاخلاق عند الجفا والاذية وخصوصا من القرابة من اشرف مقام
الاختصاص بالكرامة وبذل المروة والسعة وقت المحنة والحاجة من اعلى منازل العبودية
واخفى درجات السخاوة وقيل سماها احسن القصص لحسن محاورة يوسف اخوته وصبره
على اذيتهم واغضايه عنهم وقيل احسن القصص لانه نحن نقص عليك و عليك نقص وهو قول
القشيري وقال ايضا لخلوه عن الامر والنهي الذي سماعه يوجب اشتغال القلب لما فيه من
خوف التقصير الواقع فيه وقيل احسن القصص لان فيه ذكر الاحباب وقيل لما فيه من ذكر
ترك يوسف هوى باعراضه عنها عند مراودتها اياه عن نفسه وقال في قوله بما اوحينا
اليك اي لم تصل الى هذا بكدك وجهدك ولا بطلبك وجدك وبعطائنا وجدته
لا بغنائك وبتفضلنا لا بتعملك وبتلطفنا لا بتكلفك وبنا لا بك **وقوله** تعالى اذ
قال يوسف لابيه قال الزجاج اي نحن نقص عليك اذ قال يوسف وقيل اذكر
يا محمد اذ قال يوسف لابيه اي يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الخليل يا ابت قرا ابن
عامر بفتح التا على ارادة يا ابتاه على نداء الندبة وقرا بعضهم بالضم لانه لما مفرد
معرفة وقراة العامة بالجر على الاضافة بالياء وحذفت اليا تخفيفا كما في قولهم
يا قوم وقرا ابن كثير يا ابه بها ساكنة عند الوقف وزيادة الها في الاسم على الاب
للترفيق والعطف والتحنن وقيل التعويض من الواو التي من اصل الكلمة وقيل
للتعويض من ياء الاضافة **وقوله** تعالى اني رايت احد عشر اي في النوم بالعين
يكون روية وراي بقلبه يكون راي وراي في المنام يكون رويا **وقوله** تعالى

١٠٦

احد عشر كوكبا اسمان جعلا اسما واحدا فبنيا على الفتحة والشمس والقمر رايتهم لي
ساجدين كرر قوله رايت لتوكيد لما طال الكلام وقيل معناه انه رايهم في النوم ورايهم
يسجدون له فالاول لروية اعيانهم والثاني لروية فعلهم وقال رايتهم ولم يقل رايتها لانه
وصفهم بالسجود الذي هو فعل العقلا فالحق كنايتهم بكناية العقلا كما في قوله يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وفي سجودهم له وجهان احدهما انه هو السجود المعهود
على الحقيقة وكان تكرمة له لا عبادة والثاني انه بمعنى الخضوع قال الشاعر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وكانت الكواكب الاحد عشر مثلا لاخوته الاحد عشر
والشمس والقمر مثلا لابيه وخالته وكانت تحت ابيه وكانت امه ماتت واسمها راحيل
واسم خالته ليا وهما بنتا لابان بن ناهر وناهر اخو ابرهيم الخليل ولابان بن ناهر
كان خال يوسف يعقوب قال وهب بن منبه كان يوسف راى قبل هذه الرويا
وهو ابن سبع سنين في نومه ان احدى عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض
كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه
فقال له اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ان احد عشر كوكبا
والشمس والقمر سجدن له فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك على اخوتك
الاية وذكر ابو القاسم بن حبيب في تفسيره باسناده عن جابر بن عبد الله ان يهوديا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسما الكواكب التي سجدت ليوسف فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ان اخبرتك لتومنن بي قال نعم فاتيه جبريل عليه السلام فعلمه
اسماها وهي الخرتان والطارق والقابس والضروح والفيلق والمصبح والوثاب
والزيال والعمودان والفرغ وذو الكتفات راهن يوسف والشمس والقمر نزلن
من السما فسجدن له فاخبر والده فقال يا بني هذا امر متشتت وسيجمعه الله بعد
وقال ابن عباس الشمس امه والقمر ابوه وقال مقاتل الشمس ابوه والقمر امه
وقال السدي الشمس ابوه والقمر خالته واسمها راحيل وكانت امه ماتت واسمها
ليا وعن ابن عباس بلغنا ان يوسف كان نايما في حجر ابيه ذات ليلة فانتبه مرعوبا
فقال يعقوب حبيبي ما الذي ذعرك فقال يا اباه رايت رويا عجبا فقال ما ذا
رايت قال رايت كاني على راس جبل شامخ وحوله انهار واشجار ورياض فبينا انا
كذلك اذ رايت كواكب نزلت والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقال الامام ابو
منصور دلت هذه الاية ان اخوة يوسف كانوا علما بالكواكب وبها يهتدي فدل انهم

فانهم

كانوا علما بهم يقتدى وشبه الابوين بالشمس والقمر وبهما جميع منافع الخلق اذ بهما صلاح
جميع الاغذية في الارض ونضج جميع الفواكه والانزال ودلت الاية ان الرويا قد
تخرج على عين ما راى وقد تخرج على غير ما راى فقد راى سجود الكواكب وخرجت
الكواكب على الاخوة والسجود على عينه وهو كرويا ابرهيم في المنام ذبح الولد فخرج الولد
على الكبش والذبح على عينه فهذا اصل لنا ان الخطاب قد يخرج والمراد عينه وقد يخرج
والمراد غيره وفيه جواز الاجتهاد وطلب المعنى في المخاطبات ومانظر في الناس من
تعبير الرويا على الاجتهاد يدل ايضا على جواز العمل بالاجتهاد ودلت الاية ايضا
على ان اخوة يوسف كانوا علما حكما عارفين بتعبير الرويا فان يعقوب قال ليوسف
لا تقصص رويا لشئ على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وذلك لعلمهم بالتعبير **وقوله**
تعالى يا بني لا تقصص رياك على اخوتك يعني فقال يعقوب يا بني لا تخبر اخوتك
برويا وهم روبيل وشمعون ولاوي امهم ليا امراة يعقوب ودان
واشير ونفتالي امهم زلفا جارية يعقوب ودان نفتالي وحاذ وزبالون امهم زلفا
جارية يعقوب وبنيامين امه راحيل وهي ام يوسف ايضا مع اخوات وكانت راحيل
اخت ليا وهما بنتا لابان بن ناهر خال يعقوب والجاريتان هاتان كانتا هدية
لابان لختنه يعقوب **وقوله** تعالى فيكيدوا لك كيدا نصب بالفا لانه جواب
النهي وعلامة نصبه حذف النون يقول ان تاويل رؤياك ظاهر لا يخفى عليهم فلا
يومن ان يحملهم ذلك على ان يبغوا لك الغوائل ويحفروا لك الحيل ويدعوهم الى ذلك
الشيطان وذلك **قوله** ان الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة مظهرها
ومزايدت على ان يعقوب كان قد علم من الاخوة حسدا ليوسف فقال له هذا وقال
القتبي الكيد هو الاحتيال للاغتيال وقيل هو طلب ايصال الشر به على غير علم منه
وقال الامام ابو منصور قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين يلقي كل شر يكون من
الشيطان يقذفه في القلوب ويخطره في الصدور ثم تكون العزيمة على ذلك والفعل
من العبد وهو ما قال عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وفي الاية ان
الرويا حق وهي من المبشرات وجزء من ستة واربعين جزءا من النبوة كما روي
ومنها ان شفقة الابا وافرة وحسد الاخوة ظاهر ولهذا قال اصحابنا تقبل شهادة
الاخ للاخ لانه لا تهمة ولا تقبل شهادة الاب للابن ولا شهادة الابن للاب للتهمة
وفيها ان عداوة ابليس لنا قديمة وسنة الله تعالى في ابقائه لطف عظيم فانه يحتال بمعاصينا

عليه وذلك مذكور في قصة كثير من الانبيا فازلهما الشيطان فوسوس لهما الشيطان وما
انسانيه الا الشيطان هذا من عمل الشيطان من بعد ان نزغ الشيطان واما ينزغنك
من الشيطان نزغ لا يفتننكم الشيطان انما استزلهم الشيطان **وقوله** وكذلك يجتبيك
ربك اي كما دلك رؤياك على اكرام الله تعالى اياك بتفضيلك على اخوتك كذلك يجتبيك ربك
فيستخلصك ويختصك بالنبوة ويعلمك من تاويل الاحاديث اي يلهمك علم ما يؤول
اليه عاقبة ما يراه الناس في مناماتهم وقيل تاويل الاحاديث العلم بعواقب الامور
بوحي من الله ويتم نعمته عليك اي ويكمل ما ابتداك به من الانعام والابتدا هو اخراجه
من اصلاب الانبيا والاتمام بالنبوة والاجتبا وعلى آل يعقوب اي اولاد يعقوب ودل على
نبوة اولاده كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق بالرسالة والوحي وقيل ويتم
نعمته عليك بتخليصك من غوائل اخوتك وسائر الناس كما جعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
وفدى اسحق بالذبح العظيم وهذا كله كان بشارة من يعقوب ليوسف وقيل كان دعا له
بذلك كله كما قال في اخر هذه السورة يغفر الله لكم وتقول يديم الله عزك ويطيل بقاك
وقوله تعالى ان ربك عليم حكيم عليم بما يجري على يوسف من المفتتح الى المختتم حكيم فيما
حكم له ولابيه ولاخوته بما حكم وقال الامام ابو منصور قيل تاويل الاحاديث تاويل صحف
ابرهيم وقيل تاويل الاحاديث العلل والكلام وقال ان ربك عليم بما يصنع به اخوته او عليم
باتمام الانعام حكيم يضع كل شي موضعه وقال القشيري فمن الاجتبا اسباله
الستر على معايب اخوته حيث قال وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر خلاصه من
البئر وقيل من قضيته الاجتبا توفيقه لتزغه العفو عن اخوته حيث قال لا تثريب
عليكم اليوم وتاويل الاحاديث هو معرفة قدر كل احد والوقوف على مقدار كل قايل بما
يسمع من نطقه وحديثه بجملة الكياسة وصدق الفراسة واتمام النعمة توفيق الشكر
على النعمة وقيل من اتمام النعمة الصون عن شهود النعمة برؤية المنعم ومن تمامها
صونها عن الزوال والتغير ومن تمامها رفع الهمة عن مساكنة النعمة **وقوله**
تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين اي دلالات وقرا ابن كثير وحده اية
على الوحدان وهو في معنى الجميع ايضا يقال لهذا الشي علامة لامور كثيرة للسائلين
اي للذين يسالون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة روي ان اليهود
قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل يعقوب من مصر الى الشام فنزلت السورة فكانت اية
على صدق نبوته وقال ابن عباس اي ناس من اليهود سالوا رسول الله فوافق اياتهم

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة يوسف فتعجبوا منه وقالوا له من اين هذا
يا محمد فقال علمنيه ربي وعادوا الى المركب فقالوا لهم ان محمدا العربي يذكر
قصة يوسف كما انزلت في التورية فنزلت هذه الاية ايات للسايلين يعني اليهود
وقال مقاتل سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فاخبرهم
بها فلم يومن به غير جبر عبد عامر الحضرمي وقال الامام ابو منصور يحتمل
انه ايات للسايلين الى اخر الدهر وقوله ايات يحتمل ان المراد ان قصته سورة تامة
هي ايات الكتاب ويحتمل انه ايات صدق نبوته لان قصته في كتبهم كانت بغير لسانه
فجا بها بلسانه من غير زيادة ولا نقصان فدل انها بالله علم ذلك وقال
القشيري في قصته ايات لكل ذي محنة حتى يعلم انه كيف يصبر ولكل ذي نعمة حتى يعلم
انه كيف يشكر قال ويقال في قصته دلالات كيفية العفو عن الزلة وكيفية الخجلة
عند اللقا لاهل الجفوة وقيل في قصته دلالات لطف الحق سبحانه لاوليايه بالعصمة
وايات ان المحبة لا تخلوا عن المحنة وقيل فيها ايات على ان من صدق في رجايه تخلص
يوما من بلايه وقيل ايات اي عجايب قال الشاعر اتهم في اجمال البر له في الخلق
شبه وما له من نظير وقيل السوال انواع والفوايد للسايلين فاذا جالست
العلما فاسال بلسانك وان جالست الحكما فاسال بعينك وان جالست العارفين فاسال
بقلبك وان جالست المحبين فاسال بسرك فاذا لقيت العالم فقدم لسانك واذا لقيت
الحكيم فقدم عينك واذا لقيت العارف فقدم قلبك واذا لقيت المحب فقدم سرك
واذا اطلعت على غيب فقدم روحك وقال بعض اهل العلم يمكن تمشية الاية في كل السايلين
فكانه قال ان سالك العصاة ما يفعل الله بهم فاقرا عليهم قصة يوسف وقل يغفر الله اذا تابوا
لكم كما عفا لاخوة يوسف وان سالك الذين يوذون الاباء ويعقونهم ما يفعل بهم فقل
يعفوا عنكم كما عفا عن اولاد يعقوب وان سالك الممتحنون ما عاقبة امرهم
فقل الفرج كما فرج الله عن يعقوب وان سالك المحبون كيف حالهم فقل تصلون
الى الحبيب كما وصل زليخا الى يوسف وان سالك المسجونون وان سالك المهموت
وان سالك الواقعون في القحط وكذا وكذا فاجبهم بهذه القصة على التفصيل وقيل
ايات للسايلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سالوا رسول الله
لو سمى الله تعالى لهذا احسن القصص قال لان المخبر هو احسن القايلين قولا والمخبر
عنه احسن الناس وجها فان يوسف لم يكن بعده في الحسن مثله فقالت عايشه

هو احسن ام انت يا رسول الله فقال هو احسن خلقا وانا احسن خلقا فقالت عايشه
لولا تخبرا الناس به قال ان لو قلت انا فقد قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فنزل
جبريل وقال اخبر الناس ان نورك ونور يوسف اقترعا في صلب ادم فصار الحسن
والجمال ليوسف والذكر والشرف والنور والحبور والضيا والبها والعفاف لك
والكفاف والهمة والرفعة والعلم والحلم والفضل والعدل والعزم والحزم والسيادة
والسعادة والحوض والشفاعة والدعوة والاجابة والقضيب والناقة والتاج
والعمامة والسيف والهراوة والصبر والقناعة والنسك والانابة والرحمة والرافة
والوقار والسكينة والشريعة المرضية والاحكام الحنيفية والصلوة المكتوبة والزكوة
المفروضة والسمع والطاعة والصف والجماعة والتاذين والاقامة والتكبير والتهليل
والتسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والحج والعمرة والبلد المحرم والمسجد المعظم
والزمزم والمقام والمنبر الكرام والقران الحكيم والخلق العظيم والايات المفصلات
والكلمات المتلوات والازواج الطاهرات والعلو في الدرجات والبراق والمعراج والمقام
المحمود والحوض المورود والمحضر المشهود والافق الاعلى والمقام الادني وسلام الله الاعلى
هذه كلها لك وقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه اللام بمعنى القسم اي قالوا ان
يوسف حقا واخاه لامه وهو بنيامين احب الى ابينا ونحن عصبة اي جماعة يتعصب
بعضهم لبعض وكانوا عشرة والعرب تطلق هذا الاسم على العشرة الى الاربعين اي نحن
جماعة لا يعجزنا الاحتيال عليه ليخلوا لنا وجه ابينا فيعمنا بالمحبة والتعطف فلما
ذا الاغفال لذلك وقوله تعالى ان ابانا لفي ضلال مبين اي خطا بين بايثار اثنين
على عشرة مع استوايهم في كونهم اولاد له ومع اقتدار العشرة على الاحتيال على واحد
وايضا هو في غلط في تدبير امر الدنيا اذ نحن انفع له من يوسف وبنيامين لانا
نقوم في امواله ومواشيه وايضا فلو انعم النظر لما بين سوء عاقبة هذا الاختيار
لتحاسد الاقارب ولهذا نهي ولعنه عن طريق الراي في استصلاح الاولاد
وقال الامام ابو منصور وفيه دلالة انه لا باس للرجل ان يخص بعض ولده
بلطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا قال اصحابنا
لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالهبة له اذا لم يقصد به الجور على غيره من
الاولاد وخصته بعضها وجب ذلك كما فعل ابو بكر بعايشة رضي الله عنها حيث
نحلها صاد عشرين وسقا بالعالية ثم يحتمل تخصيص يعقوب يوسف واخاه في

الحب وجوها احدها ما راى فيهما من الضعف في نفسهما والعجز في ابدانهما
فازدادت شفقته عليهما لذلك اما من جهة الدين والعلم او غيره امره الله بذلك
ولانه لما بشر يعقوب ببنوة يوسف كان يفضله على سائر اولاده ويوثره عليهم
لذلك وانما قالوا ان يوسف واخاه احب الى ابينا منا بانا رايناهم منهم عنده
والا لمحبة المحبة لا تعرف وقال العشيري لما اعترضوا بقلوبهم على ابيهم
في تقديم يوسف عليهم في المحبة عاقبهم الحق سبحانه بان تركهم حتى بسطوا في
ابيهم بساط اللوم فوصفوه بالضلال وهو من المحال وان كان المراد منه هو الذهاب
في امر يوسف بكل حال قال ويقال لما حسدوه في تقديم ابيهم اياه عليهم لم
يرض الحق سبحانه حتى اقامهم بين يدي يوسف فخروا له سجدا ليعلم ان الحسود
لا يسود قال ويقال اطول الناس حزنا وادومهم غصة من اراد تاخير من قدمه
الله او تقديم من اخره الله ان اخوة يوسف ارادوا ان يجعلوه في اسفل الجب فرفعه
الله فوق السرير وقيل انما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا في حق يوسف فلان
يوسف يعقوب عليه السلام اصحبه يوم ثلثة اشيا قميص ابرهيم الذي البسه
جبريل وقد جاء به من الجنة يوم القي في نار نمرود وشد وسطه بمنطقة
اسحق ووضع في يده خيزرانة جاء بها جبريل يوم ولد اسحق فحسدوه لتخصيصه
بها واستدلوا على محبته اياه **وقوله** تعالى اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا
قال وهب قال ذلك شمعون وقال كعب قاله دان وقال مقاتل قاله روبيل
وهو اكبرهم سنا وقال بعضهم لما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
تراى لهم الشيطان في صورة شيخ وقال ان يوسف يريد ان يستعبدكم فقالوا
ما الراي فقال اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فقلنا له
لو فعلنا ذلك كنا عاقين للاب عاصين لله فقال ثم تتوبون فتكونون قوما صالحين
ثم غاب عنهم فثبتوا على هذا الراي بقوله اقتلوا يوسف لتنحسم مادة هذا
الامر او اطرحوه اي القوه الى ارض غربة بعيدة عن ارض يعقوب بحيث يخفى
عليه موضع يوسف ويقصر دونه اخباره وقوله ارضا اي الى ارض نصب بنزع الخافض
كما في قوله واختار موسى قومه اي من قومه وقوله يخل لكم وجه ابيكم قال
مقاتل اي يصف لكم جزم لانه جواب الامر ولذلك حذفت واوه يقول لا يزاحمكم
يوسف في بره وعطفه واستئناره **وقوله** تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين

عطف

عطف على يخل وهو جزم ولذلك حذفت النون وقال مقاتل اي يصلح امركم فيما بينكم وبين
ابيكم يعني به صلاح الدنيا من جهة التمكن من الاب وقال ابن عباس والسدي اي
وتتوبوا من صنعكم وهو القتل والطرح وعقوق الاب وايذا الاخ وعصيان امر
الله فيغفر لكم بتوبتكم فقد اعتقدوا التوبة قبل ارتكاب الذنب وقال القشيري فهذا
قبل من طلب الكل فاته الكل ارادوا اخوة يوسف ان يكونوا قبال يعقوب بالكلية عليهم
واستغلى بقول فيقول عنهم وقيل كان قصدهم ان يكون يوسف عند ابيه فتساوى
عندهم اقسام عنيته وقالوا اما القتل واما النفي ولا باس بما يكون بعد ان يكون يوسف وقوله
وتكونوا من بعده قوما صالحين لم تطب نفوسهم ان يذهبوا عن الله بالكلية فذبروا الحسن
الرجعي قبل ارتكاب ما دعتهم اليه نفوسهم وهذه صفة اهل العرفان بالله **وقوله**
تعالى قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف قال قتادة وابن اسحق قال ذلك روبيل وقال
الزجاج قال ذلك يهوذا قال ان قتل يوسف امر عظيم فلا تفعلوه **وقوله** تعالى والقوه
في غيابة الجب قال الحسن اي في قعر البير والغيابة في اصل اللغة الموضع الذي يغيب
فيه صاحبه وكل ما غيب شيا عن الحس بكونه فيه فهو غيابة والقبر يسمى بذلك قال
الشاعر • ان انا يوما غيبتني غيابة • فسيروا بسيري في العشيرة والاهل •
والجب البير الذي لم تطو وتسمى بذلك لانه جب عنها ترابها اي قطع وقال الاعشى
• لئن كنت في جب ثمانين قامة • ورقيت اسباب السما بسلم •
• ليستدرجنك القول حتى تهره • وتعلم اني عنكم غير ملجم • **وقوله**
تعالى يلتقطه بعض السيارة الالتقاط تناول الشي من الطريق ومنه اللقطة واللقيط
والسيارة العير وقيل مارة الطريق يقول القوه في اسفل بير عميقة قليلة الما
على ممر السابلة والقوافل يلتقطه بعضهم فيخلو لكم مكانه من غير ارتكاب الامر
العظيم وهو القتل ويحصل لكم المقصود الاخر وهو رميكم اياه الى البلد النائي من
غير ان تحتاجوا الى تكلف سفر فيه بانفسكم فنصح هذا القائل الاخوة بهذا التدبير
وكان مقصده نقض رايهم في القتل وحجزهم عنه الى الراي الثاني بتسهيل ذلك السبيل
عليهم والعاقل اذا دفع الى شرين اختار اهونهما ثم قوله في غيابة الجب بالتعريف
دون التنكير له معنيان يحتمل انهم اشاروا الى بير قد عرفوها في ارضهم ويحتمل ان يكون
ذلك كقولك ازمه في الما ولا تريد ما بعينه انما تريد به الجنس **وقوله** تعالى
ان كنتم فاعلين اي ان كنتم تريدون تمام تدبيركم فافعلوا هذا فليس لكم اوفق من هذا

وقال الامام ابو الحسن محمد بن يحيى البشاغري في كتاب العصمة ان الاخوة تستصحب الشفقة
لكن الميل الى حظ النفس ربما يغلب على الشفقة فلا يقدر على استعمالها فيعامل أخاه معاملة
الاجانب والشفقة على حالها غير متلاشية لكنها غير عاملة دليل قول لاحدهم للاخرين لا
تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب وهذا كلام من هذا القايل على نظر الشفقة واجابتهم
له مبتدة على الشفقة ايضا الا ان مطالبتهم حظوظهم من ابيهم غلبت عليهم فلم يتركوه من غير اذى
ومكروه الحقوه به ولم يخرجوا ايضا بالاهلاك على الاستيصال لان الالقاء في الجب مرجو منه
الخلاص وقولهم ايضا ان ابانا لفي ضلال مبين عنوا به لفي خطا بين لا يسوي بيننا في المحبة
لنا والاقبال علينا والنصح بنا ولم يعرفوا ان اقبال يعقوب الى يوسف لم يكن من جهة الولادة
وانما كان من معرفته بصنع الله في شانه لتقويم وبما وضع الله فيه من اللطايف وكانت
محبته لما كان يكشف له من زيادة الاطلاع على صنع الله فيه وكان لا يلزمه التسوية بينهم ولهذا
قالوا ان للاب ان يزيد في الاحسان والبر على بعض الولد دون بعض لزيادة منقبة في الدين
اكرمه بها وان كان الاولاد استووا في معاني الدين فعليه ان يسوي بينهم في الاكرام والبر فلم
يكن يعقوب صلوات الله عليه في خطابين كما قال بنوه الا انهم توهموا انه يكرمه لعين الولادة
فراوا انفسهم اولاده فنسبوه الى الخطا ولو عرفوا انه لمعنى من لطايف الله فيه يكرمه لم ينسبوه
الى الخطا في ذلك ابانة انهم يستعطفون اقبال ابيهم عليهم ويغتنمون اكرامه اياهم حيث ما كانوا
ولو كانوا منهم ويئس بتر الوالد غير مغتنمين عطفه عليهم لم يشتغلوا بتلك المماكسة مع ابيهم
الا انهم جهلوا وجه المعاملة في خلال كلامهم بعضهم مع بعض ومع ابيهم ومع اخيهم من نحو قولهم
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ومن نحو قولهم اقتلوا يوسف وقولهم فتكونوا
ذلك كله دليل على صحة ايمانهم اذ لو لم يكن لهم ايمان لم يكن لهم مانع من قتله من غير تشبث او
احتيال وفي ذلك كله دليل على ان بركة نبوة ابيهم واجدادهم كانت متعدية الى بواطنهم حتى
لم يصيروا معاندين عند المعرضين عن الحق بواحدة الا انهم لم يكونوا في ذلك الوقت انبياء
فلم يعصموا عن المحظورات كلها فوقعوا فيما وقعوا الحكمة بالغة علمها الله تعالى وعلم نفعها متصلا
بهم وبابيهم واخيهم والمسلمين فاجرى عليهم تلك القصة وعقب تلك اللطايف
والنعم فيهم وفي غيرهم **وقوله** تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له
لناصحون ولما اتفقوا على التغييب صاروا الى ابيهم يعقوب فقالوا يا ابانا ما لك لا تامنا
على يوسف وفي الكلمة ثلثة اوجه لا تامننا بنونين على الاظهار لان النونين من كلمتين ولا تامنا
بنون واحدة على الادغام لالتقاء المثلين ولا تامنا بالادغام واشمام الضمة طلبا لما كان

فيه من الضم وقد امنه يامنه اي يامنه قال تعالى فان امن بعضكم بعضا قالوا لم تخاف علينا
ان نناله بسوء وانا له لناصحون اي وهو اخونا وشقيقنا فنحن له ناصحون مريدون
به الخير ظاهرا وباطنا لا موضع لاتهامك ايانا فيه ونصحهم له في السفر ان يحوطوه ولا
يدعوه ان ياخذ وجها مخوفا ولا يفردوه عن انفسهم ولا يكلفوه ما يخاف عليه منه ونحو هذا
قال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير قالوا ارسله معنا فقال اني ليحزنني ان تذهبوا
به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وقال في كتاب عصمة الانبيا كانهم كانوا طلبوه
مرارا حتى خاطبوه بهذا ما لك لا تامنا على يوسف ولو كان هذا ابتدا كلام ولم يتقدم منه منع
لم يصح هذا الخطاب وارادوا تاكيد هذا الكلام استرسال ابيهم واستسلامه بارسال يوسف
معهم ثم قالوا وانا له لناصحون فظاهره كذب منهم لانهم اضمروا غشه الا ان فيه نوع نصح من
وجهين احدهما انهم بما ضمنوا من الاضرار باخيهم كانوا معتقدين للنصح لذلك لم يكفروا وبهذا هو السديد
من المذهب ان مرتكب الكبيرة اذا لم يستحلها فهو في عقد الايمان صحيح فاخوة يوسف عرفوا
النصح في باطنهم غير ان غلبة الشهوة في حظوظهم حملتهم على ذلك الفعل فلم يستعملوا النصح
المتمكن والثاني انهم اعتقدوا تغييبه عن ابيه لا اهلاكه وفي ذلك طرف من النصح وهم
كانوا مع هذا الثابت غير ناصحين لمكان ابيهم واخيهم وقال القشيري كلام الحسود لا
يسمع ووعظه لا ينجع وان كان في معرض النصح فانه يطمع لتمهيد ويطعم الصاب ويطعم
السقا وينظم الاوصاب قال ويقال العجب من قبول يعقوب ما ضمنوه له من حفظ
يوسف وقد تقدم من قبله ما قال ليوسف فيكيدوا لك كيدا ولكن اذا جا القدر عمي البصر
قال ويقال من قبل على محبوبه حديث اعدايه لقي ما لقي يعقوب في يوسف من بلايه
وقوله تعالى ارسله معنا غدا يرتع ويلعب قرا ابن كثير غير الهاشمي وابي ربيعة
عن قنبل بالنون فيهما وكسر العين من نرتع من ارتعيت وقرا نافع وابو جعفر بالياء فيهما
وكسر العين وقرا ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون فيهما وجزم العين وقرا الباقون
بالياء فيهما وجزم العين غير الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما قرا نرتعي ونلعب واجمعوا
على جزم ونلعب قالوا ابعثه معنا الى الصحرا غدا ناكل جميعا ما يكون فيها بكثرة
وسعة ونلعب فيها جميعا وذلك في اللعب المباح الذي يفعله الكبار مع الصغار فيها
وخصوصا اذا كانوا اخوة لا يحتشم بعضهم من بعض ويجوز ان يكون ذلك اللعب هو
ما ذكر بعده من الاستباق في قوله ذهبنا نستبق اي نرتمي بالسهام وقيل
نتسابق بالاقدام وكل ذلك مباح في الشرع فان النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اللهو

الاثلثة ملاعبة الرجل اهله ورميه عن قوسه وتاديبه فرسه وقال صلى الله عليه وسلم
ستكون لكم فتوح فلا يعجز احدكم ان يلهو بقوسه واسهمه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسابق عايشة على الاقدام ومن قرا يرتع بتسكين العين فهو من رتع
يرتع رتوعا ومن قرا بكسر العين فهو من ارتعى يرتعي ارتعا وهما في المعنى واحد ومن
قرا بيا الغايبة فيهما فقد جعل الفعل ليوسف انه يتفرج ويتقلب في الصحراء ويلعب
لعب الصبيان وحده وانا له لحافظون في حين لعبه من ان يناله سوء او يعثر او
يطوف بحيث يخاف عليه من الوحوش والهوام وقال القشيري اطمعوا يعقوب
في تمكينهم يوسف تمام تفرج يوسف وراحته من اللعب وطابت نفسه
بذهابهم اياه من عنده وان كان يشق عليه فراقه لكن المحب يوثر راحة محبوبه على
مشقة نفسه ولما ركن يعقوب الى قولهم وانا له لحافظون اتى من قبلهم حتى قالوا وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذيب كذلك يكون من سلم حبيبه الى عداته عض
بحسرتي بلايه وقال في كتاب عصمة الانبيا ما معنى اجابة يعقوب لبنيه في ارسال
يوسف معهم وقد سمع الرتع واللعب يدعونه ويحملونه وهو نبي مرسل فلا تحرز عن
اجابتهم قلنا انه عليه السلام عاملهم بالعشرة فيما لم يكن محرما على يوسف في حال صباه
والرتع واللعب اللذين كانا يدعونه اليهما لم يكونا معصية وان كانا مكروهين او
لغوين والنجبا الاجلة في معاملة الناس ومجاملتهم كانوا لا يختارون من الاعمال الا افضلها
ومن الامور الا كملها لكنهم اذا استقبلهم ممن دونهم لغوا واصابه بمكروه عاملوهم على
قدر احتمالهم فلم يكن من النجبا الاصفيا مذموما بحمل مرادهم في حين اخلاقهم استجلابا
منهم للذين عاملوهم الى الحق والهدى فان قال قايل بان يحيى عليه السلام فيما يروى
عنه عرف ذلك حتى دفع الاجابة للصبيان الى اللعب حتى مدحه الله تعالى فقال واتيناه
الحكم صبيا وهو ابن اربع سنين حيث قال ما للعب خلقت فهلا عرف يوسف ذلك
حتى كان يدفعهم قلنا انه عرف انه للعب لم يخلق ولكن يدفع كلامهم نفطما للاخوة التي
كانوا اكبر سنا منه ولم يظهر الاجابة بالكلام ولا بالعمل رتعا ولعبا فما بانه من حسن
عزته وقال الامام ابو منصور خاف يعقوب على يوسف الضيعة من جهة الجوع
بتركهم حفظ اوقات الاكل فامنوه عن ذلك بقولهم يرتع اي ياكل وخاف عليه اذ يكلفوه
امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم ويلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا
شدة وخاف عليه الضيعة بتركهم حفظه فامنوه عن ذلك بقولهم وانا له لحافظون حتى

استنقذوه من يديه وقالوا مالك لا تامنا هذا عتاب منهم لابيهم ومثله في القران ما
لكم لا تومنون بالله وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله وهذا عتاب الله مع عباده وقال
نوح ما لكم لا ترجون لله وقارا وهذا عتابه مع امته وقال وما لنا الا نتوكل على الله
وهذا عتاب الصالحين مع انفسهم وقالوا قولهم ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له
لحافظون تكلموا بثمان كلمات وفيها ثمانية انواع من الخطا قالوا ارسله وهذا امر والامر للابن
اباه خطا وقالوا معنا وهذا منهم روية انفسهم وهي خطا وقالوا غدا وهذا طول امل منهم
وهو خطا وقالوا نرتع وهذا حديث الاكل وحظ النفس وهذا من المتورعين خطا فاكلوا
ونلعب وهو من الانبيا خطا وقالوا انا وعظموا انفسهم وهذا من الكبرا خطا وقالوا لحافظون
راوا الحفظ من انفسهم وهو من الله فالاضافة الى العبد خطا واطلقوا هذا الوعد ولم يقولوا
ان شا الله وهو خطا لكن ستر عليهم ابوهم مع علمه بخطاهم شفقة عليهم وقوله
تعالى قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون الحزن
الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه وقالوا لعل تلك المواضع
كانت مسبعة فخاف ان يشتغلوا عنه بما يشتغل مثلهم فيغفلوا عنه فيعدوا عليه
ذيب فياكله وقال مقاتل وانما قال يعقوب ذلك لانه راى في المنام ان ذيبا انتزع
يوسف من يده وقال الامام ابو منصور وهذا لا يحتمل لان روييا الانبيا حق وصدق
فلا يحتمل ان راى ذلك ثم يقول واخاف ان ياكله الذيب ويدعه يذهب معهم لكنه
خاف عليه اكل الذيب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز اذ الخوف على الصبيان منها
والضياع عليهم يكون بالذيب اكثر من وجه اخر لانه جاير ان يفترسه سبع عند اشتغالهم لهم
بعمل وقال القشيري يقول اني ليحزنني ان تذهبوا به لاني لا اصبر عن رويته ولا طاقة
لي بفرقته وهذا اذا كانت الحال حال سلامته فكيف ومع هذا اخاف ان ياكله الذيب وفي
الخبر انما يسلط على ابن ادم ما يخافه ولما خاف يعقوب على ولده الذيب امتحن بحديث
الذيب وقوله تعالى لئن اكله الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون اي لئن قدر
على اكله الذيب ونحن فرقة نحيط به ونحوطه فلا يعجز مثلنا عن ذب السباع عنه انا
اذا لخاسرون اي مضيعون نحن اخانا فيذهب هدرا وكانا سلمناه الى الذيب وعرضناه
للضياع والخاسر في اللغة لقب مذموم تقاربت معانيه فمعنى الهالك ومعنى الضال
كما قال خسر الدنيا والاخرة ويعني عنه ما قال قالوا غير تضليل وكانه ضد المفلح والمفلح من نال المطلوب
وفاز بالخير والخاسر من لا خير فيه ولا فلاح له وحقيقته النقصان ومنه الخسران

الذي هو ضد الربح فالخاسر هو الناقص العقل والتدبير وقال القشيري حق في نوحق يوسف ما وصفوا به انفسهم من الخسران لان من باع اخاه مثل يوسف بمثل ذلك الثمن البخس لحقيق ان يقال خسرت صفقتك وفي كتاب عصمة الانبيا فان قالوا كيف يجوز من النبي المرسل الاشتغال بما دان الناس في كلامهم من نحو قوله اني ليحزنني ان تذهبوا به اي اخوه وان اسرار الانبيا كانت لله عز وجل غير مبقي فيها عن ذكره فكيف كان يحزنه امر يوسف قلنا هذا اظهار منه الشفقة على الولد والوالدان مامورات بالشفقة على الاولاد والشفقة عليهم لا تزيل حق الحق عن اسرارهم لان الشفقة قائمة برحمة الله تعالى ورحمته صفته لا يبعد عن الحق سرا وعلمنا قال الله تعالى لنبيه فبما رحمة من الله لنت لهم والا كان باطنه مصفى عن شوايب الشك وروايب الميل الى الاشيا دليله قوله وما اغني عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت اخبارا بان ما يخاطبهم يخاطبهم على قدر احتمالهم لعقولهم على ما جرت به العادات فيما بين الناس من استعمال الاسباب لا بالعذر وتسكين الخواطر من العلل وغيرها وقال بعض الحكما قيل البلا موكل بالمنطق وكان بلا يعقوب من ذلك قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب فقالوا فاكله الذيب وقال وانتم عنه غافلون فجعلوا ذلك عذرا لانفسهم فقالوا وتركنا يوسف عند متاعنا وكان يجتهد بذكر هذه الكلمات في حفظ الولد وحث الاخوة على ذلك فتكلم بما صار تلقينا لهم ماذا يفعلون فقد كانوا لا يدرون ماذا يصنعون به وماذا يقولون له فتلقنوا من كلماته عذرهم وتعلموا باشارته غدرهم وعن ابن عباس انه قال لما قال يعقوب واخاف ان ياكله الذيب قالوا ما سمعنا بذيب اكل انسانا فمن اين تقول هذا قال رايت منذ ليال كاني على قلة جبل ويوسف في بطن الوادي وقد احاطت به عشرة ذياب يريدون قتله فاردت النزول لانقذه فلم اجد الى ذلك سبيلا فبينما انا كذلك انشقت الارض فسقط يوسف فيها فهالني ذلك واستيقظت فاذا يوسف في حجري فقلت الحمد لله قال ابن عباس فالجبل حال يعقوب والذيب اخوة يوسف وانشقاق الارض وقوعه في غيابة الجب فقيل لابن عباس وهل كان يعلم يعقوب تاويل الرؤيا قال نعم قال ولو له فلم ارسله معهم قال اما سمعتم اذا جا القدر عمي البصر وقوله تعالى فلما ذهبوا به وههنا محذوف اي فارسل يعقوب يوسف معهم فلما ذهبوا به روي ان ابليس اتاهم فقال وهو في صورة شيخ وكانوا يدرون ذلك

في الشتا ليس هذا وقت الخروج به الى الصحرا فامكثوا حتى يجي الربيع فقولوا للاب طاب الزمان وتزينت الصحرا ويوسف في البيت لا يري ما نرى فاذن له يخرج معنا فيتفرج فلما جا الربيع جاوا الى يوسف وكلموه حتى رغبوه في ذلك وقالوا اذا سالنا ابانا ان ياذن لك فاجهد انت معنا في الاستيذان ففعلوا فتضرع يوسف الى ابيه في ذلك فاضطر فاذن له ليلا ان يخرج معهم غدا وكان طول الليل يبكي خوفا من فراقه فلما اصبح رجله وطيبه وبغلين الثياب جمله ولبس هو ثيابه فخرج معهم يشيع يوسف فلما خرج من درب كنعان الى شجرة كان عندها وداع المسافرين عانق يوسف وودعه وبكى وقال لاخوته لا تلوموني فاني اتوسم فيه اثار رايي وجدي واوصى يوسف يوصايا قال له تذكر الله بكل حال واذا وقعت في بلية فاستغن بالله واكثر من قول حسبي الله ونعم الوكيل فان جدك ابرهيم خرالقي في النار قال ذلك ولا تنسني فاني لا انساك ولا تضحك حتى تراني فاني لا اضحك حتى اراك وعاهد اخوة يوسف ان يطعموه ويسقوه عند الحاجة ويحملوه ولا يتعبوه فقبلوا منه ذلك واحتمله روبيل على عاتقه ورجع يعقوب فغابوا عنه فلما بعدوا عنه القاه عن عاتقه روبيل وقال امش كما تمشي ماشيا واغيا فقعد وقال عطشت فاسقوني فلم يسقوه وعجز عن المشي فاكرهوه ولما امتنع لطمه بعضهم وعنفوا عليه وقال ان رؤياك النجوم والشمس والقمر ساجدة لك استغث بهم واستغثهم واستحلهم **وقوله** واجمعوا قيل عزموا وقيل اتفقوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقذفوه واوحينا اليه قيل بشرناه على لسان ملك وقيل اوحينا اليه ارسلنا اليه بالنبوة وقال الحسن اعطاه النبوة وهو في الجب **وقوله** لتنبئنهم بامرهم هذا هذه بشارة موكدة تاكيد اليمين اي لتخبرنهم بما فعلوا بك وهو قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وهذا انبا توبيخ وهو بشارة له بمصيره امره الى ذلك وهم لا يشعرون وقال ابن عباس والحسن وابن جريج وهم لا يعلمون حين تنبئهم انك يوسف ن وقال مجاهد وقتادة وهم لا يشعرون حالة القايه في الجب ان الله اوحى اليه وبشره به سنة جل جلاله لا يفتح على نفوس اوليايه بابا من البلا الا فتح على قلوبهم ابواب الصفا وفنون لطايف الولا وقال الامام ابو منصور ويشبه ان يكون قوله واوحينا اليه اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وذلك قوله اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه علم انه حي بذلك الوحي وعلى ذلك قوله اني لاجد ريح يوسف وقوله الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون واختلفوا في جواب لما فقال اهل البصرة هو محذوف وتقديره عظمت

فتنتهم وكبير ما قصدوا اليه وقال اهل الكوفة الواو من واجمعوا ومن قوله واوحينا
او من قوله وجاءوا اباهم عشاء يبكون مقحمة زائدة ونظير هذا الاقحام قوله فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه وقال امرؤ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي
قفاف عقنقل وقيل جوابه قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق من غير اقحام وقال وهب
فجاءوا به الى راس جب وارادوا ان يلقوه فيه فتعلق بهم وتعلق براس الجب فتعلق
قميصه بصخرة فخلعوا قميصه فتركوه عريانا واوثقوا يديه بحبل لا يتعلق بشي ثم القوه
فيها فقال لهم ردوا علي قميصي استتر به في الجب فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر
حتى يستروك في الجب وكان ذلك الجب بالاردن في واد من اوديتها على راس ثلثة فراسخ
من منزل يعقوب وكان ماوها غليظا كدرا فلما القي فيها يوسف عذب ماوها وصفا
ووكل الله ملكا فوضع يوسف على صخرة نابتة في الجب وفقد يونسه وبكى يوسف فاشتد
بكاوه وبكى الجب لبكائه وكل شي سمع صوته من شجر او مدر او حجر وقيل اوثقوا وسطه بحبل
وارسلوه به فلما توسط الجب قطعوا الحبل فكاد يسقط فامر الله جبريل ان يدركه فادركه
واخذه وجر حجرا منه فجعله كسرير واجلسه عليه وقالت هوام البير بعضها لبعض لا
تخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبيا نزل بساحتكن فانحجرن الا الافعى فانها قصدت
يوسف وصاح بها جبريل فصمت وبقي الصمم في نسلها وعلم جبريل يوسف هذا
الدعا اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير
ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد يا لا اله الا انت سبحانك ان تجعل لي
فرجا ومخرجا وان تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان
تحفظني وترحمني يا ارحم الراحمين ثم رجع جبريل فلما غربت الشمس جاء يهوذا الى
راس الجب ونادى يا يوسف اخي انت ام ميت فقال يوسف من انت فقال
يهوذا وكيف حالك قال كيف يكون حال من ثكل امه وفقد اباه وجفاه اخوانه
واغترب من مكانه وهو جائع عطشان مهموم عريان ليس من الاحيا فوق الارض
ولا من الاموات تحت الارض فبكى يهوذا وارتفع بكاوه وقال له يوسف ان لكل
ميت وصية ووصيتي اليك الا تنظر الى شاب الا ذكرت شبابي ولا الى يتيم الا ذكرت
يتمي ولا الى غريب الا ذكرت غربتي فبكا يهوذا بكاء شديدا فسمع الاخوة بكاه
فاتوه وقالوا لولدا تبكي عليه وسدوا راس الجب بصخرة عظيمة فشكى يوسف حينئذ
وصاح صيحة بكى لها الملائكة السما وقالوا يا ربنا ارحمه فبعث الله جبريل ومعه اطعمة

واثربة

واشربة من الجنة ونور الجب وكان القميص الذي البسه جبريل ابرهيم في الهوا يوم القي
في النار وصل الى يعقوب وكان جعله في تعويذ وربطه على عضد يوسف فحله
جبريل فاخرجه وكساه وطيب قلبه بالبشارات وقال له يا تراه لتنبئنهم بامرهم هذا
وهم لا يشعرون قال القائل الدهر لا يبقى على حالة كذاك حال العبد في العسر اما ترى يوسف
في جبه في ضيق امره في البير وقوله تعالى وجاءوا اباهم عشاء يبكون العشا اخر النهار
الى نصف الليل ويبكون في معنى الحال اي يظهرون البكا الحزن على يوسف ويحتمل انهم
ندموا على ما فعلوا وقوله تعالى قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نترامى اينا اصوب
سهما وقيل اي نتعادى بالاقدام اينا اسرع عدوا وتركنا يوسف عند متاعنا اي
رحلنا فاكله الذيب وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا فيما نقوله ولو كنا صادقين اي
عند الناس لا نتهم بتضييع اخينا وذلك لسوء ظنك بنا واتهامك لنا فيه وقوله
تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب اي مكذوب فيه مصدرا اريد به المفعول به كالثقة
يراد به الموثوق به اي اخرجوا لقميص يوسف ملطوخا بدم كذبوا فيه قال ابن عباس
ومجاهد كان دم سخلة اوهموه انه دم ابنه قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي لم يصدقهم
فيما جاوا به من الدم وما اخبروه به من اكل الذيب اياه وقال لهم ليس الامر على ما تذكرون
بل سولت زينت لكم انفسكم امرا ففعلتموه وامرا كناية عن تضييعهم يوسف او اهلاكهم
اياه ولما لم يكن ذلك بينا عند يعقوب كنى عنه فقال بل سولت انفسكم امرا اردتم
ان تخلو وجهي لكم فغيبتم يوسف عني وقوله تعالى فصبر جميل اي فلي صبر جميل
او فمني كقوله فعدة من ايام اخر ودية مسلمة الى اهله اي فعليه ذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم صبر جميل لا شكوى فيه والله المستعان على ما تصفون اي استعين بالله
على كشف ما التبس علي من امركم وعن الشعبي انه قال كانت قصة يوسف كلها في
قميصه لما القاه اخوته في الجب نزعوا عنه قميصه وعمدوا الى سخلة فذبحوها
ولطخوا قميصه بدمها ثم جاوا به الى ابيهم فنظر يعقوب الى القميص وهو صحيح فقال
لبنيه ان كان كلبا حين اكل ابني ولم يخرق قميصه ولما شهد شاهد قال ان كان
قميصه قد من قبل الايات ولما اتى يعقوب بقميصه فالقي على وجهه ارتد بصيرا
وفي القصة انهم لما ابطوا على يعقوب كانت له جارية يقال لها صفرا فقال
لها خذي بيدي وانطلقي نستقبل يوسف فخرجا من كنعان وصعدا تلا ينظران
فلما اظلم الليل قال لها صيحي يا ولادي فقالت يا اولاد يعقوب هذا ابوكم

ينتظر كم فتسمعوا بذلك وهم في وادي مزقوا ثيابهم وجعلوا يصيحون يا يوسفاه يا حبيباه
فقال يعقوب ما هذا الصياح فاخبره بما يقولون فخر مغشيا عليه فنادتهم
صفرا اسرعوا فقد سقط الشيخ فجاؤوا وراوه كذلك فقالوا بيسما فعلنا ضيعنا
اخانا وقتلنا شيخنا واحتملوه الى بيته فلما افاق عند السحر فقال لهم اين يوسف
فقالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال ثم ماذا قالوا وتركنا يوسف عند متاعنا
فاكله الذيب فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا اي ذيب كله وفي هذه الرواية
كانوا حذروا ذيبا فاحضروه فقالوا هذا الذيب فقال للذيب لم اكلت ولدي فتكلم
الذيب وقال انا لا ندور حول غنمك فكيف ناكل ولدك قال فهل هو في الاحياء
قال نعم قال اين هو قال سل جبريل قال انه لا يخبرني قال واذا لم يخبرك هو فكيف
اخبر فقال لاولاده اسمعتم قالوا انصدق ذيبا وتكذبنا ونحن عشرة فقال جيئوا
بشي يدل على ذلك فيكون لي تذكرة عنه فذهبوا وعادوا عشاء وقد حملوا قميصه
ملطخا بدم شاة فاخذه ونظر فيه فاذا هو صحيح لم يخرق فقال هل كان يوسف في
هذا القميص قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يخرق هذا فخجلوا فقال لهم بل سولت
لكم انفسكم امرا ثم توجه الى الوادي وهو يقول يا ولدي وقرة عيني وثمرة فوادي
في اي جب طرحوك في اي بحر غرقوك باي سيف قتلوك باي ارض دفنوك فبكا
لبكايه الملايكة فجا جبريل وقال لقد ابكيت بكايك فقال فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون وفي كتاب عصمة الانبيا قال اضاف فعلهم الى تسويل انفسهم ولم تصرح
بالفعل عنهم فلم تقل فعلتم ما فعلتم وانتم ظالمون بل قال سولت لكم انفسكم وعفوكم
للايمان خالية عن قبول تسويل انفسكم فصبر جميل اي تسهيل الصبر اذا ما ملت
فعلكم انكم لم تكابروا في معتقدين ايذاي فيخف علي تحمل اذاكم فاصبر صبرا جميلا
وهو الذي لا جزع فيه وقد فعل كذلك عند الصدمة الاولى وفي حق الصبر
اذ لوعة المصيبة عند حدوثها اشد فاذا لم يخالف وعده بالصبر الجميل اذ لم يجزع
للحال وجزعه من بعد ذلك وقوله تعالى يا اسفى على يوسف لا يؤدي لما ذا كان فلا
يدل بدا الصبر على ان الجزع لا ينافي معنى الصبر قال النبي صلى الله عليه وسلم في وفاة
ابرهيم ولده القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب ابانا ان
صفة الانسان هو الضعف والعجز قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا ولان
جزعه كان لفوات تلك اللطايف التي كان اختص بها يوسف فكانت تؤثر في

سر يعقوب بتجلي تلك اللطايف وهي كانت رهابنة والعبد فيما ينوبه من نحو هذا اذا جزع
بما يعمي بصره ويذوب جسمه كان ممدوحا عليه فذلك على ان جزعه ان جعل على فوات يوسف
على ما قال يا اسفى على يوسف وحمل على ظاهره لم يبعد من الحكمة اذ الاشباح لها حرمة في ذات
الله ردا على المعتزلة فاذا جزع لفقد جسد اجل الله قدره فقد اجل لهم ما اجله الله فلم
يكن جزعه كجزع الغافلين لفقد الولد بحق الميل اليهم نهمة ورغبة في حظوظهم منهم وقال
الامام ابو منصور وفي الاية دلايل احدها ان من ارتكب صغيرة فانه يخاف عليه التعذيب ولا
يصير كافرا ومن ارتكب كبيرة لم يخرج من الايمان لان اخوة يوسف طرحوا بقتل يوسف وطرحه
في الجب والتغييب عن وجه ابيه واخلايه عنه وذلك لا يخلو منهم اما ان يكون صغيرة او كبيرة فان كانت
صغيرة فقد استغفروا عليها بقولهم يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب
عليها وان كانت كبيرة فلم يخرجوا عن الايمان حيث صاروا انبيا من بعد وصاروا قوما صالحين دل ما ذكرنا
على نقض قول المعتزلة في صاحب الصغيرة انه لا يعذب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان ونقض
قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب كبيرة او صغيرة صار به كافرا مشركا وفيه نقض قول من يقول ان من
كذب متعمدا او وعد فاخلف او اوتمن فخان فانه يصير منافقا لان اخوة يوسف اوتمنوا فخانوا ووعدوا
فاخلفوا وحدثوا فكذبوا ولم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذيب وما اكله وهو كذب واوتمنوا
فخانوا حين القوه في الجب ووعدوا انهم يحفظونه ولم يحفظوه فان قيل نروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ثلث من علامات المنافق اذا حدث كذب واذا اوتمن خان واذا وعد اخلف
فكيف يوفق بين الاية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان يكون هذا
في قوم خاص وهم قوما ادعوا في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فغيروه ووعدوا
ان يبينوه فاخلفوا وكتموه وحدثوا انهم يبينوه فكذبوا ويصيروا منافقا بما ذكرنا اذا كان
ذلك في امر الدين واما في غيره فانه لا يصير به منافقا ولا يكون ذلك من اعلام
المنافق والله اعلم وقال في قوله فصبر جميل فصبر اي كف النفس عن الجزع جميل لا
مكافاة فيه فانهم بما فعلوا كانوا مستوجبين ذلك وقوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا
واردهم فادلى دلوه وقال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون قرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو يا بشراي بالاضافة بالياء وقرا الباقون يا بشرى غير مضاف
والوارد السابق الى الماء للاستقاء منه وادلى دلوه ارسلها ليملاها ودلاها يدلوها
اخرجها ملاء ماء والاسرار الاخفا والبضاعة قطعة من المال تحمل للطلب ربحها
يقول وجاءت عير يسيرون الى موضع قيل كانوا يسيرون الى مصر جايين من الشام فانتهوا

الى ناحية بيت المقدس والجب هناك فارسلوا من يرد البير فيستقي لهم الما على اسمه القوافل فارسل
دلوه في البير فتعلق بها يوسف فراه الوارد فنادا اصحابه وهم بالقرب منه بالبشارة فقال
يا بشرى لكم هذا غلام عبد قد وجدته ومن قرا يا بشراي فمعناه يا بشارة لي ولما نادى اصحابه
وهم رفقة بالبشارة فنظروا اليه اسروه بضاعة اي قالوا في انفسهم نبيع هذا الغلام من ملك
مصر فنكون قد ارتفقنا بثمنه فتقدير هذا اسروا هذا في انفسهم جاعلين له بضاعة وقيل معنا
ان هذا الوارد ورفقته اخافوا ان ساير اهل العير ان علموا بالحال اشتركوهم فيه فتواطوا فيما
بينهم ان يقولوا اذا سالهم اهل العير عنه انه بضاعة استبضعناه بعض اهل الشام ليسلم
الغلام لهم من غير مزاحمة وقيل واسروه بضاعة هو فعل اخوة يوسف وكانوا بالقرب منهم
فجاوا وكتموا انه اخوهم وجعلوه عبدا احملوه بضاعة لانفسهم يبيعونه ولم يظهره يوسف
خوفا على نفسه من القتل الذي وعدوه به والله عليم بما كان الاخوة يعملونه او الملتقطون
من اسراره بضاعة اي ولو شا لغيره ولعجل ليوسف خلاصه لكنه امضى فيه سابق حكمه
على وفق علمه وارادته حيث جعل لكل اجل كتابا فامهلهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيخلصه
جيد قال كعب كانت بين مدين ومصر فاخطات الرفقة الطريق فعثروا على بير في
وسط مفازة ولم يكن البير على الطريق وانما كانت بير الرعاة يسقون اغنامهم منها
وقال القشيري لما اراد الله خلاص يوسف من الجب ازعج خواطر السيارة في
قصد السفر واعدمهم الما حتى احتاجوا الى الاستقا ليصل يوسف الى خلاصه وقد قيل
رب تشويش يقع في العالم والمقصود منه سكون واحد وقد قيل رب ساع لقاعد
وقال وهب كان يوسف في الجب ثلثة ايام واخوته بالقرب منه يحرسونه حتى
جات السيارة وهي رفقة من اهل مدين وهم ثلثماية وثلثة عشر نفرا فنزلوا قريبا من الما
فارسلوا واردهم مجلث بن رعويل فادلى دلوه وقال عثمان بن عبد العزيز الحيري وكان
سيد القوم مالك بن ذعر الخزاعي من العرب وقيل هو مالك بن ذعر بن نويب بن عيان بن
مدين بن ابرهيم من اهل مدين ابن اخي شعيب ووارده بشير وكان لمالك غلامان بشير وبشرى
فادلى بشير دلوه فتعلق بها يوسف فتعلق فيها وامسك الحبل بيده وطلع الغلام في
الدلو يتكلم بغير كلام السيارة لم يروا مثله حسنا وجمالا ونظرة وتماما فلما نظر الى الغلام
قال لصاحبه يا بشرى او قال لصاحبه يا بشرى واسروه بضاعة كتموه من القوم وقالوا
لاهل القافلة بضاعة استبضعنا اهل الما نبيعه لهم بمصر وكان ذلك باعين اخوة يوسف
فجاوهم وقالوا لهم لكم ان تشتروا منا هذا الغلام قالوا ومملوك هو لكم قالوا نعم قالوا حاشا

سيما هذا بمملوك ولا موسوم بالعبودية ولكنه موسوم بسيما الاحرار الكرام فما قصة هذا الغلام
قالوا ولد في حجورنا ونشا بيننا وربيناه بايدينا فاحبه ابونا واكرمه واثره ونعمه ورمقه
فصرف وجهه وغلب عليه فادركنا ما يدرك الناس من الغيرة والحسد وغاظنا ان يكون عبدنا
احب الى ابينا منا وليس هو بمملوك لابينا ولكنه ابن امة لامنا وقد وهبته لنا واذنت لنا
في بيعه وكرهت قربه من اجلنا فلما سمعت السيارة مقالتهم وراوا حالهم وحسن هيئاتهم
صدقوهم فاشتروه منهم فذلك قوله وشروه بثمن بخس اي باعوه يعني اخوته قال الله
تعالى ومن الناس من يشري نفسه وقوله تعالى بثمن بخس قال ابن عباس اي قليل والبخس في
اللغة النقص وقال ابن حيان اي زيف ردي وقيل اي حرام لان ثمن الحر حرام وقوله
تعالى دراهم معدودة بدل عن ثمن بخس قال ابو بكر بن عبدوس هذا يدل على انه كان من
ثلثة الى عشرة لان ما فوقه من العدد لا يسمى دراهم وقيل انها لقلتها عدت ولم توزن وقيل
كانت اربعين او دونها وكانوا يعدون ما دون الاوقية ويزنون ما فوقها والاوقية اربعون
درهما واكثرهم على انها كانت عشرين وهو قول ابن عباس وقتادة وعكرمة وعطية وكانوا
عشرة فاصاب كل واحد منهم درهمين وقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين اي كان الاخوة
غير راغبين في ثمنه وقيل في عينه وقيل وكان المشترون في شرايه غير راغبين لان الاخوة
وصفوه بالاباق وقيل لم يخطر ببال المشترين معقد الفسق مع صباحته وملاحته وفي
القصة انهم لما عرضوه للبيع قال مالك ليس معي نقد كثير فقالوا انت تملك بما معك فكان معه
عشرون درهما للنفقة فاشتراه منهم بها وطلب مالك منهم كتابا لشراه فكتب روبيل باسم الله ابرهيم
هذا ما اشترى ابو دلامة مالك بن ذعر الخزاعي مملوكا من ال يعقوب بعشرين درهما نصفها
عشرة دراهم واعطاهم عهده وميثاقه الذي اخذ على انبيايه ورسله امانة في ذمته ان لا يلبسه
الا المسوح ولا يطعمه الا القوت ولا يحمله الا على بعير وكاف ولا يطلقه حتى يدخل مصرا ويقبض
ال يعقوب الثمن واخذ مالك العبد واشهدوا بذلك على انفسهم اصحاب العير من التجار
وقال الامام ابو منصور قيل بثمن بخس اي باعوه بثمن لا يباع مثله بمثله وكانوا فيه
من الزاهدين قيل اي المشترون لما خافوا ذهاب الثمن ان كان مسروقا وقال القشيري
ليس العجب ممن يبيع يوسف بثمن بخس العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس قال ويقال ليس
العجب ممن يبيع يوسف بثمن بخس العجب ممن يبيع وقته الذي هو اعز من الكبريت الاحمر
بعرض من حطيم الدنيا قال ويقال ان السيارة لم يعرفوا قيمته فزهدوا في شرايه
بثمن بخس والذين وقفوا على جماله وشي من حاله غالوا بمصر في ثمنه حتى اشتروه بزنته

دراهم وقيل بعشرين درهما وقيل باربعين درهما وفي معناه انشدوا ان كنت عندك يا مولاي مطرحا فعند غيرك محمول
على الحدق وقوله وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا قال وهب فانطلقت السيارة حتى وردوا به مصر فرفعوه الى سوقها يعرضونه للبيع
فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا وتنافسوه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه
حريرا فوزن فبلغ اربعمائة رطل وهو يومئذ غلام ابن ثلث عشرة سنة وقيل ابن ثمان عشرة
سنة وقيل ابن تسع عشرة فاشتراه بذلك رجل من القبط يقال له قطفير وهو عزيز مصر
وهو امين اهل مصر في انفسهم وامين فرعون وخازنه على كل شيء بملكه وحوزه وكاتبه وكان
قطفير مؤمنا معروفا بامانه وكان شرط على الملك ان لا يصده عن دينه ولا يدعوه الى غيره ليعمل
له وكان رجلا صالحا وقيل وان الملك فرعون موسى يدل عليه قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل
وهو غير بعيد لان فرعون عاش اربعمائة سنة وقيل بل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف
وهو الوليد بن الريان رجل من العمالقة وقيل نقل العزيز للملك بن دعر هذه الاشياء قال يوسف
للملك لا تاخذ هذه الاشياء ثمنا عتقي فاي حر وبين له نسبه فقال ما لك لم لا تخبرني بذلك
فقال كان لم يمكن فاي العزيز فقال لا يصلح لملكي وانا تاجر من تجار ولا يليق والمستظل بظل
دولتك انا ربح عليك واني اشتريته بعشرين درهما فلا اخذ منك الا هذا القدر ولولا
انك لم تزمني بامتناني عليك لم اخذ منك شيا فاحسن الى هذا فانه اهل للاحسان ثم جاء
الى يوسف وقال اني قد عملت بقولك وبينا مصالحه فاقض حاجتي قال وما حاجتك
قال انا رجل لا ولد لي فادع الله ان يرزقني ولدا فنظر يوسف الى جبرئيل مستقبلا يقول له
ادع الله للتاجر فانه قريب مجيب فقال لما اقول فقال قل يا من يعز ويذل يا من يضع ويرفع
يا من يعطي ويمنع يا من هو على كل شيء قدير ارزق الشيخ اولادا ذكورا قال ابن عباس
فاستجيبت دعوته وكان لمالك بن دعر اثنا عشرة جارية فرجع اليهن وباشرهن فحملت
كل جارية وولدت ذكرين فاجتمع له اربعة وعشرون ابنا الرعبي والسندي والسندزي
والاخيل والبلندي والمهذب والمصفى والاصنغ والصحصح والخصم والمشرف ومصدع
والتبدع والرحال والذنال وسنبي وبتطي وبهنس وعسعس والعلس والعدن والملادس
والعلاس والعزيدس ولما اشتراه العزيز وحمله الى بيته قال لامراته زليخا اكرمي مثواه اي احسني
مقامه وانزليه منزلة من يكرم عسى ان ينفعنا بالاعانة لنا على امورنا التي نليها ويكفينا بعض
اشغالنا فنرتفق به ارتفاق العبيد او نتخذه ولدا اي نتبنيه وهذا يدل على انه لم يكن لهما ولد
ويحتمل انه كان والتمسا الزيادة اوتوسما في يوسف ما كان مغدوما في اولادهما وكان الله

البس يوسف في تلك الحالة لباس مثله ممن قراعته لاصطفا به وقيل اصدق الناس
فراسة ثلثة العزيز حين قال عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب حين قالت
يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر الصديق حين استخلف
عمر قاله عبد الله بن مسعود وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي وكما
خلصناه من كيد اخوته ومن الجب ملكناه ارض مصر ولنعلمه من تاويل الاحاديث هو
عبارة الرؤيا وغير ذلك مما فسرناه في اول السورة فيصير الملك بها والنبي المبعوث لها
وقوله تعالى والله غالب على امره اي امر نفسه لا يغلبه على ما يريد امضاءه احد ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لاعراضهم عن التفكر في اياته والاستدلال بها على كمال قدرته ونفاذ
مشيته وقيل والله غالب على امر يوسف يدبره بما لا يعانه فيه احد ويبلغه المنزلة التي
يبلغها اياه ويحقق فيه رجاء ابيه اذ قال له وكذلك يجتبيك ربك الاية ولكن اكثر الناس لا
يعلمون تدبير الله فيه ويجهلون قدرته عند الله وقال القشيري لما نودي على يوسف
في مصر ببيعه لم يرض الله تعالى حتى اصابتهم الضرورة حتى باعوا من يوسف جميع املاكهم
ثم باعوا انفسهم منه في اخر امرهم طلبا للطعام فصاروا جميعهم عبيدا له ثم انه لما ملكهم
من عليهم فاعتقهم فلئن مر عليه يوم بمصر نودي عليه بالبيع اصبح بمصر يوما اخر وقد
ملك جميع املاكهم وملك جميع رقابهم فيوم بيوم قال الله تعالى ان مع العسر يسرا يومان
شتان ما هما ثم انه اعتق جميعهم وكذا الكريم اذا قدر عفى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ان من حسده اراد ان لا يكون له فضل عليهم في دار نشته على اخوته وذويه واراد الله ان يكون
له ملك الارض فكان ما اراد الله لا ما اراد حساده فلذلك قال الله تعالى والله غالب على امره اراد حسدته
ان يكون يوسف في الجب واراد الله ان يكون على سرير الملك فكان ما اراد الله والله غالب على
امره وارادوا ان يكون يوسف عبدا لمن باعوه منه من السيارة واراد الله ان يكون عزيز
مصر فكان ما اراد الله والله غالب على امره وقوله تعالى ولما بلغ اشده قال ابن عباس
عشرين سنة وقيل ثمان عشرة سنة يقول ولما بلغ يوسف منتهى شبابه وكمال قوته وفور
عقله اتاه الله حكما وعلما اي حكما بين العباد بالنبوة وعلما بالدين وبتاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين وهكذا نجزي من احسن عمله فلم يخلطه بشرك ولا معصية قيل
المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صار الى العلو على قومه ونفاذ الحكم والسلطان
عليهم كما فعل بيوسف وقال ابن عباس وكذلك نجزي المحسنين اي المؤمنين وقال
الضحاك اي الصابرين على النوايب وقال في قصة موسى ولما بلغ اشده واستوى

اتيناه ولم يقل ههنا ان موسى اوحى اليه عند سنى الاشد والاستواء وهو اربعون سنة واوحى الى يوسف عندا وله وهو ابن ثمان عشرة سنة وقال الامام ابو منصور وكذلك نجزي المحسنين يحتمل احسان الاعمال ويحتمل الاحسان الى الناس ويحتمل الاحسان الى نفسه ويحتمل احسان صحبة نعم الله والقيام بشكره وقال القشيري من جملة الحكم الذي اتيه الله نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا الى نفسه ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره قال وقيل لما استوى شبابه وكان وقت استيلاء دواعي مطالبات البشرية اتيه الله الحكم الذي ثبته على الحق وصرفه عن الباطل وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال الامام ابو منصور دلت الاية ان البيت قد يضاف الى المراة وان كان في الحقيقة لزوجها وهو دليل اصحابنا فيمن حلف لا يدخل دار فلان فدخل دارا هو ساكنها يحنث لاضافتها اليه والمراودة فعل بين اثنين يريد احدهما الاخر على شيء فيجري في ذلك مدافعة وممانعة ماخوذ من الارادة وهي المشية ومن الرود وهو الطلب يقول طالبت زليخا يوسف بمساعدتها على ارتكاب الفحش منها ويجوز ان يكون مشتقا من الرويد وهو التمهل والترفق فالمراودة هي المطالبة على الترفق والتمهل ومعنى عن نفسه اي من اجل نفسه تقال فلان يخاصم عن فلان ويجادل عن فلان ويتكلم عن فلان اي من اجله وغلقت الابواب التشديد لتكثير المحاولة وهي الابواب وانما غلقتها لئلا يفجاءها احد ولئلا يتخلص يوسف عنها ولترجوا ان يجيبها وتكون اسباب الخلوة حاصلة وقالت هيت لك اي تعال وهلم الى ما هو لك وقد يوصل بلك وقد لا يوصل انشد ابو عمرو بن العلاء، ابلغ امير المومنين اخا العراق اذا اتيت، ان العراق واهله، عنق اليك فهيت هيت، وهي للذكر والانثى والواحد والاثنين والجمع سواء وقيل هي كلمة حث واقبال على الشيء واصله الجلبة والصياح وقد هيت فلان بفلان قال الشاعر، وقد رابني ان الكري اسكتا، لو كان معنيا بها لهيتا وفيها ست قراءات قرا اهل العراق هيت لك بفتح الهاء والتاء وقرا يحيى بن وثاب هيت لك بكسر الهاء وضم التاء وقرا نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وقرا اهل المدينة وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء وقرا ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء وقرا عكرمة هئت لك بكسر الهاء وضم التاء وهمز الحشو منه اي تهيات لك وقوله تعالى قال معاذ الله اي اعوذ بالله ان اجيب الى هذا وقوله تعالى انه ربي اي زوجها سيدي بحكم الرق ظاهرا احسن مثواي اكرم مقامي وقال لامراته اكرمي مثواه قال مجاهد وابن اسحق والسدي اي زوجها بسط يدي ورفع منزلتي وكذا

قال

قال الحسن وقال الزجاج يجوز ان يكون معناه ان الله ربي احسن مثواي عودني الاحسان اليّ حيث ثويت منذ فارقت ابي فلن اظلم نفسي بالمعصية انه لا يفلح الظالمون وعلى القول الاول فلا اخون العزيز وقد احسن اليّ فاكون ظالما له ولنفسي اي لا يامن من عذاب الله الزناة وقال الامام ابو منصور لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم فاذا تركوه وتابوا عنه افلحوا وقال في قوله هيت لك يحتمل ان يكون معناه هنا لك قال وقيل لغة عبرانية ذكروا ان زليخا هويت يوسف وهامت بحبه فنحل بدنها وتغير لونها وذهب قرارها ونومها وارتاب اهل بيتها في امرها فسالها الظير عن ذلك فبثت لها حالها واستغاثت بها على بلوغ مرادها من يوسف فقالت لها اخبريه عما في قلبك واعرضي عليه جمالك قالت انه لا يدنوا مني ولا ينظر الي ولا يفتح عينيه اذا دخل الدار قالت فانا احتال لذلك لكن لا بد من مال كثير فبذلت لها ما سالت فاتخذت بيتا من رخام مملس على سقفها وحوائطها صورة يوسف وزليخا ولما تم ذلك هيات البيت بالوان الفرش وزينتها بالاواني والحلي ولبست الحلل وتوجت بتاج مرصع وجلست على سرير ذهب مرصع باليواقيت وعليها انواع الحلي ودعته فجاء وهو لا يعلم فلما دخل البيت اغلقت عليه الابواب وهي سبعة بيوت بعضها في بعض وقالت له يا يوسف ما احسن وجهك قال في الرحم صورني ربي قالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء يسقط مني في قبري قالت يا يوسف ما احسن عينيك قال بهما انظر الى ربي قالت يا يوسف ارفع بصرك فانظر الي قال اخشى العمى في اخر عمري قالت يا يوسف لم تباعد عني قال اريد بذلك الاقتراب من ربي قالت يا يوسف القيطون فادخل معي قال البيت لا يستترني من ربي قالت يا يوسف فراش حرير مهدت لك ثم فاقض حاجتي قال اذا يذهب من الجنة نصيبي قالت يا يوسف جعلت تجتري على سخطي قال ارجوا بذلك مرضاة ربي قالت يا يوسف عبدا اشتريتك فانت تتعاظم علي قال بجرمي وخطيئتي اشتريتني قالت يا يوسف ليتني لم اعرفك قال ذلك فعل اخوتي بي قالت يا يوسف ضع يدك على صدري قال لا اصبر على احتراق جسدي قالت يا يوسف الجنة قد عطشت فقم فاسقها قال الذي بيده مفاتيحها احق بسقيها مني قالت يا يوسف عبدا اشتريتك فجعلتك بمنزلة زوجي قال وكيف ازرع في ارض غيري قالت يا يوسف لا سلمنك الى ايدي المعذبين فيسلخون جسمك كما سلخت جسمي قال لا باس اذا كان ربي راضيا

جامعة الملك سعود
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

عني قالت باي علة امتنعت عني قال بحق اثنين بحق الهي الذي في السما ملكه وبحق
سيدي الذي في الارض سلطانه علي وعليك قالت يا يوسف اما سيدك الذي في
الارض سلطانه فاني اخذ كاس الزبرجد بيميني وابريق الذهب بيدي فاسقيه الكاس
الاولى فيسقط لجنبه بين يديه فاجعله في قطيفة فادفنه تحت اساس بيتي واما الهك
الذي في السما ملكه فان لي من الجواهر ما لا تطيق حمله واني فاتصدق به عنك فيغفر
لك الهك الذي به تخوفني فغلبته بالكلام فلم يدر جوابا فقال معاذ الله ان من ارتكب
حراما سود الله في القيمة وجهه وهتك على رؤوس الاشهاد ستره واحرق بالنار جسمه
فلا تطلبيني ولا تسودي في القيمة وجهي ولا تخجليني يوميذ عند ابي واني ولا تسخطي
علي ربي ولا تسلطي نار جهنم على جسمي فحينيذ غلقت الابواب وارخت الحجاب وقال
القشيري لما غلقت ابواب الحجرة فتح الله عليه ابواب العصمة فلم يضره ما اغلقت بعد ما اكرمه
بما فتح وقيل ان يوسف قال لها ان العزيز امل مني ان اتقيه حيث قال عسى ان ينفعنا
فلا اخونه في حرمه بظهر الغيب منه وقيل لما حفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب منه اكرمه
الله سبحانه بامداده بالعصمة في الحال ومكنه من مواصلتها في المال على وجه الحلال
وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا
انه من عبادنا المخلصين قرا عاصم وحمزة والكسائي المخلصين بفتح اللام والباقون بكسرها
اي ولقد عزمت زليخا على ذلك وعقدت قلبها عليه فاما يوسف فلولا ان راى برهان
ربه لهم بها فقوله هم بها معلق بالشرط المذكور بعده ولما اراه البرهان لم يكن له منه هم بها
وصرفه الله عن السوء والفحش كما ذكره في اخر الاية وقال الامام ابو منصور اما مقالة اهل
التفسير انها استلقت له وهم بها حل ازاره واشباه هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان
يقال والدلالة على نفي ذلك وجوه احدها قوله هي راودتني عن نفسي والثاني قوله
لنصرف عنه السوء والفحشا والثالث قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والرابع قولهن ما
علمنا عليه من سوء والخامس قولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه فهذا كله دليل انه لم
يكن منه شي مما قالوا من قليل ولا كثير اذ ليس فيه شي سوى ان همت به وهم بها ثم تحتمل الاية
وجوها عندنا احدها همت به هم عزم وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب
وهو قول الحسن والثاني همت به هم الارادة والتمكين وهم بها هم دفع لكن يدخل
على لولا ان راى برهان ربه فلو كان هم بها هم دفع لم يكن لقوله لولا ان راى برهان
ربه معنى لكن يشبه ان يكون هم بها قتلا او ضربا بتوهم ان يفضي الى القتل فراى برهان

ربه فترك ذلك لما لا يحل له قتلها والثالث انه معلق بالشرط لولا ان راى برهان ربه
وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وعلى ذلك يخرج قوله
بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان ينطق لفعل ذلك واختلف
في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه ماذا كان عن ابن عباس انه ناداه جبريل يا يوسف
يا ابن يعقوب اسمك في الانبيا مكتوب فلا تكونن عملك عمل الفجار وقيل كان فيما ناداه
ان الطير في جو السما لا تقدر عليه فاذا مات لعب به الصبيان في الارض وان الثور
الصعب لا تقدر عليه فاذا مات دخل النمل في قرنيه فذلك مثلك ان واقعت الخطيئة وقيل
تمثل له جبريل في صورة ابيه يعقوب عاضا شفتيه او اصبعه فهاب وبادر الباب
وقال محمد بن كعب القرظي راى على سقف البيت مكتوبا ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وسا سبيلا وقال مقاتل بن حيان سمع صوتا اياك وموافقتها فانك ان
وافقتها صرت كالطير الوضاي في الارض القفار بلا ريش وقال جعفر الصادق
البرهان النبوة التي اودع الله صدره هي التي حالت بينه وبين ما يسخط الله وقيل نظر
الى الحايط فراى قلما يكتب على الحايط بسم الله الرحمن الرحيم ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وسا سبيلا فحول وجهه الى حايط اخر فراى القلم يكتب بعد التسمية كل نفس بما
كسبت رهينة فحول وجهه الى الثالث فراى ذلك القلم يكتب بعد التسمية وان عليكم
لحافظين فحول وجهه الى الرابع فراه يكتب بعد التسمية يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور
فنكس راسه فراه يكتب على الارض انني معكما اسمع وارى فنظر الى السقف فراى
صورة ابيه ينظر اليه عاضا على مسبحته مشيرا اليه بالهرب فبادر الباب وقوله
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا اي كذلك فعلنا لنصرف عنه الزنا والسوء في
القران على وجوه احدها الشدة قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب والثاني الغارة والهزيمة
والجرح قال الله تعالى لم يمسسهم سوء والثالث الشتم قال الله لا يحب الله الجهر بالسوء
والرابع الذنب قال الله تعالى لمن عمل منكم سوءا بجهالة والخامس القتل قال الله تعالى
ولا تمسوها بسوء والسادس العذاب قال الله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
والسابع الشرك قال الله تعالى ما كنا نعمل من سوء والثامن البرص قال الله تعالى بيضا
من غير سوء والتاسع الضر قال الله تعالى ويكشف السوء والعاشر بمعنى بيس قال الله تعالى
ولهم سوء الدار والحادي عشر الزنا قال الله تعالى لنصرف عنه السوء وقوله تعالى والفحشا
اي الفعلة القبيحة وهي الزنا وكرر لاختلاف اللفظين كما في قوله تعالى يعلم سرهم

ونحواهم ويجوز ان يكون السوء دواعي الزنا والفحشاء عينه والدواعي هي المس والقبلة والعناق
ونحو ذلك وقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين بكسر اللام هم الذين اخلصوا انفسهم
وقلوبهم واعمالهم لله تعالى والذين صفوا اعمالهم واقوالهم واحوالهم عن الشوائب وبفتح
اللام الذين صفاهم الله عن الكدورات واصطفاهم بالكرامات وقوله تعالى واستبقا
الباب اي تعاديا الى الباب يطلب كل واحد منهما السبق على صاحبه هي تريد ان تسبق
فتطرده وهو يريد ان يسبق فيتخلص منها وقوله تعالى وقدت قميصه من دبر اي
تعلقت بذيل قميصه تجذبه فشقته طولا ورجل مقدود ذاهب في جهة الطول على
استواء ووقع ذلك منها في قميصه من ورائه وقوله تعالى والفيا سيدها لدا الباب
اي وجدا زوج زليخا عند باب الدار والسيد الزوج بلغة القبط وفي الحديث تفقهوا قبل
ان تسودوا اي تتزوجوا فتشتغلوا وقوله تعالى قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
قالت زليخا دفعا للتهمة عن نفسها ما جزاء من اراد باهلك سوءا يوهم من هذا انه اراد بها
فجورا ولم يكن كذلك ولم تتعمد صريح الكذب لكن تكلمت بالتعريض وهو في الحقيقة استفهام
عن جزاء من يريد باهله ذلك لا تحقيق انه فعل بها فلو اتمت خافت عليه القتل اذ علمت
في زوجها الغيرة فقالت الا ان يسجن اي يحبس ثم علمت انه لا يرضى بهذا القدر من
العقوبة اذا وقع عنده انها صادقة فضمت الى ذلك امرا اخر قد يصغر وقد يكبر
احتيالا للتسكين فقالت او عذاب اليم ولما سمع يوسف ذلك وعلم ان السكوت
يفضي الى وقوع الوهم انه وجد منه الفجور وما ينبغي للمسلم ان يرضى بلحوق
هذه التهمة اياه فكيف بالصديق بن الصديق والنبي بن النبي فصدق لاظهار براءة
نفسه وتاسيس قواعد دعوته اباهم الى التوحيد والشرائع فقال بل هي فعلت
ذلك وهو قوله تعالى قال هي راودتني عن نفسي قال وهب فلما هرب منها
اتبعته فتداركته عند الباب وروي ان الابواب المغلقة والمقفلة كانت تتساقط
اقفالها ومغاليقها حتى خرج وادركته زليخا عند الباب فاخذت بذيله وهو
يجاذبها ليخرج وهي تجره من خلفه ليرجع فانشق قميصه من دبر والفيا
زوجها عند الباب فقال ما شانكما قالت اذ دخلت لشانا عاديا وائتمنته على اهلك
فاغلق علي الباب وانا نائمة فلما شعرت الا وهو يريد ان يدخل فراشي فنبهت اليه
من نومتي لاخذه فبدرني الى الباب فاراد ان يابق مني من اجل ما فعل فلا تراه
ابدا فقال العزيز خنتني يا يوسف في اهلي وغدرت بي وغررتني بما كنت ارى

من صلاحك وما كنت تظهر لي من امانتك وعفافك قال يوسف هي راودتني عن
نفسي وغلبتني وغرتني وهذا قميصي مشقوق من خلفي حين وليت منها هاربا وفي كتاب
عصمة الانبياء انها لو كتمت ذلك لكان يكشف سرها فلما احالت بالذنب عليه لم يجز ان يعرفه
خائنا فيسوء ظنه حتى اذا عرف براءته علم ان امرأته لم تباشر الفعل فينفر طبعه عنها بل كانت
منها المراودة لا المباشرة ووجه اخر انها لو كتمت لكان يوسف يظهرها تاديبا لها والتماسا من
زوجها التغيير عليها لتدوم صيانتها في بيته وقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها وهو اخوها
وكان زوجها وامينه وكان عدلا امينا فقال ان كان قميصه الاية وقال مقاتل كان
ابن عمها رجلا ذا لحية وكان ابن عم المراة وقال مجاهد كان صبيا في المهد وكان ابن خال
المراة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة من الصبيان تكلموا في المهد شاهد يوسف وعيسى بن
مريم وصاحب جريج الراهب وقوله تعالى ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين لانه يدل على انه كان مقبلا عليها يريدها وقوله تعالى ان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انه كان هاربا منها وهذا دليل
على ان بناء الحكم على ظاهر الحال جائز عند عدم الوصول الى دليل الحقيقة وعليه كثير من
مسائل اصحابنا في مسائل التحري وقبول قول الناس وقول من يشهد له الظاهر اذا اختلفا
في متاع البيت ونحو ذلك وقوله تعالى فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
اي احتيالكن في معاشر النساء على الرجال اذا عملوا بخلاف مرادكن قيل هو قول الزوج
لها وقيل هو قول الشاهد على قول من زعم انه بالغ وقوله تعالى ان كيدكن عظيم الضرر
وقيل اي انه غالبا للتمويه وسمى كيد الشيطان ضعيفا وكيد النساء عظيما لان ذاك
سر وهذا جهر وذاك وحي وهذا مع كيد الشيطان وذاك يفر بالاستعاذة وهذا
لا يفر وذلك مع الله وهذا معك وقوله تعالى يوسف اعرض عن هذا اي قال
زوج زليخا وقيل قال ذلك الرجل الشاهد يا يوسف اعرض عن هذا الكذب فلا تذكره لاحد
وهو سترا لها وهو المستحب المندوب اليه ان لا يفشي سر اهل بيت خصوصا صاحبه ومالكه
وقيل اي لا تبال به وطب نفسا فقد ظهرت لي براءتك واستغفري لذنبك اي قال لزليخا
استغفري الله وهي وان كانت مشركة فهم يقرون بان الله خالقهم وانهم يعبدون الاصنام
ليقربوهم الى الله زلفى فيعتقدون استغفار الله من الذنوب وقيل بل قال لها الشاهد استغفري
لذنبك اي اعتذري من زوجك وسليه ان يستر انك كنت من الخاطئين اي الخائنين في حق
الزوج وقال القشيري ليس كل احد اهلا للبلاء ان البلاء لارباب الولاء واما الاجانب

فيتجاوز عنهم ويخلي سبيلهم لا لكرامته محلهم ولكن لحقارة قدرهم هذا يوسف عليه السلام كان
بركة الساحة وطهارة الكل طهارة جانبه فابتلي مع هذا بالسجن واما امراة العزيز فقد ظهر
للعزيز سوء فعلها حيث قال انه من كيدكن واقتصر في حقها ان تستغفر من ذنبها ولم ينزل
بها شي من البلا ويفعل الله ما يشا **وقوله** تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود
فتاها عن نفسه اي انتشر خبر امراة العزيز وميلها الي يوسف وقال جماعة من النسا في
مصر امراة العزيز اي زوجة خازن الملك وكان يسمي عزيز اللقب الملك اياه به او علي معني
انه عزيز عند ملكه مكرم لديه او علي معني منعته بكثرة حشمه واعوانه تراود فتيها اي عبد
زوجها والعبد يسمي فتا والامة فتاة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي
ولكن ليقل فتاي وفتاتي واضيف من اعتقدته عبد زوجها اليها لطاعته لها وتصرفه
فيما يصلح لها من اسباب المنزل وعلي هذا عرف الناس في اضافة ما يملك احد الزوجين الي الاخر
وقد يضاف الي جميع اهل البيت فيقال عبدهم قال عمر في عبد سرق مراة زوجة مولاه
ولم يقطعه عبدكم سرق متاعكم **وقوله** تعالى قد شغفها حبا اي اصاب شغافها كما يقال
كبده وراسه وبطنه وظهره اي اصاب هذه الاعضا وقال السدي وابو عبيدة شغاف
القلب غلافه وهو جلدة عليه اي دخلها الحب واصاب القلب وقال الحسن هو باطن القلب وقيل
وسط القلب وقرا الشعبي وابو رجا العطاردي قد شعفها بالعين المهملة من تحتها ومعناه
اذهب قلبها حبا اي بالحب نصبا علي التفسير **وقوله** تعالى انا لنريها في ضلال مبين اي نراها
في مراودة عبدها في ضلال من الراي وعدول عن موجب العقل الي غيره اذ صارت في
جلالتها وعلو حالتها تراود عبد زوجها بارتكاب الفاحشة قيل ارادت بهذا الكلام الوصول الي
النظر الي يوسف قال وهب كن اربعا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة
صاحب السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد امراة الحاجب **وقوله** تعالى فلما سمعت بمكرهن
اي بحيلتهن لتريهن يوسف وقيل انها كانت افشت اليهن امر يوسف واستكتمتهن فلما تحدثن
به ارادت ايقاعهن فيما كانت وقعت فيه فدعتهن ففعلت ما فعلت **وقوله** تعالى
ارسلت اليهن اي تدعوهن الي دارها للطعام كالمراة تضيف صواحبها **وقوله** تعالى
واعتدت لهن متكا اي هيات لهن مجلسا للطعام متكئين فيه علي الوسايد ونحوها فعل
المتنعمين من الاتكا قبل الطعام وبعده وقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا
وقرا مجاهد متكا بسكون التا من غير همز والمتك الاترج وقيل الزماورد وهو قول
الضحاك وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا ثم قال القتبي كل ما قطع

بالسكين

بالسكين فهو عند العرب متك وقد بتك ومتك اي قطع والبا والميم يتعاقبان يقال
اغبطت عليه الحمى واغمطت اي لزمته وسمد راسه وسبده اي استاصله بالحلق وضربة
لازم ولازب **وقوله** تعالى واتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا
لتعالج به ما يحتاج الي قطعه مما قدم اليهن من الطعام والفواكه وهكذا فعل الاعاجم
يوضع عند كل من علي المايدة سكين يقطع به اللحم وغيره **وقوله** تعالى وقالت اخرج
عليهن وذلك في حال ما كن يعالجن بالسكين فلما خرج عليهن نهتن واعترتهن من
روعة جماله وهيبة جلاله ما قطعن بالسكين ايديهن **وقوله** تعالى فلما راينه اكبرنه
اي فخرج فلما راينه اعظمنه وليس قول من قال اكبرن اي حضن بشي لانه غير معروف
لغة قال اكبرنه نعداه بالها والحيض لازم **وقوله** تعالى وقطعن ايديهن قال قتادة
ابن انا ملهن وقيل القين مفاصلهن وقال مجاهد فما احسسن الا بالدم ولم يجدن من
حز الما لما اشتغل خاطرهن بيوسف وقال وهب كن اربعين امرة وبلغني ان تسعا من
الاربعين متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف وحبا له **وقوله** وقلن حاش لله اي معاذ
الله ان نقول هذا بشر **وقوله** ما هذا بشرا اي ليس هذا ادميا **وقوله** تعالى ان هذا الا
ملك كريم اي ما هذا الا ملك مكرم علي الله والناس اذا راوا من له روعة وجمال
رايق قالوا كانه ملك كما يقولون في ضده انه شيطان وانه ابليس قال الشاعر
ولست بانسي ولكن لملك ٭ تنزل من جو السما يصوب ٭ وفي قراة بعضهم ما
هذا بشرى بكسر البا والشين والشرا مصدر ومعناه المفعول اي ليس هذا بمشترى ان هذا
الا ملك كريم بكسر اللام اي ليس بمملوك بل هو من الملوك وقال قايل
٭ غابت صفات القاطعات اكفها ٭ في شاهد هو في البرية ابدع ٭
٭ فقبن من اوصافهن فلم يكن ٭ من نفسهن تلذذ وتوجع ٭ **وقوله** تعالى
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لما رات امراة العزيز انهن افتتن بيوسف وجدت موضعا
للعذر فقالت ذلكن الذي لمتنني فيه ويحتمل فهذا ذلكن الذي لمتنني فيه وقلتن ما
قلتن ثم اعترفت بانها راودته عن نفسه فاستعصم اي امتنع وتحفظ عن اجابتي
فهذا يبطل قول من قال قصد اجابتها وحل ازاره ثم اعترافها من افتتان الشوق
زيادة شغف به فهتكت جلباب الحيا وعادت بحضرتهن الي مراودته او الي ما
يشبه المراودة فقالت ولين لم يفعل ما امره ليسجنن اي ليحبسن في السجن وليكونا
من الصاغرين اي الاذلا جمع بين النون المشددة وبين النون المخففة لانهما في معني

واحد وكتبت الثانية الفا لخفاها وسكونها والوقف عليه بالالف قال الاعشى
وسبح على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
اي فاعبدن وقيل لما نعت عليه واتهمته بما فيها ابتليها الله بان هتكت بلسانها سترها
وكشفت امرها ليعلم انما ليسا على لفظ واحد والثانية التنوين بكتابتها الفا وقال القشيري
كانت زليخا اتم حالا في امر يوسف وفي الافتتان به من النسوة فاثرت روبته فيهن ولم
تؤثر فيها كما اثرت فيهن حين قطعن ايديهن وذلك لانه قوي حالها بطول الصحبة فصارت
روبة يوسف غذا لها فلم تؤثر فيها والتغير صفة اهل البداية فاذا دام المعنى زال
التغير قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد راى رجلا يبكي وهو قريب العهد بالاسلام
هكذا كنا حتى قست القلوب اي قويت وصلبت وكذا الخزف اول ما يجعل فيه الما يسمع
له نشيش فاذا تقوى دزب الما سكن فلا يسمع له بعد ذلك صوت قال وهب ولما ظهر
هذا قبحت المقالة فيها وعيرها نسا الملوك وقلن انها تراود عبدها عن نفسه قد فضحها
وشغفها حبا واذربها وهو كاره لها يبغضها ويمقتها ويهرب منها ولو راى فيها خيرا
لطاوعها ولو كان لها خدينا لاذلته فلما سمعت بسو قولهن وازرايهن عليها احتالت
لفضيحتهن وارادت ان تصغر اليهن انفسهن فبعثت الى اربعين امراة من عظمايهن لم تدع
فيهن اشرف ولا اعظم منهن فصنعت لهن مادبة عظيمة فلما فرغت من ذلك فرشت لهن
فاتكان ووضع بين ايديهن الاترج والبطيخ والموز واعطت كل واحدة منهن سكينا
لتقطع به ما وضعت قدامها فلما انشان في قطع ذلك قالت الا اريكن عبدي الذي
عيرتنني به قلن لها بلي فان كان لك فيه عذر عذرناك وشايعناك وان اخطات او قصر
رايك وعظناك وعرفناك ودللناك على الرشد والسداد فاغتنمت ذلك من
قولهن وقالت اخرج عليهن يا يوسف فلما وقف عليهن اعظمنه وبهتهن وفي ايديهن
السكاكين فاسهين ايديهن واعينهن وقلوبهن وعقولهن وقطعن ايديهن وابن الانامل
واقسمن بالله جهدا ايمانهن ما هذا بشرا ولا ولده البشر وانه لملك كريم من رؤس الملايكة
وقال وهب بلغني ان يوسف اعطي ثلث حسن الدنيا وسايره السدس وسايره
الخلق النصف واعطى الله يوسف من الحسن وصفا اللون ونقا البشرة ما لم يعط
احدا انه كان اذا اكل البقل والنبي الاخضر من الفاكهة فيري حين يزدرده في
حلقه وصدره حتى يصل الى بطنه فقالت زليخا لهن وهل علي بعد هذا من لوم
قلن معاذ الله بل انت معذورة مرحومة مظلومة وقلن ليوسف اتق الله في ربتك

واقبل كرامتها واطعها واجبها الى ما دعتك اليه ولين لم تفعل ذلك انك اذا لمن الظالمين
وقالت امراة العزيز قد راودته عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين قالت النسوة قد استحق ذلك ان عبدا عصي سيدته لاهل ان يسجن ويقيد
ويعذب ومما لان عليه واجبنه وشغفن كما شغفها واشرن عليها بحبسه رجاان
يستمو به حتى يخلو لهن في السجن وقلن لسيدته انك متى ما سجنته قطعت عنك قالة
السو التي قد شاعت عليك وراي الناس انك تبغضينه وتكرهين قربه وبعطفه عليك
السجن ويلينه لك ثم انصرفت النسوة عنها على ذلك وتركتها وراودته عن نفسه وجهدت
عليه ولم يزدد منها الا بعدا فلما ايست منه قالت لسيدها انه قد شاع على في امر هذا
العبد قالة قبيحة وقد فضحني ذلك وقد كرهت قربه وابغضت رويته فاذن لي في
سجنه حتى يكون سجنه من تحت يدي فانه اقطع للمقالة وابين للعذر فقال لها سيدها قد
اذنت لك في سجنه وقوله تعالى قال رب اي يا رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
اضاف الفعل الى الجميع هولا النسوة لما تراين شغفن به ودعته كل امراة منهن الى
نفسها وقيل انهن حرضنه على اجابة زليخا ودعونه الى ذلك وقوله تعالى والا تصرف
عني كيدهن اصب اليهن اي امل اليهن وقد صبا يصبو صبوة حذفت الواو من اصبو للجزم
لانه جواب الشرط واكن من الجاهلين باتباع الهوى وهذا سوال منه العصمة من ذلك بالطف
وجه وقال القشيري الاخيار مقرون بالاختيار ولو تمنى العافية وسالها وجد
العافية ولكن اثر السجن على ذلك فسجن وقالوا هذا عين التوحيد حيث راى ان المعصوم
من عصمه الله وان نجاته بصرف الله تعالى ذلك لا بتكلفه ولما اثر تحمل المشقة في الله
على لذة نفسه انعم الله على اخوته واهل عصره حتى قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وقال
الامام ابو منصور قوله احب الي مما يدعونني اليه اي محبة الاختيار والايثار في
الدين لا محبة النفس واختيارها بل النفس تهوي ما يدعون اليه دليله قوله اصب اليهن
ودلت ان النسوة راودنه عن نفسه ولذلك اذ راودن تن يوسف عن نفسه وقوله
تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ودعاه قوله والا تصرف عني كيدهن وقوله
تعالى انه هو السميع العليم اي السميع للدعوة والعليم بالنية وقوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما
راوا الايات اي ظهر لهم راي بخلاف الراي الاول ومصدره البدا لهم اي لزليخا والعزيز
واهل المشورة فيه من بعد ما راوا الايات اي العلامات الدالات على براة يوسف
وصدق مقالته من قد القميص من دبر ومن كلام الطفل وشهادته ببراته بما

بين من الاستدلال وكذلك ليسجننه اي حلفوا ليسجننه حتى حين اي زمان يتقادم العهد
فينسى هذا الحديث وينقطع وقال القشيري لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براءته ابقاء
على امراته ان يهتك سترها حول الله ملكه وملكه اليه ثم في اجرا الامر جعلها امراته وذلك
جزاء الصابرين وقوله تعالى ودخل معه السجن فتيان اي عبدان للملك وقال
الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا اي امضوا رايهم في سجنه فسجنوه ودخل
معه اي بعده بزمان ومع كلمة قران واراد به اجتماعهم في السجن لا اقترانهم في الدخول
وكان الفتيان احدهما طباخ الملك واسمه مجلث والاخر ساقي الملك واسمه بونا وقيل هو
قول ابن عباس اسم الطباخ شرهابقم واسم الساقي شرهاسكم ولما دخل يوسف السجن
فتح الله عليه عبارة الرؤيا فكان يعبر لاهل السجن رؤياهم ودخل هذان السجن بعده ومعه
بمعنى بعد كما قال فان مع العسر يسرا قال احدهما اي الساقي اني اراني اي في النوم اعصر
خمرا اي عنبا قاله الضحاك وقال الزجاج اي عنب الخمر والعنب يسمى خمرا في لغة عمان
وحكى الاصمعي عن معتمر بن سليمان انه راى اعرابيا معه عنب فقال له ما معك فقال
خمر وقيل هو على ظاهره مستقيم معناه اعصر العنب خمرا كما تقول عصرت الزيتون زيتا
وبسطه اعصر عنبا ليكون عصيره خمرا قال عكرمة قال ذلك الفتى اي رايت فيما
يرى النائم اي غرست حبة من عنب فنبتت فخرج منها ثلثة عناقيد فعصرتهن ثم
سقيتهن الملك فقال تمكث في السجن ثلثة ايام ثم تخرج فتسقيه خمرا وقوله تعالى
وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه اي رايت كاني اخرج من مطبخ — اي الطباخ
الملك وعلى راسي ثلث سلات من خبز وارى سباع الطير تاكل من السلة العليا نبئنا
بتاويله اي بما يؤول اليه عاقبة المراد بهذه الرؤيا انا نريك من المحسنين اي تحسن الى اهل
السجن لقيامك بامورهم وعنايتك باسبابهم فاحسن الينا بعبارة رؤيانا لتزول عنا
شغل القلب بتاويلها وتجري بذلك على احسانك الى اهل السجن قيل كان يداوي
مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد في عبادة ربه وهذا عن قتادة وقيل كان يغيث المظلوم
وينصر الضعيف ويعود المريض وهذا عن الزجاج وقيل اي من المحسنين في عبارة
الرؤيا وهو قول الفراء وقال وهب كان سبب وقوعهما في السجن ان جماعة من
اهل مصر خرجوا على الملك وارادوا المكر به واغتياله فدسوا الى هذين وضمنوا لهما
مالا ليسما طعام الملك وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز
الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته واحضر الطعام قال الساقي ايها الملك لا تاكل

فان الطعام مسموم قال الخباز ايها الملك لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي
اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام على دابة من
الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بهما الى السجن فكانا في السجن سنة والفيا يوسف والفهما
الى ان رايا رؤياهما كما قص الله عنهما وقيل لما عبر رؤيا الخباز قال فاني لم ار شيا وكنت العب
فقال يوسف رايتما رؤيا كما او لم تريا فان ما قلت نازل بكما فذلك قوله قضي الامر الذي فيه
تستفتيان وقال الشعبي انهما تحالما ليجربا يوسف وقال محمد بن اسحق كان احدهما
صادقا والاخر كاذبا وقوله تعالى قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قيل
اراد ان يقرر عندهما علمه بعبارة الرؤيا وقيل بل استانس لدعوتهما الى التوحيد وكذا
ينبغي للعالم اذا سيل عن شي سترسل اهواهم منه فيتقدم ثم يجيب عما سيل عنه فقال
لا ياتيكما من عند الملك او من اهلكما او اصدقايكما ما تحتاجون اليه في السجن من الطعام
الا اخبرتكما به قبل مجيه وهو قوله الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيه وهو خبر عن الغايب وذلك
كقول عيسى وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فكانهما قالا له وكيف تعلم ذلك
وهو غيب فقال ذلكما مما علمني ربي فكانهما قالا ولم خصك ربك بالتعليم دوننا فقال اني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون وليس هو تركا بعد الكون فيها
بل هو الامتناع عنها اصلا واخبار انه لم يكن فيها قط ولا يخص الله بهذا العلم الذي هو
كرامة من كفر به وجحده بل يكرم به من امن به وصدقه ووحده وعبده فكانهما قالا
اذا لم تكن انت في هذه الملة فعلى اي ملة انت فقال واتبعت ملة اباي ابرهيم وهو
الجد جد الاب والجد يسمى ابا لانه اب الاب واسحق هو اب الاب ويعقوب هو ابوه
حقيقة فكانهما قالا وكيف كانت ملتهم فقال ما كان لنا ان نشرك بالله من شي فكانهما قالا
فيما اهتديتم اليها فقال ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اي لا يشكرون الخالق على نعمه بالطاعة له في امره ونهيه وقيل لا يعلمون النعم من الله فيشكروا
عليها وقوله تعالى اني تركت ملة قوم لا يؤمنون واتبعت ملة اباي يدل على بطلان قول
المعتزلة في ان الفاسق يخرج من ملة الاسلام ولا يدخل في ملة الكفر فانه ليس بين الملتين
ملة اخرى ودلت الاية ايضا ان الكفر كله ملة واحدة ثم انما ذكر يوسف اباه في هذه
الاية لان الناس كانوا عرفوهم واعتقدوا تعظيمهم وكانوا لا يعرفون يوسف فبين انه من
صلبهم ليعتقدوا كلامه ويقبلوا دعوته الى الدين الحق وقوله تعالى يا صاحبي
السجن اي يا ساكنيه وملازميه وهو كقوله اصحاب الجنة واصحاب النار اارباب متفرقون

خير ام الله الواحد القهار استفهام بمعنى النفي ثم لا خيرية في الارباب المتفرقين لكن قاله بناء على زعم الكفرة اي انتم تعتقدون خيرا ثم الزمهم على هذا الوجه هذا خيار التوحيد على وجه ظهر بطلان ما يعتقدونه وهو كقوله الله خير اما يشركون ونحو ذلك وقد كشفناه عند قوله قل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الاية ثم انه ذكر لهم بهذا على ان الخالق واحد والمعبود واحد وان الالهة لا بد ان يكون بينهم تفرق في الارادات فاما ان يلزم العجز كلهم او بعضهم والعاجز لا يجوز ان يكون الها وهو معنى قوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض وقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولان الالهة اذا تفرقت لم يمكن ارضا جميعهم بالعبادة وارضا الواحد ممكن بالمداومة على عبادته والعمل بطاعته **وقوله** تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم لما كانت الاسماء التي سموها لا تصح معانيها صارت كانها اسماء فارغة يرجعون في عبادتهم اليها فكانهم يعبدون الاسماء اذ لا معاني لها من اله ورب **وقوله** تعالى ما انزل الله بها من سلطان اي لم يجعل الله دليلا على جواز عبادتها ولا اقام حجة على نفعها ان الحكم الا لله اي لا حكم في الالهية والربوبية الا لله الواحد القهار امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم اي المستقيم وقيل اي الذي قامت الدلالة على صحته ولكن اكثر الناس لا يعلمون **قال** الامام ابو منصور اي لا يتفكرون فيه ولا ينظرون فلا يعلمون ولو تفكروا فيه ونظروا لعلموا وهذا يدل على ان العقوبة تلزم وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه ولا يعذر به او معناه لا ينتفعون بعلمهم مع انهم يعلمون به **وقوله** تعالى يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا اي سيده وهو الملك يعني به الساقي واما الاخر وهو الاخ اي الطباخ فيصلب فتاكل الطير من رأسه اي الطيور قضي الامر اي فرغ منه وانتم الذي فيه تستفتيان اي تسألان تأويله قال وهب قال الساقي اي حبلة فيها ثلثة قضبان خضر فبينا انا انظر اليها اذا هي قد اورقت واخرجت ثمرتها ونضجت عناقيدها واذا كاس فرعون في يدي فاخذت العناقيد فعصرتهن في الكاس فناولته الملك فشربه قال يوسف ما احسن ما رايت تمكث في السجن ثلثة ايام ثم يدركك الملك فيدعوك فيعفو عنك ويردك الى عملك فتكون كما كنت فاذكرني عند ربك فاني سجنت مظلوما لعله ان ينظر في امري ويخرجني من السجن قال الخباز ما احسن ما عبرت فاني رايت

كان على رأسي ثلث سلال من خبز في السلة الاولى العليا من الوان الاطعمة واذا سباع الطير تاكل من السلة العليا قال يوسف اما السلال فالايام الثلثة التي تكون في السجن ثم يدعوك الملك في اليوم الرابع فيصلبك فتاكل الطير من لحمك قال الطباخ فاني لم ار شيئا انما كنت العب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي تسألاني عنه يعني الامر كما اخبرتكما رأيتما شيئا او لم ترياه **وقوله** تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما قوله ظن يجوز ان يكون فعلا للذي ويجوز ان يكون على حقيقة الظن انه رجح بهذا التاويل ان يكون كذلك ويجوز ان يكون فعلا ليوسف اي للذي ظن يوسف انه ناج ويكون في معنى العلم واليقين كما في قوله يظنون انهم ملاقوا الله لانه علم ذلك بتعليم الله اياه فكان لا يشك فيه وقوله تعالى اذكرني عند ربك اي ملكك **وقوله** تعالى فانسيه الشيطان ذكر ربه اي فانسى الشيطان يوسف ان يذكر ربه جل جلاله في سؤال هذا الخلاص ورجاه من عند الملك وهو بعيد عن حال الانبياء والصحيح قول الجمهور فانسى الشيطان الساقي ذكر حاله للملك والدليل عليه انه قال بعد هذا وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة فاخبر انه ذكر بعد هذا لو تطاول نسيانه **وقوله** تعالى فلبث في السجن بضع سنين البضع قطعة من العقد من البضع وهو القطع قال ابو عبيدة هو ما بين الواحد الى اربعة وقال قطرب ما بين الثلث الى التسع وقال الزجاج والقتبي من الثلاث الى التسع وهو قول قتادة ومجاهد وعن ابن عباس من الثلث الى العشرة وقال وهب لبث في السجن بعد ذلك ثلث سنين وكان لبث قبل ذلك سبع سنين فتمت عشر سنين وقال قتادة لبث بعد ذلك سبع سنين وروي ان جبريل اتاه في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال يا اخا المنذرين ما لي اريك في من الخطائين فقال له جبريل يا طاهر بن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني ان استشفعت بالادميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو بعد ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي ثم **وقال** كعب الاحبار قال جبريل ليوسف ان الله يقول من خلقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن نجاك من البئر قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله قال فكيف استشفعت بادمي مثلك **وقال** الشيخ ابو محمد بن يحيى البخاري في كتاب عصمة الانبياء

الخبر

قال بعض الناس انه استغاث بغير الله فعوقب ببقائه في السجن وهذا وحش من الكلام
وقال الشيخ الامام ابو منصور انه صلوات الله عليه لم يستغث بغير الله وانما استعمل
الاسباب كاستعمال العبد في معاشه الاسباب التي هو بها متعبد من نحو المكاسب
واخذ الاسلحة وسائر ما تعبد المرء بمباشرة تلك الاسباب فهو لرفت امره بما لذكر عند
ربه يعني سيده انما راه سببا لخروجه من السجن وهو معتقد بان الله هو المخرج لكن ربما يجري
على يدي مملكه فلذلك قال له اذكرني عند ربك وما باس بهذا والثاني انه كان اظهر
رسالته في السجن فاحب ان يبلغ امره الى سيدهم ليبدي انه حابس بين رسولا فيخرجه
حتى يبلغ رسالته اليه رجا اجابة منه حتى اذا اجاب هو اجاب اتباعه ولا تكون رسالته
مقصورة على اصحاب السجن بل تكون نافذة في القوم كلهم وربما وقع عند يوسف ان سجنه
من غير علم الملك فان اخبر بحاله اخرجه ليس هذا استعانة بغير الله ولكنه اجتهاد
لمصالح العيش كسائر المكاسب قال البنا عزى ويحتمل قوله اذكرني عند ربك اي
اذكر علمي الذي علمني الله من تاويل الاحاديث وحكم الرسالة لعله يرغب فيخرجه من
السجن حتى يتخلص وينجو شفقة منه عليه اذ هو كان عالما بان الفراعنة المتقدمين كيف هلكوا
بصنيعهم على الانبيا فاحب ان يقف على حاله فيخرجه لتزول محنته فلا يهلك كما هلك من تقدمه
من معذبي الانبيا دليل انه لا يجوز صرف الاية الى استعانة يوسف بغير الله انه لو كان
هكذا لم يتكلف الشيطان انساه اذ الاستعانة بغير الله من غير روية تنسيب اليه اياه شرك
والشيطان يعين على اقامة الشرك فلما انساه علم انه يذكر التوحيد ويجعله رسوله الى الملك
باخباره عن دينه الخالص به فاحب الشيطان ان لا يعلم الملك من حاله ودينه فيجيبه
فانسيه وحقيقة الانسا من الله اذ هو المقدر لكنه اضاف الى الشيطان على ما
قلنا من اضافة القبايح الى الشيطان لتكلفه في تحصيلها وقد نضاف الى المتكلف للشي
ذلك الشيء وان لم يكن هو المحصل في الحقيقة وما روي في الخبر ان جبريل قال له في السجن
يقول الله اما استحييت حين استغثت بغيري فقد حكمت عليك بالسجن بضع سنين
قال يوسف يا جبريل اهو مني راض فقال نعم فقال ما ابالي بالسجن بعد ان يكون الله
عني راضيا وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يستغث
بصاحب السجن ما اغلق عليه باب السجن سا غدا ان صحت هذه الاخبار فانا لا
نشهد عليها بصحتها اذ ليس في القران شاهد لهذه الاخبار فان صحت فمعناها انه
عوتب بالتقصير في الدعوة لان الكلام في دعوته قصيرا لم يقف عليه الذي نجا من السجن

وتوهم

١١٩

وتوهم انه مستغيث بسيده وان كان محلا اياه رسالته اليه في التوحيد فعوتب انه لم تترجح
عليه الكلام فقصرت الدعوة لانها اخطات نوقتها دليله قول جبريل بان الله عنك راض
لو كان في باطنه وظاهره مستغيثا بغير الله لم يكن الله عنه راضيا واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم ان يوسف حيث حمل الناجي من السجن دعوته حملها غير مكشوفة حتى فهم منه الناجي
الاستغاثة بسيده لتخليصه واخراجه فعوتب لقصور الدعوة لا لخطا من جهة الاستغاثة
ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو لم يستغث يعني لو لم يتكلم بكلمة الاستغاثة وان لم يكن مستغيثا
في الحقيقة اذ الانبيا كانوا مطالبين بافضل الاعمال واشرفها واطيب الكلمات واخلاها والله
الموفق **وقوله** وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف اي وقال ملك مصر
وهو الريان اني اري اي في المنام سبع بقرات سمانا السمن زيادة البدن من الشحم واللحم ياكلهن سبع
عجاف اي سبع بقرات مهازيل جمع عجف وعجفا على غير قياس والعجف يبس الهزال وصرفه
من حد علم **وقوله** تعالى وسبع سنبلات اي وراي سبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي سبع سنبلات اخر يابسات **وقوله** تعالى يا ايها الملأ اي الاشراف الذين ارجع اليهم في
الامور افتوني في رؤياي اخبروني بحكم رؤياي هذه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي ان كنتم
او كان فيكم من يحسن تعبير الرؤيا وادخال اللام في للرؤيا مع ان فعل العبارة متعدي
لما ان الفعل اذا تقدم عليه المفعول ضعف عمله فجاز ادخال حرف الاضافة لذلك ولا يجوز
تعبرون للرؤيا لانه في قوة عمله وقال القشيري كان ابتدا بلاء يوسف في
رؤيا راها واظهرها فجعل الله سبب نجاته ايضا في رؤيا راها الملك فاظهرها ليعلم
الجميع ان الله يفعل ما يريد روي انه لما انتهت مدة اللبث في السجن ضاق عليه وقته
ليلة فبكى ورفع راسه الى السما وقال الهي انت الرب وانا العبد وانت الخالق وانا
المخلوق وانت العزيز وانا الذليل اسالك بحق ابرهيم خليلك وبحق اسحق ذبيحك وبحق
يعقوب اسرائيلك ان تغيثني وترحمني يا ارحم الراحمين فاذا هو بشاب جميل نقي الثياب
بين يديه يقول السلام عليك يا يوسف فقال من انت ومن ادخلك السجن فوالله
ان طرازه كمصبب وان بابه لوثيق وليس ينبغي لملك ان يجلس قال انا الروح الامين
ورسول رب العالمين قال يا اطيب الطيبين وراس المقربين ورسول رب العالمين
ما ادخلك مدخل المذنبين ومنزل الخاطيين قال كيف يكون منزل الخاطيين وانت
فيها يا اطهر الطاهرين وقرة عين الصديقين قال يوسف كيف تشبهني بالصالحين
وتعدني من الصديقين وقد دخلت مدخل المذنبين وشبهت بالظالمين وجئت

في سجن المجرمين قال جبريل يحبك رب العالمين وصبرك على كيد المصريين سماك الله من
الصديقين والحقك بابائك الصالحين واوجب لك ثواب الصابرين قال هل تعرف
حال ابي واخوتي قال اما ابوك فباك محزون واما اخوتك فجاهلون نادمون قال وما بلغ
من حزن ابي قال حزن مائة ثكلى وبلغ من صبره على ذلك ما استحق به اجر مائة شهيد
وهذا وقت فك عنقك وزوال رقك ونشر حكمتك وتصديق رؤياك ويهب الله تعالى
لك مصر وعزها ويلقي الله تعالى لك المودة في قلوبهم وبين يديك ربك حتى يبلغك برحمته
بلغ اباك الصالحين ويرى الملك رؤيا يفزع منها وتعبر رؤياه انت عليه وابشر يا بني
الصديق بانك صفي الله وابن صفيه وابن ذبيحه وابن خليله وبين له تمام الرؤيا وتأويلها
وانصرف عنه فلم يلبث يوسف في السجن الا ذلك اليوم فلما جن الليل نام الملك فرأى في
تلك الليلة رؤيا فلما اصبح جمع ملأ عظيما من قومه فقصها عليهم فقال اني ارى سبع بقرات
سمان وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف التي ثم اكلتها فلم تبين في بطونها شيء ورأيت
سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات على ما بين كيفية حالهما في بيان تعبير هذه
الرؤيا ان شاء الله تعالى **وقوله** تعالى قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين الضغث الحزمة من الحشيش المختلف وجمعه الاضغاث ارادوا بها انها اخلاط
رؤيا كاذبة لا حقيقة لها قال قتادة اخلاط احلام وقال مجاهد اهاويل احلام وقال
ابو العالية احلام ملتبسة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين لان الحلم ما خرج من الرؤيا
وهو ما لا يصدق ما يرى في الخبر وفي الخبر الرؤيا من الله والحلم من الشيطان **وقوله**
تعالى وقال الذي نجا منهما اي الساقي الذي كان في السجن وادكر بعد امة اي مدة
وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة اي بعد حين كما قال ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة وقال الحسن اي بعد انقراض امة من الناس اي قرن وروى نوفل
بن ابي عقرب عن ابن عباس انه قرأ بعد امه بفتح الالف وتسكين الميم وخلوص
الهاء اي بعد نسيان والفعل من امه امه وقال ابو الهيثم فتح الميم خطا ذكره في شرح
الغريبين **وقوله** تعالى انا انبئكم بتأويله اي انا اخبركم بتفسيره باخذي اياه من
عند من يعلمه فارسلون اي فأذنوا لي بالخروج وخلوني لاتي من يعلم تأويله واخبر
ههنا فارسلوه فجاء الى يوسف وهو في السجن فقال له معظما فذلك **قوله** تعالى
يوسف اي يا يوسف ايها الصديق اي وهو الكثير الصدق والدايم عليه سماه به لانه لم
يجرب عليه كذبا افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر

واخر يابسات اي اجبنا واخبرنا بحكم رؤيا لك رآها الملك وهي انه رأى سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر يابسات **وقوله** تعالى لعلي
ارجع الى الناس لعلهم يعلمون يعني فتيانيين لا رجع الى الناس بفتواك فيهن فيعلموا تأويل
رؤيا الملك فانهم عن علمه غافلين به **وقال** وهب فلما لم يدر الملأ تأويلها وعجزوا عنها وعييتم
قالوا ايها الملك ان الاحلام ليست تصدق كلها وكذبها اكثر من صدقها ونحن نرجوا ان يكون
علمك هذا اضغاثا ومن ذا الذي تخاف ان يدخل عليك في ملكك وسلطانك اعز من
ذلك وحولك اكثر ورجالك اقوى واحوط عليك وذكر غلام الملك الذي كان مستجونا
مع يوسف عندما كان من قولهم للملك في امر يوسف فقال لها يأذن لي ايها الملك ادخل يخبرك
ك منه بتأويل رؤياك فان فيه رجلا عليما حكيما من آل يعقوب فان لم يكن عند احد من اهل
الارض علم من رؤياك فهو عنده فان الناس اليوم يقولون انهم لم يروا مثله علما وحلما وحكما
وقد كنت انا وصاحبي الذي قتلته يوم غضبت علينا وسجنتنا حلمنا في السجن حلما فعبره
لنا وكان كما قال اما انا فنجوت واما صاحبي فقتل فكذلك اخبرنا فارسلني اليه آتك بتأويل
رؤياك وافرج عنك هذا الغم فقال الملك لئن فعلت ما تقول لاكرمنك ولاعظمن مالك
وشرفك فانطلق فقد اذنت لك فانطلق العبد حتى دخل على يوسف في السجن فاخبره
خبر الملك وقص عليه رؤياه فعبرها له يوسف **وقال** القشيري ان الله تعالى افرد
يوسف من بين اشكاله بشيئين بحسن الخلق وبزيادة العلم فصار جماله سبب بلائه
وصار علمه سبب نجاته ليعلم مرتبة العلم على غيره ولهذا قيل العلم يعطي وان كان يبطى
وقال الامام ابو منصور في قوله تعالى لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون يحتمل وجوها
يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة وليست كما قالوا انها اضغاث احلام ويحتمل يعلمون
فضلك على غيرك من الناس ويحتمل يعلمون انك تصلح لحاجاتهم فيرفعونها اليك كما صلحت
لتعبير رؤياهم **وقوله** تعالى قال تزرعون سبع سنين دأبا عبر الرؤيا الساقي فقال
تحرثون سبع سنين زراعة متوالية في هذه السنين بجد واجتهاد على عادتكم
في الزراعة والدأب العادة والدأب الجد والتعب فما حصدتم اي قطعتم من الزرع فذروه
في سنبله اي فاتركوه كذلك ولا تدوسوه ولا تذروه لانه ابقى له وابعد من فساده
الا قليلا مما تأكلون في العام فلا بد من دياسته وتذريته وتنقيته ثم يأتي من بعد ذلك
اي بعد مضي سبع سنين في الخصب سبع شداد اي سبع سنين مجدبة فيها الضيق والشدة
يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكلن هذه السنون السبع المجدبة ما كان تحصل في ايديكم

من فضل ما زرعتموه في السبع المواضي الا قليلا مما تحصنون اي تحرزون في الحصن اي الزرع
واضاف الاكل الى السنين لان اكل الناس يكون فيها وهو كما **قال** الشاعر • نهارك يا مغرور
سهو وغفلة • وليلك نوم والردى لك لازم • لان النوم يكون فيه ووجه احزان معناه يفنين
كقولك اهلك الدهر اي فناهم ووجه اخرانه لما كان في الرؤيا سبع بقرات عجاف اكلن
سبع بقرات سمان وكانت البقرات مثلا للسنين اخرج الجواب في العبارة مطابقا للفظ
السؤال مراعاة للبلاغة **وقوله** تعالى ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس اي
يعطون الغيث وقد غيث الناس وغاثهم الله اي اعطاهم الغيث وهو المطر واغيث
الناس واغاثهم الله اي نجاهم وخلصهم وفيه يعصرون قيل يعصرون الاعناب والثمار
والسمسم والزيتون وهو بيان كثرة النعم وانتفاع الناس بها ومنه العصير والعصارة
والمعصر وقيل اي ينجون والعصرة الملجا والاعتصام الالتجا **قال** الشاعر •
صاديا يستغيث غير مغاث • ولقد كان عصرة المنجود وقال ابو زبيد الطائي
• لو بغير الماء حلقي شرق • كنت كالغصان بالماء اعتصاري • هذا عن ابي عبيدة والزجاج
والاول عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقرا حمزة والكسائي تعصرون بالتاء على الخطاب
ردا الى قوله فقدمتم لهن وقرا الباقون بالياء الغائبة ردا على قوله يغاث الناس وهم
اهل مصر قالوا ان الله تعالى ذكر من هذا الساقي ادبا ومن يوسف كرما اما ادب الساقي
فانه لم يذهب الى السجن للسؤال الا باذن واما كرم يوسف فانه عجل جواب سؤاله ولم
يعاتبه على ما كان منه من نسيانه لم لم تذكرني بعد ما قلت لك اذكرني عند ربك
حتى وقعت لكم هذه المحنة ولما سمع الساقي تعبير هذه الرؤيا ورجع الى الملك واخبره
به اعجبه وانكشف عنه كربه وحزنه وقال ائتوني بهذا الرجل الحكيم العليم اكرمه
واشرفه وارفع منزلته واقربه مني فانه ليس مثله يضيع ولا يهان ولا يعذب فعاد
الساقي الى يوسف واخبره بذلك واذى رسالة الملك قال فكيف ارجو كرامته
وقد لبثت في سجنه عشر سنين وهو يعرف عذري وبراءتي فلم يرحمني ولم ينصرني
ولم ينصفني من ظلمني لا اتيه ابدا حتى يجمع النسوة اللاتي كدتني وافترين علي وطلبتني
فيوبخهن بكيدهن ومكرهن ويعترفن له بذلك على انفسهن ويبرئني براءتي وعذري
قال وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف اذ دعي الى الخروج
من السجن فلم يفعل ان كان لحليما ذا اناة ولو كنت انا المحبوس لبادرت الباب يعني قوله
وقال الملك ائتوني به اي احضروه فلما جاءه الرسول اي الساقي قال ارجع الى ربك

اي

اي غدا الى ملكك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فقد كدنني ان ربي بكيدهن
عليم اي خالقي وقيل اراد به سيدي وهو العزيز اي هو ظالم عند العزيز فاحب وضوح
امره عند الملك الاعظم ايضا وكيدهن مراودتهن اياه عن نفسه قال فجمعهن الملك وقال
لهن ما ذكره الله تعالى وهو **قوله** قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه الخطب
الامر العظيم اي ما شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قال لهن ما حملكن على ما
فعلتن بيوسف اذ مالت عليه سيدته وامرتها ان تسجنه وتهينه وتعذبه ودعوتنه معاذ الله
الى انفسكن فلما اي واستعصم قلن فيه الكذب والزور قلن حاش لله ما علمنا عليه
من سوء ولقد قلنا فيه الكذب والزور وانه لهو البري النقي المكذوب عليه المظلوم وقالت
امراة العزيز الان حصحص الحق اي ظهر الحق وخلص وزالت الشكوك عنه وانقطعت من قولك
حصحص شعره اي قطعه واستاصله ومنه الحصة وهي القطعة من الشي انا راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين في قوله راودتني عن نفسي **وقال** القشيري ان زليخا لم تكن متناهية في محبة
يوسف في الابتدا فحملت ذنبها عليه فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا فلما تناهت في محبته اقرت
بالذنب على نفسها فقالت الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه والمتناهي في الحب لا يبالي
بانه نهتك الستر وظهور الامر **وقوله** تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قيل هو
متصل بقول يوسف ان ربي بكيدهن عليم ذلك ليعلم اي ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب
بغيبته فاذا ظهرت براءتي عند العزيز ظهرت عند غيره وعند الملك وقيل اي ليعلم الملك
اني لم اخن الملك لان خيانتي لخازنه وخادمه خيانة له وان الله لا يهدي كيد الخائنين
اي لا يمضي بكيدهم الى الهدى واصابته مثل ما لم يهد كيد امراة العزيز والنسوة وقال
الحسين بن الفضل البجلي ذلك ليعلم من قول زليخا هو متصل بكلامها اي ليعلم يوسف
اني لم اخنه بالغيب اي لم اكذب عليه بغيبته ولم انسبه الى ما لا يحل بل اقررت بالذنب
على نفسي **وقوله** تعالى وما ابرئ نفسي اي لا ازكي نفسي مع براءتي من هذه الخيانة ان
النفس هي بعض اي النفوس البشرية لامارة بالسوء اي كثيرة الدعوة الى المعاصي
بشهوتها ونفسها الا ما رحم ربي اي لكن من رحم ربي يسلم عن طاعتها ان ربي لغفور ستار
للذنوب رحيم بمواصلة البراهين والتنبيهات او يكون كحقيقة الاستثنا اي الا من رحمه
الله فعصمه من ان تامره نفسه بسوء او تكون امرة به في بعض الاحوال لانها امارة اذا
راضها الانسان رياضة بليغة فتبقى الخطرة دون العزيمة وفي بعض الروايات انه
قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت قال وما ابرئ نفسي وفي

كتاب عصمة الانبيا في قوله قال ارجع الى ربك ان يوسف عليه السلام اظهر السكينة والوقار في
الخروج لا كالضجر والقلق اذا وجد الخلاص بادر بالخروج ليتميز الراضي بالقضا والمسلم
للحكم والمفوض للقدر من الساخط لمقسوم المكاره والثاني جرى على انتظار الوحي لئلا
يكون مستندا برايه والثالث انه علم استخلاص الملك اياه فاحب ان لا يبقى اثر تهمة من تلك
الحادثة التي كانت جرت حتى ينظر اليه بعين الامانة ويعد من اهل الصيانة فيصفو له
استخلاصه وقول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو كنت مكانه لبادرت
الباب اي ما كنت منتظر التعذر بل كنت ارى الادخال والاخراج من الله فتكلم عن مقامه
من الفراغ عن الافكار في المخلوقين مدحا منهم وذما وان كان ليوسف هذا المقام لكن
مقام رسول الله كان اعلى واكمل فليس هذا منه عيبا على يوسف وانما هو ابانة لمقدار ورع
يوسف في التسليم للحكم والثاني ان يوسف احب ظهور نزاهته ونظافته ليكون زوج المراة
ملاحظا له بعين الاجلال لا بعين الاستثقال كالمسجون من جهة انسان يخرجه السلطان
لحاجته اليه وخصمه كاره لخروجه فالخارج من السجن يكون قلبه منقبضا وخاطره متوزعا
بما يتفكر من استثقال خصمه وكراهته لخروجه واحباله ثانيا اعادته الى السجن اذا خرج
بغير رضاه فاراد ان يكون خاطره لاقامة ما يفوض اليه من الامانة من غير تشويش يقع في
فكرته ولانه كان كريما ابن الكريم فكان لا يكفر صنايع زوج المراة فاحب ان يصفو قلبه اذا
خاصم بني من فعلها لا امراته بظهور صفوته مشاهدة وفي المروة الانسانية مندوب اليه
وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من اعلى درجات العبودية واشرف مقامات
الاكتفا بالله بارضا عباده عنه من غير تكلف فكل جرى على ما كشف له وقوله ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب فيه دليل على ان الخصم يجب ارضاوه وان كان الله عنده راضيا فان
ارضاه باظهار ما جرى بينه وبين الخصم فاحب ان يرضى الرجل فلا يداخله شي من جهته
تكرما من يوسف عليه واستعظاما لحقه وقوله وما ابرئ نفسي الاية ابانة منه ان امتناعه
عن اجابتها لم يكن من قوة نفسه وانما الحول والقوة لله وقوله الا ما رحم ربي اي لو تركت
انا وطبع البشرية لكنت عاملا بطبعي كما عملت هي لكن لما اقيم مقام العصمة عاملني الله
بالرحمة فزالت طباع النفس الامارة بالسو وهو ذكر منة الله تعالى عليه في التوفيق
والعصمة واقامته مقام العز الذي يتراى للناس انه عز دنيوي وفيه دليل على ان
معاملة الناس على الاستقامة ليستتبع الرفعة والعز والثنا الجميل وذلك نعمة الله وليس
بنقص في مقام الزاهد والصفوة وان الاستقامة في المعاملة افضل منها في الخلوة

وقوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي قال ابن اسحق قال ملك مصر وهو
الوليد بن الريان لما اخبر النسا بما اخبرن جيئوني به اجعله خالصا لنفسي افوض اليه
امور مملكتي لما ظهر من علمه وصلاحه ومن نا مضر فاتي به فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين من رتب المكانة ظهر الامانة وقال القشيري لما اتضح للملك طهارة جيبه
ونزاهة غيبه استحضره لاستصفايه لنفسه واختصاصه لانسه فلما كلمه وسمع بيانه
رفع محله ومكانه وضمن بره واحسانه فقال انك اليوم عندنا ذو جاه وحال وامين
على خزاين الاموال وفي القصة انه بعث سبعين حاجبا وسبعين مركبا لاستحضاره
وبعث اليه لباس الملوك وتاج الملوك فلبس الثياب وتتوج بالتاج وخرج ليركب
فقام اليه اهل السجن يبكون لفقده وكانوا انسوا به والفوا بره واحسانه فدعا لهم وقال
اعطاكم الله الصبر واليقين وثواب الشاكرين وطهركم من الذنوب وامنكم من
الهوام والحيات والعقارب وقال حين خرج اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار وقصر
عليهم النهار ولا تقطع عنهم الاخبار ولما خرج كتب على باب السجن هذه منازل البلوى
وجهنم الدنيا وقبور الاحيا وشماتة الاعدا ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره فلما كلمه وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلم يوسف
بكل لسان فاجابه يوسف بكل ذلك حتى اذا فرغ دعا له بالعبرانية ولم يكن الملك
يحسنه قال ما هذا اللسان يا يوسف قال لسان ابي ابرهيم واسحق ويعقوب فلما خرج
من عنده سلم عليه بالعربية ولم يكن الملك يحسنه قال ما هذا اللسان يا يوسف قال هذا
لسان عمي اسمعيل وازداد الملك عجبا مما سمع من يوسف واعجبه حلمه وعلمه وحكمه وقال
اقصص رؤياي فاحب ان اسمعها منك قال يوسف رايت سبع بقرات سمان عظام شهب
غر كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر
اليهن وتعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حمئه ووحله
سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف
ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن
بالسمان فافترسنهن افتراس السباع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن
عظامهن وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا بسبع سنابل خضر وسبع اخر
سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والما فبينا انت تقول في نفسك اي هذا
وهولا خضر مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الما اذ هبت

مريج فذرت من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن
سودا متغيرات فهذا اخر ما رايت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا مرتاعا فقال
الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كان عجيبا باعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي ايها
الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام في سني الخصب وتبني الاهراء والخزائن
فتكبسه فيها بقصبه وسنبله فيكون سنبله وقصبه علفا للدواب ويكفيك واهل مصر ومن
حولها الطعام في سني الجدب فياتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك ويجتمع
عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ومن يبيعه
ويكفي الشغل فيه فقال يوسف ان الله اوحى الي اني اومر به واكفي الشغل فيه قال الملك ومن
احق به منك فدونك وذلك قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم اي ولني
على خزائن الاطعمة والاقوات والعلوفة التي في ارض مملكتك وهي مصر وكانت اربعين فرسخا في
اربعين فرسخا وفوض الى احرازها وتفريقها وتقدير ذلك فيها فاني حفيظ اي حافظ لما
سبيله ان يحفظ ان يجري فيه خيانة او نسيان عليم بما سبيله ان يعلم وجه التدبير فيه
حتى لا يضيع شي ولا يوضع في غير اهله قال قتادة وابن اسحاق حفيظ لها مالا يستحقها
عليم بوجوه التدبير فيها وقال الزجاج عليم بوجوه متصرفاتها وقيل حفيظ لما استودعتني
عليم بما وليتني وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بسني المجاعة وقيل حفيظ بالحساب عليم
بالالسن وقيل كاتب حاسب قال وهب فقال الملك ليوسف فدونك هذا السرير والخاتم
والتاج فقد تخليت ذلك منهن وانت احق بهن مني قال يوسف اما السرير فاشد به ملكك
واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا من لباس ابائي قال الملك فقد
وضعته عن راسي اجلالا لك واقرارا بفضلك قال فاتخذ الملك الخزائن والاهراء
وامر بجمع الطعام انتظارا لسني الخصب فلما استجابت سني لا يقدر قدره كثرة وسعة فذلك
قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي كما ذكرنا من يوسف من الملك مكنا له في الارض اي في
ارض مصر والتمكين الاقدار واعطاء الملكة والمكانة وقوله تعالى يتبوأ منها حيث يشاء اي
يتمكن منها حيث يشاء اذ كانت خزائنها في كل بلادها بيده وتحت حكمه بعد ما كان يضيق عليه
بالرق والحبس وقوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء اي بنعمتنا كما اصبنا بها يوسف
وقوله تعالى ولا نضيع اجر المحسنين قال ابن عباس يعني الصابرين قال وهب وذلك
بصبره في البير وفي السجن وفي الرق وعما دعته اليه زليخا والنساء فهذا في الدنيا وقوله
تعالى ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون اي الجنة وثوابها خير للذين امنوا واتقوا

معاصي الله وقيل في قوله ولا نضيع اجر المحسنين كما لم يضع اجر يوسف وكان يحسن الى
اهل السجن فينظر للضعفاء ويقوم بمصالح المرضى وغير ذلك وكان يختار الصبر على
المحارم وايثار طاعة الله والقيام باحياء دينه والنصح لعباده في كل حال وقال
القشيري لما لم يكن يوسف دواعي الشهوات من نفسه مكنه الله من ملكه وهو كما قال
ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا وقال ولا نضيع اجر المحسنين ثم اخبر عن حقيقة
التوحيد وبين ان ما نول عباده من الطافه فبفضله لا بفعلهم وبرحمته لا بجدهم
فقال نصيب برحمتنا من نشاء ثم رقى هممهم عما اوليهم من النعم فقال ولاجر الاخرة
خير وفيه جواز وصف الانسان نفسه بما هي موصوفة به فانه قال اني حفيظ
عليم اذ لم يكن فيه ثناء على نفسه بل بيان ما يتعلق به من مصالح الناس وفيه انه لا باس
بالعمل للكافر والفاسق اذا امكن العامل من وضع الشيء موضعه واعطاء كل ذي حق العدل
قسطه وكان فيه صلاح العامة والخاصة وقيل في قوله فلما كلمه انه قال للملك ما بال
الملك يتقلد بسيف لا يقطع وما باله يمسك على بابه حراسا عميا بكما صما وما بال الذي زرع
في ارض سبخة اما يعلم انه من زرع في ارض سبخة فقد ضيع بذره وعذب نفسه وابطل
ايامه فقال الملك ما ادري ما تقول اما المتقلد بسيف لا يقطع فهو الاعتماد في الاعمال
على عمال لم يجربهم واما امساكه العميان والبكم والصم على الباب فهو استعمال
قوم لا يرون عيوبك فلا يذكرونها لك واما الزرع في السبخة فالبذر
العمر والسبخة الدنيا والثوران الليل والنهار فاعجبه كلامه فقال انك اليوم
لدينا مكين امين وقال وهب ولما ولي يوسف مصر مات العزيز فزوجه الملك امراة
العزيز فلما دخلت عليه وجدها عذراء فقال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت
لا تلمني يا نبي الله فان الله كساك من الحسن والجمال ما لا يصبر عليه احد وكان مبتلى
لا يمر بالنساء وكنت ناعمة في ملك الدنيا وغلبتني شهوتي يا يوسف ان الحرص والشهوة
صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا وتزوجها وهو ابن ثلثين
سنة فولدت له افرايم ومنشا ابني يوسف في اربع سنين من سني الخصب هذا
القدر مذكور من حديث تزوجها في كتاب وهب ويذكر في القصص زوائد انها افتقرت
وضعفت وعميت وانه راها وهي بتلك الحالة فرحمها وقال ما تشتهين فقالت ان افتح
عيني مرة فاراك فبكت وبكى يوسف واتاه جبريل وقال ان الله تعالى يرد اليها بصرها
وشبابها فتزوجها ففعل واعادها الله الى جمالها وشبابها ويذكر هنا اشياء ولا

ضروته الى ذكرها ولما مضى تمام سني الخصب امر الله جبريل سحرا فقال يا جبريل الا تنظر الى
عبادي واماي من اهل مصر وغيرهم كيف ياكلون رزقي ويعبدون غيري اهبط فقد
سلطت عليهم الجوع والقحط سبع سنين فهبط جبريل وصاح في الهوا يا اهل مصر
جوعوا سبع سنين فانتبه الرجال والنسا والصبيان ينادون الجوع الجوع قال ابن عباس
لم يكن في السنين اليابسة مطر ولا نبات ولا ريح تهب ولا نهر يجري ولا حمار ينهق ولا
ثور يصيح ولا دابة تحمل ولا طير يتخذ عشا ولا تفرخ وجات سنين الجدب بامر هول لم
يعهد الناس مثله وقصد الناس مصر من كل اوب وناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن
احدا منهم وكان عظيما اكثر من حمل بعير وتزاحم عليه اهل مصر فباعهم اول سنة بالدراهم
والدنانير حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبض عليه وقبض وباعهم السنة الثانية
بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في يد الناس منه شي وباعهم السنة الثالثة بالمواشي
والدواب والانعام حتى احتوى عليها اجمع وباعهم السنة الرابعة بالعبيد والاما
حتى لم يبق عبد ولا امة في يد احد وباعهم السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور
حتى احتوى عليها وباعهم السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم السنة السابعة
برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له فقال الناس بالله ما راينا كاليوم
ملكا اجل ولا اعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رايت صنيع الله بي وما خولني
من الملك فما تري لي قال الملك الراي رايك وانا لك تبع وانا خول لك فقال يوسف
اني لم املك مصر باهلها لاخربها واهلكهم ولم اوسع عليهم الطعام لا صنعه ولم امرهم
لاجوعهم او تقرب بانك لي عبد ولي خول قال نعم قال فاني اشهد الله واشهدك اني
اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم اموالهم واملاكهم ورددت عليك ملكك
على شريطة ان لا تخالفني وتستن بسنتي قال الملك فان ذلك لك **وقوله** تعالى
وجا اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال وهب وكان اشتد على
يعقوب وولده واهل الشام القحط فقال يعقوب لولده ان بمصر طعاما يباع وان
هذا الرجل الصالح الذي هو ملكهم بلغني عنه خير وصلاح وحسن سيرة فامتاروا
منه فانطلقوا فلما دخلوا على يوسف مع الناس وكان يوسف يحسن الى من اتاه
ويعطيه قدر ما يكتفي به عياله على عددهم فلما دخلوا عليه عرفهم وهم له منكرون
وكان الله عمى عليهم خبر يوسف وما صار اليه من الملك ولتغير لونه وكلامه وهيبته
ولتقادم العهد وتطاول المدة وقيل انهم لم يعرفوه لانه كان متنقبا وقيل لم يعرفوه لانهم

كانوا جياعا وعين الجايع تحار فلا يعرف ما يبصر وقيل لانهم جاوا طامعين والطمع
يغطي العين وقيل لانهم كانوا جفوه والجفا يزيل المعرفة وقيل لان الله تعالى اخفى
عليهم ذلك بلطفه وكان له فيه سر وقيل لانهم نكسوا رووسهم محتشمين فلم ينظروا اليه
فلذلك لم يعرفوه وقال وهب لما عرفهم امر فتيانه ان ياتي بهم في منزل واكرامهم
ومكث ثلثا لا يكلمهم ثم قال لهم بعد الثلث من انتم قالوا نحن اولاد يعقوب بن اسحق
بن ابرهيم من اهل كنعان فنظر اليهم فاكثر ودام فيهم النظر وصعد وصوب فيهم البصر
ونظر اليهم جميعا واشتانا فكلما فرغ من واحد نظر الى الذي يليه ثم قال اعتزلوا
عني حتى افرغ لكم وكان لا يصنع ذلك باحد وكان يتجلى شان المتمارين فلما
اعتزلوا عنه استرابوا من نظره اليهم وقال بعضهم لبعض لقد نظر الينا هذا الملك
نظرا ما نظر الى غيرنا كذلك فاما ان يكون نظره على وجه الغبطة لنا النبوة ابانا
ابرهيم واسحق ويعقوب والغبطة لابينا بما راي من عددنا وجلدنا وقوتنا وجماعتنا
واما ان يكون تعرف فينا النبوة بعد ابينا والوراثة لهم من بعدهم واما ان يكون
بلغه فعلنا باخينا وتلك قاصمة ظهورنا وسبب حزننا وتشاغل عنهم يوسف يومه
ذلك وامر بهم فانزلوا في ضيافته واوصى بهم خدمه وهم يغدون عليه ويروحون
وهو كالمعرض عنهم والمتجهم لهم فاذا صاروا الى ضيافته اكرموا واذا دخلوا عليه
اعرض عنهم فيقولون ومن العجب شان هذا الملك وعمله بنا اذا حضرنا تجهم لنا
واعرض عنا واذا صرنا الى منزله اوصى بنا فلبثوا في الغيب فلبثوا بذلك حينا ثم
انهم دخلوا على يوسف يوما فقال لهم من انتم قالوا قد اخبرناك اول يوم سالتنا انا
ولد يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال يوسف ولدكم ثلثة انبيا الخليل والذبيح والصديق
قالوا نعم قال انتم لذلك باشباه ولا لذلك خلفا وما انتم موسومون بسيماهم وما
ارى من احلام ولا وقار ولا سكينة ظاهرة ولا خشوع ولانتم بان تكونوا لصوصا
اشبه وجواسيسا دسكم بعض الملوك فجئتم من دين تنظرون لهم في العادة والقوة
ثم تاتونهم بخبر ذلك فيسيرون الينا ليقاتلونا حسدا لما انعم الله علينا احيانا
واحيا ابانا فلانتم بهذا اشبه ولايم الله لا تنفكون من حبسي ابدا حتى اعلم علمكم
فاشفقوا ان يبحث عنهم حتى يبلغه البحث فعلمه التي فعلوا بابيهم فقالوا له
انا نسالك ايها الملك بالذي بلغك هذه المنزلة وفضلك هذه الفضيلة واكرمك
هذه الكرامة وانعم عليك هذه النعمة لما عجلت سراحنا الى ابينا فانه اليوم اعظم

اهل الارض حقا وعلي جميع اهل الارض لانه نبي الله وابن ذبيحه وحزنه وضعفه علي ابن له هلك
منذ حين وكان احب الناس اليه واقرهم لعينه وعلم ما يبون ويقولون ويتصدق ؛
ويصنف اذا الاشتدت له رحمتك ولدمعت لبكيه عيناك ولحزن له قلبك قال يوسف
ما اضر اليوم اعظم حقا علي وعلي جميع اهل الارض من يعقوب ولو مرتم علي ظهري
مقبلا ومدبرا حتي اعينه وعيا له ما بلغت بذلك حقه ولا حق ابا به علي فخذ تولى
ما الذي احزنه وهو في منزل الفرح والغبطة البين نبي الله وابن ابنائه او ليس ينظرا بكم
في مثل عددكم وجمالكم وجلدكم البسر اكبة مع ذلك لبشريه وتصب عينيه يا ملها فما الذي
يحزنه بعد هذا فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجفائكم وكذبكم قالوا حاش لله ما
نحن كذلك ولكن كان له ابن وكان اصغرنا واحبنا اليه فهلك فلم يزل بعده واهن العظم
باكيا محزونا قال يوسف او كلكم لام واحدة قالوا لا قال فما الذي حملا اباكم على
ان ارسل كلكم هلا احتبس رجلا منكم ليسكن اليه ويانس به قالوا فعل قد احتبس منا
ولدا هو اصغر ولده واحبهم اليه بعد الاول قال يوسف لولا مخافة ان تكونوا صادقين
لحبستكم حبسا اطول من هذا ولعذبتكم عذابا شديدا فان كنتم صادقين فارجعوا
الى ابيكم فبلغوه مني السلام وقولوا له فليخبرني ما الذي احزنه وابكيه واوهن عظمه
وما الذي شيبه قبل اوان شيبه وليبعث الي بجواب هذه الرسالة مع ابنه الاصغر
الذي احتبسه وقوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم اي هيا اسبابهم فاعطى كل واحد
وقر بعيره وكذلك كان يبيع ولا يزيد لكل قادم علي وقر لئلا يضر بالاخرين وقوله
تعالى ايتوني باخ لكم من ابيكم عنى به بنيامين الذي ذكروه له وقوله تعالى الا
ترون اني اوف الكيل اي اتمه فلا انقص منه شيا وقوله تعالى وانا خير المنزلين
اي المضيفين وقوله تعالى فان لم تاتوني به اي بالاخ فلا كيل لكم عندي اي فلا طعام
لكم عندي بكال ولا تقربون اي لا تقربون بلادي فلطف في استحضار بنيامين بالترغيب
والترهيب اما الترغيب ففي الذي فضل لهم قال الا ترون اني اوفي الكيل وفي اتيانهم
بحسن الضيافة قال وانا خير المنزلين واما الترهيب فقوله فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون وقوله تعالى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون بما امرت به غير
مخالفين اي سنتلطف لابيه في طلبه منه واخراجه معنا كما امرت وانا لفاعلون
بما امرت به غير مخالفين لك ولم يريدوا انهم يفعلون ذلك بغير ابيهم لكن ارادوا
ما قلنا وقوله تعالى وقال لفتيانه قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص لفتيانه

والباقون لفتيته وهما لغتان في جمع الفتى كالغلمان والغلمة اسم للمملوك شابا كان او شيخا
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وهي دراهمهم التي هي اثمان ما اشتروه من عنده وقوله
تعالى لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وادخال كلمة لعل في معرفتهم ذلك على
معنى انهم عسى ينظرون في رحالهم لشيء فيجدونها ويجوز ان لا يحتاجوا الى النظر
فيها فيخفى عليهم ذلك فيرجي رجوعهم الى رحالهم ووقوفهم على ذلك لعلهم
يرجعون هذا يصلح للامر والمتقدم اي يعودون الينا يردون البضاعة
علينا وقد رجعته رجعا فرجع رجوعا وتكلموا في معنى رجا الرجوع بذلك فقيل
معناه انهم اذا عرفوا انها بضاعتهم تحرجوا عن امساكها وتوهموا ان فتيان يوسف
وضعوها في رحالهم غلطا فعادوا لردها وقيل انما فعل ذلك ليستعينوا بها على
الرجوع لابتياع الميرة مرة اخرى اذ جايز ان لا يكون عند ابيهم غير ذلك وقيل
وهو احسن الوجوه في رد بضاعتهم اليهم ان يوسف لم يستجز ان ياخذ من اخوته
ثمن طعام يجيئوا في طلبه السفر وانما يصرفونه لابيه واخوته ومن يلزمهم في الحرية تحمل
مونهم في تلك الحالة فامر بجعلها في رحالهم ولم يحب ان يفتح لهم بسبب الرد وقيل ليرجعوا
اليه بما يظهر لهم من كرمه في ردها عليهم في زمان الجدب فيكون ذلك ادعى لهم الى الرجوع
وفي كتاب العصمة قال هلا اخبر بحاله وعرفهم عن نفسه ليعظم سرورهم بوجوده وقد
علم ان ادخال السرور في قلب المومن مما محله من الثواب عند الله خصوصا في قلوب اخوته
وفي ذلك صلة الرحم وايصال الخبر الى ابيه ليتفرغ عن حزنه فالجواب عنه انه لم يعذر ان
يفعل من غير وحي ولانه علم ان انقضا المحنة بعد لم يات وقته فلذلك تربص الى اخر وقته وقال
في وقته هل علمتم ما فعلتم بيوسف والثاني انه لو اخبرهم ساعة دخولهم عليه وهو كان
يلاطفهم في المعاملة ويسامحهم في تلك الميرة ويرد عليهم بضاعتهم ربما لم يستطيعوا صنيعه
بمكانهم معتلين بالاخوة بانها موجبة كضا بعض المعاملة فاحب ان ينصرفوا والسنتهم
رطبة بالثنا عليه متعجبين من حسن معاملته في عام السنة خصوصا ليتعلموا منه السخاوة
بما يحملونه من الطعام بالبذل لغيرهم وليستعطفوا غيرهم بالرغبة اليه للامتيار والرابع
ان عام السنة لم يكن منقضيا بعد وحوائج الناس الى الطعام قائمة فلو احسوا بمكانه
رجعوا بالخبر الى ابيهم فكانت تنقطع المعاملة فلغلبة الاشفاق على الناس احب ان له
يحبس بمكانه حتى تنقضي السنة وتتفرغ قلبه عن هموم الجايعين ثم يتنوق في خطه من
السرور في الاجتماع مع ابيه واخوته وقالوا في قوله ايتوني باخ لكم من ابيكم كيف

عز

استجاز زيادة الحزن لابيه وشغل قلبه بسببه وهو عالم انه ممتحن بفراقه مهتم لفقده قيل بانه
قال ذلك بوحي من الله لم يفعل جزافا وعلم ان الله تعالى اراد استكمال الصفاء ليعقوب عن ميل
الطبع الى اخيه فعامل على ما علم من الله **وقوله** تعالى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا
الكيل فارسل معنا اخانا نكتل قرا حمزة والكسائي يكتل بالياء اي يكتل بنيامين لنفسه وقرا
الباقون بالنون اي نكتل نحن له وقر بعير اي لاجله ومعناه ان الاخوة لما رجعوا الى
يعقوب قالوا منع منا الكيل لم يريدوا به منع ما جاوا به وانما ارادوا به فقد قال الاخرون اي اوفى الكيل
بل ارادوا انه قال لنا فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي فتقدير قوله منع منا الكيل
ذكر لنا منع الكيل ان اتيناه نحن بلا اخ ولما شق عليه ذلك وخاف ضياعه قالوا انا
له لحافظون **وقوله** تعالى قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل استفهام بمعنى النفي
اي لا اتكل على ضمانكم حفظه وان قلتم وانا له لحافظون فقد كنتم قلتم في اخيه يوسف ارسله
معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ولكني اتوكل على الله **وقوله** تعالى فالله خير
حفظا قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حافظا على الحال وقرا الباقون حفظا
على التفسير والتمييز وهو ارحم الراحمين يرحمني فيرد علي ولدي لعلمه بوجدي به بعد فقدي
يوسف قال وهب فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا جئناك من عند اعظم ملك على ظهر الارض
رايناه او سمعنا به لا نرى انه كان في الارض اعظم منه حلما وعلما واشد هيبة وارجح رزينا
واعظم سلطانا وارق قلبا واكرم اخلاقا واكثر رفقا واجزل نيلا لقد نظرنا في حكمه فما شبهناه
الا بحكمك وفي وقاره فما شبهناه الا بوقارك وفي حلمه فما شبهناه الا بحلمك ولكنا اهل
بيت خلقنا للبلاء فبلينا به واتهمنا وكذبنا ومنع منا الكيل وزعم انه لا يصدقنا حتى نرسل
معنا اخانا برسالة منك تخبره فيها عن حزنك ووهن عظمك وعن سرعة البكاء لديك قبل
اوانه وما الذي اورثك ذلك فحزن يعقوب حين سمع هذا منهم واتهمهم وكذبهم وظن انه
مكر منهم ليفعلوا به ما فعلوا باخيه فقال هل امنكم عليه الاية **وقوله** تعالى ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وضعت في رحالهم قالوا يا ابانا ما نبغي **قال** قتادة اي
اي شيء نطلب على الاستفهام اي اي عذر لنا في ترك الرجوع اليه مع انه رد بضاعتنا
وقيل ما نبغي اي لا نطلب فيما نقول ولا نكذب واجاز الفراء والزجاج الوجهين هذه بضاعتنا
ردت الينا نحصل الطعام لنا مجانا ونمير اهلنا نجلب لهم الطعام في هذه الكرة بهذه
البضاعة ونحفظ اخانا بنيامين الذي نسوقه في سفرنا ونزداد كيل بعير اي حمل بعير لبنيامين ووعده
لنا الملك وقيل كان وعد ذلك بغير ثمن ذلك كيل يسير اي سهل لانه مجانا او لان ثمنه ممكن

من هذه البضاعة ولانه وعد لنا نحصل النفع بسبب اخينا وفي حق سائر الناس حبس مدة ولا جر
لنتيح **وقوله** تعالى قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط
بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل قال يعقوب لن ابعثه معكم حتى تؤتون
عهدا تجعلون الله على انفسكم لترجعن به الي الا ان يرد عليكم امر يحال بينكم وبينه وتشرفوا
على الهلكة ان حاولتم رده فلما اعطوه هذا العهد قال الله مطالبكم بالخروج عن هذا الضمان
شاهد على هذه المواثقة قال كعب ووهب ردهم في الكرة الاولى بغير ميرة ولذلك قالوا
منع منا الكيل ولذلك رد البضاعة لتوهم انه لا يرجعوا لطلب الميرة فيبقى عنده الثمن بلا
بغير تسليم المبيع وقال الجمهور اعطيهم الميرة وتاويل كلمة المنع ورد البضاعة مما مر قال وهب
ولما وجدوا بضاعتهم قالوا لابيهم الا نزلك على عدل هذا الملك وورعه عدانه دس بضاعتنا
في رحالنا مخافة ان لا نرجع اليه لما راى من خوفنا فتبقى البضاعة في يده من غير حلها فاطمانت
قلب يعقوب بهذه الدلالة وقال ان كان لابد لكم من ان تذهبوا باخيكم فاني لن ارسله معكم حتى
تعاهدوني لتاتنني به الا ان يحاط بكم فضمن ذلك يهوذا وكان ارجاهم عنده وهو الذي قال
قال كبيرهم ولم يكن اسنهم لكنه اعقلهم وانفعهم فدفعه اليهم فخرجوا **وقوله** تعالى وقال يا بني لا
تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمصر اربعة ابواب قال ابن عباس والضحاك
والسدي وقتادة خاف عليهم العين لما كان لهم من حسن الصورة وجمال الهيئة وتمام القوة وقيل
كان زعام الجذب فلو دخلوا من باب واحد مع الرواحل لما دبرت شق على اهل البلد اذا راوهم
مجتمعين فامرهم بذلك شفقة عليهم لئلا يدخل وحشة في قلوب الناس بسببهم وقيل احب ان لا
يفطن بهم اعداؤهم فلا يحتالون في هلاكهم ودليله عطفه على كل ولاده وانه لم يكن له عليهم حقد
بما سبق منهم في حقه وهو مع هذا كان ناظرا الى حكم الله فيه ويدل عليه قوله وما اغني عنكم
من الله من شيء اي لا انفع ولا ادفع ان كان الله اراد بكم شيئا من ذلك **وقوله** تعالى ان الحكم
الا لله اي ما الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ومن الجائز ان يكون امر بذلك
لئلا يظهر حاجتهم في اهل تلك البلدة تنتشر حالة اضطرارهم وهو امر بالصيانة وكتمان الفاقة
ويحتمل انه امر بذلك لئلا يقع في اوهام اهل البلدة انهم حضروا لمقاتلة الملك لانهم كانوا اصحاب مناظر
وعدد وكان بلغتهم دعوة يعقوب دعوة لعقوب ويحتمل غير ما قلنا والبه اشارة
في قوله الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وللاباء وصايا في حق الاولاد فيما يرجع الى
الاحتياط ويعقوب في كل ذلك منزه سره عن الاعتماد على غير الله تعالى غير مفكر فيما
يكون وقيل لم يخف عليهم الهلاك لكن خاف عليهم النكبة **وقوله** تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم

ابوهم اي من ابواب شتى ما كان يغني عنهم من الله من شي ما كان دخولهم متفرقين مغنيا عنهم
من الله شيا اي دافعا القضا به الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي لكن كان ذلك
ذلك اضطرابا في قلبه ازال ذلك عن نفسه بوصيته لبلا يقول قصرت فلم انصح وانه
لذو علم لما علمناه اي وان يعقوب لعالم بالله وا قضيته لتعليم الله اياه وا قصد ولكن اكثر
الناس اي لا يعلم يعقوب **وقوله** تعالى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال الحسن
وقتادة اي ضم الى نفسه اخاه بنيامين وانزله معه وقيل اجلسه معه على سريره
وقوله تعالى قال اني انا اخوك قال ابن عباس تعرف اليه واخبره انه يوسف اخوه وقال
وهب والسدي لم يقل له انا يوسف ولكن طيب نفسه وقال انا اخوك اي بدل اخيك
المفقود **وقوله** تعالى فلا تبتئس قال ابن عباس فلا تحزن وقال الضحاك لا تبال وقال
قتادة لا تكترث وحقيقته لا تظهر من نفسك البوس بما فالك **وقوله** تعالى بما كانوا يعملون
معي من الجفا معك وذكري بغير الجميل عندك مغايظة لك وقال وهب قال لهم يوسف هل
بلغتم اباكم ما قلت لكم قالوا وقد رد الينا الجواب مع ابنه هذا قال يوسف بماذا ارسلك
ابوك قال انه يقريك السلام ويقول انك سالتني عن حزني وحزني وكبر سني وشيبي ووهن
عظمي واني اطول الناس حزنا واحقهم بذلك واخوفهم لربه واذكرهم لمعاده واكبرني
قبلا وان كبري تذكر يوم القيامة وشيبني قبلا وان الشيب تذكر النار وا وهن عظمي قبل
اوان الضعف الحزن على يوسف واعمى بصري بكاي وانا اهل بيت اكرمنا الله بالبلا وشرفنا ورفعنا
به فنحن مخصوصون بعظيمه فلا تصفوا لنا الدنيا ولا نزال فيها مفجعين مروعين وقد بلغني تحرنك
بي واهتمامك بامري وعرفت حقيقة ذلك حين سالتني عن حالي وسالت عني فكفى بالله
جازيا ومثيبا وانك لن تكرمني بكرامة اعظم في صدري وابلغ في سروري من ان تعجل لي ما
تشبع به عيالي ثم تعجل الي سراح ولدي فتصل بهم وحدتي وتونسني بهم وحشتي فلما
سمع يوسف قول ابيه ورسالته بكى مرارا فاشتد بكاوه وحزنه فاشتد حزنه وعن ابن عباس
ان بنيامين كان كتب على ثوبه في مواضع يوسف يوسف يوسف شوقا اليه وتسليا
بالنظر الى اسمه مكتوبا في ثوبه فقال له يوسف ما هذا فقال هو اسم اخ لي اكله الذيب فجعلت
به فجعلت اسمه تذكرة لي وتسكينا لقلبي فقال هل كنت هناك اذ اكله الذيب قال ولكن بعوله
الاخوة ذكروا لي ذلك فقال لهم اهو كذلك قالوا نعم قال سمعت ان فيكم من يقلع الشجرة باصلها
ثم يضربها برجله فيجعلها قطعا قطعا اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا اشاروا الى روبيل فقال
يوسف اكله الذيب وانت فيهم هذا محال ثم قال سمعت ان فيكم من يدرك الاسد بعدوه ويشق

بجنبه اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا الى شمعون قال اكله الذيب وانت منهم هذا محال
ثم قال سمعت ان فيكم من لو صاح على باب مدينة وضعت كل ذات حمل حملها ولو صاح اخرى
وضعت كل بهيمة حملها اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا الى يهوذا قال اكله الذيب وانت
فيهم هذا محال فسكتوا وخجلوا وكذلك العاصي في القيامة اذا الزمته الحجة **وفي القصة**
انه دعا لهم بموايد وقصاع فطلب كل اثنين منهم على مايدة صغيرة فبقي بنيامين وحده فجعل
يبكي فقال له يوسف لم تبكي قال لو كان معي اخي يوسف لم ابق منفردا قال اترضى ان اكون لك
اخا قال لا يقوم لي احد مقام اخي فقال اترضى ان اكون لك في الاكل صاحبا فقال ومن يجد
ذلك فضمه الى نفسه وطفق ياكل معه فلما اخرج يده لياكل بكى بنيامين فقال يوسف لم تبكي
فقال ما اشبه هذه اليد بيد يوسف فقال هذه يد يوسف وانا يوسف وذلك قوله تعالى اني
انا اخوك فقال بنيامين واذ وجدتك فلا افارقك ولا ارجع مع اصحابي فقال علمت اغتمام
الوالد بك واذا حبستك ازداد غمه ولا يتهيا لي ذلك الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك
الى ما لا يجمل بك فقال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي
هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال فافعل **وقوله**
تعالى فلما جهزهم بجهازهم قد بيناه من جعل السقاية في رحل اخيه السقاية هي الاناء الذي
يسقى فيه وهي ههنا صاع الملك وكان يشرب منه وقيل كان من فضة وقال ابن زيد كان
من ذهب وقال ابن عباس كان من نحاس **وقوله** تعالى يحتمل ان يوسف اخبر بوضعها
بنفسه واخفيها عن الكل فلما افتقدوا طلبوا وبما ظنوا اتهموا ويحتمل انه امر بعض خواصه
بذلك **وقوله** تعالى ثم اذن موذن اي نادى مناد معلما وسميا ايتها العير اي القفا
هم ركاب الابل انكم لسارقون اي فيكم سارقا وجماعة اشتركوا في السرقة وقال
القشيري هان على بنيامين ما قيل فيه من السرقة بعد ما بقي مع يوسف وقيل لم نسب يوسف
اخاه الى السرقة جهرا فقد تعرف اليه بقوله انا اخوك سرا فكان متحملا لاعباء الملامة
ظاهرا ليحول بوصال الكرامة باطنا وانشد . اجد الملامة في هواك لذيذة .
حبا لذكرك فليلمني اللوم . قال وهب وامر يوسف بالصواع فدس في رحل بنيامين
وكان الاناء الذي يشرب فيه وكان من نحاس فلما فصلت العير وامعنوا ارسل الطلب في اثرهم
فلم يشعروا حتى اخذ بخطم رواحلهم فقالوا ما خطبكم فاذن موذن الملك ايتها العير انكم
لسارقون **وقوله** تعالى قالوا اي اخوة يوسف واقبلوا عليهم اي توجهوا الى من
ارسلهم يوسف ماذا تفقدون اي اي شي فقدتم فجيتم تطلبونه **وقوله** تعالى قالوا نفقد

صواع الملك وهو اسم لكل السقاية وكان صاعا يكال به الطعام ولمن جاء به حمل بعير اي ولمن
يرده علينا حمل بعير طعاما وانا به زعيم اي كفيل بتسليمه اليه والزعامة الكفالة من حد
دخل وقال في كتاب عصمة الانبيا في قوله جعل السقاية في رحل اخيه فان قالوا لم استجاز
يوسف هذا وهذا يعد فيما بين الناس من اسباب الخيانة والخديعة قلنا انه فعل ذلك
بالوحي قال تعالى كذلك كدنا ليوسف والله تعالى اجرى في احوال يوسف واخوته
وابيه من الاعجوبات ما تنقطع عنه علوم العباد ولا يقف على كنه معانيها حتى
يرجعوا الى تسليم القدرة وكان وضعه ذلك في رحل ابن امين باسناده وله ذلك لانه
اخوه ولو حبسه من غير علة ربما كان تقع المناكسة بين الاخوة ولم يكن وقت اظهار
حقيقة الحال ففعل ما لا يجدون السبيل الى منعه الى ان ينقضي الامر في حكم الله وقول
المنادي انكم لسارقون له وجوه احدها ما قال الامام ابو منصور المنادي
لم يكن يوسف وانما كان من خدمه او من القوام على اسباب مملكته وهم قل ما يراعون
حدود الكلام حتى يتكلف لتحسين كلامهم وقال الامام الشاغري ان وضعه في رحله
كان في منزل يوسف بحيث حملوه كانوا هم مخرجين ذلك الوعا فعلا وان لم يشعروا
به فمن جهة عين الفعل يحمل ذلك الوعا سموا سارقين لاجتماعهم على اخراج الرحال
من داره الا ترى في الاحكام لو حلف لا يحمل من منزله ثوبا وقد كان الثوب في ظرف
وحمله انه يحنث في يمينه وان لم يشعر به وهو موجب للضمان اذا حمل انسان ويوسف
فيما جعله في وعا اخيه لم يامر باخراجه من الدار ولا برفع الرحل لما فعلوا فعلوا بغير
امره ومن اخرج متاعا من دار انسان فهو من ضمان المخرج اذا كان بغير امره
فلذلك سموا سارقين على هذا التاويل وقيل هو على الاستفهام اي انكم لسارقون
ولان من الجائز ان يكون ظهر منهم عند يوسف من بدء امرهم الى اليوم ما يطلق له
تسميتهم به وان لم يكونوا سارقين هذا الوعا وقيل كان تعريضا باخراجهم يوسف
من عند ابيه كانهم ما قصدوا ان يفعلوا به من تغييبه عنه وقوله تعالى قالوا تالله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ارادوا به ما انتشر به الخبر
عنهم في طريقهم من جهة من صحبهم بصلاحهم وظهور اعمال الخير منهم ومعاملتهم
الناس بالانصاف والاحسان وروي انهم كانوا في طريقهم لا ينزلون ارضا من
ملك الغير ولا يرعون له احد زرعا وكانوا جعلوا على افواه دوابهم الاكمة لئلا
تتناول الزروع ولانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم قال وهب قالوا

لاولاد يعقوب ما هكذا كان جزاؤنا منكم الم نكرم ضيافتكم ونوف كيلكم ونحسن نزلكم ونفعل
بكم ما لم نفعل بغيركم الم ندخلكم في منازلنا وبيوتنا فقالوا اما نعرف بهذا ولا ننسب اليه ولا
نوصف به تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه
ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين قالوا
فابحثوا نفتش رحالكم فاناخوا واثقين بما يقولون من براءتهم شديدة السنتهم وقلوبهم
فبدا برحل اخيهم الاكبر الذي يليه حتى بلغ رحل بنيامين فوجد الصواع مدسوسا
فيه فلما استخرجه منه نكسوا على رؤوسهم وانكرت قلوبهم وانقطعت السنتهم وخلوا اخيهم
وقالوا يا ابن المشؤومة واخا المشؤوم ما هذا من شوم امك وشوم ولدها بديع ولولا
انا ابتلينا في اخيك امر اجازما لجرى علينا اعظم من جريرتك فما الذي حملك على ان تسرق
صواع الملك فتفضحنا وتفضح نفسك وتعير اباك الصديق وليس هذا باول ما
سامتنا امك بولدها حتى يوسف حين صرف وجه ابينا عنا فحملكم فحملنا سوء مكم على ان
احزنا ابانا وبعنا اخانا فلو كنا فعلنا ذلك بك لاسترحنا وخلا لنا وجه ابينا فقال
لهم بنيامين اسمعوا مني يا اخوتاه ولا تعجلوا علي ولا تشتموني سائلتكم بوجه من
الحق تعرفونه وتعرفون به برائي وعذري الستم تعلمون ان بضاعتكم قد دست في
رحالكم يوم صدرتم من عند هذا الملك بغير علم منكم فان زعمتم انتم سرقتموها ودسستموها
في رحالكم كنتما نا سرقت الصواع ودسسته في رحلي وان زعمتم لا تدرون من دس البضاعة
في رحالكم فكذلك لست ادري من دس الصواع في رحلي والا فاعلموا ان هذا الملك يريد
بكم امرا فهو يمكر بكم من اجله فلما قال لهم هذا نظروا فيما قال فاخذ بانفسهم وتعلقوا بقلوبهم
فصدقوه فلما رجعوا الى يوسف ودخلوا عليه قال لهم كيف رايتم فراستي فيكم وعلمي
بامركم اليس قد اخبرتكم اول يوم انكم سراق فانكرتم وحلفتم وايم الله لا تبرحوا حتى
اسال الصواع عنكم فيخبرني بخبركم فانه غضبان عليكم من اجل انكم سرقتموه فهو
خليق ان يفضحكم وان لا يستر شيا من مساويكم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعني ستوصفنا بما صنعتم
بيوسف والله اعلم بما تصفون بما تقولون من الكذب بان اخاه يوسف سرق وانما
عيروا يوسف بالسرقة لانه كان لجد يوسف اي امه صنم كان يعبده فقالت ام يوسف ليوسف
خذ هذا الصنم الذي يعبده جدك فغيبه لعله يترك عبادة الاصنام وكان صنما من ذهب
فغيبه يوسف فلم يقدروا عليه فمن اجل الصنم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل

ثم قال يوسف لامينه سل هذا الصواع عن خبر هولاء القوم وحذره ان يكتم شيا من امرهم
فنقره الامين ثم قال اخبر الملك بالذي سالك عنه فطن الصواع ساعة والامين
مصغ اليه باذنه فلما سكت الصواع فلما سكت الصواع قال الامين ان الصواع يقول
لك ايها الملك ان هولاء القوم ليس هذا باول ما سرقوا انهم سرقوا قبل صواعك هذا غلاما
حتى اتباعوه قال فسله عنهم وقل له يخبرني من اخبارهم فنقر الصواع فطن وهو مصغ
اليه باذنه فلما سكت الصواع قال الامين انه يقول ان الغلام الذي اخبروك انه قد مات
حي ولكنه مغترب بارض بعيدة وهو بها حي سليم وزعم الصواع انهم لم يصدقوك عن
هلاكه كيف كان هلاكه وانه لا تنقضي الايام والليالي حتى يرجع الغلام فيخبر الناس
اخبارهم قال ثم فسله عنهم وقل له يخبرنا من اخبارهم فنقر الامين فطن وهو مصغ اليه
فلما سكت الصواع قال الامين ايها الملك ان هولاء القوم اخبروك انهم لام واحد كذبوا ولكنهم
لعلات وانما جمع الفتهم غدرة غدروها بابيهم ولولا ذلك لكان بينهم ما يكون بين اولاد
علات قال ثم فسله عنهم وقل له فليخبرنا من اخبارهم فنقره فطن وهو مصغ اليه فلما سكت
الصواع قال الامين ايها الملك ان الصواع يقول لك ما على ظهر الارض من عصابة هي اكذب
من هولاء القوم لقد كذبوا اباهم كذبة ما استقالوها بعد ولا عنيت لهم قال ثم فسله
عنهم فليخبرنا من اخبارهم فنقره فطن وهو مصغ اليه باذنه فلما سكت قال الامين ايها
الملك ان الصواع يقول ما دخل على ابي هولاء القوم منذ عقلوا هم ولا حزن ولا بلاء
وبكا الامين جهتهم وسببهم وعلى ايديهم وبجرائرهم فلما خافوا ان يبلغ بهم الخبر والمسائل
شان يوسف وفعلهم الذي فعلوا به وبابيهم الكبرى على يوسف فالتزموه يقبلون راسه
وقدميه ويسالونه بالله ويذكرونه به ويقولون نسالك بالذي فضلك على العالمين وشهدك
بالنبيين لما سترت العورة واقلت العثرة وكنت عند حسن الظن بك والرجا فيك وحفظت
رسالة ابينا يعقوب اليك ووصيته فينا ورحمت ضعفه وكبره ووحدته بعدنا ووحشته
بغيبتنا فرق حين ذكروا اباه وادركته الرحمة لهم فقال اما والله لولا حرمة يعقوب وحقه
ورسالته لنكلت بكم من خلفكم ولشردت بكم السراق واللصوص فانطلقوا فقد عفوت عنكم
فاغربوا فلا خلا حل فيكم وعجلوا بميرتكم الى ابيكم فانه قد اوعز الي ان اعجلكم قالوا
فارحم كبره بابنه هذا الذي نريد ان تحبسه فانك لن تصله بصلة ابلغ منه وانك ان
حبسته ضاعفت عليه البلاء وقوله تعالى فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي قال طالبوا
الصواع فما مكافاة الرق وقيل اي فما عوض الصواع ان ظهر كذبكم بوجود الصواع

معكم وقوله تعالى قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي قال اخوة يوسف جزاؤه
من وجد في رحله قيل جزاؤه مبتدا وقوله من وجد في رحله خبره ومعناه عوض المسروق
سارقه اي يوخذ ويملك ويستعبد وقوله فهو جزاؤه تكرير للتاكيد ومعناه انه هو
الجزاء لا غيره وقيل من وجد في رحله شرط وقوله فهو جزاؤه خبره وهذه الجملة خبر قوله جزاؤه
في الابتداء وقيل كان هذا حكم يعقوب في السراق فاخبروا بما هو حكم بلادهم ولذلك قال كذلك
نجزي الظالمين اي السراق اي هو حكم شريعتنا وقيل لم يكن ذلك حكم يعقوب بل كان حكم اهل مصر
فبادروا بالتزام هذا الحكم قبل ان يخبروا عليه وقيل لم يكن ذلك حكم احد الفريقين وانما هو
شي اتفق لهم القول به ثقة منهم بانهم لم يسرقوا فنفوا التهمة عن انفسهم بالتزامهم اغلظ ما
يكون شرعا او حكما في السراق وكان ذلك امرا اراده الله ايما ما المراد يوسف من احتباس اخيه
عنده فاجرى هذا القول على السنتهم وقيل معنى قوله فهو جزاؤه اي هو الذي يجزي جزاء
السراق دون غيره وقوله تعالى فبدا باوعيتهم اي بدا المؤذن برحال الاخوة قبل رحل
اخي يوسف وهو بنيامين والوعا الظرف يوعى فيه الشي اي يحفظ ثم استخرجها اي
اخرج السقاية وقال الزجاج اي الصواع ويذكر ويؤنث ولذلك قال ولمن جاء
به حمل ثم قال ثم استخرجها وقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اي كدنا اخوة يوسف
ليوسف والكيد التعريض للضرر في خفا اي اوقعنا هذا النوع من الكيد على اخوة يوسف
لاجل يوسف ليتهيا له حبس اخيه بهذا النوع من السبب وقوله تعالى ما كان لياخذ
اخاه في دين الملك الا ان يشا الله اي لم يكن يوسف لياخذ اخاه في حكم ملك مصر وعادة
ملك مصر فالدين اسم لما ... السرقة فيحبسه الا ان يسبب الله له التزام الاخوة في ذلك
في حكم شريعة ابيهم وهذا على قول من جعل استرقاق السارق حكم يعقوب دون اهل مصر
واما على قول من عكس هذا القول فتاويله كذلك كدنا ليوسف في اظهار السرقة على اخيه
وما كان له اخذه في حكم ملك مصر الا بالرقة فالمشية على هذا واقعة على وقوع
السرقة منه ودلت الاية على ان افعال العباد خلقها وقضيتها بمشية الله وقال
ابن عباس كذلك كدنا اي صنعنا وقال الربيع بن انس الهمنا وقيل قوله كذلك
كدنا اي كما فعلوا في الابتدا بيوسف من الكيد فعلنا بهم قال الله تعالى جزاء عن يعقوب
انه قال فيكيدوا لك كيدا وكان هذا جزاء كيدهم ذلك وقوله في دين الملك قال ابن عباس
في سلطان الملك وقال قتادة في قضا الملك وقال مجاهد في سنة الملك وقوله
تعالى نرفع درجات من نشا اي بتعليم العلم في كل باب والايصال الى المحاب وقوله

تعالى وفوق كل ذي علم عليم اي فضلنا بعضهم على بعض في مقادير العلوم وقيل وفوق
كل ذي علم من الناس عليم وقيل وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله فلا يكون
فوقه عليم وقوله تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اي قال الاخوة ان يسرق
هذا الاخ فقد سرق اخ له من قبل هذا وهو يوسف هذا اقدامنه با جبه وقوله
فاسرها يوسف في نفسه اي فاخفى هذه المقالة يوسف في قلبه ولم يبدها لهم اي لم يظهرها
لهم اي لم يقل انا يوسف وما سرقت قط فلم كذبتم علي وقوله تعالى قال انتم شر مكانا
اي قال في نفسه انتم اسوء حالا منه ابتت منه مما تقولون عليه وانتم جفوتم اباكم وبعتم
اخاكم وقصدتم قتله واضللتموه وقوله والله اعلم بما تصفون اي بما تصفون من
السرقة واختلف في وجه اضافتهم السرقة اليه قال ابن عباس ومجاهد كانت لابراهيم
منطقة كان يتوارثها الاكبر من اولاده فورثها ابنه اسحاق ثم وقعت الى رحمة بنت اسحق اخت
يعقوب وكانت اكبر اولاد اسحق وماتت ام يوسف راحيل فحضنت رحمة يوسف
وكانت تحبه الى ان شب وكانت لا تصبر عنه ساعة فلما شب اراد يعقوب ان ينزعه
منها ويرده الى منزله فعلمت بذلك فشدت المنطقة على وسط يوسف وبعثت به
الى يعقوب ثم اتت على اثره فقالت فقدت المنطقة ولم اجدها في بيتي ففتشوا ثياب
يوسف فاذا المنطقة على وسطه وكانت سنة آل يعقوب استرقاق اللصوص والسراق
ثلثة اشهر فردت يوسف الى منزلها ثلثة اشهر فذلك قولهم فقد سرق اخ له من قبل
يعنون ان يوسف سرق المنطقة وقال وهب كان يخبئ الطعام من المائدة للفقراء
وقال كعب كان يوسف في المنزل وحده فاتى سائل وكان في المنازل عناق وهي
الانثى من الجدي فدفعها الى السائل من غير امر ابيه وقال ابن اسحق كان في منزل
يعقوب جونة فيها صنم لجد ام يوسف فحمله يوسف والقاه فيما بين الجيف وغطاه
بالتراب وقد حكيناه عن وهب في سياق القصة اتم من هذا وقال سفين بن عيينه
سرق يوسف دجاجة كانت في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقوله تعالى قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين العزيز المنيع
وقوله كبيرا اي في السن والكبير في القرآن لمعان احدها هذا والثاني الكثير قال
الله تعالى ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله يعني قليلا او كثيرا والثالث
العظيم قال تعالى الكبير المتعال والرابع الطويل قال تعالى ان انتم الا في ضلال
كبير اي شقاق طويل والخامس الشديد قال تعالى نذقه عذابا كبيرا والسادس الاعلم

قال

قال تعالى انه لكبيركم الذي علمكم اي اعلمكم والسابع الاعقل قال تعالى قال كبيرهم وهو
يهوذا وكان روبيل اكبرهم سنا وانما استشفعوا بكونه شيخا كبيرا ولم يقولوا رسولا
نبيا لان الشيوخ لهم حرمة والكبر في السن داع الى المرحمة فقالوا ذلك استعطافا
كما قال في قصة شعيب وابونا شيخ كبير وفي قصة زكريا وقد بلغت من الكبر عتيا وقوله
فخذ احدنا مكانه اي خذ واحدا منا عبدا بدلا منه انا نريك من المحسنين اي احسنت الينا في
الانزال والكيل وفي رد البضاعة وتحسن في معاملة الناس فاحسن الينا برد هذا
الولد اليه واحسن الينا بصرفه فيزول موجب ابتياعنا وقال القشيري ظنوا ان
واحدا منهم يقوم مقامه فيما هو مقصوده ولا بدل عن المحبوب قال قايلهم شعر

• ابى القلب الا حب ليلى وبغضت • الي نساء ما لهن ذنوب •

وقوله تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي نعوذ بالله ان ناخذ
غيره اي في حقنا ولم يكن التعوذ من تركه اخذ بريا مكان من اخذ غيره وقوله انا اذا
لظالمون لو فعلنا ذلك قال وهب قال لهم يوسف تزعمون انكم اولاد الانبيا افتجدون
في حكم النبوة ان يوخذ البري ويترك المريب اهكذا احكم يعقوب فغضب يهوذا حتى قامت
شعرة في ظهره كانت تقوم اذا غضب فلا تسكن تلك الشعرة حتى يمسه بعض ولد يعقوب
فقال والله لترسلنه او لاصيحن صيحة لا يبقى حبلى في ملكك الا وضعت ما في بطنها فلما هم
ان يصيح قال يوسف لابنه اذهب فخذ بيده فائتني به فاخذ بيده فجاء به الى ابيه فسكن غضب
يهوذا قال والله لقد اصابتني كف انها لمن ولد يعقوب فكيف من هي قالوا كف ابن الملك قال
فوالله انه لينبغي ان يكون من ولد يعقوب وقوله تعالى فلما استيأسوا منه اي يئسوا
من رده اياهم اليهم خلصوا نجيا اي خرجوا من بين الناس فخلصوا عنهم نجيا اي متناجين
وهو مصدر يجيء للاصل فيصلح للواحد كما في قوله وقربناه نجيا وللجمع كما في هذه الاية
وهو كقوله تعالى واذ هم نجوى وقيل النجي جمع الناجي كالندي جمع النادي والغزي
جمع الغازي والحجيج جمع الحاج وخلصوا نجيا من فصيحات القرآن وخلصوا انفردوا
واصله الصفاء عن الشوب اي لم يبق معهم غيرهم والنجي يجمع على الانجية قال الشاعر •
اني اذا ما القوم كانوا انجية • واختلف القوم اختلاف الارشية • هناك اوصيني ولا
توصي بيه • يقول لما قنطوا من رده اليهم انفردوا خالصين لا يختلط غيرهم بهم يتناجون
اي يتشاورون في الامر الذي عرض لهم ماذا يصنعون ايرجعون الى ابيهم ام يقيمون
بمصر الى ان يعلموا خبر اخيهم او يقاتلوا يوسف في استنقاذ اخيهم وقوله تعالى قال

كبيرهم قيل اكبرهم سنا وهو روبيل وقال مجاهد هو شمعون ولم يكن اكبرهم في السن بل كان
اكبرهم في العقل وقال الكلبي ووهب هو يهوذا وقال محمد بن اسحق هو لاوي **وقوله**
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله هو قوله لتاتنني به الا ان يحاط بكم **وقوله**
ومن قبل ما فرطتم في يوسف من قبل رفع على الغاية وما فرطتم له ثلثة اوجه احدها ما مع الفعل
مصدر واعرابه الرفع وهو خبر من قبل اي من قبل هذا تفريطكم وقيل نصب بوقوع الم
تعلموا عليه اي الم تعلموا تفريطكم في امر يوسف وقيل ما صلة زايدة وتقديره ومن قبل فرطتم
في يوسف اي قصرتم في امره وضيعتموه **وقوله** تعالى فلن ابرح الارض وقوله لا ابرح
حتى ابلغ مجمع البحرين هما متقابلان في التفسير فلن ابرح للاقامة من غير ذهاب ولا ابرح للسير
بدون مقام وانما صح ذلك مع انهما متضادان لان المعنى فيهما لا ازول فمعنى فلن ابرح
فلن ازايل المقام ومعنى لا ابرح لا ازايل السير **وقوله** تعالى حتى ياذن لي ابي اي في الرجوع
اليه وقيل في القتال او يحكم الله لي بالرجوع بان تظهر عذري عنده اي تحسينا ارجع او
يصل الينا اخونا او يحكم الله بالسيف ان احاربهم واخذ الاخ منهم وهو خير الحاكمين
لا خطا في حكمه ولا زلل ولا رشوة ولا جنف **وقوله** تعالى ارجعوا الى ابيكم قال هذا
الكبير لاخوته ارجعوا الى ابيكم فانا مقيم بمصر واوضحوا له عذركم وقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق اي حكم عليه بالسرقة وما شهدنا الا بما علمنا اي وما شهدنا عليه بالسرقة
عندك الا بما علمنا من الامر الظاهر بوجود المسروق في رحله وما كنا للغيب حافظين اي
ولم نكن نحفظ الغيب فندفع عنه فنقول انه لم يسرق اذ لم نعلم ان الامر في الباطن بخلاف
الظاهر فسلمنا لما حكم عليه من السرقة على الظاهر وقيل ما كنا نحفظ الغيب فنعلم
انه سيسرق ولو علمنا ذلك لكنا لا نخرج به وكنا ضمنا حفظه بما يمكننا ان نحفظه
عنه من الافات في الطريق فاما السرقة فمما لم يكن لنا الى حفظه منها سبيل وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وما شهدنا الا بما علمنا اي ما شهدنا عند يوسف ان السارق
يسترق الا بما علمنا ان ذلك هو الواجب في الحكم ولم نعلم في الحقيقة هل سرق ابنك ام
لا لانه قد وجد الصواع في متاعه وقرا الضحاك ان ابنك سرق بضم السين
وتشديد الرا على ما لم يسم فاعله اي نسب الى السرقة كقولك صدق وكذب وقال
ابن عباس وما كنا للغيب حافظين اي لم نعلم انك تصاب به كما اصبت بيوسف ولو
علمنا ذلك لم نخرج فيك ولم نذهب به وقال عكرمة وما كنا للغيب حافظين فلعلها
دست بالليل في رحله ولا علم لنا به وقال محمد بن اسحق اي لم نطلع على انه سرق

ولكنهم

ولكنهم سرقوه **وقوله** وسئل القرية التي كنا فيها اي وسل اهل القرية اضمر الاهل لدلالة
الكلام عليه والعير التي اقبلنا فيها اي القافلة ومعناه وسل اهلها فان العير اسم للابل والحمير
التي تحمل الاحمال في المسير وانا لصادقون فيما نخبرك به انه سرق **وقال**
ابن عباس القرية هي مصر والعير القافلة التي رجعنا منها وعن ابن عباس في رواية
انها قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها الى مصر والعير كانت رفقة من صنعا صحبوهم
ليمتاروا وقيل القرية قرية من مصر كانوا اخرجوا مع الميرة اليها فلحقهم المنادي
بها ثم بعد هذه حصر الاية مصيرها الى قوله قال بل سولت لكم انفسكم اي فرجعوا وقالوا
له ذلك فقال هو ذلك قال وهب فلما رجعوا الى ابيهم فاخبروه الخبر كذبهم واتهمهم
وساظنه بهم وقال لهم كلما توجهتم وجها نقص منكم واحد توشكون ان لا يبقى
منكم احد وظن ان يهوذا انما تخلف عنه مكرا وحيلة ليصدقهم فقال وهو
قوله بل سولت لكم انفسكم امرا قال قتادة اي زينت وقيل سهلت اي ما هو
عندي كما تقولون وانما زين لكم هوى انفسكم امرا هممتم به في هذا الامر كما فعلتموه
بيوسف **وقوله** تعالى فصبر جميل اي فلا ارجع الا الى الصبر الجميل الذي اكظم
عليه ولا اشكو الى مخلوق **وقوله** تعالى عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يوسف واخويه
بنيامين ويهوذا انه هو العليم بحالي وتوحدي وتضرعي وبصدقكم وكذبكم
وهو الحكيم فيما يدبر به امور عباده فليس يدبر امري الا بما هو صلاح لي ونفع في
دنياي وديني فانا مسلم لتدبيره وقيل المومن المحقق كلما ازداد بلا ازداد رجا
وقال القشيري لما وعد من نفسه الصبر الجميل لم يمض عليه يومه حتى قال
يا اسفا على يوسف ليعلم ان عزم الاحباب على الصبر منقوض غير محفوظ **وقوله**
تعالى وتولى عنهم قالوا كان يعقوب في حال توجهه الى الاولاد يفقد في كل سفرة
منهم ولدا فلما تولى عنهم وجد المفقودين كلهم ليعلم العبد ان في توجهه الى الخلق
قطع نفع الخلق ومن توجه الى الله الوصول الى كل بغية قالوا اعرض عن بنيه واقبل
على بث نفسه فقال يا اسفا على يوسف قال الحسن وقتادة والضحاك يا
حزنا وقال مجاهد يا جزعاه **قال** الشاعر ۝ فيا اسفا على سلم بن عمرو ۝ ويا
حزنا عليه ولهف نفسي ۝ والاسف اشد الحزن على الغايب وهو اشد الغضب ايضا
ويجوز ان يكون اجتمع له المعنيان الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوة
يوسف او على نفسه ببعث بنيامين معهم والصيغة صيغة ندا ومعناه يا حزن

هذا وقتك فاحضر والالف في اخره للندبة واصله وااسفاه مع هاء الاستراحة ثم
حذفت الهاء للتخفيف **وقوله** تعالى وابيضت عيناه من الحزن قيل ذهاب بصره قال
مقاتل لم يبصر ست سنين وقال الاستاذ ابو علي لم يقل عمي لانه لم يذهب بصره
ذهاب فوات لكن كان حجابا عن رؤيته عن يوسف وكان اخوته غيبوه ليخلو لهم وجه
ابيهم فيخلص لهم نظره فلم ير صنوا ينظر اليهم مع يوسف ففاتهم اصلا فكذلك
من طلب الكل فاته الكل وقال القشيري كان ذهب بصر يعقوب في غيبة يعقوب
يوسف لطفا من الله بيعقوب حتى قيل لا يحتاج الى رؤية غيره اذ لا شيء على الاحباب
اشد من رؤية الاغيار قال قائلهم ◦ لما تيقنت اني لست مبصركم ◦ غمضت عيني
فلم انظر الى احد ◦ **وقوله** من الحزن اي الهم الغليظ على النفس من الارض الحزن بفتح
الحاء اي الغليظة **وقوله** تعالى فهو كظيم اي مملو كربا كقوله وهو مكظوم والكظام
القناة والسقاية المملوءة ماء وقيل كظيم اي ممسك على غيظ على اولاده بما فعلوا اي
على نفسه بما فعل من ارسال بنيامين معهم فعيل بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ
والاول فعيل بمعنى مفعول قال ابن عباس كظيم مهموم وقال مقاتل مكروب
يتردد الحزن في جوفه وقال مجاهد ساكت وقال قتادة كظيم على الحزن لم يتكلم
بسوء وقال عكرمة ممتلئ حزنا **وقوله** تعالى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
اي لا تفتؤ ومعناه لا تزال قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي
وصرفه من حد علم ومصدره الفتؤ والفتوء على الفعل والفعول قال اوس بن حجر
◦ فما فتئت خيل تثوب وتدعي ◦ ويلحق منها لاحق وتقطع ◦
اي فما زالت وحذفت لا من تفتؤ لانه جواب القسم للنفي ولو كان اثباتا لكان باللام
قال امرؤ القيس ◦ فقلت يمين الله ابرح قاعدا ◦ ولو قطعوا راسي لديك واوصالي ◦
وقوله تعالى حتى تكون حرضا قال ابن عباس ومجاهد اي بالياء من المرض
او تكون من الهالكين اي الميتين وقال الحسن وقتادة حتى تكون حرضا واصل
الحرض فساد العقل والجسم من الحزن والحب قال العرجي ◦ اني امرؤ لج بي حب فاحرضني ◦
حتى بليت وحتى شفني السقم ◦ وحرضا مصدر اريد به النعت ولا يثنى ولا يجمع وقال
الربيع بن انس حرضا يابس الجلد على العظم وقال الكسائي فاسدا لا خير فيه وقال
الحسن اي كالشيء المدقوق المكسور وقال القشيري هددوه بان يصير حرضا
وقد كان حرضا وخوفوه بما كان لا يبالي ان يصيبه في حكم الهوى حيث قالوا او

تكون

تكون من الهالكين وقيل الذ الاشياء في حكم الهوى لتهالكك في حب من تهوى ◦
وقوله تعالى قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قال ابن عباس اي همي وهو
الذي ينبث وان كتم اي ينتشر بانات والحزن ما يغلظ على النفس احتماله
وقيل البث الهم الذي يظهره صاحبه والحزن ما يضمره وقيل البث ابتداؤه والحزن
انتهاؤه ويقول اشكو ذلك كله الى الله لا الى خلقه **وقوله** تعالى واعلم من الله
ما لا تعلمون اي من سعة رحمته ولطف تدبيره بعباده ما لا تعلمون انتم يشير الى
حسن ظنه ورجائه بربه جل جلاله ان يعيد اليه يوسف قيل انما رجا ذلك
لما قص عليه يوسف رؤياه وعلم تاويله وقيل اخبره بذلك ملك الموت وقيل
اخبره جبريل عليه السلام وقيل راه في المنام قال وهب ولما اراد الله ان يروح
عنه ويرحمه ويبلغه الى بنيه ارسل اليه ملك الموت بشبيه الوحي في المنام
فقال له يعقوب من انت ايها الجسد العظيم قال له انا ملك الموت قال
اني كنت اتمنى ان القاك منذ حين قال له ولم ذاك قال لاسالك عن شان يوسف
وقال وعن شانه تسالني قال اشكو واسالك بالذي ملكك الانفس وسلطك
على الارواح واعطاك القوة في الاجساد هل قبضت روح يوسف قال والذي
لشدتني به ما قبضت روحه فاطلب ابنك فانه حي سالم فانتبه واصبح وقال
لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه وروي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك
وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكا على يوسف واما الذي
قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل وقال يا يعقوب ان الله تعالى
يقريك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكوني الى غيري فقال يعقوب انما
اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل اعلم بما تشكو يا يعقوب ثم قال يعقوب
يا رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانة
اشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بي يا رب ما شئت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله
تعالى يقرا عليك السلام ويقول لك ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين
لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي المساكين وتدري لم
اذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع اخوة يوسف بيوسف ما صنعوا لانكم
ذبحتم شاة فاتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها فكان يعقوب بعد

ذلك اذا اراد الغدا امر مناديا فنادى الا من كان صايما من المساكين فليفطر مع يعقوب
وقيل كان نفصل عجولا عن امه اياما وقيل غير ذلك من الاسباب والصحيح انه غير مبني
على سبب والله ان يمتحن عباده وخواصه بما شا ليرفعهم بذلك درجاتهم وبظهر صدقهم
واخلاصهم وقوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف اي اطلبوا خبره
من الحس وهو العلم بالحاسة والتجسس بالجيم قريب منه وقيل هما واحد وقيل بالحا
في الخير وبالجيم في الشر وقيل الحس بالحا الطلب لنفسه وبالجيم الطلب لغيره ومنه
الجاسوس وقال القشيري امرهم بطلب يوسف بجميع حواسهم بطلبونه بالبصر لعلهم
يرونه بالاذن لعلهم يسمعون ذكره وبالشم لعلهم يجدون ريحه توهم انهم مثله في الارادة
قال تعالى خبرا عنه اني لاجد ريح يوسف وقال الامام ابو منصور وقال اهل التاويل
استخبروا عنه واطلبوا والاشبه ان يكون معناه اذهبوا من هذا الجانب الذي كنتم فانظروا
اليه والى اخيه فانه ان حمل على الاستخبار في حق يوسف لا يستقيم في قوله واخيه
وهم يعلمون اين هو فمعناه ايقاع حاسة البصر على الذين راوه وهو لو وقوع الرجالة
ان يوسف بمصر لكن لم يخبر بنيه بذلك انه هناك لما علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون
عن الذهاب اليه فقال ذلك تعريضا لا تصريحا وقال القشيري قال يعقوب
في حق يوسف اي لا يخرجن ان تذهبوا به وقال في حق سائر اولاده اذهبوا ليعلم يون
ما بينهم في المحل عنده وقال وهب لما قال لبنيه ذلك قالوا كيف تكلفنا ان نتحسس
من اهل القبور اما يوسف فقد اخبرناك خبره اول يوم انه اكله الذئب ولا نحسبه
اليوم الا رميما تحت التراب واما ابناك اللذان ذهبا معنا فقد اخبرناك ان احدهما
سرق فارتهن بسرقته واما الاخر فمقيم لطلب فكاكه قد اقسم بالله جهد يمينه والا على
نفسه ان لا يبرح الارض حتى ياذن لي اب او يقضي لك بموتك او يحكم الله بما شا وهو
خير الحاكمين ونحن راجعون فمتحسسون عن اخوتنا ومتعرضون لذلك وانا قد عهدناه
ملكا رحيما ولعل الله ان يكون قد احدث له رايا وزاده لك رحمة قال يعقوب
فبلغوه عني السلام وقولوا له ان ابانا يعقوب يقول لك بيا انت مهتم بمصيبته محزون
عليه مبتلى بابن يبكي معه وتدعوا له اذ جمعته بابنه مما هذا منك بمشبه لاول
فعلك فارحم ترحم وقيل انهم قالوا له اكتب اليه بشي فامر فكتب بسم الله هذا كتاب
من يعقوب اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى ملك مصر عبد الله
اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا اسباب البلا اما جدي ابرهيم فالقي في النار فصبر

لامر

لامر الله واما عمي اسمعيل فابتلي بالغربة في صغره فصبر لامر الله واما ابي اسحق فابتلي بالذبح
فصبر لامر الله واما انا فاضعفهم ركنا واقلهم حيلة واعظمهم مصيبة بكيت على فراق
ولدي يوسف حتى عمي بصري والذي اخذته سارقا فليس بسارق والله ما ولدت
سارقا فامنن علي برده وخل سبيله واحذر دعوة المظلوم والسلام وقوله تعالى
ولا تيئسوا من روح الله اي رحمة الله وقيل اي من ترويح الله اي تفريج الله عن المكروبين
الا القوم الكافرون الذين لا يعرفون قدرة الله على ما يشا ثم انهم توجهوا الى مصر ولما
انتهوا اليها ودخلوا عليه وذلك قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر اي اصابنا ونسانا واولادنا الضيق والقحط وجينا اي وقد جيناك ببضاعة مزجاة
قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي ردية لا توخذ الا بوكس وقال الحسن ومجاهد وابرهيم
وقتادة وابن زيد اي قليلة وقال الضحاك اي كاسدة وغيرها فلا تنفق في ثمن الطعام
وقال وهب كانت دراهم نقاية وقيل كانت صوفا وسمنا واقطا قال الحسن واصل
الازجا السوق والدفع قال تعالى يزجي لكم الفلك ومنه تزجيه العمر كانها بضاعة تدفع ولا
تقبل وقوله تعالى فاوف لنا الكيل اي لا تنظر الى نقصان بضاعتنا واتمم باحسانك
كيلنا وقوله تعالى وتصدق علينا اي اسقط ما بين الجياد والردية من التفاوت قال
وهب كان دراهما جيادا تفضلا منك ان الله يجزي المتصدقين وقيل كانت بضاعتهم حبة
الخضرا وقيل كانت خلق الغرارة والحبل وقيل تصدق علينا برد اخينا علينا قال
القشيري لما طالعوا فقرهم نطقوا بقدرهم فقالوا وجينا ببضاعة مزجاة ولما شاهدوا
قدر يوسف سالوا على قدره فقالوا فاوف لنا الكيل كانهم قالوا وجينا ببضاعة
لا تنفق الا بهذه الحضرة فاوف لنا كيلا يليق بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا
ثم تركوا هذا اللسان فقالوا وتصدق علينا تنزلوا اوضع منزل كانهم قالوا ان لم تستوجب
معاملة البيع والشري فقد استوجبنا بذل العطا وعلى الله المكافاة والجزا وقال
الامام ابو منصور قالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لانه كان امين الملك وهو اسم لامين ملك
مصر كما قال وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها او لانهم كانوا محتاجين اليه
وكان ممتنعا عما في ايديهم وقوله وتصدق علينا اي تفضل ما بين الثمنين وقيل ما بين الكيلين
والصحيح انهم طلبوا حط الثمن لان الصدقة لا تحل للانبيا ويجوز الحط لهم ويجوز حط
من لا تصح صدقته كالعبد الماذون في التجارة وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز
له الشرا بدون ثمنه ولا تحل له الصدقة ويجوز ان يكون معناه ورد علينا اخانا ان الله

يجزي المتصدقين ولم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا بحال الملك ودينه فتحرزوا
واطلقوا ان الله يجزي المتصدقين وهم المومنون قال وهب وخافوا ان يذكروا
في اول ما لقوه حديث اخيهم مخافة ان يعيد لهم التوبيخ والتقريع وقالوا ان كان في
نفسه لاخينا رقة فقد اخبرناه انا مضرورون محزونون مجهودون وعرضنا له ان كان
يريد ان يخلي سبيل الغلام وكان يوسف سال اخاه بنيامين عن عدد ولده فقال هم
ثلثة اسم الاكبر يوسف فقال له ولم سميته يوسف قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي
كلما دعي تحرك لذكرك قلبي فقد زعم اخوتي ان الذيب اكلك قال وسميت الاخر دما قال ولم سميته
دما قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي كلما دعي ذكرتك فبكى يوسف عند ذلك
حتى كاد يتصدع قلبه من البكاء ثم رفع يديه ودعا ربه ان يجمع اليه اباه وحاكته
فاستجاب الله تعالى له وقال لاخوته بعد ما قالوا يا ايها العزيز الى اخره كيف تركتم يعقوب
قالوا تركناه باكيا محزونا كظيما قال يوسف على اي ابنيه احزنه وبكاوه اشد على هذا
السارق المرتهن بسرقته ام على الاول الذي اخرنا الصاع خبره قالوا اما الاول فقد
يئس منه ونسيه وذهب عنه ولكنما بكاوه على هذا المحبوس عندك وقد ارسلنا فيه
اليك رسالة لولا مهابتك ومخافة ان لا تصدقنا لبلغناك قوله قال فاخبروني فانكم امينون
ان صدقتموني فلما بلغوه رسالة ابيهم لم يملك نفسه حزنا وبكا على منوته وعندها باح
لهم بحاله وذلك قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قال
صاحب كتاب عصمة الانبيا هذا من يوسف تذكر لهم ما سبق من فعلهم بمكانه ليجددوا الانتباه
والاهتمام وذكر اخاه وما فعلوا بمكانه كان اخاه شكى اليه منهم من سوء معاملتهم معه كعادات
الاخوة وقلة شفقتهم بمكان اخيهم او لما راى منهم تقريعا لاخيهم عند استخراج الصاع من
وعائه حسبانا منهم ان اخاه كان سرق المتاع فاستقبلهم المكروه من شبهه فعنفوا عليه
دليل قوله اذ انتم جاهلون اي لم تعلموا الحالة فبنيتم المعاملة على ظاهر ما بدا لكم من حاله
وقال الامام ابو منصور اذ انتم جاهلون قال بعض اهل التاويل مذنبون ويجوز
اذ انتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته اذ لو علموا ذلك لما قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا وقيل هو تلقين العذر وهو غاية الكرم والفضل وعلى هذا الوجه قول الله
تعالى للذين يعملون السوء بجهالة وقالوا الكريم لا يعاتب ولو عاتب لا يستقصي وكذلك
فعل يوسف لم يعاتبهم في المرة الاولى والثانية وعاتبهم في الثالثة على خفا ولم يستقص
وقيل الكرم ترك العتاب وترك الاستقصا في العتاب وتلقين العذر في العتاب

والعفو

والعفو بعد العتاب وقد فعل ذلك كله يوسف في هذه المرة وبيانه في الاية وفي بعض
القصص ان يوسف اخرج اليهم كتابا وقال هذا كتاب بالعبرانية فهل احد منكم
يحسن قراته قالوا نعم فاخرج كتاب بيعه من مالك بن ذعر فنظروا فيه وبهتوا فقالوا
في انفسهم كنا بدلناه عند بيعه لمشتريه وهو من اهل مصر فلعله تداولته الايدي
فوقع عند الملك فقالوا هذا كتاب كتبناه في بيع عبد لنا بعناه فقال اقرأوا فقرأ
بسم الله ابرهيم هذا ما اشترى مالك بن ذعر الخزاعي من ال يعقوب غلاما يقال
له يوسف بعشرين درهما ونقدهم الثمن وضمنوا الدرك واشهدوا الله بذلك على انفسهم
وكفى بالله شهيدا فقال لهم يوسف كنتم تقولون ان يوسف اخونا وقد اكله الذيب وقد
كتبتم في هذا انه غلامنا وقد بعناه فقد ظهر لي انكم استرققتم اخاكم وعققتم اباكم
واستوجبتم عقوبة شديدة وانا معاقبكم على ذلك ومنتقم منكم لابيكم ودعا بالسياف
فصاحوا باجمعهم يتضرعون ويبكون ويقولون له ان كنت قاتلنا لا محالة فلطخ ثيابنا
بدمائنا وابعثها الى ابينا فلاحظ له من اولاده الا الثوب الملطخ بالدم ورق لذلك
يوسف واضطرب الناس وحاجبه وقال يوسف وقد بلغ التخويف النهاية في حق هولاء
محسبكم وقد انقضت مدة المحنة فاظهر لهم نفسه فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون فنظروا فيه لما كان قال لهم ابوهم فتحسسوا من يوسف واخيه فعرفوه فقالوا
ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي بنيامين لا عبدي تظنونه وقد اتخذته عبدا
وليس كذلك بل هو اخي وعزيزي قد من الله علينا اي يجمع ما فرقتم وصلة ما قطعتم
وقيل اي من الله علي بالانجاء من البئر والعصمة من الهم والتخليص من السجن وتمليك
مصر وقوله تعالى انه من يتق ويصبر فالتقوى العمل بالطاعات وترك السيات والصبر
وتحمل المكروهات وكان ذلك كله ليوسف وقال ابن عباس من يتق الزنا ويصبر
على العزوبة وتعذيبه فهو محسن وان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال القشيري
قالوا في خطابه قبل ان يعرفوه يا ايها العزيز فلما عرفوه قالوا ائنك لانت يوسف لان الاجنبية
اذا ارتفعت سقط تكلف المخاطبة وانشدوا فيه • اذا صفت المودة بين قوم •
• ودام ولاوهم سمج الثناء • قال الشيخ ابو علي الدقاق لما قال يوسف انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين واحال استحقاق الاجر على ما عمل من التقوى
والصبر انطقهم الله حتى اجابوه بلسان التوحيد فقالوا تالله لقد اثرك الله علينا يعني
يقولون ان هذا ليس بتقويك وصبرك انما هو بايثار الله علينا اياك فيه تقدمت علينا

لا بجهدك فقال يوسف على جهة الانبيا دينحو لا تثريب عليكم اليوم فسقط عنهم
اللوم لانه لم يرتفويه قصيرة من نفسه حيث بهنوم عليه لم يرجفاهم منهم فاخذ عن
عين التوحيد واخبر عن شهود التقدير وقوله تعالى قالوا تالله لقد اثرك الله علينا
اي اختارك وقدمك علينا وان كنا لخاطئين اي ما كنا لخاطئين اي مذنبين بما صنعنا
في حقك خطئ يخطا خطا من حد علم اي تعمد ما يخالف الصواب عنه وقوله تعالى لا تثريب
عليكم اليوم قال ابن عباس وسفين لا تعيير عليكم وقال الاخفش لا ملامة عليكم وقال ابو عمرو
بن العلاء لا تقريع عليكم وقال الكسائي لا تقرير عليكم اي لا اقرركم بذنبكم وقال السدي
لا اذكركم ذنبكم وقيل لا افساد عليكم وقال ابن كيسان لا اعيد عليكم ما فعلتم وقال
النضر بن شميل لا تخليط عليكم وقيل لا تثريب عليكم وقوله اليوم ليس هذا للقصر عليه لكن
اذا لم يوبخهم في اول الصنيعة فما بعد ذلك اولى ان لا يوبخهم به وقوله تعالى يغفر الله لكم
هذا منه دعا لهم بالمغفرة عفا بنفسه وطلب لهم عفو ربه وهو كما قال المروة والديانة
قال الله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله اي عفا حق نفسه واصلح سال الله
العفو عن ظالمه وقيل انه قطع انه بان الله غفر لهم بصدق توبتهم وهو ان كان حكما
فهو عن وحي اليه وقوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا امر اخوته ان يرجعوا الى ابيهم
ليحملوا اليه مع اهاليهم واصحبوه قميصه وهو الذي جا به جبريل الى ابرهيم يوم القي في نار
النمرود والبسه ثم كان نعله لاسحق ثم كساه اسحق يعقوب ثم جعل يعقوب في قصبة فضة
فعلقها في عنق يوسف فلما القي في الجب جا جبريل واخرجه منها فالبسه فكان معه اي ان قال
اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي قال القشيري قيل علم يوسف ان يعقوب بلا
يلحقه من فرط السرور لا تطاوعه يده في اخذ القميص فقال القوه على وجه ابي يات بصيرا
قيل يعد بصيرا وقيل اي يات بصيرا وقوله تعالى واتوني باهلكم اجمعين من النساء
والاولاد وانما دعا يعقوب واخوته واهاليهم الى نفسه ولم يات اباه لا اختلالا لا باطلال
بل ابقا على حاله لانه علم ان يعقوب لا يقوم بحمايته انوار يوسف وتقصر نات يده عنه فحملهم
كفيفا عليهم واحسانا اليهم وانما قال يات بصيرا لانه بوحي وكان كذلك وكان معجزة
له قال وهب ثم كسا يوسف اخوته واجازهم وحملهم وبعث الى ابيه بجائزة وكسوة
ومائة راحلة وجهازها وجهازا لاهلهم لتعلمهم انه وقال لاخوته اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين وكانوا سبعين انسانا وعجل
سراحهم وحملهم وخرج يهوذا مبشرا مسرعا بالقميص حافيا راجلا متشكرا لله بالمشي

وقوله تعالى وهو ارحم الراحمين اذ كل راحم يرحم برحمته صح

والكفا

والكفا والرجلة ما بين مصر والشام وبينهما مسيرة ثمانية ايام ومع يهوذا القميص وسبعة
ارغفة من زاده فلم ياكلها حتى ورد على ابيه ولما فصل من مصر استروح يعقوب
ريح القميص وذلك قوله ولما فصلت العير اي خرجت من مصر ومصدره الفصول
والفصال والفصال الفطام والفصل التمييز والفصل الحكم وصرف كله من باب ضرب
وقوله تعالى قال ابوهم اي يعقوب اني لاجد ريح يوسف قال الحسن وجدها من مسيرة
شهر وقال ابن عباس من ثمانية ليال وقوله تعالى لولا ان تفندون التفنيد تضعيف
الراي والفند ضعف قال الشاعر يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من
امر بمردود وقال ابن عباس لولا ان تسفهوني وقال الحسن ومجاهد تهرمون
وقال ابن عباس تضعفون وقال الضحاك تكذبون وقيل اي تنسبوني الى الخرف
وقد افنده الشيب اي جعله كثير الكلام لمن حضرهم من القتله من الخرف قال يعقوب
عليه السلام هذا الكلام لمن حضره من اهله وقرابته دون ولده لانهم كانوا غيبا
عنه بمصر تفرس فيهم انهم يلومونه فقال ذلك وهو ممتحن وتقديره اني لاجد ريحا
يشبه ريح يوسف واريد ان اقول هو ريح يوسف لولا كراهة ان تفندون وهو
كمن وجد شيا يعتقد في العرف وجوده فيقول اني وجدت شيا واريد ان اخبركم به
لولا انكم تكذبون قال القشيري يا للعجب انه كان عند اقبال المحنة ويوسف منه
على اقل من مرحلة حيث القوه في الجب لا يجد ريحه واستتر عليه حاله وحين لما ادبرت
ايام المحنة وجد ريحه وبينهما مسيرة شهر او مسيرة ثمانين فرسخا وقيل انفرد يعقوب
بريح يوسف ووجدانها لانفراده بمقاساة المحن على فقد يوسف وانما يجد ريح يوسف
من وجد على فراق يوسف ويقال لا يعرف ريح الاحباب الا الاحباب وقوله
تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي قال من حضره انك لفي خطائك القديم
قاله ابن عباس وهو يرجع الى قول بنيه في الابتداء ان ابانا لفي ضلال مبين وقال
مجاهد انك لفي ضلالك القديم اي حبك القديم وكذلك الاول على هذا قول الله ووجدك
ضالا فهدى اي محبا فهداك الى شرائطه وطرائقه وقال الحسن انك لذاهب عن
الصواب في امر يوسف من جولقاه وقدماته منذ دهر طويل وفي عصمة الانبيا ليس هذا من
حفدة فصدا اذايه وانما هو التسلية لهم لكن لم يحسنوا نظم الكلام على ما كان
يجب مقابلته به وقال القشيري ان البلا اذا هجم بمرة واذا زال زال بالتدريج
حل البلا بيعقوب بمرة حيث قالوا اكله الذيب ولما زال البلا وجد ريح يوسف اولا ثم

قميص يوسف ثم يوم الوصول رأى سبعين حاجبا بين يدي يوسف قبل ان رأى يوسف
ولما كان سبب حزن يعقوب بقميصه كان فرجه ايضا بقميصه قال وقيل ان
وجود الريح مجاز عن وجود دلايل الوصال وأماراته وهو كما يقال اي لاجد ريح
الفتنة وقد هبت لفلان ريح قال الشاعر • ولقد تنسمت الرياح لحاجتي •
• فاذا لها من راحتيك نسيم • وكانه علم بمكان يوسف بوحي من الله بقصد حامل القميص
وروي انه لما اخرج قميصه قال من يحمله قال يهوذا انا اولى بحمله لاني حملت
اليه قميصه الملطخ بالدم واخبرته بان الذيب اكله فكنت سبب حزنه فاحمل اليه هذا
القميص فاكون سبب سروره وقيل ان يعقوب كان يتعرف خبر يوسف من الرياح
كثيرا حتى جا الاذن للرياح بحمل ريحه اليه وسنة الاحباب مسايلة الديار ومخاطبة
الاطلال ومراسلة الرياح قال قايلهم • واني لاستهدي الرياح نسيمكم •
• اذا اقبلت من نحوكم بهبوب • واسالها حمل السلام اليكم • فان هي يوما بلغت فاجيبي •
وقالوا من العجب ان يعقوب وجد ريح يوسف والذين حضروه لم يجدوا واعجب منه
ان يهوذا الذي كان يحمله وهو في رحله كان لا يجد ريحه وكذا المومن يوم القيمة
يجد ريح الجنة من مسيرة خمسماية سنة والكافر لا يجدها وقوله تعالى ولما
ان جا البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا اي جا يهوذا بالقميص فالقاه على وجه
يعقوب فرجع بصيرا اي صار بصيرا كما كان قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
اي قال للذين حضروه ممن كانوا يفندونه ويقولون انك لفي ضلالك القديم الم اقل
لكم وهو ما مر في قوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
وهو علمه بما يبتلي الله به عباده الانبياء من المحن التي تنكشف عن حميد العاقبة
قال كعب ووهب فالقى يهوذا القميص على وجه ابيه فعاد بصيرا الحال وقال يهوذا
البشارة يا اباه ان الملك العزيز الذي ملك مصر واهلها هو ابنك يوسف وقد بعث اليك
جهازا وماتي راحلة وسالك ان تخرج انت ومن معك اليه وهو قوله واتوني
باهلكم اجمعين فتهيا يعقوب للخروج وخرج معه اثنان وسبعون من ذكر وانثى
فبلغ يوسف انه جاء وقربه من مصر فتلقاه في مواكبه وتلقاه فرعون في
جنوده ووصل يعقوب بصلات فاخرة وجوايز سنية وقوله تعالى قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا قال اخوة يوسف اشفع لنا عند ربك الى يوسف ليعفو عنا وقيل
استغفر الله لنا انا كنا خاطئين مذنبين مسيئين اليك والى يوسف وعاصين لله بذلك

وقوله تعالى قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قيل اخر ذلك الى ان
ينظر ما يقضي الله في امرهم وما ذا يقول يوسف والحق لم يكن ليعقوب خاصته فاخر
الى ان يترضاه ثم يستغفر لهم وقيل اخر ذلك الى ان يقوم للصلوة فيستغفر فيها او
بعدها وقيل الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة في نيف وعشرين سنة وفي بعض القصص ان يعقوب واولاده واهاليهم توجهوا
الى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف تلقاه ومعه ثلثماية الف فارس
كل واحد منهم معه جنة من فضة وراية من ذهب الافراس راكبه والفرسان غلمانه
فتزينت الصحرا بهم واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدته
ونظر الى الصحراء مملوة من الفرسان مزينة بالالوان نظر اليهم متعجبا فقال له جبريل
انظر الى الهواء فان الملايكة قد حضرت سرورا بحالك كما كانوا باكين محزونين مدة
لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال ايهم ولدي يوسف فقال جبريل هو ذلك
الذي فوق راسه ظلة فلم يتمالك ان اوقع نفسه من البعير فقال جبريل يا يوسف ان
اباك يعقوب قد نزل لك فانزل له فنزل عن فرسه وجعل كل واحد منهما يعدوا الى
الاخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول
وسبحت الملايكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كانه يوم القيمة وفي كتاب عصمة
الانبياء وما روي انه لم يترجل من السرير لابويه او من الدابة كما مر لا معنى له لانه قد
تلقاهم بدليل قوله وقال ادخلوا مصر وكذلك نزل عن الدابة على ما حكينا وما روي
ان جبريل قال ليوسف انك لم تحترم لابيك فقطع نسل النبوة منك فانه كلام باطل
لا يجوز ان يذكر ويعتقد فان الانبيا لم يكن من صفتهم التعظم على احد فضلا على
الاب وعلى ان انبيا من بعده كانوا من نسله كموسى وداود وسليمان ثم لما انتهوا الى
السرير رفع ابويه مكرما لهما اخذا بايديهما معليا لهما على السرير ثم ان جلس هو معهما
فهو على السرير الجلوس كما يجلس الولد بين يدي والده ولا يبعد ذلك من كان للحرمة
خصوصا اذا كان والده نبيا مرسلا فان قالوا هلا صار الى ابويه لقضاء
حقوقهما وما تحمل ابوه من الهم والحزن في امره حتى استدعاهم الى حضرته قلنا انه
لم يفعل ذلك من غير وحي والثاني انه اراد ان ياتوه جميعا فيعرف اهل مصر
وجاهته وابوته ومنزلته ويعلموا انه لم يصر ملكا من غير اصل بل له اصل صميم وليعاين
اهله نعمة الله عليه بعد انقضاء المحنة من اعطاء الملك ولو كان ترك الملك وصار

اليهم لم يقع موقع الاعظام في الاخبار اذ ليس الخبر كالمعاينة **وقوله** تعالى ولما دخلوا
على يوسف اي يوم عاشورا اوى اليه ابويه اي ضم الى نفسه اباه وخالته راحيل لان
امه كانت ماتت وتزوجها يعقوب والخالة ام والابوان اسم للاب والام تغليبا للذكر
على الانثى قاله السدي وقال الحسن ومحمد بن اسحق كانت امه في الاحيا وتزاولهما
جميعا اي ضمهما الى نفسه وانزلهما عنده ومعه في موضع اعده لنزول ساعة خارج
المصر ثم قال ادخلوا مصر ان شا الله امنين والاستثنا داخل في الامن لانه امر بالدخول
ووعد الامن والاستثنا يدخل في الوعد لا في الامر وكذا كانت مواعيد الانبيا قال
تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وانما
وعد الامن لانه كان بلدا فيه كفار وملكهم الذي قام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا
فوعدهم الامن معلقا بالمشية رجا لذلك من فضل الله **وقوله** تعالى فلما دخل اعلى
اوى اليه اخاه والثالث فلما دخلوا عليه فقفرهم والثاني ولما دخلوا على يوسف
اوى اليه ابويه وقالوا دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز والرابع فلما دخلوا على يوسف
القوم في الدخول ولكن تباينوا في الاتيان فانفرد الابوان به لبعدهما من الجفا كذلك
غدا اذا وصلوا الى الغفران يشترك في وجود الجنة ولكنهم يتباينون
في بساط القربة فيختص بها اهل الصفا دون من اقتصد اليوم بالاكتوا **وقوله** تعالى
ورفع ابويه على العرش اي لما دخلوا مصر ودخلوا داره رفع والده وخالته راحيل الى
سرير الملك وخروا له سجدا قال وهب انحنوا له كالفعل الاعاجم ولم يضعوا
جباههم وانما توضع الجباه بالسجود لله وهذا كان تحية منهم له وكذلك فعلت
الملايكة حين امروا بالسجود لادم ولم تزل تحية الناس السجود حتى جا الله بالاسلام
فذهب بالسجود وجا بالمصافحة واكثرهم على انه وضع الوجه على الارض وهو المتعارف
المتفاهم من اطلاقه **وقال** ابن عباس سجد والله شكرا لله على ما انعم عليه بالاجتماع
والاظهر الاشهر انه كان ليوسف لان الرؤيا كانت على ذلك قال رايتهم لي ساجدين
وكان ذلك تحية للملوك الى ان نسخ في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الاية
دليل على انه لا بد من مساك السرير والجلوس عليه اذا لم يكن للتعظم والمباهاة وانما
كان للانتفاع والارتفاق ولامساك الناس على حدود الاداب اذا نظروا اليه
بعين المكانة والمنزلة والجاه فيسهل على الوجيه تنفيذ اسباب المعاملة **وقوله**

تعالى قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا قال ابن عباس اي عبارة
رؤياي وقال عكرمة تفسير رؤياي وقال مقاتل بن حيان تحقيق رؤياي وقال
طاوس تصديق رؤياي اي التي قصصتها عليك قد جعلها ربي حقا بان اسجدكم لي
في اليقظة كما رايته في المنام ومن قال سجد له اخوته دون ابويه لم يستقم لان الرؤيا كانت
على سجود الكل قال تعالى اخبارا عن يوسف والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين فعلى ذلك
تاويلها **وقوله** تعالى وقد احسن بي اي الي قال كثير اسي بنا او احسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت وحروف الادوات تتناوب وقيل هو على حقيقته اي احسن
الي اهل الزمان بي حيث ملكني ونفع الناس بحسن تدبيري **وقوله** تعالى اذ اخرجني
من السجن قال يعقوب او كنت في السجن قال لا اشكو السجن ولكن اشكو الخلاص من السجن
وقالوا لم لم يذكر الخلاص من البير قيل لان مدة تلك كانت قصيرة ومدة هذه كانت طويلة
ولان البير كان بفعل اخوته فلم يرض بذكر ذلك بحضرتهم لئلا يخجلوا وكان السجن من اهل
مصر فلم يبال بذكر فعلهم وقيل كان ايقاعهم في البير ايابه كنه منهم فلم يخف ان يكون عقوبة
له والسجن كان بعد قوله رب السجن احب الي فخاف ان يكون معاتبة له او مطالبة فعد
الخلاص منه نعمة عظيمة **وقوله** تعالى وجا بكم من البدو اي من البادية التي تبدو فيها من كان
دخلها وانما قال وجا بكم من البدو لانهم كانوا ابا دين بارض كنعان وهي بادية بلاد فلسطين
وقيل قال ذلك لانهم كانوا اهل مواشي **وقوله** تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي قال ابن عباس القى الحسد في قلوب اخوته وقال مقاتل بن حيان اغرى الشيطان
وقال عطا حرش الشيطان والتحريش التهييج **وقال** عكرمة افسد وهو حقيقته لغة
اضافه اليه تمهيدا للعذر اخوته واصل الفساد يكون من وسوسة الشيطان ثم يفعله الانسان
فيقع فيه او يمتنع عنه بالاجتهاد والاستعاذة بالله فيسلم منه **وقوله** تعالى ان ربي لطيف
لما يشا اي لطف الله بي حيث انعم انه لطيف لما يشا اي يوصل الى الشي في سهولة
وحسن موقع وقيل اي عالم بدقايق الامور وحقايقها وسرها وعلنها انه هو العليم بنا
وبا حوالنا الحكيم فيما اجرى بيننا وقيل اي العليم بسراير عباده وقيل اي بمصالح عباده
الحكيم يضع كل شي موضعه ويفعله لوقته وقيل اي العليم بما فعلوا الحكيم بما هو فعل بنا
وفي بعض التفاسير المقبولة ان يوسف لما جمع الله بينه وبين ابويه واخوته اخذ بيد ابيه
وجعل يعرض عليه الخزاين فعرض عليه خزانة الذهب والفضة والحلي والحلل والاسلحة حتى
ادخله خزانة القراطيس فراى يعقوب فيها شيا كثيرا فقال يا بني ما اغفلك لابيك كان

عندك بهذا من القراطيس وكنت مني على ثلث مراحل اربعين سنة فما الذي منعك من مكاتبتي
قال امرني جبريل بذلك قال أفلا تسأله قال يا أبت أنت أشد انبساطا اليه مني فجاء
جبريل فسأله يعقوب أأنت نهيت ابني عن مكاتبتي قال نعم قال ولم قال لأن الله امرني بذلك
قال أفلا تسأله قال نعم فمضى وسأل الله تعالى فقال قل لعبدي يعقوب أنسيت يوم قلت
اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب فهلا خفتني يا يعقوب قال وهب ولبث
معه اخوته من يوم وردوا على مصر الى يوم مات ابوه اربعا وعشرين سنة في اغبط الغبطة
واتم السرور لا يأتي عليه يوم ولا ليلة الا والله يحدث له فيه غبطة هي افضل مما قبلها ورخاء
هو افضل مما قبله وعافية هي اوسع مما قبلها قد جمع الله الغنم واقر عيونهم ودحر الشيطان
عنهم فلبثوا بذلك لا يقدر قدر احسان الله اليهم ونعمته التي اتمها عليهم فلما حضر يعقوب الموت
جمع ولده وولد ولده فأوصاهم وعهد اليهم وقال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون وقال لبنيه ما تعبدون من بعدي قال نعبد الهك الآية وقال يا بني
احفظوا عني خصلتين ما انتصرت من ظالم بقول ولا فعل ولا رأيت من احد حسنة
الا افشيتها ولا سيئة الا كتمتها وقال له بنوه يا ابانا انا نخاف ان يحقد علينا يوسف
ما صنعنا به بعدك فاستوهب لنا ذلك منه واوصه بنا قال يعقوب ليوسف يا بني هب
لي فعلة اخوتك بك ولا تحقدها عليهم فقال يوسف يا ابتاه فقد عفوت عنهم ووهبتهم
لك واوصى يعقوب يوسف اذا هو مات ان يحمل جسده حتى يقبر مع ابويه ابرهيم
واسحق في الارض المقدسة فحمله يوسف على عجلة من ارض مصر حتى اورده الارض
المقدسة ثم وضعه الموضع الذي امر به ورجع الى مصر قال وهب ويقال انه
مات هو واخوه عيصو في يوم واحد وقبرا في موضع واحد وكان عمرهما مائة
سنة واربعا واربعين سنة فلما جمع الله ليوسف شمله واقر عينه واتم له امر روياه
تمنى الموت ودعا به وذلك **قوله** رب قد آتيتني من الملك الآية انه ملك
مصر وقيل هو ملك الجمال وقيل هو ملك النسب فهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقيل هو ملك القلوب فكان يحبه الحاضر بالنظر
والغائب بالخبر وقيل هو ملك الاحترام فقد نفرت الهوام كلها حين القي في البئر احتراما
له وقيل هو ملك القيمة حتى بلغت قيمته يوم دخوله لمصر وعرضه في السوق للشراء
اضعاف زنة نفسه من كل مال خطير وقيل هو ملك النفس حتى استعصم
فلم يجب امراة العزيز وقيل ملك الهمة حتى اختار السجن على العصيان وقيل هو ملك

النبوة في ثماني عشرة سنة من عمره وقيل هو ملك الهيبة حتى هابته زليخا وذلت له وانقادت
مع ان ظاهر حالها انها ملكته وقيل هو ملك الاخوة ملكهم وذلوا له ثم من عليهم وقيل هو
ملك الجود فما كان في الدنيا اجود منه في سنة القحط وقيل ملك الشفقة فقلما كان يجوع
لئلا ينسى الجائع وقيل هو ملك العدل فقد سوى بين اهل ولايته والغرباء كلهم في سنة
الجدب وقيل هو ملك القميص اعاد به بصر ابيه وكان جميع قصته في ثلثة من القمص
وجاءوا على قميصه بدم كذب وان كان قميصه قد من قبل اذهبوا بقميصي هذا وقيل هو
الوصال فقد وجد وصال ابويه واخوته وكل قراباته بعد ثمانين سنة من غير ان نقص
منهم احد وقيل هو ملك العبرة فقد قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل هو ملك
السؤال وهو سؤال الوفاة على الاسلام ولم يكن مثله من غيره في مثل حاله ثم قوله من الملك
للتبعيض لانه لم يكن له ملك كل الدنيا **وقوله** تعالى وعلمتني من تأويل الاحاديث اي تعبير الرؤيا
وقيل فيه فائدة اخرى قد ذكرناها في اول السورة **وقوله** تعالى فاطر السموات والارض من غير
شيء مبتدا خلقهما **وقوله** تعالى انت وليي في الدنيا والآخرة اي متولي اموري وكافي
معاشي ومعادي والولي في القرآن لخمسة معان للرب قال الله تعالى أغير الله اتخذ وليا
وللاله قال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء اي آلهة وللولد قال تعالى فهب لي
من لدنك وليا وللقريب قال تعالى وما لكم من دون الله من ولي وللصاحب قال تعالى ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وللقيم قال تعالى فليملل وليه بالعدل والمتولي للمصالح
قال تعالى انت وليي وللموالي في الكفر قال تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وللموالي
في الاسلام قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وللنصيح قال تعالى
لا تتخذوا الكافرين اولياء **وقال** القشيري انت الذي تتولاني في دنياي بعزك فانك
وفي عقباي بغفرانك فليس لي في الدارين غيرك **وقوله** تعالى توفني مسلما اي امتني
على الاسلام قيل لما انتظمت اسبابه واطردت احواله اشتاق الى ربه وقيل لما رأى
امره على الكمال علم انه اشرف على الزوال فسأل سعادة الانتقال **قال** قائلهم
° اذا تم امر دنا نقصه ° توقع زوالا اذا قيل تم ° وقيل هذا سؤال التوفي على
الاسلام [illegible] وقيل هو سؤال الختم على الاسلام متى كان **وحكي** عن الاستاذ ابي علي
الدقاق انه قال قال يوسف ليعقوب علمت انا نلتقي في الآخرة بعد الموت فلم بكيت
كل ذلك البكا فقال يا بني ان هناك طريقين خفت ان تسلك طريقا واسلك طريقا فقال
يوسف عند ذلك توفني مسلما وقيل لما جاء البشير وبشر يعقوب بيوسف قال على اي دين

تركته قال على الاسلام فالان طاب قلبي وقال الشيخ ابو الحسن محمد بن يحيى البشاغري
في كتاب عصمة الانبياء ان من كملت حالته وصفت سريرته لاحت له معرفة اقدار
الاشياء على هيئتها وكشف له من النظر الى عظمة الله وسلطانه ثم الى نفسه في جوهرها
وبنيتها فلا يترك شرط العبودية في مقامه وان عظمت نعمه عليه بل يقيم بوفاء الشكر للنعم
لا للاعجاب بالنفس والامن على حالها والثاني ان يوسف دعا به ليقتدي قومه به من ليس
بامن على خاتمته فلا يترك الدعاء امتثالا به لان ظواهر الانبياء كانت لنظر الامم اليهم ليعلموا
موضع الشكر من موضع الاستغفار والثالث معنى الاسلام من مثله يحتمل الاستسلام فاحب
ادامة العصمة عليه باستعمال الخلق الحسن الى اجر عمره حسب ما جرى في مختلف الاحوال
التي جرت عليه من المحن والنعم اذ الاسلام قد يكون عبارة عن العقد وهو الدين وعن
التسليم وهو صفة الكمال **وقوله** تعالى والحقني بالصالحين هذه الكلمة في القران لمعان
منها المؤمن قال تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم ومنها العامل المرضي قال تعالى
وعمل صالحا ومنها المطيع قال تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ومنها
التائب قال تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين ومنها الامين قال تعالى وكان ابوهما
صالحا اي مؤدي الامانة ومنها الولد السوي الاعضاء قال تعالى فلما اتيهما صالحا
ومنها الرفيق المنصف قال تعالى ستجدني ان شاء الله من الصالحين ومنها الرفيع المنزلة
قال تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين ومنها انه اسم للانبياء لكمال حالهم واستجماع خلال
الخير فيهم قال تعالى وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وقيل اراد به ههنا والحقني
بابائي في الجنة ابرهيم واسحق ويعقوب وقيل اراد به الحقني في الدنيا بدرجات الصالحين
المستكملين الصلاح المنزهين عن الفساد وفي ذلك تنبيه لكل مسلم ان يدعو بهذا
الدعاء وهو الختم على الاسلام والالحاق بالصالحين لان مع الصالحين الامن والسكون
والغبطة والحبور قال وهب فلما حضرت يوسف الوفاة اوصى اخوته بمثل ما
اوصى به ابوه يعقوب ان يحملوه الى الارض المقدسة فيدفنوه مع ابائه فحمل ودفن
مع ابائه وقال ابن عباس مات يوسف في اهل مصر فدفن بها حتى بعث الله تعالى موسى
بن عمران فولي اخراج شخصه من مصر فانطلق به حتى دفنه عند قبر ابيه وقال
وهب دخل يعقوب واولاده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا من بين رجل وامراة
وخرج منهم الذين خرجوا مع موسى من مقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة
وسبعون رجلا سوى الذرية وكانت الذرية الف الف ومائتي الف سوى المقاتلة وعاش

يوسف بعد موت ابيه ثلثا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة وكان اول
نبي من انبياء بني اسرائيل قال وهب ثم استخلف من بعده يهوذا ثم روبيل ثم لاوي ثم شمعون
ثم يشجر ثم زبالون ثم ذيابام ثم دان ثم نفتيل ثم حاذ ثم اشير وولد ليوسف افرايم بن
يوسف وميشا بن يوسف فولد لافرايم نون بن افرايم وولد لنون يوشع بن نون
وهو فتى موسى وولد لميشا بن يوسف موسى بن منشا وهو اهل التورية يقولون هو الذي
طلب الخضر وخرق السفينة وقتل الغلام وقال ابن عباس هو موسى بن عمران وهو موسى
بن عمران بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وكان بين دخول يوسف مصر الى يوم خروج
موسى اربعمائة عام واوصى موسى ان تحمل شخصه وتدفن ببيت المقدس واوصى يوسف
كذلك وقال وهب بلغنا ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة كما هي
في القران لا تزيد ولا تنقص **وقوله** تعالى ذلك اشارة الى ما سبق من انباء يوسف
من انباء الغيب نوحيه اي هذا من الاخبار التي تغيب علمها عن العباد ولا يقف عليها الا
من علمه الله تعالى فنحن نعلمك ونوحيه اليك **وقوله** تعالى وما كنت لديهم اي لدى
اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم اي احكموا الراي والتدبير على طرحه في البئر وهم
يمكرون بيوسف اي يحتالون للتفريق بينه وبين ابيه يعقوب ليخلو لهم وجه ابيهم فنعلم
قصتهم ولم يكن ليفعل ذلك بك وهو يريد ان يخذلك ويبعد اعداءك عليك بل ينصرك
ويعلي شانك كما فعل بيوسف واخوته فاسكن الى هذا وليهن عليك اعراض قومك
عنك فان اكثرهم لا يؤمنون **وقوله** تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي لا
يؤمنون وان اشتد حرصك على ايمانهم لان هذا من فعل الله لا يقدر عليه احد غيره نظيره
قوله ليس لك من الامر شيء والحرص طلب شيء باجتهاد في اصابته وقيل وما اكثر الناس
من اهل مكة وقال الامام ابو منصور هي فيهم وفي غيرهم ايضا **وقوله** تعالى
وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين يقول لست تطمع في اموالهم ولا تسال
عليه اي على تبليغ القران فقد سبق ذكره في قوله نوحيه اليك شيئا فينسبوك
الى الاستكال فعل الطالبين العلو في الارض والمال ولا انت بضار سولك بهذا القران
اليهم وحذهم بل القران ذكرى اي تذكر وموعظة لجميع العالمين الى قيام الساعة ۝
وتضمن ما بهم الحاجة الى معرفته من امر دينهم يتذكرون به ما ينسونه وقيل ان هو الا
ذكر للعالمين اي شرف لمن اتبعه من العالمين **وقوله** تعالى وكاين من اية في السموت
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون اي وكم من دلالة على وحدانية الله في

السموات والارض قال الضحاك ايات السموات الشمس والقمر والنجوم وايات الارض دیار
الامم الهالكة وخرابها قال تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقيل ايات الارض
الجبال والبحار والانهار والاشجار ووجه الاعتبار بالايات التفكر فيما يقتضي من
ان مدبرا دبرها قادرا عليها عالما بحالاتها **وقوله** تعالى ويمرون عليها وهم عنها
معرضون اي غافلون لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها ولا يتعظون بما نال الاولين
وقال القشيري الايات باهرة والبراهين زاهرة وكل جزء من المخلوقات شاهد
على انه الله واحد ولكن من غمض عينيه لم يستمتع بضوء نهاره وكذلك من قصر
في نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره **وقوله** تعالى وما يومن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون هذا تهديد لمشايخ اولئك المشركين وتبعيد لايمانهم بالقران قال
ابن عباس اراد انهم حين سئلوا من خلقكم ومن نزل من السماء ماء ليقولن الله فهذا
ايمانهم ثم هم يعبدون الاوثان ويقولون هولاء شفعاونا عند الله وما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فهذا شركهم وقال مجاهد هذا في التلبية يقولون
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطا هذا في الدعاء
وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا في الدعاء قال
تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه الاية وقال الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وقال
الامام ابو منصور يحتمل وما يومن اكثرهم بالله بالسنتهم الا وهم مشركون بقلوبهم ويحتمل
وما يومن اكثرهم بالله في النعمة انها من الله الا وهم مشركون في الشكر له وقال
القشيري الشرك نوعان جلي وخفي فالجلي ان يتخذ من دونه سبحانه معبودا والخفي
ان يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه مقصودا وقيل شرك العارفين ان يتخذوا من
دونه مشهودا ويطالعوا سواه مشهودا **وقوله** تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية
من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون هذا وعيدهم اخرج مخرج التعجيب
اي عجبا من غفلتهم اما تخافون ان تجاوهم عقوبة من الله تغشيهم وتفشي بحللهم ومعناه
تعمهم كما جاءت من قبلهم او تاتيهم القيمة فجاة لا علم لهم باتيانها **وقوله** تعالى قل هذه سبيلي
اي طريقتي التي اسلكها ابتغي بها الجنة في الاخرة **وقوله** تعالى ادعوا الى الله هو بيان
السبيل اي ادعوا الى الله وحده دون الشركاء والانداد التي يجعلها المشركون **وقوله**
تعالى على بصيرة انا ومن اتبعني اي على بيان وحجة انا وكل من اتبعني لا على تقليد

والوعادة وما انا من المشركين واعترض في خلال هذا وسبحان الله على معنى ادعوا الى
الله وحده وسبحانه اي تنزيها له عن ان يكون معه اله عجز **وقوله** تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى اعلم الله نبيه محاجة الكفار
المشركين فيما قالوا لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك فانهم يجهلون فقال وما بعثنا
بالنبوة من قبلك الا رجالا لا ملائكة وكانوا من اهل القرى لا من سكان السماء فكذا
انت فلا يهولنك قولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك فانهم يجهلون سبل النبوات ولا
عذر لهم في تكذيبك وان كنت بشرا كما لم يكن للذين كانوا من قبلك في تكذيب رسلهم بل كانت
عاقبتهم البوار والدمار **وقوله** تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم ولدار الاخرة خير اي ولدار الحيوة الاخرة اولدار النشاة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك
والمعاصي افلا تعقلون اي اما لهولاء المشركين عقول يتدبرون بها هذه الحجج والمواعظ
فينجوا من الهلاك وقيل معنى اهل القرى اهل الامصار دون البوادي لانهم اعلم واحلم
وقال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية قط ولا من الجن ولا من النساء وقال
الامام ابو منصور انما بعث الرسل من الامصار لا من البوادي لان اهل الامصار لهم اختلاط
باصناف الناس وتجارب فهم اعقل واعلم واهل البوادي لهم اختلاط بالبهائم فهم
عن العلم ابعد ولان الرسل لهم اعلام تتقدم على وقت الرسالة يحتاج الى ان يظهر ذلك
للخلق فيكون ذلك اسرع الى الاجابة لهم واذا كانوا من اهل البوادي لا يظهر ذلك للخلق
والثالث انه يراد من الرسالة اظهارها في الخلق في الافاق ثم الامصار هي الامكنة
التي ينتابها الناس في التجارات وانواع الحاجات من الاطراف واما البوادي والبراري
فليس يدخلها ولا ينتابها الا الشاذ من الناس ولا يقضي فيها الحوائج فلا تظهر في الخلق
الرسالة وما يراد بها **وقوله** تعالى حتى اذا استيأس الرسل اي وما ارسلنا قبلك الا
رجالا مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة حتى اذا استيأس هولاء الرسل من
ايمان قومهم كذا فسره عايشة وقتادة وجماعة وذلك يكون بظهور العناد والاصرار
الله تعالى **وقوله** تعالى وظنوا انهم قد كذبوا قرا عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف
والباقون بالتثقيل وللتشديد وجهان احدهما وظن الرسل اي ايقنوا ان الامم كذبوهم
تكذيبا لا يومنون بعده وهو قول الحسن وجماعة والظن يكون بمعنى اليقين كما قال الشاعر
فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد والثاني وظن الرسل
حقيقة الظن دون اليقين ان من امن بهم كذبوهم ابصاحبين تاخر النصر عنهم وهو قول

عائشة وقتادة وتقدير الآية حتى اذا استيأس المرسلون عن ايمان من كذبهم الى الان وظنوا ايضا ان الذين صدقوهم وامنوا بهم ثم امتد بهم البلاء وتاخر الفرج والرخا كذبوهم ايضا بانهم نصروا وقراءة التخفيف لها وجهان ايضا وظن القوم انهم اي القوم كذبوا اي كذبهم الرسل فيما اخبروهم به من نصر الله لهم واهلاك اعدائهم وهو قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وقريب من هذا الوجه قول بعضهم وظن القوم انهم اي الرسل كذبوا بالتخفيف اي كذبهم من اخبرهم من الملائكة ونحوهم عن الله في وعد النصر على الكفار ونحو ذلك ووجه اخر وظن الرسل اي ايقنوا انهم اي الرسل كذبوا كذبهم من وعدهم من قومهم ان يؤمن بهم ويكون الكذب بمعنى اخلاف الوعد كما يسمى انجاز الوعد صدقا قال الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه **وقوله** تعالى جاءهم نصرنا يقول لم نكن نعاجل امم الرسل بالانتقام منهم على تكذيبهم بل كنا نمهلهم حتى اذا وقع الياس وضاقت الاحوال اتاهم نصرنا **وقوله** تعالى فنجي من نشاء قرا عاصم وابن عامر فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح اليا على ما لم يسم فاعله من نجاه ينجيه تنجية اي خلصه وقرا ابو عمرو في رواية فنجي بنون واحدة وتسكين اليا على حذف احدى النونين كحذف احدى التاءين من قوله ان البقر تشابه علينا وقرا الباقون فننجي بنونين على الاستقبال اي ننجي الانبياء واتباعهم ولا يرد باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين **وقوله** تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب اي في قصص يوسف واخوته وابيه وقيل في قصص الانبياء كلهم عبرة اي دلالة يعتبر بها اي البغية لاولي العقول الخالصة اذ كان ذلك حقا من الله فيحق على العقلاء الاعتبار به **وقوله** تعالى ما كان حديثا يفترى اي لم يكن خبرا يختلق حتى ينبغي للعقلاء ان يرفضوه ويعرضوا عنه **وقوله** تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه اي بل كان تصديقا للتورية والانجيل والكتب المنزلة قبله قاله الحسن ومجاهد وانما قال بين يديه لانه قد وجد فصار كانه حاضر له وقيل لانه قريب منه كقرب ما كان بين يدي الانسان **وقوله** تعالى وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اي وتبيينا لكل شيء مما بالناس حاجة اليه في دينهم وهدى الى الحق والصراط المستقيم ورحمة من الله رحم بها المؤمنين وقال الامام ابو منصور وفي هذه القصة تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى قريش يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين والنسب عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد

والله

والملك وصبر على ذلك فانت مع قومك وهم مخالفون لك في الدين احرى ان تصبر على اذيهم وقال الامام الشاغري وفيه دليل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قص قصة يوسف وغيرها على حسب ما يجدها اهل الكتب في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان مع معرفتهم انه لم يختلف الى احد يتعلم منه ولا نظر في الكتب فيتلقاه فما هو الا عن الوحي ولا وحي الا الى الرسل وقال بعض المحققين ثم من العبر في هذه القصة ما حل بيوسف على صنوف من المحن من جهة اخوته من الطرح في البير والبيع بالثمن البخس وما ابتلي به من الاسترقاق والحبس الطويل من غير جرم ولا استحقاق فالعبرة به ان الله تعالى يفعل ما يشا لا اعتراض لاحد عليه ثم صبر يوسف على هذه المحن كلها الى ان ختم له بالملك والعلو دليل على انه لا يخسر احد على الصبر عند جريان المقادير عليه ثم ما فيه من التنبيه على من قدر على اعزاز يوسف بعد القايه في الجب واغلايه بعد حبسه في السجن وتمليكه مصر بعد ان كان هو لبعض اهلها في حكم العبد ثم جمع بينه وبين ابويه واخوته على ما احب بعد المدة الطويلة لقادر ان يعز محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلي كلمته وينصره على من عاداه من قومه ثم ما امتحن به ابوه من الوجد بفقده الى ان ابيضت عيناه من البكاء عليه الى ان جمع الله شمله ورد عليه ابنه سلوة للممتحنين واطماع لهم في تبديل الحال وتعريض المحنة للزوال ثم فيما جرى على يوسف من جهة اخوته الذين هم اولى الناس بالشفقة عليه والذب عنه ما سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عداوة قومه واقاربه له ثم فيما فعله يوسف في السجن من دعا الفتيين الى الله واقامته الحجة عليهما للتوحيد وعلى بطلان الشرك ما يوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوك طريقته في الصبر على الدعا الى الله والقيام به في كل وقت يمكن وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثر منه ثم ما كان من يوسف من بسط العدل في ملكه عبرة للملوك وفي المن والاحسان الى رعيته لان يوسف لما ملكهم اعتقهم كلهم ثم ما فيه عبرة لارباب التقوى فان يوسف لما ترك هواه رقاه الله الى ما رقاه ومنها العبرة لاهل الهوى في اتباع الهوى من شدة البلاء كامراة العزيز لما اتبعت هواها لقيت ما لقيت من الضر ومنها العبرة لمن لبث في حفظ حرمة السادة كيوسف لما حفظ حرمة العزيز في زليخا ملك ملك العزيز وصارت زليخا امراته حلالا لها ومنها العفو عند القدرة كيوسف حيث تجاوز عن اخوته وغير ذلك من اشارات سبقت

في هذه النسخة وفي غيرها لاهل العلم والحكمة وقال بعض الواعظين كان لله تعالى
خليل يسمى ابرهيم فاعطاه ولدا يسمى اسحق وبارك فيه فولد له ولد يسمى يعقوب فولد ليعقوب اولاد
وخص الله بعض اولاده بكمال الجمال واللطف وهو يوسف فاثره ابوه فحسده اخوته
فاخذوه واخفوه عن ابيه وطرحوه في البير فباعوه بالثمن البخس الكبير فقاسا يوسف
شدايد الرق فابتليت به امراة العزيز بلية العشق فراودته عن نفسه فاستعصم
بعصمة الحق وبدا لهم حبسه في السجن فطال ذلك ثم بعد بضع سنين زال ذلك ثم افضى
به التعبير الى ملك مصر والجلوس على السرير ثم جاء اخوته مرات وامتاروا منه كرات
ثم جمع الله بين يعقوب ويوسف وزال التنابي والتاسف وجمع الشمل وبسط يوسف
على اخوته الفضل فنفعوا اباهم او شهورا او اعواما ثم ماتوا وبانوا فكانهم ما كانوا
فلا يعقوب ولا بكا ولا اخوة ولا جفا ولا سجن ولا سجان ولا عزيز ولا يوسف
ولا اصحاب ولا خول ولا احباب ولا مملكة ولا اسباب ولا امر ولا نهي وهذه
عبرة لاولي الالباب وقيل هذه القصة مراة كل مومن كان ليوسف جمال الظاهر
فنظرت اليه زليخا وللمومن جمال الباطن وينظر اليه المولى وكان ليوسف حسن
الصورة فاشتراه العزيز فان الله تعالى اشترى من المومنين انفسهم ولما اشتراه العزيز
ادخله دار زليخا ولما اشترى الله المومن ادخله الدنيا فاوقعت زليخا يوسف في
التهمة واوقع الشيطان المومن في المعصية فنقل يوسف الى السجن والمومن الى
القبر فسيل يوسف في السجن عن تاويل الرويا ويسال المومن في القبر عن الله والرسول
والهدى فاجاب يوسف على الصواب فاكرمه الربان ويجيب المومن على الصواب
فيكرمه الديان ووصل يوسف الى ملك مصر والمومن يصل الى ملك الجنة
وقيل ليوسف انك اليوم لدينا مكين امين ويقال للمومن ان المتقين في مقام
امين وختم قصة يوسف بقوله هدى ورحمة لقوم يومنون ويقال للمومن
لمثل هذا فليعمل العاملون

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي يعلم من اسر القول ومن
جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار الرحمن الذي يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر فهو الخالق الرازق الواحد القهار الرحيم الذي وعد المتقين
جنات تجري من تحتها الانهار وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة الرعد كان له من الاجر بوزن كل سحاب مضى وكل

سحاب يكون عشر حسنات وبعث يوم القيمة وهو من الموفين بعهد الله وسورة الرعد
مدنية في قول عكرمة والحسن وقتادة مكية في قول ابن عباس وعطا ومقاتل
وسعيد بن جبير وهي ثلث واربعون اية وقيل اربع واربعون وقيل خمس واربعون وقيل
سبع واربعون والاختلاف في خمس ايات لفي خلق جديد يستوي الظلمات والنور
يستوي الاعمى والبصير شركا خلقوا كخلقه من كل باب وكلماتها ثمانماية وثلث وخمسون
وحروفها ثلثة الاف واربعماية وثلثة وخمسون وانتظام اول هذه السورة باخر
التي قبلها ان كل واحد منهما في ذكر القران وصفته وانتظام السورتين ان سورة
يوسف في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما قص عليه مما نال يوسف من
الاذى من الاقارب ليصبر هو على ما يناله من الاجانب وختم السورة بتكذيب الكفار
رسول الله وجحودهم كتاب الله واعراضهم عن التفكر في ايات الله وحذرهم العقوبة في
الدنيا والاخرة وذكر في هذه السورة ايضا تكذيبهم في ايات وصفة القران في
ايات ونبههم على اياته ووحدانيته في ايات وحذرهم عقابه واطمعهم ثوابه في ايات
وقوله المر قدمت في تفسيرها اقاويل وقيل معناه انا الله اعلم وارى وقيل هي
اسم هذه السورة **وقوله** تلك ايات الكتاب اي هذه ايات القران وهو كلام تام **وقوله**
والذي انزل اليك من ربك الحق كلام اخر تام ايضا مبتدا وخبر ومعناه وكل ما انزله
الله على لسان جبريل اليك فهو الحق والصدق لا كذب فيه ولا خلف ووجه اخر
ان قوله والذي انزل اليك في محل خفض عطفا على قوله الكتاب وتقديره تلك ايات
الكتاب وايات ما انزل اليك وهو كقوله تلك ايات القران وكتاب ثم قوله الحق اي هو
الحق او ذلك الحق كقوله ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك اي هو الحق او ذلك
الحق وعلى هذا يكون الكتاب اسما للكتب المتقدمة وتلك اشارة الى الغايب ويكون
وصفا لايات الكتب كلها انها الحق وقيل الكتاب والذي انزل شي واحد وهو القران
وانما عطف بالواو لان الموصوف واحد ولكن له صفتان كانه وانزال **وقوله**
تعالى ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بانه منزل من الله لاعراضهم عن التدبر
فيه قال مقاتل هم مشركو مكة قالوا ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه وقيل
هم اصناف الكفار فهم الاكثرون عددا والاقلون خطرا **وقوله** تعالى الله الذي
رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها وقدمت نظايره
يخرجهم من الظلمات الى النور اي تركت ملة قوم وليكون من الموقنين **وقوله**

بغير عمد هي جمع عماد ونظيره الاهاب والاهب وقوله تعالى ترونها اي ترون السما لا
عمد لها وهو امر يعاين شاهد وهو طريقة الكلبي ومجاهد وقيل ترونها صفة العمد اي
بغير عمد مرئية ولها عماد غير مرئي وهو القدرة فان الله تعالى يمسكها كذلك بقدرته فكانها
عمادها فظاهر الاية بغير عمد مرئية وتحقيقه بغير عمد مرئية وكلمة لا ينبغي مقدمة في الذكر
موخرة في المعنى كقول الشاعر ولا اراها تزال ظالمة تحدث لي قرحة وتنكاها
اي لا اراها الا تزال ظالمة وقوله تعالى ثم استوى على العرش مر تفسيره مرتين وهو
ههنا اخبار عن جري الامور كلها على ما قدره وقضى وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر
اي ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه وفرضهما على سير واحد لمنافع عباده ومصالح
بلاده لما يوجد بهما من الاثار في الحبوب والثمار وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى اي
كل منهما يجري الى وقت مقدر فالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة لا يختلف جريهما
كما قال والشمس تجري لمستقر لها قال والشمس والقمر بحسبان اي بحساب معلوم لا يختلف
وقيل كل يجري على ما سخره الله الى يوم القيمة ثم تنقض فتنكور الشمس ويخسف القمر
وتنكدر النجوم وقوله تعالى يدبر الامر اي يجري الامور كلها على علم عواقبها وقوله
تعالى يفصل الايات اي ياتي بالايات الدالة على وحدانيته وصدق رسله مفصلا فصلا
ليتمكن العباد من تدبر كل اية على حدة وقوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون اي لتوقنوا
بالبعث بعد الموت والمصير الى ثوابه وعقابه ويقال لمن مات لقي الله وقيل هذه
الاية من جملة مائة وثمانين اية في اجوبة لسؤال المشركين رسول الله ان ربك الذي
يعيد ما فعله وصنعه فانزل الله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الله يبدؤ
الخلق ثم يعيده الله الذي خلقكم ثم رزقكم الاية ونظايرها وقال منازل وعطا الاجل المسمى
يوم القيمة وقال ابن عباس بن النهار للقمر والسنة للشمس وقدرناهما وقوله تعالى وهو
الذي مد الارض ذكر السما وعجايبها ثم الارض كذلك دلالة على ربوبيته ووحدانيته
ومد الارض اي بسطها طولا وعرضا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت
رسا يرسو رسوا اي ثبت وقوله تعالى ومن كل الثمرات اي وجعل فيها من كل الثمرات
وقوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اي لونين اسود وابيض وحلوا وحامضا
وصغيرا وكبيرا ورطبا ويابسا ونحو ذلك وانما اتبع زوجين قوله اثنين لعبتين احدهما
ان الزوج قد يكون اسما للشفع وقد يكون اسما للفرد فاتبعه اثنين ليعلم انه لم
يرد به الشفع ولكن اراد به اللون الفرد والثاني انه للتاكيد ولتمكين المعنى في النفس

وقوله يغشي الليل النهار اي يغطي ظلمته فيذهب ضوءه ويغشي النهار الليل فيذهب ظلمته وهو
مختصر في الذكر مراد في المعنى بدلالة نظايره يولج الليل في النهار ويكور الليل على النهار
وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيه فيعلمون بتعاقبه وتصرفه على نظام
واحد ان له صانعا عالما حكيما قادرا ليس كمثله شي وان ذلك كله اذا كان مخلوقا
لقوام العباد فيقتضي شكرهم له على هذه النعم باخلاص العبادة له وقال ابن عباس
خلق الله الارض على الماء وكانت تكفا كما تكفا السفينة باهلها فارساها الله بالجبال
حتى استقرت وقال وهب هذه الجبال الشامخة على وجه الارض طولها في الارض
مثل طولها في الهواء فلذلك سماها اوتادا وقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات
اي متلاصقات متقاربات تربتها واحدة وماوها واحد وقوله تعالى وجنات
من اعناب عطف على قوله قطع اي وفي الارض بساتين من اعناب وهي الكروم وقوله
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية حفص كلها
بالرفع عطفا على قوله وجنات وقرا الباقون كلها بالخفض عطفا على قوله واعناب والصنوان
هي النخلات التي اصلها واحد وهو قول ابن عباس والبرا بن عازب ومجاهد وقتادة والحسن
وهو كذلك في اللغة الواحد منها صنو اي اصله واصل اي واحد وقوله
تعالى يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل قرا ابن كثير وابو عمرو ونسقى بالتاء
التي هي للتانيث على ما لم يسم فاعله ونفضل بالنون ومعنى التانيث ان المذكورات
قبله جماعة والنون اخبار الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جمعا وقرا حمزة والكسائي
يسقى بما له ويفضل بيا المغايبة وبكسر الضاد اثباتا للفعل الواحد الظاهر صفته المذكور
في قوله الله الذي رفع السموات وقوله وهو الذي مد الارض وقرا عاصم وابن
عامر يسقى بتا التذكير على معنى يسقى ما ذكر او كل واحد مما ذكر ونفضل بالنون اي الله تعالى
بقوله ونحن نفضل بعضها على بعض في الاكل اي الثمر وقرا ويفضل بيا وفتح الضاد
على ما لم يسم فاعله بالرفع لانه اسم ما لم يسم فاعله وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون اي من استعمل عقله وتدبر مع سلامة العقل من الافات المانعة عن كمال
النظر علم ان لذلك صانعا هو فرق بينها وبين الجنس الواحد منها مع اجتماعها في المعرض
والما فدل على ان ظهورها ليس بالتربة والما اذ لو كان كذلك لم تختلف الطعوم والمناظر
لكن ظهورها بانشا القادر على ما يشا وفي الاية وجه اخر عن الحسن ومجاهد وذلك انه
مثال قلب المخاطب وذلك ان الله انزل القران الذي هو حيوة الناس في اديانهم

فيتفاضل العباد فيه والقرآن واحد كتفاوت الثمار والماء واحد ثم وراء هذا انه كما لو شاء
سوى بين جميع الثمار فكذلك لو شاء لسوى بين قلوب العباد ولكن بحكم ربوبيته
فاوت بينها فمن متكبر معرض عنه ومن منقاد منبسط منه وانتظام ما لا يخفى على
هذا التقدير التأويل وبيان انه جعل الارض وما فيها آيات لقوم يتفكرون واخبر في هذه
الآية ان الناس يتفكرون وفي التفكر يتفاوتون فمنهم من لا يتفكر ومنهم من يتفكر ولا
يستقصي فلا يجتني ثماره ومنهم من يستقصي فيه فيرزق استثماره وهو كقوله والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ثم ذكر في كل آيات
في ذلك لآيات على الجمع لان في الشيء الواحد آيات ودلائل وبينات فانها تدل على ان لها
صانعا وعلى ان صانعها قديم وانه قادر مدبر مختار مريد واحد لا شريك له
حتى يفضي ذلك الى اثبات جميع الصفات والى اثبات النبوات والبعث بعد الموت والثواب
والعقاب وقال القشيري وفي الارض قطع متجاورات فمن سبخ وسهل وجبل
ورمل انواع مختلفة وازواج متفقة وزروع ونبات واشجار واثبات اصل كل
واحد من اشجارها حبة متماثلة الاجزاء متشاكلة الابعاض فاذا نبتت جعل بعضها
عرقا وبعضها جذعا وبعضها غصنا وبعضها اوراقا وبعضها ازهارا وبعضها قشرا
وبعضها لبابا ثم لكل واحد طعم مخصوص ولون مخصوص وطبع مخصوص ونشر مخصوص
تسقى بماء واحد فيوصل الى كل جزء من الشجر ما يحتاج اليه وقال الامام ابو منصور
وقطع متجاورات يبطل قول من تأول قوله صلى الله عليه وسلم الجار احق بشفعته ان المراد به
الشريك لانه ذكر التجاور صفة للقطع فاذا كانت الارض واحدة لا يكون متجاورة بل
التجاور للقطع المفرزة الملازقة فدل ان المراد بالحديث هو الجار الملازق دون الشريك
وقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا اي ان عجبت يا محمد من انكارهم هؤلاء
الاعادة مع اقرارهم باني انا الخالق لما قدمت ذكره من السماء والارض وعجايب ما فيهما
واني انا المخترع الثمار المختلفة من الارض الواحدة بل من الحبة الواحدة فعجب قولهم
اي فقد وضعت التعجب في موضعه لانهم اقروا بقدرتي على ابتداء هذه الاشياء ثم انكروا
اعادتها والذي انكروا قدرتي عليه يعني القيمة اولى ان يكون مقدورا عليه مما اقروا بقدرتي
عليه ووجه آخر ان الكفار كانوا صنفين منهم قوم ينكرون الصانع ومنهم من كان
يثبت الصانع وينكر البعث فاحتج على منكري الصانع بهذه الآيات الدالة على
قدرته ووحدانيته ثم قال لمثبتيه فان تعجب من اقامة هؤلاء على الانكار مع قيام الدلائل

على اثباته ووحدانيته وقدرته فاعجب من الذين يقرون بالابتداء ثم ينكرون الاعادة
ويقولون اذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة بالاستفهام
فيهما جميعا الا ان عاصما وحمزة يهمزان بهمزتين وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الاول
والخبر في الثاني الا ان الكسائي يهمز بهمزتين وقرأ ابن عامر على الخبر في الاول والاستفهام
في الثاني في رواية وقال الزجاج تقديره اذا كنا ترابا نبعث ائنا لفي خلق جديد اي
نعاد من بعد ما كنا ترابا نحيا ونعاد خلقا جديدا كما كنا اول مرة وقال الامام ابو منصور قيل
وان تعجب من قولهم هذا شيء عجاب يعنون بعثك رسولا فاعجب من قولهم ايضا ائذا كنا
ترابا ثم التعجب انما يكون بظهور ما لم يكن في الوهم ولا يجوز ذلك على الله تعالى فان
حمل على الحقيقة فهو على تعجب النبي صلى الله عليه وسلم اي ان تعجب من انكارهم ربا لك فتعجب
من انكارهم البعث ايضا وان تعجب من انكار بعضهم الصانع فتعجب من انكار المقرين به البعث
وان جعلت معنى قوله فعجب قولهم من الله تعالى فمعناه الانكار اي ان انكرت انت من هؤلاء
كذا فقد انكر الله منهم قولهم اذا كنا ترابا وكشف هذا الكلام ان العجب ما يكون في موضعين
في الاساءة ممن يرجى الاحسان فيكون فيقول عجبت من فلان احسنت اليه طول الزمان
فاساء الي وهو غاية الكراهة والانكار وفي الاحسان ممن كان لا يتوقع منه ذلك فيقول
عجبت من فلان قام بما يؤذيني واحسن الي وما كان مني شيء يقتضي ذلك ويكون ذلك
غاية الرضا والحمد فوردت هذه اللفظة وهذين الموضعين في صفة الله تعالى على ارادة
هذين المعنيين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة اي
يرضى عنه غاية الرضا وقال في هذه الآية فعجب قولهم وقال في سورة الصافات
بل عجبت ويسخرون على قراءة الضم وهو غاية الانكار والكراهة وهو مجاز على ارادة
منتهى الامر دون مبتدايه وقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم اي كفروا بانكار
البعث لربهم الذي هم مقرون بانه خالقهم وقوله تعالى واولئك الاغلال في اعناقهم اي يوم
القيمة فانه من عقوبة اهل النار قال الله اذ الاغلال في اعناقهم ولم يذكر الايدي مع الاعناق
لانه معقول المعنى موقع الاكتفاء بذكر احدهما عن الاخر وقيل معناه انهم ممنوعون عن
الاضرار بك وايصال المكروه اليك وانت معصوم عنهم لا سبيل لهم الى مسك بسوء
كالمغلول يداه الى عنقه وقوله تعالى واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذكر اولئك
ثلث مرات والمراد به هؤلاء وجاز ذلك لانه مضى الخبر عنهم فجازت الاشارة باولئك
وقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة اي ومن عظيم جهالتهم انهم مع اطرادهم

على الشرك ومعاندتهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعون الله بانزال العذاب عليهم نزلت في النضر
بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن قصي قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقوله بالسيئة اي بالعذاب **وقوله** تعالى قبل الحسنة
اي الايمان والطاعة الذي يدفع به العذاب قال الله تعالى من جا بالحسنة فله خير منها وقيل
قبل الحسنة اي العفو والامهال وقال الامام ابو منصور ويحتمل ان يكون معناه
ويستعجلونك بالسيئة منهم اولئك اي الايذا قبل الحسنة منهم اليك وهي القبول
والتصديق **وقوله** تعالى وقد خلت من قبلهم المثلات قال ابن عباس العقوبات
وقال قتادة وقايع الله في الامم وقال الكسائي الامثال وقال الاخفش النظاير
والاشباه يعني في العذاب والمثلات في اللغة العقوبات التي تزجر عن مثل ما
وقعت لاجله اي قد مضت قبل هولا وقايع الله في الامم الخالية اذ قالوا لانبيائهم
ايتونا بعذاب الله واذا اصروا على كفرهم واقترحوا الايات نعذب بعضهم بالمسخ وبعضهم
بالخسف وبعضهم بالغرق وبعضهم بالظلة وهولا قد تقرر علمهم بذلك فكيف يستعجلونك
به وليس معهم ايمان يعتصمون به **وقوله** تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
قال السدي يعني للمومنين وان ربك لشديد العقاب يعني الكافرين قال بعض
اهل العلم هو ارجى اية في كتاب الله تعالى حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون
التوبة فان التوبة تزيلها وتدفعه وقيل هما جميعا في حق المومن وهو معلق بالمشية فيهما
ومعناه يغفر لمن يشا ويعذب من يشا وهو ترغيب وترهيب واطلاقه كاطلاق قوله
نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم **وقوله** تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه يعني الاية المقترحة **وقوله** تعالى انما انت منذر اي مبعوث لتحذرهم
العذاب لا مريد لهلاكهم ولا مستعجل لعذابهم ولا مالك لعقابهم **وقوله** تعالى ولكل
قوم هاد اي انت نذيرهم داع الى الحق وكذا كان الانبياء قبلك والامم وقال
ابن عباس ولكل قوم اي داعي الى الحق وكذا كان الانبيا قبلك وقال الزجاج لكل
قوم هاد اي نبي يدعوهم بما يعطى من الايات لا بما يتحكمون به وقال مجاهد وقتادة
هو نبي كل امة وقال الحسن وقتادة في رواية وابو الضحى وعكرمة الهادي محمد
رسول الله وقال ابن عباس في رواية وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك
الهادي هو الله تعالى وقال الضحاك انما انت منذر لكل قوم وانما انا الهادي
وذلك نظير قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال

الحسين

١٤٥

الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير والمراد انما انت منذر وهاد لكل قوم **وقوله** تعالى
الله يعلم ما تحمل كل انثى ينتظم بقوله الله الذي رفع السموات وبقوله وهو الذي مد الارض
ووجه اخر انه خطاب للمستعجلين وتعريف لهم ان الله لا يدع حكمته باستعجالهم ولا يخفى عليه وجه
الصلاح فانه الذي يعلم ما تحمل كل انثى اذكر هو ام انثى ابيض ام اسود واحدا واكثر ناقص
ام تام وما تغيض الارحام اي ما تنقص غاض اي نقص لازم ومتعد وكذلك غاض
الما وغاضه الله قال الله تعالى وغيض الما وقال الحسن ما تغيض الارحام
اي تنقص عن تسعة اشهر فتضع الولد لستة اشهر او لسبعة او لثمانية وما تزداد على تسعة
وقال الربيع بن انس اي تزداد على الولد الواحد الى اربعة وما تغيض هو السقط
وقال ابن كيسان ما تغيض اي تنقص من اعضا الولد كالمخدج وما اشبهه من نقصان
يد او اصبع وما تزداد على الاعضاء كزيادة اصبع ونحوها وقيل وما تغيض الارحام اي
يذهب الما فلا تحمل وتكون عقيما وما تزداد فتحمل وتلد الاولاد **وقوله** تعالى وكل شي
عنده بمقدار اي جعل لكل شي مقدارا معلوما من الخلق والرزق والاجل والعمل فلا معنى
لاستعجالهم بالعذاب **وقوله** تعالى عالم الغيب والشهادة نعت قوله الله يعلم وقيل
اي عالم الغيب والشهادة وقال الحسن اي عالم السر والعلانية وقيل اي هو عالم
بما غاب عن الخلق وما شاهدوه لا يخفى عليه شي منه الكبير في شانه وقدرته وسلطانه
وكل صفاته المتعال عما لا يليق به وقال الحسن المتعال عما يقوله المشركون وقال
القشيري احاط الحق سبحانه بالمعلومات علما وامضى في الكائنات حكما فلا معلوم
يعزب عن علمه ولا مخلوق يخرج من حكمه تعالى عن صفات النقص وتقدس عن صفات
العيب **وقوله** تعالى سوا منكم من اسر القول اي اخفاه ومن جهر به اي دفع به صوته ومن
هو مستخف بالليل اي متوار وسارب بالنهار قال ابن عباس ذاهب وقال الضحاك
ظاهر وقال مقاتل بن حيان خارج وقال مقاتل بن سليمان منتشر وقال
الكسائي اي راكب راسه وقيل سالك في سربه يسرب في مذاهبه اي يضطرب في طرقه
وهذه الاقاويل متقاربة وهو في اللغة جار في خروج بسرعة وقيل ذاهب على الوجه
وقد سرب سروبا وانسرب انسرابا قال الحطيئة وكل اناس قاربوا قيد فحلهم
ونحن حللنا قيده فهو سارب وقال الحزري سارب بالنهار اي مستتر وقال
الزجاج هو جائز في اللغة يقال سرب الوحش وانسرب اذا دخل كناسه تمدح في هذه
الاية بسمعه وبصره كما تمدح في الاية الاولى بعلمه فقال سوا منكم من اسر القول

ومن جهر به فليس قول عنده اخفى من قول وليس سمعه كسمع المخلوق الذي يخفى عليه
ما بعد من سمعه ويفهم ما قرب منه وسواء منه في الرؤية من هو مستخف بالليل ومن
هو سارب بالنهار فترك من الثاني اختصارا لدلالة الماضي عليه وقيل بل معناه انا لا نستحي
والسروب صفة الواحد لا شيء والمراد به انه يستوي حالتا هذا الرجل في علم الله بخلاف
قوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به لانهما صفتا رجلين وقال القشيري
سيان منكم من خاطبنا بلسانه بوصف الدعاء جهرا ومن خاطبنا بقلبه ببيان النجوى سرا
فلكل واحد منهما اجابة منا اذا ساعدته المشية ووافقته القضية وقيل سواء في علم الله ورؤيته
وسمعه المستتر والذي يجهر والذي يكتم والذي يظهر فالبصر متناول للكل والعلم
شامل للجميع والحكم جار على الكافة وقيل نزولها في وهب بن عمير بن وهب
الجمحي كان جرح يوم بدر وهو مع الكفار جرحا مخوفا وعالج وبرا وقال
يوما وهو مع صفوان بن امية في حجر الكعبة لولا عيالي ودين علي لتوليت قتل
محمد قال صفوان وكيف تصنع قال راعي وخدعه فاقتله بسيفي غيلة واهرب فقال
صفوان دينك علي وعيالك مع عيالي فافعل هذا فاتخذ سيفا وسمه ودخل مع صفوان
بين باب الكعبة والستر وعاهده على ذلك فقال لصفوان كيف يسير اليه والله يخبره بسيرك
قال استخفي بالليل اي اسير في ظلمة واسرب بالنهار اي ادخل السرب وكان ذلك عقيدة
بعض الكفار في ان العبد قد يستتر عن الله بمثل هذا ولما وصل الى المدينة ودخلها راه عمر رضي الله
عنه فقال للصحابة اني رايت وهبا قد قدم واني قد رمته وهو رجل غادر فاحرسوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه ولما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما اقدمك قال جئت افادي الاسارى
قال ولم تقلدت السيف فقال يا محمد اما انا حملنا السيوف يوم بدر فلم تغن فقال النبي صلى الله
عليه وسلم وما الذي قلت لصفوان في الحجر لولا عيالي ودين لتوليت قتل محمد بيدي فقال وهب
ما قلت يا محمد اعده علي فاعاد فقال كنا نكذبك في اخبار الارض فالان اخبرتنا
بخبر السماء هذا امر لم يطلع عليه احد من الناس وما اطلعك عليه الا الله بوحي من السماء ثم
قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله قال الضحاك وفيه نزل سواء
منكم من اسر القول ومن جهر به الاية **وقوله** تعالى له معقبات قال الحسن وقتادة
ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وابو صالح وابرهيم اي لله ملائكة تتعاقب بالليل
والنهار من بين يديه اي من بين يدي هذا الذي هو مستخف بالليل وسارب بالنهار
ومن خلفه اي من وراء ظهره اي على حفظه من الملائكة حوله يحفظونه من امر الله قال

الحسن وقتادة اي بامر الله كما تقول اذا جاءك من دعائك اي بدعائك وقال ابن
عباس اي الملائكة هم من امر الله وقال مجاهد وابرهيم من امر الله اي من الجن وسمي
الجن من امر الله لانها لا ترى كما قال قل الروح من امر ربي وقيل اي من عذاب
الله كما قال ولما جاء امرنا وقيل من امر الله اي لامر الله كما قال اطعمهم من جوع
وامنهم من خوف يعني ان هذا المستخفي السارب انما يمتنع من نزول العقوبة به مع
قبح فعله لما وكل الله به الحفظة لا انه يمتنع بقوة فيه ولمكانة له عنده به اوكفاء
احواله وافعاله على الله ولكن بوخر ازالة نعمته وعافيته وانزال العقوبة وسطوته
به الى ان يغير واهم ما بانفسهم من بالاصرار على الفساد والاقامة على الكفر فتزول
المعقبات وتنزل العقوبات وقال كعب لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم
في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذا لتخطفتم وقيل له معقبات للذي اسر القول الى
اخره وقيل اي لله معقبات بين يدي الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم من خلفه او للرسول
معقبات فقد سبق ذكره في قوله انما انت منذر اي حفظة يحفظونه بامر الله ممن يريد به سوء
او يهم فيه بمكروه من قتل وغيره او يرجع الى جميع الرسل فقد قال ولكل قوم هاد اي
ولكل قوم هاد وكل الله به من يحفظه والمعقبات انما جمع بالالف والتاء مع ان الملائكة
ذكران لانه جمع الجمع ملك معقب وطايفة منهم معقبة وطوايف منهم معقبات وهو كالرجل
والرجالة والرجالات **وقوله** تعالى ان الله لا يغير ما بقوم اي من نعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
اي بالكفران قال ابن عباس اذا انعم الله على قوم بنعمة فشكروها ولم يكفروها زاد
لهم تلك النعمة وادامها عليهم واذا لم يشكروها وتلقوها بالكفران سلبها عنهم وابتلاهم
بضدها وفيه يقول الشاعر • لم يشكروا نعمة ما خولوا • فبدلوا المالح بالعذب •
• وصاح بهم من بينهم صايح • بشتتهم في الشرق والغرب • **وقوله** تعالى واذا اراد
الله بقوم سوا اي واذا حقت كلمة العذاب على هولاء الذين غيروا ما بانفسهم وحان
وقت حلول النقمة بهم وكانوا اهل ذلك فلا مرد اي فلا يقدر احد على رده عنهم
وتركه عنهم المعقبات **وقوله** تعالى وما لهم من دونه من وال اي ما لهولاء القوم
دون الله احد يليهم ويلي امرهم اي لا معقب لهم الا الله ولا احد يملك امرهم الا الله
فلا مانع ولا دافع ولا رافع ولا شافع **وقوله** تعالى هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا تنتظم بما قبلها في بيان قدرة الله تعالى على ما يشاء وقيل نزلت سواء منكم
من اسر القول وهذه الاية وما بعدها في اربد بن قيس اخي لبيد بن ربيعة الشاعر

لانه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم مريدا له بسوء فعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
اربد فارسل الله عليه في طريقه صاعقة فقتلته فتوعدهم الله تعالى بهذا ودلهم به على
قدرته وعجز الهتهم عن مثله وقال هو الذي يريكم البرق اي الله هو الذي يريكم معاشر
عباده البرق في السماء خوفا للمسافر يخاف اذاه لما يناله من مطر ان كان عقيبه
وطمعا للحاضر المقيم ان يكون عقيبه مطر فينتفع به وقال الضحاك خوفا من العذاب
وطمعا في الغيث وقال ابن عباس خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقال قتادة خوفا للمسافر
يخاف اذاه ومعرته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته وقيل خوفا من هوله وصواعقه
وطمعا في مطره والبرق والرعد فيهما اقاويل كثيرة ذكرناها في سورة البقرة وقوله
تعالى وينشئ السحاب الثقال اي يثير ويبدي والسحاب هاهنا جمع سحابة ولذلك قال
الثقال على الجمع اي الثقال بالمطر وهو واحد في قوله فيثير سحابا فيبسطه وقوله
تعالى ويسبح الرعد بحمده قال شهر بن حوشب الرعد ملك وصوته سبحان ربي
العظيم وقال الضحاك الرعد ملك والبرق سوط من نور يزجر به السحاب وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ينشئ الله السحاب فينطق احسن المنطق ويضحك احسن
الضحك فمنطقه الرعد وضحكه البرق وقال ابن عباس الرعد ملك يسوق السحاب
والصوت الذي تسمعون زجره السحاب وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الرعد
الريح والبرق نار وهي مخاريق الملائكة وقال ابو الجلد الرعد الريح والبرق
الماء وقال بعض اهل اللغة الرعد الصوت والبرق نار يكونان مع السحاب وقوله
والملائكة من خيفته قال مقاتل بن سليمان ميز الله بين الرعد وبين الملائكة كما ميز
بين جبريل وميكائيل وبين الملائكة وكما ميز بين الفاكهة وبين النخل والرمان
وقيل الرعد اصطكاك اجرام السحاب وتسبيحه دلالته على وحدانية الله وتنزيهه
عن كل سوء وهو كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال الامام ابو منصور
في الاية خوفا وطمعا يحتمل خوفا لاهل البنيان وطمعا لاهل الانزال ويحتمل طمعا في وقت
المنفعة وخوفا في غير وقت المنفعة خوفا من نزوله وطمعا في منفعته ويحتمل
خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار فالنور يطمع في النور
الموعود في الجنة والنار تخوف النار الموعودة في جهنم وقال في قوله وينشئ السحاب
قال ابو عوسجة اي يرفع وقال في قوله ويسبح الرعد بحمده روي عن ابن
عباس قال اقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا

عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب حيث شاء الله فقالوا اما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره بالسحاب
اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر قالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو وقيل الرعد
ملك يسوق السحاب فاذا شذت سحابة ضمها فاذا اشتد غضبه صار من فيه نار
فهي الصواعق قال وقال بعض الفلاسفة وهو ريح تختنق تحت السحاب قال واي
شيء كان الرعد فالتسبيح يحتمل من كل شيء فيحتمل تسبيح الخلقة جعل في كل شيء حمد صانعه
وبراءته مما نسبه من كل ما وصفته الملحدة والاقاويل فيه كثيرة وليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة سوى انه هول هائل يهول الخلق ويذكرهم سلطانه وعظمته ولولا انهم اعتادوا
ذلك والا لم تقم انفسهم لسماع ذلك وقال في قوله والملائكة من خيفته له وجهان احدهما
انه خوف عقوبته لانه قد جاء فيهم الوعيد قال الله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم والثاني خوف هيبة لانه وصفهم بالطاعة والاستسلام والعمل على الدوام وخوف
الهيبة لا يزول في الاخرة وخوف العقوبة يزول وقال القشيري اذا نشأت السحابة
في السماء اظلم الجو في الوقت ولكن يعقبه ضحك الرياحين وما لم تبك السماء لم تضحك
الرياض وكذلك ينشأ في القلب سحابة الطلب فيحصل للقلب تردد الخاطر ثم يلوح
وجه التحقيق فتضحك الروح بفنون راحات الانس وصنوف ازهار القرب وقوله
تعالى ويرسل الصواعق وهي نار تسقط من السماء هائلة لها صوت فتقتل من تصيبه
او تدهشه وقوله تعالى فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله اي وهؤلاء
المشركون مع علمهم بان الله خالق هذا الرعد وما فيه من الخوف والطمع لا يخلصون
العبادة لله بل يجادلون في الله اي يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه
فمنهم يقولون المتاخر ام هو ومرة يقولون صف لنا ربك على ما روي ان عامر بن
الطفيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الهك من اي جنس هو فلنا من جميع
الاجناس الهة ام من خشب ام من حديد ام رصاص ام شبه او صفر ام فضة فارسل
الله عليه صاعقة فذهبت بقحفه وقيل نزلت في اربد بن قيس اخي لبيد بن ربيعة
الشاعر لامه وذلك ان عامر بن طفيل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما تجعل
لي من امرك ان اسلمت قال اجعل لك الوبر قال ليس ذلك لي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فما تريد قال اجعل لي الامر بعدك فقال ذاك الى الله
قال فاجعلني على اعنة الخيل قال ليس ذلك الي فغاظه ذلك فقال لاربد بن قيس

اكفني امر محمد او اكفيك امره قال ما تريد قال اشغله بالحديث فتقتله فاجابه اربد الى ذلك
فجا عامر فشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا اربد مشتملا على سيفه ليضربه
واختلفوا فيما بعد هذا فمنهم من قال شلت يده ومنهم من قال استمسك السيف
في القراب فلم يقدر على سله ومنهم من قال كف عن قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا وبني عامر فانصرف اربد
فقال له عامر ما منعك من قتله كلما هممت بقتله رايتك بيني وبينه ثم جاءت
صاعقة فاحرقته وجعلته حمما واما عامر فقد قيل انه دخل بيت امراة من بني
سلول فظهرت على ركبته غدة وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
والله ما قتلني الا رب محمد وركب الفرس وبيده الرمح وهو يقول يا ملك الموت
تبارزني عن خفية فاظهر لي وجاهرني بالمجادلة ثم اتني فما زال يطارد حتى سقط
عن فرسه ومات وصار الى النار وترلت فيه الاية **وقوله** تعالى وهو شديد المحال
اي الله شديد العقوبة وقيل قوي الكيد ولا يجوز في الابتداء وصف الله تعالى به
ويجوز على وجه المجازاة كما مر في المكر والخداع والاستهزاء وهو من قولك محل به الى
السلطان اي سعى به وذكر عيوبه حتى اوقع به ومنه في صفة القران هو شافع مشفع
وماحل مصدق وقيل هو من الاهلاك ومنه المحل سنة القحط المهلك وقيل هو
صفة عامر وهو شديد المحال اي شديد المخاصمة والمنازعة والمماحلة كذلك **وقوله**
له دعوة الحق قال ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله على اخلاص التوحيد
وهو قول قتادة وابن زيد وقال الحسن الله الحق فمن دعاه دعا الحق وقال الامام
ابو منصور ويحتمل له عبادة الحق اي هو المستحق للعبادة وقيل اي لله دعوة الحق وهي
الاستغاثة به والدعا بكشف الضر واعطا السول وهي الحق ومن دعا الله وساله
فهو على حقيقة من دعوته لانه يدعو من لا يعجزه شي ولا يلحقه بخل ولا تنقصه
عطيته وقيل لله دعوة الخلق الى الخلق ولمن دعا اليه بامره وليس ذلك لغيره من
الاصنام فان الله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وقيل لله دعوى الربوبية
فلم يعلمها ابراهيم الا لله **وقوله** تعالى والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشي يعني الاصنام وجمع بالواو والنون وهي جماد لان المشركين وضعوها موضع
العقلا الاحيا الذين يضرون وينفعون ويستجيبون للذين يدعون فاضيف الخبر
عنهم اليها على ما يضاف الى العقلاء كما في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين

وقوله ادخلوا مساكنكم ويحتمل انه اراد به الملايكة وعزيرا والمسيح والجن لانهم لا يستجيبون
لعابديهم بشي ولا ينفعونهم الا باذن الله فاما ان ينفعوهم من عندهم فلا **وقوله** تعالى
الا كباسط كفيه الى الماء قيل الا بمعنى لكن اي لا يستجيبون اصلا لكنهم كالذي يده الى الما
ليبلغ فمه الماء فاه وما هو ببالغه اي ليس يبلغ الماء فمه وقيل هو على حقيقة الاستثنا ومعناه
لا يستجيبون لهم بشي الا كما يستجاب لمن بسط كفيه الى الماء اي واذا كان لا يستجاب
لهذا الباسط بشي فكذلك لا يستجاب لهم وهو كقولك للرجل يرجو نحلا انما يعطيك
فلان كما اعطي فلانا يريد انه لم يعطه شيا فكذلك لا يعطيك وقال مجاهد
الا كباسط كفيه الى الما يعني يدعو بلسانه ويشير بيده فلا ياتيه ابدا وقال عطا هو
انسان ينظر في قعر بير فكما لا يبلغ يده قعر الماء ولا يعلو الما اليه فكذلك الاصنام
لا تنفع العبدة شيا وقال ابن عباس هذا مثل المشرك الذي عبد غير الله فمثله كمثل
العطشان الذي ينظر الى خياله في الما ليتنا وله فلا يقدر عليه وقال الفرا يجيب
الاصنام داعيها الا كما يناول الظمان المشرف على الماء ليس معه الات الاستقا والعرب
تضرب المثل لمن سعى في لا فيما لا يدركه بالقابض على الماء قال الشاعر فاصبحت مما كان
بيني وبينها • من الود مثل القابض الماء باليد • وقيل اي من بسط كفيه الى الماء
من غير ان يرفعه الى فيه بكفيه او في انا لم يبلغ فاه فجعل الماء مثلا للمعبود من دون
الله وجعل بسط اليدين الى الما كتوجيه الرغبة الى الموات المعبود الذي لا يعقل
كالما الذي لا يعقل رغبة باسط الكف اليه واخبر انهم فيما يرجون من ذلك في
ضلال وهو **قوله** وما دعا الكافرين الا في ضلال اي في غير استقامة وهدى
فانه غير حاصل لهم ما رجوه ولا اجابة لهم ممن دعوه وقيل هو مبتدا اي وما دعا
الكفار الاصنام الا ضلالا عن الهدى وقيل اي تضل الاصنام عنهم فلا يجدونها ولا
ينتفعون بها قال تعالى اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا
وقال القشيري دواعي الحق صارخة في القلوب من حيث البرهان فتدعو العبد
بلسان الخواطر فمن استمع اليها بسمع الفهم استجاب ببيان العلم وفي مقابلتها دواعي
الشيطان وهي هاتفة بالعبد بتزيين المعاصي فمن اصغى اليها بسمع الغفلة استجاب
بصوت الغي **وقوله** تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال اي ان الكفار وان دعوا من دون الله دعوة الباطل وامتنعوا
من دعوة الحق فكل من في السموات والارض من الملايكة وبني ادم والجن والشياطين

يسجدون لله اما طائعين واما كارهين وظلالهم تسجد له بالغدوات والعشي
والاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو العشي وهو ما بين العصر
الى غروب الشمس ويجمع اصايل ايضا قال ابو ذؤيب لعمري لانت البيت
اكرم اهله واقعد في افيائه بالاصائل والسجود طوعا ظاهر والسجود
كرها ممن اكره على الاسلام موجود ايضا فاما ما عداهما فتركيب صور الاعيان
واختلاف الاحوال عليها وتعاقب المتضادات من الحركة والسكون
والاجتماع والافتراق عليها وحاجة بعضها الى بعض في تمام قوامها
شاهد على انها مصنوعة محتاجة الى من يقيمها وان لها صانعا صنعها لا
يشبهها فهذا من الكافر شاهد لله بالربوبية وانه مستحق لدعوة الحق وان كان
الكافر كارها لذلك غير مريد له ولا معترف به وذلك سجود من الكافر لله
وخضوع له كرها واما الظلال فسجدتها لله بالغدو والاصال لانها تميل من
ناحية الى ناحية وليس ذلك باختيارها بل هو بفعل الله ذلك بها وتصريف
اياها على ما بينا من ذلك ودل ذلك على انها مخلوقة مصرفة على ما يصرفها
عليه صانعها ومدبرها وذلك شهادة منها لله بالقدرة والسلطان
والوحدانية وخضوع منها له وهو السجود ومن السجود كرها بمعنى سجود
الكافر لله اذا نزل به ضر الحاجة الى ان يتواضع لله ويسجد له يدعوه بها
لحاجته **وقوله** تعالى قل من رب السموات والارض اي قل للمشركين الجاحدين
لله كونها دلالة الخلقة من رب السموات اي مالكها ومدبرها وكانوا مقرين
بان رب السموات والارض هو الله اي سلهم عن هذا فسيقولون الله فحذف
جوابهم لدلالة الكلام عليه لانهم كانوا مقرين بذلك قال الله تعالى ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله **وقوله** قل الله اي فاذا قالوا
الله فقل انت ايضا الله تقريرا لهم وتاكيدا للاحتجاج عليهم **وقوله** تعالى
قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا استفهام
بمعنى التوبيخ اي قل لهم بعد هذا التقرير فلم اتخذتم من دونه اولياء تتولونهم
وتعبدونهم وتتوجهون لرغبتكم اليهم وهم لا يملكون لانفسهم نفعا يجلبونه اليها
ولا ضرا يدفعونه عنها واذا كان كذلك فهم من ملكه لكم ابعد **وقوله**
تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير وهو تقريع اخر اي هل تستوي الجماد

الذي لا يبصر ولا يسمع والله الحي الذي يسمع ويبصر وقيل هو مثل الكافر والمؤمن
ولما قرر ان الله رب كل شيء وبختهم بعبادة غير الله وبين من فعل ذلك فهو اعمى
عن الرشد والمؤمن بصير به ولا يستويان **وقوله** تعالى ام هل تستوي الظلمات
والنور اي الكفر والايمان فالكفر ظلمة لا يهتدى فيها والايمان نور يهتدى فيه
ولا يستويان **وقال** القشيري ان الانوار اذا تلالات في القلوب نفت اثار
الظلمة فنور اليقين ينفي ظلمة الشك ونور العلم ينفي تهمة الجهل ونور المعرفة يمحو
اثر النكرة ونور المشاهدة ينفي اثار البشرية وانوار الجمع تنفي اثار التفرقة وانوار
الحقائق تمحو اثار الحظوظ **وقوله** تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم وهذا تقريع اخر او وقع عندهم ان الاصنام تخلق الاشياء كما ان الله
يخلق الاشياء فاستجازوا عبادة الاصنام لوجود التخليق منها كما استجازوا
عبادة الله لذلك لاشتراكهم في استحقاق العبادة لذلك واذا لم يكن هذا
هكذا بل الله هو المتفرد بالتخليق فهو المنفرد باستحقاق العبادة **وقوله**
قل الله خالق كل شيء وقد اقررتم به لا خالق غيره فلا يستحق العبادة غيره **وقوله**
تعالى وهو الواحد القهار اي الواحد الذي لا ثاني له ولا شريك وهو القهار الذي
يقهر بقدرته كل شيء ولم يقهره شيء فهو المستحق لتوجيه الرغبات والاستغنا
به عن غيره **وقوله** تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية
قال قتادة هذه ثلثة امثال في مثل واحد فهو له سالت الاودية بقدر
الصغير والكبير فشبه نزول القران بالماء ينزل من السماء وشبه القلوب
بالاودية والانهار فذو العلم على قدر علمه وذو الجهل على قدر جهله فهذا
مثل ثم شبه وساوس الشيطان ومخايل النفس من الوهم والفضول
ومن دانها لا من الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك
تذهب مخايل النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو فهذا مثل
ثان والمثل الثالث **قوله** ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او
متاع زبد مثله اي له خبث مثل زبد الماء فكما يذهب خبث الجواهر
ويبقى خلاصتها وصفوها كذلك يذهب الجهل والوهم ويبقى العلم والفهم
فهذا المثل الثالث وقال القشيري الاية تشتمل على امثال شبه
القران المنزل بالماء من السماء وشبه القلوب بالاودية وشبه وساوس

الشيطان ومخايل النفس من الوهم والفضول فمن ذلها الا من الحق يقول فكما
يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب مخايل النفس ووساوس
الشيطان ويبقى الحق فكذلك كما هو فهذا اصل لنا وهواجس النفس بالزبد
الذي يعلوا الماء وشبه الحق بالجواهر الصافية من الخبث من الذهب والفضة
والصفر والنحاس وغيره وشبه الباطل بخبث هذه الجواهر ثم ان الاودية تختلف
في صغرها وكبرها فبقدرها يجتمع الماء في القلة والكثرة كذلك القلوب تختلف
في الاحتمال على حسب الضعف والقوة وكما ان السيل اذا حصل في الوادي
يطهر الوادي كذلك القرآن يطهر القلوب وكما ان السيل يحمل الزبد فيلقطه
كذلك القرآن اذا حصل حفظه في القلوب ينفي الوساوس والهواجس عنها وكما
ان الماء قد يصحبه ما يكدره ويخلص بعضه عما يشوبه فكذلك الايمان وفهم
القرآن في قلوب المومنين قد يختلط به نزغات الشيطان والخواطر الردية
فمن بين صافي وكدر وكما ان الجواهر التي يتخذ منها الاواني اذا اذيبت خلصت
عن الخبث كذلك الحق يتميز من الباطل ويبقى الحق ويضمحل الباطل ثم الجواهر التي
يتخذ منها الاواني مختلفة فمن اناء يتخذ من الذهب واخر من الرصاص الى غيره
فكذلك القلوب تختلف وفي الخبر ان لله اواني وهي القلوب فمن مريد قاصد
ومن محب واجد وعابد خائف وموحد عارف ومتعبد متقشف ومتهجد
منصرف وانشد ° الوانها شتى الفنون وانما ° تسقى بماء واحد من منهل °
وقوله تعالى انزل من السماء ماء اي الوحي الالهي ان انزل من السماء ماء مطرا
فسالت اودية جمع واد بقدرها على مقدارها من السعة والضيق والكبر
والصغر فاحتمل السيل زبدا رابيا اي الوادي اذا سال حمل السيل زبدا مرتفعا
على ظهره وهو زبد الماء والغثاء اي الحق الذي انزله الله تقبله القلوب على قدر
عقولها واذهانها والباطل يظهر احيانا ويكاد يعلوا الحق ثم يتلاشى ويضمحل
ولا تكون العاقبة الا للحق وقوله تعالى ومما توقدون عليه اي ومن الجواهر
التي تستخرجونها من المعادن فتوقدون عليها ابتغاء حلية اي طلبا
لحلية او متاع اي انية من الاواني فله زبد مثله اي خبث كزبد الماء
ثم انه يمحق عند اول ما تمسه النار ولا ينتفع به اهله فكذلك الباطل
يضمحل عند اول حجة تقوم من حجج الحق والجواهر تبقى في الارض وهي مثل الحق

الحق

الحق تثبت وتقوى وقوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يبين
فاما الزبد فيذهب جفاء اي يذهب بعد علوه السيل يدفع الرياح اياه
وقذف الماء به وتعلقه بالاشجار وجنبات الاودية وقد جفات
القدر واجفات وجفا الوادي واجفا اي رمى بما علاه فرمى الوادي
بالجفاء اولا الى الجانب ثم تعلق فيه الريح والشمس فيتلاشى وكذا الباطل
وقوله تعالى واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض اي المطر وجواهر
المعادن تستقر في الارض فينتفع بها الناس عند الحاجة اليه والزبد يعلو
صفوه ثم يتلاشى وكذلك الباطل واهله والماء والجواهر تستقل صفوه وتثبت
وتبقى فكذلك الحق واهله والجواهر تستفيد بالنار صفاء وكذلك المحق
يزداد باذى المبطلين خلوصا ونقاء وقوله تعالى كذلك يضرب الله الحق
الامثال اي يبين الاشباه لايضاح الحق وادحاض الباطل وقوله تعالى
للذين استجابوا لربهم اي اجابوا دعوة الحق الحسنى اي المثوبة التي لا احسن
منها وهي الظفر والتمكين في الدنيا والنعيم المقيم في الجنة قال الله تعالى
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي الظفر والشهادة وقال للذين
احسنوا الحسنى اي الجنة وقال القشيري الحسنى هي قبول استجابتهم له
وذلك من اجل الاشياء عندهم اذ لا شيء اعز على المحب من قبول محبوبه
منه شيئا وقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له اي لم يجيبوا لربهم في دعوة
الحق فلا مخلص لهم بوجه من الوجوه وقوله تعالى لو ان لهم ما في الارض جميعا
من صنوف الاموال ومثله معه اي ضعف ذلك لافتدوا به لاعطوه بدلا عن
انفسهم ليخلصوها من العذاب ولا يقبل منهم قال ذلك في انه اية اخرى وهذا مما
علم الله في الذي لا يكون انه لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى اولئك لهم سوء
الحساب اي [illegible] بكل معاصيهم فيجازيهم عليها ولا يتجاوز عنها وقوله تعالى وماويهم
جهنم اي مرجعهم بعد المحاسبة النار وبئس المهاد اي وبئس الفراش جهنم
وقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى استفهام بمعنى
النفي اي ليس الذي استجاب لله في دعوة الحق علم انما اوحى الله اليك هو صدق
كالذي لم يستجب له فيها وعمي عنها وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب اي
انما يتعظ بايات الله اولوا العقول فيعلمون ان وجه الحق قال ابو القسم

بن جبير رأيت في بعض التفاسير انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي ابي جهل
لعنه الله وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة وقال القشيري
لا يستوي البصير والضرير والمقبول والمردود والموصل للتقريب والمعرض للتعذيب
والذي اقصيناه عن شهودنا والذي هديناه لوجودنا **وقوله** تعالى الذين
يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق له وجهان على الانتظام احدهما انه نعت قوله
اولوا الالباب والثاني ان تقديره هم الذين وقال ابن عباس الذين يقيمون على الشهادة
ولا ينقضون ذلك لا يشركون بالله شيا وقال مقاتل يعني الذين هو ميثاق
ذريته ادم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق اذا بلغوا الحنث وقيل هو ميثاق
اصل الايمان وقبول الاوامر والنواهي وقيل هو ميثاق الخلقة وقد مر ذكرها وذكر
اقاويل اخر في اول سورة البقرة وقال القشيري هو باستدامة العرفان وابقاء
شرائط الاحسان والتنقي من ارتكاب العصيان بذلك ابرموا العقد يوم الميثاق والفهم
وميثاق قوم ان لا يعبدوا سواه وميثاق قوم ان لا يشهدوا سواه وميثاق قوم ان لا
يبالوا سواه **وقوله** تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل وقال ابن
عباس يعني من امن من اهل الكتاب وصلوا الاقرار بكل الانبيا والكتب ولم يقولوا نومن
ببعض ونكفر ببعض وقيل هو صلة ارحامهم وقيل هو صلة رحم النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى قل لا اسلكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي
منكم وهو خطاب للعرب ويجوز ان يكون لاهل الكتاب ايضا فهم بنوا اسرائيل وهم
اولاد اسحق والعرب وهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من اولاد اسمعيل
فهم بنوا عم بعضهم لبعض وقيل هو التواصل على الدين والتوالي عليه ولا طاعة
بعد الايمان بالله اعظم ثوابا من الحب في الله والبغض في الله **وقوله** تعالى
ويخشون ربهم في نقض الميثاق وقطيعة الرحم وكل شي **وقوله** تعالى ويخافون
سوء الحساب اي مناقشته والمجازاة على كل المعاصي بغير عفو وقال
القشيري يصلون انفاسهم بعضها ببعض فلا يتخللها نفس لغير الله ويصلون سيرهم
بسراهم في اقامة العبودية والتبري من الحول والقوة ويخشون ربهم والخشية
لجام يقف المومن عن الركض في ميادين الهوى وزمام يجره الى استدامة حكم
التقوى ويخافون سوء الحساب ان يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون **وقوله**
تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم اي حبسوا انفسهم عما لا يجوز وقيل تجرعوا مرارة

منع النفس عما تهواه وقيل صبروا على اداء الطاعات وقيل صبروا على ترك السيئات ويجوز
ان يكون هذا عطفا ويجوز ان يكون ابتداء وجوابه اولئك لهم عقبى الدار وكذلك قوله
الذين يوفون بعهد الله يحتمل الوجهين **وقوله** تعالى واقاموا الصلاة اي الصلوة
باركانها وشروطها واداابها **وقوله** تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي في
الزكوات ونوافل الصدقات والمندوب من النفقات سرا وعلانية لا علانية لا غير فيكون
ريا **وقوله** تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون اساءة من اساء اليهم من
الناس بالاحسان اليهم عملا بقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة وقيل اي يدفعون
بالايمان الشرك وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
وقال ابن كيسان اي اذا اذنبوا تابوا واذا هربوا انابوا فيدفعون عن انفسهم بالتوبة
معرة الذنب ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه اذا عملت سيئة فاتبعها
حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية **وقوله** تعالى اولئك لهم عقبى الدار اي هؤلاء
الذين وصفناهم هم الذين عقباهم دار الجنان من دار الدنيا اي جزاءهما فعلوه فيها
وعن ابن المبارك انه قرا هذه الايات فقال ثمان خلال مشيرة الى ثمانية ابواب من ابواب
الجنة وقال القشيري ومما يجب الصبر عليه لاهل الارادة هو الوقوف على حكم
تعز الحق جل جلاله فانه يتفضل على الكافة من المجتهدين ويتعزز خصوصا على المريدين
فيمتحنهم بالصبر في اوان ارادتهم فاذا صدقوا في صبرهم جاد عليهم بتحقيق ما طلبوه
وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها رفعها من وجهين احدهما انه بدل عن قوله
عقبى الدار والثاني انه ابتدا وخبره يدخلونها اي بساتين اقامة يدخلونها هم ومن
صلح من اباءهم وازواجهم وذرياتهم اي من امن بالله من والديهم وزوجاتهم واولادهم
فيجتمعون وفيه اعظم اللذات واجل النعم والكرامات **وقوله** تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب قال مقاتل يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من ايام الدنيا
ثلث كرات معهم الهدايا والتحف **وقوله** تعالى سلام عليكم اي يقولون سلام
عليكم وهو تحية وكرامة وقيل هو اخبار منهم انهم وصلوا الى السلامة التامة من كل
افاقة وقيل هو دعا منهم لهم بها **وقوله** تعالى بما صبرتم في الدنيا عن المعصية وعلى
الطاعة وعلى المحنة **وقوله** تعالى فنعم عقبى الدار اي فنعم عقبى الدار وقد فسرناها
وقوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اي ايثاقه ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل هو مقابلة ما ذكر في الايات المتقدمة من الوفاء بالعهد وصلة

الرحم ويفسدون في الارض قيل بالعمل بالمعاصي وقيل بالتنفير عن النبي صلى الله عليه وسلم
والنميمة على المومنين **وقوله** تعالى اولئك لهم اللعنة اي الطرد والابعاد عن
رحمة الله ولهم سوء الدار اي يرون فيها ما يسوءهم وقال القشيري نقض العهد
الرجوع الى الاختيار والتدبير بعد شهود الاقدار وملاحظة التقدير **وقوله**
تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع الرزق لمن يشا ويضيق على من يشا
وليس التوسع على الكفار لكرامتهم ولا التضييق على المسلمين لاهانتهم بل للمسلمين في الاخرة
الجنة ونعيمها ونعم عقبى الدار وللكفار اللعنة في الاخرة ولهم سوء الدار **وقوله**
تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا اي سروا بها وبطروا اي المشركون ولم يعلموا ما عند
الله للذين يومنون وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع قال مجاهد اي نفع قليل
ذاهب وقال القشيري بسط الرزق للاغنيا وطالبهم بالشكر وقبض عن الفقرا
وطالبهم بالصبر ووعد الزيادة للشاكرين ووعد معيته للصابرين فللاغنياء
الاموال بمزيدها وللفقرا التجرد في الدارين عن طريقها وتليدها وفرحوا بالحيوة
الدنيا فرح الاغنياء بزكا اموالهم وفرح الفقرا بصفا احوالهم وما الحيوة الدنيا في
الاخرة الا متاع اي قليل بالاضافة فاموال الاغنيا وان كثرت قليلة بالاضافة
الى ما وعدهم من وجود افضاله واحوال الفقرا وان صفت قليلة بالاضافة الى ما وعدهم
من شهود جماله وجلاله **وقوله** تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه اي
يقول عبد الله بن ابي امية واصحابه لولا انزل عليه اية من ربه وهي اية كانوا يقترحونها
وقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء مع ظهور الايات ويهدي اليه من يشا
مع غموض الايات فهو الهادي والمضل فيهدي من اناب اليه اي رجع الى الله وانقطع
بجملته اليه اي يهدي من علم منه اختيار الهدى والرجوع الى الله تعالى **وقوله** تعالى
الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله هذا نعت من اناب وذلك بمعنى الجمع لانه جنس
وتطمين قلوبهم اي تسكن ولا تضطرب وتزول عنها الشبه قال مجاهد هذه
الاية في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل وتطمين قلوبهم
بالقران الا بذكر الله تطمين القلوب يعني تسكن القلوب بالقران وقال قتادة اي
تهش الى ذكر الله وتستانس به وقال القشيري قوم اطمانت قلوبهم بذكر الله وفي
الذكر وجدوا سلوتهم وبالذكر وصلوا الى صفوتهم وقوم اطمانت قلوبهم بذكر الله لهم فاذا
ذكرهم الله بلطفه اثبت الطمانينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم وقيل اذا ذكروا ان الله ذكرهم

استروحت

استروحت قلوبهم واستبشرت ارواحهم واستنارت اسرارهم **وقوله** تعالى الذين امنوا
وعملوا الصالحات هذا مبتدا وخبره قوله طوبى لهم وقيل لما قال في الاية الاولى الذين امنوا
وتطمين قلوبهم بذكر الله وقيل جوابه اي بكلام معترض تام وهو قوله الا بذكر الله تطمين
القلوب اي هكذا يجب ان تكون انقطع الاول فاعاد الذين وعملوا الصالحات وهو
يرجع الى ما تقدم وبنى عليه جوابه طوبى لهم اي لهم طيب العيش وحسن مآب اي
حسن مرجع ومنقلب الى كرامة الله وطوبى فعلى من الطيب الواو اصلها ياء وصارت
واوا للضمة ما قبلها وقال ابن عباس فرح وقرة اعينهم وقال قتادة حسنى لهم وقال
عكرمة نعم لهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال ابرهيم اي كرامة لهم من الله وقال
مي هذا اي الجنة لهم قال ابو هريرة رضي الله عنه هي شجرة في الجنة وقيل هي انبث الاطيب وهي
صفة الجنة اي الطيب الاشيا لهم وهي الجنة وقال الزجاج اي العيش الطيب لهم وقال
الربيع بن انس طوبى هو البستان بلغة الهند وقال مجاهد طوبى هو الجنة بلسان الحبشة
وقال شميط بن عجلان طوبى لهم يعني دوام الخير وقال ابو هريرة طوبى شجرة يقول
الله تعالى لها تفتقي لعبادي عما شاءون فتفتق لقوم عن الخيل بسروجها ولجمها ولقوم
عن الابل برحالها وازمتها ولقوم عن الحلى والحلل ولقوم عن الفواكه وقال مقاتل
طوبى شجرة في الجنة لو ان رجلا ركب فرسا او نجيبة ثم لم يبلغ الموضع الذي ركب منه حتى
يدركه الهرم لها اوراق كل ورقة منها تظل امة على كل ورقة ملك يسبح الله بانواع
التسبيح ثمارها الحلي والحلل وقال عبيد بن عمير طوبى شجرة في جنة عدن اصلها في دار
النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة
الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وروى ابو سعيد الخدري عن
ابي سعيد الخدري النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة في الجنة ليس منها دار الا
وفيها غصن منها ولا طائر الا وهو فيها ولا ثمرة الا وهي فيها وقال يزيد بن ... شجرة
طوبى شجرة في الجنة عليها طير امثال البخت يقعد الولي على الخوان فيدعو واحدا منها
فيقع على الخوان فياكل نصفه شوا ونصفه قديدا فاذا فرغ من الاكل قام الطاير
فطار وذهب **وقوله** تعالى كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اي قد خلت
من قبلك امم ارسلنا اليهم كما ارسلناك الى هذه الامة **وقوله** تعالى لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك اي لتقرا عليهم القران فيتدبروه ويقفوا على اعجازه فيكون اية على صدقك اذ هم
في غاية الفصاحة والعلم باصناف الكلام فيستدلوا بعجزهم عن الاتيان بسورة مثله

انه من عند الله ويتيقنوا ايضا على اقاصيص الماضين فيعرفوا انه من عند الله وقوله
تعالى وهم يكفرون بالرحمن يعني مع ما نتلوا عليهم من القرآن المعجز وقوله تعالى
قل هو ربي لا اله الا هو لا اكفر به كما تكفرون عليه توكلت اي اعتمدت واليه متاب اي
مرجعي في الامور كلها وقال قتادة نزلت في صلح الحديبية حين صالح رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل مكة منهم سهيل بن عمرو وذلك انهم ارادوا ان يكتب لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتاب الصلح فقال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ما نعرف الرحمن الا
صاحب اليمامة يعني مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم فكتب باسمك اللهم فنزلت هذه الاية
وقال ابن عباس نزلت في ابي جهل وذلك انه دعا جماعة من المشركين فقالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان سرك ان نؤمن بك ونتبعك فسير لنا هذه الجبال من مكة فنحن في
ضيق حتى نتخذها كظائم يعني ابارا ونغرس ونزرع فلست اهون على الله من داود فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اطيق ذلك قال فسخر لنا الريح لنركبها ونمتار في
يوم الى الشام مسيرة شهر ونرجع من يومنا فلست اهون على الله من سليمان قال لا
اطيق ذلك قال فان كنت لا تطيقه فاحي لنا جدك قصيا حتى يخبرنا عن كونك نبيا
وعن صحة امرك فلست باهون على الله من عيسى قال لا اطيق ذلك قال فان كنت لا
تطيقه فلا الفينك تذكر الهتنا بسوء فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن الاية وقوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وجوابه محذوف
وهو لكان هذا القرآن وهو كقول القائل فاقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم
نجد لك مدفعا وهو جوابه محذوف وهو لدفعناه وقال الفراء يجوز ان يكون جوابه
لكفروا بالرحمن لتقدم ما يقتضيه يعني انهم لتعنتهم لا يؤمنون مع رؤية كل اية كما قال
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية ومنشطه بما لولا انزل عليه اية من ربه يعنون مثل
تسيير الجبال وتفجير الانهار فلما اشير بهم الى القرآن انه اية معجزة قالوا فافعل هذا بقرانك
فنزلت ولو ان قرانا سيرت به الجبال وكذا وكذا وجوابه لكان هذا القرآن لكن ما
انزل القرآن لهذه الاشيا ليعلم به الدين ويعمل به وقوله تعالى بل لله الامر جميعا
اي ليس فعل هذه الاشيا من القرآن ولا من محمد بل هو لله تعالى ولو فعل بالقرآن كان
ذلك من فعل الله تعالى والامر كله لله يفعل ما يشا لا يمتنع عليه شي اراده ولكن لا يفعل
على شهوات المقترحين وقوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا استفهام بمعنى الامر قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وابو

عبيدة

عبيد يعني افلم يعلم معناه فليعلم قال سحيم اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني الم تياسوا
اني ابن فارس زهدم وقيل افلم ينقطع طمعهم من ظلاق هذا علما لصحته والعلم
بالشيء يوجب الياس من خلافه قاله الفراء وقيل ان طائفة من المسلمين قالوا يا
رسول الله اجب هولاء الكفار الى ما سالوا لوافقتني يومنون فقال الله تعالى افلم ييأس
الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ان الله قادر على ان يهدي كل الناس
ولكن لا تطمعوا انتم في ايمانهم فاني لا اهديهم لعلمي باختيارهم الضلال وقوله
تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى
ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد قال ابن عباس قارعة عقوبة وقال قتادة
بلية وقال مجاهد وقعة وقيل هلكة اي من سراياه وقال المبرد داهية
وانشد لكشاجم وام البنين تنعى مالكا بقارعة وسطهم تنزل فعلى قول من قال
هذه السورة مكية فتاويله ولا يزال هولاء المشركون تصيبهم بكفرهم واقتراحهم
داهية مهلكة من صاعقة كما اصابت اربد ونحو ذلك وكما اصابت المستهزئين بمكة على ما
ياتي قصته ان شاء الله او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم تخرج من المدينة وتنزل
قريبا من دارهم فيخافون حتى ياتي امر الله بالقتال وعلى قول من قال هي مدنية فالقارعة
السرية من سرايا رسول الله تاتي مكة او تحل القارعة قريبا من دارهم حول مكة والتاء في
هذا للتانيث وفي الاول للخطاب حتى وعد الله فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد وقيل حتى
ياتي وعد الله اظهار دينه على الاديان كلها وقيل حتى ياتي يوم القيامة والقارعة من القرع
واصله الضرب بشدة كقرع الباب والضرب بالمقرعة والقارعة اسم للقيامة لقرعها
القلوب وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا وهذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم يقول ولقد فعل بالرسل قبلك ما يفعل هولاء بك من الاستهزاء
واقتراح الايات فامهلت المستهزئين مدة ليومنوا في علمي انه يؤمن او يزدادوا اثما من علمت
منه انه لا يؤمن ثم اخذتهم بالعقاب فانظر كيف كان ذلك وقوله تعالى فكيف كان
عقاب كلمة تستعمل عند الاعلام بالقدرة وهو توعد لهولاء بمثله وقوله تعالى افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت هو تعجب من المشركين في اشراكهم بالله غيره واستفهام
بمعنى النفي اي ليس من هو قائم على كل نفس بما كسبت اي قائم بالتدبير في جزائها وقيل
بحفظها وادراك رزقها وقيل افمن هو مثبت بمطالبته كما قال الا ما دمت عليه قائما
وحذف كمن ليس كذلك لدلالة الكلام عليه ومثله في القرآن افمن شرح الله صدره

للاسلام لم يوفقان ودل على هذا الخلاف ما بعده وهو قوله وجعلوا لله شركاء اي شركاء
ليثبتوا بقاءهم على الاشراك وقيل المحذوف شيء اخر وتقديره افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت يحفظها ويرزقها في دار المحنة ليبلي منه يمتحنهم ثم لا يجعل لهم دار جزاء اي
هذا لا يكون وكلمة افمن وا ومن وامن ذكرت في القران في ستة عشر اية ثلث في صنع
الله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت امن يهدي الى الحق احق
ان يتبع الاية وثلث في حق الرسول صلى الله عليه وسلم افمن كان على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن
يمشي سويا على صراط مستقيم وواحدة في حق الصديق رضي الله عنه افمن وعدناه وعدا
حسنا فهو لاقيه وواحدة في حق الفاروق رضي الله عنه افمن يلقى في النار خير امن
ياتي امنا وواحدة في حق عثمان رضي الله عنه امن هو قانت اناء الليل وواحدة في حق
علي رضي الله عنه افمن كان مومنا كمن كان فاسقا وثلث في حق المومنين افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق افمن شرح الله صدره للاسلام اومن كان ميتا فاحييناه
وثلث في حق الكفار افمن حق عليه كلمة العذاب افمن يتقي بوجهه سوء العذاب افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء اي اشركوا ايضا مع انكارهم
البعث فزادوا كفرا الى كفرهم وقوله قل سموهم قل سموا هولاء الذين جعلتموهم
شركاء باسماء حقيقية لها معان تستحق بها ان تكون معبودة ولم يقدروا على ذلك فبطل
قولكم وقيل اذا سميتموها الهة فسموها باسماء الله تعالى وهي الخالق والرازق وسائر
الاسماء ولا يفعلون كذلك لعلمهم انه باطل فكذلك تسميتهم بالالهة له وقيل اذا جعلتم
لي شركاء فسموها من هم ولا شك انهم يسمون اصناما منهم المعروفة باللات والعزى
ومناة ونحوها فيعلم كل عاقل انها جمادات لا تملك شيئا فلا يكون منها شيء الها
معبودا وهي كمن يقول انا اعلم لفلان شبيها فيقال له سمه فاذا سمى من يعلم يقينا
انه ليس بشبيه كمن يقول رد عليه قوله وبطل كلامه وقوله تعالى ام تنبئونه
بما لا يعلم في الارض اي تخبرون الله بالشركاء في الارض وهو لا يعلم ذلك اي لو كان
يعلم فهو في الحقيقة نفي ان يكون لا نفي العلم وام عطف على الالف في قوله افمن هو
قائم وقيل ههنا مضمر بالالف ثم هذا عطف عليه قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في
الارض وقوله تعالى ام بظاهر من القول قال مجاهد وقتادة اي بظاهر من
قول سلفكم على الجهالة انها شركاء من غير حقيقة وقيل ام بظاهر من القول الذي

انزله الله على عباده فاذا دعوا ذلك فقل هاتوا برهانكم وقيل اي بظن من القول
كالرجل يرى ظاهر القول الشيء وهو لا يعلم باطنه ولو تامله لبان له خلافه وهو
كقوله ما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي بما ظهر لهم من الراي
من غير تامل وقيل اي بباطل من القول زائل يقال ظهر عني العيب اي زال
قال الشاعر وتلك شكاة ظاهر عنك عارها اي زائل وقوله تعالى بل زين
للذين كفروا مكرهم اي ما اتوا من هذا ولكن زين الشيطان لهم اخداعهم للضعفة
وقوله تعالى وصدوا عن السبيل قرا عاصم وحمزة والكسائي بضم الصاد اي
وصدهم الشيطان عن سبيل الله وقرا الباقون بفتحها اي هم اعرضوا عنه وقوله
تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد هذا ظاهر وقوله تعالى لهم عذاب في
الحيوة الدنيا حل بهم كما حل بالمستهزئين وبرؤس الشرك يوم بدر ونحو ذلك وقوله
تعالى ولعذاب الاخرة اشق اي اغلظ وابلغ وقوله تعالى وما لهم من الله من واق
اي اذا عذبهم لم يمنعهم مانع عنه وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون قيل
جوابه محذوف في اخره وهو جل شر وقيل مثل الجنة اي صفة الجنة كقوله ولله
المثل الاعلى وعلى هذا فيه مضمر ايضا تقديره صفة الجنة التي وعد المتقون جنة
تجري من تحتها الانهار وقيل الاضمار في اوله وفيما يتلى عليكم مثل الجنة وقيل اضمار
هذا مثل الجنة ذكر وعد الاولياء بعد ذكر وعيد الاعداء تجري من تحتها الانهار
اي هي في غاية النزهة والعرب كانوا في عوز من الماء فكانوا يعدون هذا
اعظم نزهة وقوله تعالى اكلها دائم اي ثمرها غير منقطع وظلها كذلك لا تنسخه
الشمس تلك عقبى الذين اتقوا اي هذه عاقبة المتقين وعقبى الكافرين النار
هذا ظاهر وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب اي واهل الكتاب الذين اسلموا يفرحون
بما انزل اليك اي بالقران لموافقته كتابهم في ذكر الرحمن ومن الاحزاب من ينكر
بعضه قال مقاتل يعني بني المغيرة وبني امية وال ابي طلحة بن عبد العزى
قالوا ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقال ابن عباس ان مومني اليهود اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذكر الرحمن في التورية كثير وليس له ذكر
في القران فانزل الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية فقال مشركوا مكة كان
محمد يدعونا الى اله واحد والان يدعونا الى الهين اثنين فاذكروا اسم الرحمن
فانزل الله ومن الاحزاب من ينكر بعضه وقيل فرح اهل الكتاب به لموافقته

كتابهم في كل شيء والاحزاب ينكرون بعضه لانهم يقولون الخالق هو الله ثم يشركون
به غيره وقال ابن عباس في رواية ان اليهود امنوا بسورة يوسف لوفاقها
ما في التورية من قصة يوسف ثم انكروا جميع القران سوى سورة يوسف
والاحزاب جمع حزب وهم الاخلاط من اليهود والنصارى والمشركين تحزبوا
على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اي تعاونوا **وقوله** تعالى قل انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب اي مرجعي في اموري
كلها وهو حسم لاطماعهم في مطابقتهم على شيء من دينهم **وقوله** تعالى وكذلك انزلناه
حكما عربيا اي وكما اتينا لهم الكتاب قبلك انزلناه عليك حكما عربيا اي كتابا بلسان العرب
والحكم اسم القران سمي به لانه بالحكم نزل وقيل اي انزلناه حكما دانت به العرب قديما وهو
دين الحنيفية دين ابرهيم واسمعيل الى ان غيروه **وقوله** تعالى ولئن اتبعت اهواءهم
بعدما جاءك من العلم في اتباع ملة ابائهم المشركين وقيل في القبلة فقد قيل في ذلك
نزلت حين دعاه اليهود الى الصلوة الى قبلتهم بعدما حول عنها ما لك من الله من ولي
يتولى دفعه عنك ولا واق يقيك عذابه **وقوله** تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
ثم عاد الكلام الى ذكر ما التمسوا من الايات قال ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية اي زوجات واولادا اي كان سبيلهم كسبيل غيرهم من البشر
ينكحون ويولد لهم ويقضون ما احل الله لهم من الشهوات لم يفارقوا غيرهم الا في
الرسالة **وقوله** تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي لم
يكن في وسعهم الاتيان باية الا باذن الله **قوله** تعالى لكل اجل كتاب اي
لكل شيء وقت قدره الله تعالى فيه فالايات التي التمسوها انما يكون لها في الوقت
الذي اجله الله لها لا على اقتراحهم وقيل ان الاية نزلت في اليهود حين عيرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نرى له همة الا النساء والنكاح فانزل الله هذه الاية
وقد كان لداود صلى الله عليه وسلم مائة امراة مهرية وثلثمائة سرية وكان لسليمان
عليه السلام ثلثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكذا بامحمد هذا تشوق فما لهم لا يعيبونهم
ولا يعيبونك **وقوله** تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
ويثبت مخففا من الاثبات والباقون يثبت مشددا من التثبيت قال ابن عباس
يمحوا الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت ما فيه ثواب
وعقاب وذلك ان الحفظة تكتب على الانسان جميع ما يقول ويعمل فاذا كان يوم

الاثنين

الاثنين والخميس عرض ذلك باللوح المحفوظ فيلغي من كتاب الحفظة ما لا جزاء له من خير
وشر ويثبت ما يوافق الكتاب من ذلك الخير والشر والثواب والعقاب وقال الضحاك
يمحوا الله ما ليس للعبد ولا عليه ويثبت ما له وعليه وقال علي رضي الله عنه يمحوا الله ما
يشاء من القرون ويثبت ما يشاء من القرون قال الله تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
وقال ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين وقال سعيد بن جبير هذا في الفرايض
والشرايع ينسخ فرضا فرضا وشريعة شريعة وقال قتادة هو قوله ما ننسخ من اية
الاية يشير الى ان الناسخ هو المثبت والمنسوخ هو المحو وقال عكرمة يمحوا الله ما
يشاء يعني بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال الله تعالى الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال الحسن يمحوا الله الاباء ويثبت
الابناء وقال السدي يعني في الشمس والقمر ومعناه يمحوا القمر ويثبت الشمس قال
الله تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ومحو الليل من وجهين احدهما
نقصان نوره عن نور الشمس والثاني ما يرى من السواد في وجه القمر وقال محمد بن
كعب القرظي اذا ولد الانسان اثبت اجله ورزقه فاذا مات محي اجله ورزقه وقال
الامام ابو منصور ويحتمل محو الاحوال واثبات اضدادها من نحو كونه نطفة علقة
ثم مضغة الى اخرها ويحتمل محو الاحوال اذا كان كافرا ثم اسلم في اخر عمره محيت الاعمال
التي كان في حال كفره فابدلت حسنات واذا كان مسلما ثم كفر في اخر عمره محيت
اعماله الصالحات فلم ينتفع بها وقيل هو محو السعادة واثبات الشقاوة وعكسها وعن
عمر رضي الله عنه انه كان يدعو بهذا الدعاء اللهم ان كنت كتبت اسمي في ديوان الاشقياء
فامحه من ديوان الاشقياء واثبته في ديوان السعداء فانك قلت وقولك الحق
يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقيل وهو الاوفق للنظم لكل اجل كتاب
اي لكل وقت قضاء مكتوب في اللوح فكان في ايام الماضين اذا سالوا ايه مقترحة اتيتهم
ذلك فاذا لم يقبلوها استاصلهم كالناقة لصالح والمائدة لعيسى وكان في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم الاتيان بالايات الدالة على حقيقته من غير اقتراح منهم ولم يوتهم
ما اقترحوه لان ترك الايمان بها يوجب الاستيصال والنبي صلى الله عليه وسلم
بعث رحمة للعالمين يمحوا الله ما يشاء ويثبت يمحوا ايتاء الايات المقترحة ويثبت ايتاء
الايات المبتداة لهذه الحكمة وقال القشيري يمحوا من قلوب الزهاد حب الدنيا
ويثبت بدله الزهد فيها ويمحو عن قلوب العارفين الحظوظ ويثبت بدلها ايثار

حق الله ويمحوا عن قلوب الموحدين شهود الخلق ويثبت بدلها شهود الحق وقيل يمحوا
العارفين عن شواهدهم ويثبتهم بشاهد الحق وقيل يمحو العبد عن اوصافه ويثبته
بالحق وقيل يمحوا عن قلوب الاجانب ذكر الحق ويثبت بدله غلبات الغفلة وهواجس
النسيان وقيل يمحوا اوضار الزلة عن نفوس العاصين واثار العصيان عن
ديوان المذنبين ويثبت بدل ذلك لوعة الندم وانكسار الحسرة والجمود عن متابعة
الشهوة وقيل يمحو نضارة الشباب ويثبت صفة الشيب وللمقال مجال في هذا الباب
وقوله تعالى وعنده ام الكتاب قيل اللوح المحفوظ الذي اثبت فيه ما سبق به علمه
وحكمه مما لا تبديل له ولا تغيير وقيل هو اشارة الى علمه انه بكل معلوم **وقوله**
تعالى واما نرينك اما كلمتان ان وما ان للشرط وما للتاكيد والنون في نرينك لذلك بعض الذي
نعدهم هو قوله لهم عذاب في الحيوة الدنيا **وقوله** تعالى تصيبهم بما صنعوا وقوله تعالى
فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم تقول فان اريتك بعض ما نعدهم من الانتقام اي من هؤلاء
المستهزئين بك المكذبين لك في حيوتك **وقوله** تعالى او نتوفينك اي او امتك قبل ذلك
وفعلت بهم ذلك بعد موتك او اخرت عقوبتهم الى يوم القيمة فليس عليك في ذلك نقص
في نبوتك **وقوله** تعالى فانما عليك البلاغ اي تبليغ الرسالة والوعيد بالعقوبة لا تعجيلها
لهم وعلينا الحساب اي الينا مراعاة اجلها المعلوم والايقاع بهم عند الوقت المحتوم
وقوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي ان تاخير العذاب عنهم ليس
للعجز لانا قادرون نريهم النقصان في اطراف بلادهم بخراب ما حولهم من القرى وخلوها
عن اهلها بالقتل والسبي وزوال سلطانهم عنها وضرب الجزية عليهم وتفسير قوله نأتي
الارض اي نأتيها امرنا بالعذاب كما قال فاتى الله بنيانهم من القواعد وقال اتيها امرنا
ليلا او نهارا ونظير هذه الاية قوله ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وقوله افلا يرون
انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وهذا التاويل عن ابن عباس والحسن
والضحاك وقال مجاهد هو موت اهلها وقال ابن عباس في رواية هو موت العلماء
وخيار اهلها والاطراف الاشراف لغة على هذا القول وعلى القول الاول النواحي وقال
ابن عباس في رواية خرابها وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو موت
العلماء وقيل معنى الاية اولا يعلمون انا نفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حول
مكة من بلاد المشركين فننقص بذلك من قريتهم وازيد في بلاد الاسلام فيعلموا انه
يكون لهم حسن العاقبة بعد ان نقصناها من اطراف ارضهم وقال الامام ابو منصور

ما روي انه موت علمائها فذلك لان العلماء هم عمار الارض واهلها وبهم صلاح الارض فوصف
الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما قال ظهر الفساد في البر والبحر وفي التفسير
الارض والارض لا تفسد بنفسها بل وصفت به لفساد اهلها فكذلك لا تنقص ولكن
وصفت به لذهاب عمارها ثم يحتمل ذلك ذهاب علماء اهل الكتاب المتقدمين والمراد
بذكر ذلك انهم اذا ذهبوا فلا بد من رسول يعلمهم الشرايع والاداب ويجدد ما
درس من الايات وان اراد به علماء هذه الامة ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية
له بما يصيب امته **وقوله** والله يحكم لا معقب لحكمه اي لا ناقض له ولا راد والمعقب
اعقاب الشي بما يبطله **وقوله** تعالى وهو سريع الحساب يعني ان اجل العذاب اذا جاء لا
يتاخر عن مستحقه بل هو سريع عاجل وقال القشيري النقص من اطرافها هو
موت الاولياء الذين اليهم مفزع الخلق وقيل هو ذهاب اهل المعرفة حتى اذا جاء مسترشد
في طريق الله لم يجد من يهديه الى الله **وقوله** تعالى وقد مكر الذين من قبلهم اي بانبيائهم
بالاستهزاء والتماس الايات بالاقتراح كما مكر بك هؤلاء وصوروا عند الضعفة ان دعوتك
لو كانت حقا لجئتهم بما يلتمسونه من الايات المقترحة **وقوله** تعالى فلله المكر اي ان الله
تعالى قادر على المكر على الكفار فلا يحصلون من مكرهم على شيء ويوضح الله حجته لعباده
فيعود اثر مكرهم عليهم قال الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وقيل تحصيل هذا الكلام ان الله مالك مكر
العباد لا يضر الماكرون احدا الا باذن الله وقد ضمن الله نصرة اوليائه فلا يعود ضرر
مكر المشركين الا عليهم **وقوله** تعالى يعلم ما تكسب كل نفس اي من خير او شر فهو مجازيها
به **وقوله** تعالى وسيعلم الكفار اي عن قريب يعلمون وقرا ابو عمرو وسيعلم الكافر
وهو معرفة فكان للجنس فتضمن معنى الجمع **وقوله** لمن عقبى الدار اي يعلمون لمن تكون
عاقبة الدار وهذا وعيد وقال القشيري مكر الكفار اظهار الموافقة مع ابطان
المخالفة ومكر الله بهم ايهامهم انهم محسنون في اعمالهم وان بهم شيئا من احوالهم **وقوله**
تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قال ابن عباس هو كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وسعية بن عمرو ويجوز ان يكون جميع كفار عصره وقال
مقاتل يعني مشركي العرب وقوله لست مرسلا قيل جواب هذا ورد منصوصا عليه في ايات
منها قوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين ومنها قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء
ويختار ومنها قوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم معنى قولهم لست مرسلا ما انت

برسول من الله البتة لانك عاجز عن انزال ما التمسته منك من الايات **وقوله** تعالى قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم اي كفى الله شاهدا لي عليكم بما اقامه من الدلايل على صحة دعوى النبوة
والرسالة بالمعجزات التي اظهرها على يدي وبما ايدني به من الاخبار عن الغيوب وغير
ذلك وكفى بذلك شهادة لانه مما لا يستطيع احد من البشر ان يعارضها بمثلها او ينقضها بضدها
وقوله تعالى ومن عنده علم الكتاب عطف على قوله بالله وقيل اريد به عبد الله بن
سلام كما قال وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وقيل من للجنس والمراد به جمع وهم عبد الله
بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي والنجاشي وعلماء اهل الكتاب الذين اسلموا وقراء
بعض المتقدمين ومن عنده بكسر الميم والدال ومعناه من عند الله علم الكتاب وكان يقول
هذا اولى من حمله على علماء اهل الكتاب لا وجه له فهذه السورة مكية واسلامهم
كان بعد ذلك لكن لا وجه لترك القراءة المشهورة والاكثر على ان السورة مدنية

سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وهو العزيز الحكيم الرحمن الذي يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات النعيم الرحيم
الذي يغفر للمومنين يوم الحساب وهو الغفور الرحيم وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن
لم يعبدها وهذه السورة مكية الا ايتان نزلتا بالمدينة في قتلى بدر الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا الايتين وهي احدى وخمسون اية وقيل اثنتان وقيل اربع وقيل خمس وقيل سبع لانهم
اختلفوا في هذه المواضع من الظلمات الى النور وقومك من الظلمات الى النور وعاد وثمود
وبخلق جديد وفرعها في السماء وسخر لكم الليل عما يعمل الظالمون وكلمها ثمانماية وثلثون
وحروفها ثلثة الاف واربعماية وثلثة وثلثون وانتظام اول هذه السورة بختم تلك السورة
بذكر الكتاب ومن عنده علم الكتاب الر كتاب وانتظام هذه السورة بتلك السورة
ان تلك السورة في بيان وحدانية الله تعالى وصفاته وبيان القران وبيان عقلاء
المومنين وبيان المعاندين من المشركين وبيان اقتراحهم وتكذيبهم وقولهم في اخرها
لست مرسلا وهذه السورة تسلية له على ذلك وفي اولها بيان انزال الكتاب عليه وبيان
منحه وبيان ارسال الرسل من قبله وصبرهم على اذى قومهم وبيان عاقبة الفريقين
ووعد الموافقين بالجنة ووعيد المخالفين بالنار وبيان مثل الايمان ومثل الكفر كما
كان في سورة الرعد والامر بالصلوة والزكاة كما وعد في سورة الرعد على الصلاة والزكاة

وعظم قدر الصلوة بذكرها في قصة ابرهيم وذكر القيمة فيها كما ذكر في تلك السورة وختمها بقوله
هذا بلاغ للناس كما قال في تلك السورة فانما عليك البلاغ **وقوله** تعالى الر قد مرت
الاقاويل فيها مرات كتاب انزلناه اليك اي هذا كتاب او سورة الر كتاب انزلناه اليك
نحن ما القاه اليك شيطان ولا افتريته انت **وقوله** تعالى لتخرج الناس من الظلمات
اي ظلمات الكفر الى النور اي نور الايمان باذن ربهم اي تفعل هذا بهم بامر ربهم اياك به
وقوله تعالى الى صراط العزيز الحميد هو ترجمة قوله الى النور اي الى طريق دعا اليه الله
العزيز في ملكه الحميد في جميع خلقه بجلاله وافضاله وحميد فعاله وقال القشيري
لتخرج الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات الشك الى نور اليقين ومن
ظلمات التدبير الى شهود قضاء التقدير ومن ظلمات دعاوي النفس الى نور معارف
القلب ومن ظلمات التفرقة الى نور الجمع ومن ظلمات الابتداع الى نور الاتباع باذن
ربهم بارادته ومشيته وسابق حكمه وقضيته الى صراط الله وهو نهج التوحيد بشواهد
التفريد **وقوله** تعالى الله الذي له ما في السموات وما في الارض قرا نافع وابن عامر
الله رفعا بالابتداء وخبره الذي وقرا الباقون بالخفض نعتا للعزيز الحميد **وقوله**
تعالى وويل للكافرين من عذاب شديد اي واذا كان له ما في السموات وما في الارض
وهو خالقها ومدبرها فهو المستحق للعبادة فمن اشرك به غيره فله الوعيد الغليظ
بالعذاب الشديد في الاخرة **وقوله** تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة
اي يوثرون الحيوة الدنيا الدنية وشهواتها والتلذذ فيها بالرياسة على الحيوة الاخرة
الباقية التي لا ينقطع نعيمها وهو صفة الكافرين الذين لهم العذاب الشديد **وقوله**
تعالى ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس عن سلوك سبيل طاعة الله الذي
يهدي الى جنانه ورضوانه ويبغونها عوجا اي يطلبون لها تعويجا وتحريفا عن وجهها
ويبغونها عذرا للراغب فيها بادخال الشبه والتلبيس لان السبيل مونثة سماعا ويبغونها
بمعنى يبغون لها قال الله تعالى يبغونكم الفتنة اي يبغون لكم **وقوله** تعالى اولئك في
ضلال بعيد عن الحق **وقوله** تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم اعلم ان رسوله في الاية الاولى انه ارسله وانزل عليه كتابه بيانا للناس ثم قال
وكذلك كانت الرسل قبلك ارسلوا بلسان قومهم ليبينوا لهم ثم وان كان كذلك لم يتفقوا
على قبوله بل اختلفوا فضل قوم واهتدى قوم وذلك **وقوله** فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء وهو العزيز فيما يريد الحكيم فيما يفعل **وقوله** تعالى ولقد ارسلنا موسى

بآياتنا اي كما ارسلناك وقوله تعالى ان اخرج قومك اي بان اخرج قومك وقيل ارسلنا
بمعنى اعلمنا وعرّفنا اي اخرج قومك من الظلمات الى النور وهو في مقابلة ما قال
لرسولنا صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقوله تعالى وذكرهم
بايام الله وقال الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير اي بنعم الله وقيل اي بنقم الله
بعاد وثمود وغيرهم من الامم الضالة قال عمرو بن كلثوم ۝ وايام لنا غر طوال ۝
عصينا الملك فيها ان ندينا وقيل فيه قولان النعم والنقم من اعدائنا وقال الله تعالى قل
للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قيل لا يخافون وقايع الله التي اوقعها
باعدائه وقيل وذكرهم بايام الله في الامم الخالية فيها ايات من حيث انه عاقب
قوما وانجى اخرين على الطاعات منهم والمعاصي والتصديق والتكذيب لتعلموا به
ما تدخلون به في زمرة الناجين المثابين وتخرجون عن طبقة المعاقبين الهالكين
وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي لكل من استكمل خصال الاسلام
فقد روي الايمان نصفان صبر وشكر فترك كل المعاصي صبر وفعل كل الطاعات
شكر فكانه قال الايات لكل كامل في ايمانه فهو الذي ينتفع بها وهو كقوله هدى للمتقين
وقال ابن عباس بايام الله ونعمائه بان ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
وفلق البحر ونحوها وقيل هي اهلاك قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وقوله
وتلك الايام نداولها بين الناس هذا في النعم وقولهم من ير يوما يُرَ به هذا في
الشدة وقول الشاعر ۝ فيوم علينا ويوم لنا ۝ ويوم نساء ويوم نسر ۝ يجمع
المعنيين وقال القشيري ايام الله هي ما سبق لارواحهم من الصفوة وتعريف
التوحيد قبل حلولها في الاشباح قال قايلهم سقيا لها ولطيبها ولحسنها
ولبهائها ۝ ايام لم يلج النوى بين العصا ولحائها ۝ وقيل هي ما كان من وقت
الميثاق وما بعده وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فسرناها في سورة البقرة وهذه من ايام الله ۝
وقوله تعالى واذ تأذن ربكم اي اعلم وتأذن واذن واحد كقولك توعد واوعد
وهو قول الحسن والفراء لئن شكرتم لازيدنكم وهو وعد ببقاء النعمة فالزيادة
عليها تكون بعد بقاء اصلها ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ان جعل هذا من الكفران
فمعناه ان عذابي بازالة النعم عنكم لشديد عليكم وان جعل من الكفر فمعناه ان جحدتم

النعم من عندي فعذابي للكفار شديد لانه بالنار وهو دايم وقال الامام ابو منصور
واذ تأذن ربكم اي وعد ربكم وكفل ربكم لم يبين ما الشكر وما النعمة وما الزيادة
وما الكفر وما العذاب ويشبه ان يكون معناه لئن شكرتم لي بالتوحيد بما خلقتكم
وركبت فيكم ما تتلذذون وتتنعمون في الدنيا وبما قومتكم في احسن تقويم لازيدنكم
النعيم الدايم في الاخرة وهذا قول ابن عباس وقريب منه الا ترى انه قال ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد اي ولئن صرفتم شكر نعمتي الى غيري ويحتمل ان يكون كل نعمة يشكرها
يزيد له من نوعها في الدنيا ويزيد له في ذلك وقال القشيري لئن شكرتم انعامي
زدتكم من اكرامي وان كفرتم احساني عذبتكم اليوم بامتحاني وغدا بفراقي وهجراني
لئن عرفتم قدر افضالي لارقينكم من وجود نوالي الى شهود جمالي وجلالي لئن
شكرتم توفيق العبادة لازيدنكم تحقيق الارادة لئن شكرتم وجود الطافي لازيدنكم
شهود اوصافي لئن شكرتم صنوف نعمي لازيدنكم كشوف كرمي ثم لارقينكم الى شهود
قدمي لئن شكرتم محتضر نعماي لازيدنكم منتظر الاي لئن شكرتم ما خولتكم من عطاي
لازيدنكم ما وعدتكم من لقاي ولئن كفرتم نعمي بان توهمتم استحقاقها تجرعتم كم
ما تستمرون مذاقها وقوله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا فان الله لغني حميد قال القشيري اي قال موسى لقومه لئن اجتمعتم انتم ومن
عاصركم ومن غاب عنكم ومن حضركم والذين يلتفقون اثركم على ان تكفروا بالله
جميعا واصررتم كل يوم في الشرك امرا فظيعا لما اوحشتم لعزنا شيئا كما لو شكرتم
وامنتم ما حصلتم لملكنا زينا فالكفر بنعوته والموصوف جبروته علي وعن العالم باسره
غني وقوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات قيل هو كلام موسى لقومه ۝
وقيل هو ابتداء خطاب من الله لاهل عصر محمد يقول الم ياتكم يا معاشر الكفار
خبر امم الذين قد سمعتم بتكذيبهم لرسلهم وما احل الله بهم من نقمته وهم في الكثرة
على ما لا يعلم عددهم واساميهم الا الله تعالى وكان ابن مسعود اذا قرا هذه
الاية قال كذب النسابون علم الانساب في الاسلام والله تعالى يقول لا يعلمهم الا
الله جاءتهم رسلهم اي رسلنا واضاف اليهم لانهم ارسلوا اليهم بالبينات اي الحجج والمعجزات
وقيل اي الشرايع والواضحات التي لا يخفى حسنها على المتدبر وقوله تعالى
فردوا ايديهم في افواههم اي جعلوا اصابع انفسهم في افواه انفسهم يعضونها غيظا اذ

كان فيه تسفيه احلامهم وشتم اصنامهم وهو كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهو قول
عبد الله بن مسعود وابي زيد وقال ابن عباس في رواية الكلبي ردوا ايديهم
انفسهم في افواه انفسهم اي وضعوا الايدي على الافواه اشارة الى الرسل ان اسكتوا
وقال مقاتل والحسن اي في افواه الرسل يسكتونهم بذلك وهو كما فعل عتبة بن
ربيعة حين قرا رسول الله حم السجدة حتى بلغ قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فوثب ووضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يقرا
الباقي وقال خشينا ان الاتيان تاتينا صاعقة من السماء فتحرقنا وقال مجاهد
ردوا نعمهم بافواههم وحكي عن ابي عبيدة ان هذا مثل ومعناه انهم كفوا عما امروا بقوله
من الكفر ولم يومنوا به ويقال للرجل اذا امسك عن الجواب فلم يجب رد يده في فيه وكان
مجاز هذا انه سترفاه بيده اي ان هذا لم يدخل قلبي وليس له عندي جواب وحكي عن
عن ابي عبيدة ان العرب تقول كلمت فلانا في حاجة فرد يده في فيه اذا سكت عنه فلم يجب
وقال الامام ابو منصور رحمه الله تعالى ويحتمل هذا المكافاة فواهم استهزاءهم
وقوله وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي من التوحيد وترك الشرك وانا لفي شك اي من
صحة ما تدعوننا اليه مريب اي يوقع الريبة والتهمة لكم بالكذب فيه **وقوله** تعالى قالت
رسلهم افي الله شك اي في ان العبادة لا تجوز الا له فاطر السموات والارض نعت قوله افي
الله اي لا يقدر على انشائهما غيره فلا شريك له فيهما فكيف يجوز الاشراك به **وقوله**
تعالى يدعوكم اي على السنتنا الى عبادته ليغفر لكم من ذنوبكم قال ابو عبيدة من زائدة
وقال سيبويه لا يجوز ذلك في الاثبات وانما ذلك في النفي ولكن من للبدل اي
بدل ذنوبكم التي كانت في الشرك وقيل هو للتبعيض وهو ذنوب حالة الشرك فاما
ما يفعل بعد الاسلام فهو بحاله لا يغفر الا بتوبة او بفضل الله تعالى لاهل الاسلام ويوخركم
الى اجل مسمى اي الى منتهى اعماركم فلا يعاجلكم بالعقوبة والهلاك وهو جواب قوله
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا يقول اذا اسلمتم لم تتخطفوا وبلغتم الى اجالكم
المسماة قال الامام ابو منصور **وقوله** تعالى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا اي ما انتم تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباونا فاتونا بسلطان مبين اي حجة ظاهرة قال الامام
ابو منصور في قولهم تناقض من وجهين احدهما انهم تركوا طاعة رسلهم واتباع رسلهم
لانهم بشر مثلهم ثم اطاعوا اباءهم واتبعوهم في عبادة الاصنام وهم بشر مثلهم والثاني
انهم لم يروا الرسل متبوعين لانهم بشر ثم لا يخلون هم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين

استعنوا

استعبنوا اخبرهم ممن هو دونهم او كانوا اتباعا لغيرهم حيث كانوا فالوا انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون وذلك تناقض وقوله فاتونا بسلطان مبين اي تاتوا
الحجة على ما ادعوا من الوهية الله ووحدانيته او على ما ادعوا الرسالة من الله وفي كل شيء
وقع عليه بصرهم دلالة وحدانية الله والوهيته وكذلك الرسل اتوا الحجج على دعوى
الرسالة فكانوا معاندين في قولهم فاتونا بسلطان مبين **وقوله** تعالى قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم
بسلطان الا باذن الله اي ان اجتماع الكل في صفة البشرية لا يبطل التفاضل لانه يوجب
ان لا يكون في الدنيا من يفضل غيره في رياسة وملك ونفاذ قول وحسن قول وحسن
وجه وفضل مال وسلامة بدن وصحة عقل وجودة تمييز وهذا مما لا يخفى استحالته
بل لله ان يخلق البشر ويفضل بعضهم على بعض في الاحوال والاموال وغيرها فيمن عليه بذلك
والحكمة في دار المحنة ان لا يكون الناس سواء الا بفضل بعضهم على بعض فيبطل حينئذ موضع
الشكر والصبر اللذين هما جملة الايمان فاما السلطان المبين من جهة الاعجاز فذاك انما يحتاج
اليه في اثبات صدق النبي في دعوى الرسالة لا في اثبات حق ما يدعو اليه النبي بل اذا
ثبتت نبوته بالاعجاز كان جميع ما يدعو اليه حقا وما يحكم به صوابا ولا قدرة لنا
على ايراد معجزة الا باذن الله اي باعطاء الله اياه ذلك **وقوله** تعالى وعلى الله فليتوكل
المومنون اي قال الانبياء وعلى الله فليعتمد الذين امنوا به في كفاية من خالفهم وفي اظهار
دعوتهم واقامة حججهم **وقوله** تعالى وما لنا الا نتوكل على الله اي واي عذر لنا في
ترك التوكل على الله في كفاية اذاكم وكيدكم عنا وقد هدانا سبلنا اي وفقنا لسلوك
سبل الحق فنبصرنا علمكم ايضا ولنصبرن على ما اذيتمونا اي على اذاكم وكان هذا
قبل الامر بالانتصار منهم وحال قلة المومنين وكثرة الكافرين وعلى الله فليتوكل
المتوكلون اي فكلهم فليعتمد المعتمدون دون غيره وقال القشيري وما لنا الا
نتوكل على الله وقد حقق لنا ما سبق به الضمان من وجوه الاحسان وكفاية به
ما اطلنا من الامتحان وعليه ولنصبرن على ما اذيتمونا والصبر على البلاء يهون اذا
كان على رؤية المبلي وانشدوا • مر ما مر بي لاجلك حلو • وعذاب لاجل حبك عذب •
وقوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا اي
لتصيرن اليها ولم يريدوا حقيقة الرجوع فانهم ما كانوا قط فيها وقد مر شرحه في سورة
الاعراف ولعلهم اشتغلت قلوبهم بهذا القول كما تقتضيه طباع البشر فسكنها بقوله ذلك

قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اي الذين يظلمون انفسهم واياكم وقوله
تعالى ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ولنجعلنكم سكان ارضهم بعد هلاكهم وقوله
تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد اي هذا من مني على الانبياء واتباعهم
لخوفهم مقامي وخوفهم وعيدي ومعناه انهم اذا تذكروا الكتاب وقيامهم للعرض على
الله تعالى وقيل قيامهم على رؤس القبور اذا بعثوا للثمانية سنة وتذكروا ما توعد الله به الناس
من غليظ العقاب على معاصيهم ثبتوا على طاعتي وتجنبوا سخطي واضافة المقام الى الله
انما هو على معنى كونه بين يديه وقيل ذلك لمن خاف قيامي عليه وحفظي اسبابه من قوله
امن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقوله تعالى واستفتحوا قال عبد الله بن زيد اي
استفتح الكفار بالبلا وقال الحسن ومجاهد وقتادة اي استفتح الرسل بالنصر اي
اذن الرسل للاستنصار فسالوا الله ذلك وقيل اي سالوا الله الحكم بنصرهم واهلاك
اعدايهم والفتح الحكم والفتاح الحاكم ودليله قوله قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم
فتحا وذلك عند الياس من ايمانهم وقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد اي خيبت دعوة
الرسل فياس الجبارون المعاندون فلم يقدروا بخير ولا نالوا الملا بقاء الرياسة
ودوام الحرمة وقيل على قول من جعل الدعا والاستفتاح من الكفار انهم قالوا اللهم ان كان
رسلنا صادقين فعذبنا فخابوا هذا الدعا اي نقلب ذلك عليهم والجبار هو طالب علو
ليس فوقه منزلة وقيل هو من لا يرى لاحد عليه حقا وقيل هو المتكبر بغير حق والعنيد
الحايد عن الحق الى الباطل وقال ابن كيسان هو الشامخ بانفه وقال ابن عباس
ومجاهد هو المعرض المجانب وقيل هو المعارض لك بالخلاف وقوله تعالى من ورايه
جهنم اي وراء هذا الجبار العنيد جهنم اي امامه كما قال وكان وراهم ملك وقال
الشاعر ٭ اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ٭ وقومي تميم والفلاة ورايا ٭ وقال مقاتل
من ورايه اي من بعده والورا يستعمل للخلف والقدام واصله ان كل ما وارى عنك
شيا من خلف او قدام فهو ورا وقيل انه يجوز في الزمان على تقديره انه كان خلفهم لانه
ياتي ليلحقهم قال الاخفش ويقال هذا الامر من ورايك يعني انه سياتيك وقال
الشاعر ٭ عسى الكرب الذي امسيت فيه ٭ يكون وراه فرج قريب ٭ اي لهم العذاب
الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى وقوله تعالى ويسقى من ما صديد قال
قتادة هو ما يخرج من جلد الكافر وقيل هو الحميم اغلي حتى خثر وقال اهل
اللغة هو القيح الذي يسيل من القرح وقيل في التفسير هو ما يسيل من جوف الكفار

من القيح والدم ثم قوله من ما صديد اي من ما هو صديد اي لونه لون الما وطعمه
طعم الصديد وهو كقوله قوارير من فضة اي لها صفا الزجاج وبياض الفضة
وقوله تعالى يتجرعه اي يتحساه باستكراه واستثقال لعطشه وحاجته
الى الماء ولا يكاد يسيغه اي لا يمر به ولا يقارب دخاله حلقه تقبل ساغته
واسغته اي دخلته جوفي بسهولة قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذا يقرب
اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه
حتى يخرج من دبره قال تعالى وسقوا ما حميما فقطع امعاهم وقال تعالى وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب وقوله تعالى وياتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت قال ابن عباس يعني في النار من كل ناحية اي
ليس في جسده موضع شعرة الا والموت ياتيه منها من شدة العذاب حتى يجد طعم الموت
وكربه وقيل ياتيه غم الموت من كل عضو ومفصل وما هو بميت لا يموت حقيقة
فيستريح قال الله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقيل من كل مكان من جهات بدنه
الست من فوقه ومن تحته ومن ورايه وامامه وعن يمينه وعن شماله كما قال لهم من
فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ومن ورايه عذاب غليظ اي امامه اي
يتجدد له كل ساعة بعد ما كان يصيبه عذاب اغلظ من الاول وقوله
تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال اتصل بقوله وخاب كل جبار
عنيد اي كل جبار عنيد لم ينتفعوا بما عملوا فقد ضاع عملهم كذا قال الفراء
اضاف المثل الى الكفار والمثل لاعمالهم وتقديره مثل اعمال الذين كفروا ونظيره
الذي احسن كل شيء خلقه اي احسن خلق كل شيء وقوله وترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة اي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة
قال وان شيت جعلت المثل صلة فقلت الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
وقال بعضهم مثل بمعنى صفة اي صفة الكفار هذا اعمالهم كرماد وقال
سيبويه في الكلام اضمار ومعناه ومما نقص عليك مثل الذين كفروا بربهم
ثم ابتدا فقال اعمالهم كرماد ومعنى الاية صفة الكافرين بربهم اعمالهم كرماد
اي تحبط اعمالهم وتتلاشى فلا ينتفع بها احد منهم بل تطير اعمالهم اي تذهب
وقد يقال للانسان عن الشيء فيقال له اين هو فيقول طار وكان ريحا فمر

وكذا قوله كرماد اشتدت به الريح اي كرماد هاجت به ريح شديدة في يوم كثير الرياح فرقها فلا شك انه لا يبقى من ذلك الرماد شيء يمكن ان يوخذ ويتعلق به فكذلك هو ما كسبوه في حال شركهم من قري ضيف وصلة رحم وصدقة على محتاج او شيء يعد مثله تقربا او سعوا في جمع مال او اعدادعتاد ينتفع به في دين او دنيا فان ذلك يبطل عنهم فلا يقدرون منه على شيء اي لا يجدون له نفعا ذلك هو الضلال البعيد اي سوء تدبير وضعف راي وذهاب عن الصواب الى ما يتباعد عنه حتى لا يكون فيه موضع لاستصواب ولا قرب من الهدى وقال الفرا في يوم عاصف ان شئت قلت في يوم ذي عصوف وان شئت قلت في يوم عاصف الريح وقال ابو حاتم سهل بن محمد هذا من كلام العرب تطرح في القران بل مكر الليل والنهار وهما لا يمكران والنهار مبصرا والنهار لا يبصر وانما يبصر فيه ويمكر في الليل والنهار ويقال يوم ماطر ومغيم وليل فلان نايم على معنى ان هذه الافعال تكون فيها فاضيفت اليها وقيل هو كقولهم يوم حار ويوم بارد واليوم ليس مما يلمس فيحس منه الحر والبرد لكن يكون فيه حر الاشيا وبردها والعصوف شدة الهبوب الريح **وقوله** تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض قراحمزة والكسائي خالق السموات والارض وهو نعت وقرا الباقون خلق وهو فعل وهو من حجج وحدانية الله تعالى والم تر بمعنى الم تعلم يا محمد ومعناه الاثبات اي قد علمت او الامر اي اعلم وهو لتعليم غيره ان الله خلق السموات والارض بالحق وقال مقاتل اي لم يخلقهما باطلا عبثا بل بالحق اي لامر كاين وهو البعث والجزا وقال القشيري بالحق اي له ذلك بحق ملكه وخلقهما بقوله الحق ولجعل كل جزء منهما على وحدانيته دليلا ولمن اراد الوصول الى ربه سبيلا وقال الامام ابو منصور قال عامة اهل التاويل بالحق اي للحق اي للكافر لا محالة وهي الحكمة الاخرة لان المقصود من خلق العالم الاول هو العالم الثاني قال وقيل اي للحق الذي وجب عليهم له بالامتحان وقيل بالحق اي بالحكمة **وقوله** تعالى ان يشا يذهبكم اي يهلككم ويفنيكم ويات بخلق جديد اطوع له منكم وما ذلك على الله بعزيز اي غير ممتنع ذلك عليه وهو اذهابكم والاتيان بغيركم وقيل وما ذلك على الله بعزيز اي بشديد كما يشتد على ملوك الدنيا اذا ذهب اهل المملكة اذ لا زيادة في ملكه ولا نقصان من خلقه **وقوله** تعالى وبرزوا لله جميعا

ماض بمعنى المستقبل لانه من امور القيمة وهي كاينة لا محالة فاخبر عنها كالخبر عن الكاين الموجود المتحقق فالبروز الخروج والظهور قال تعالى وترى الارض بارزة يقول ويخبر هولاء يوم القيمة فيظهرون بحيث لا يسترهم ساتر فلم يبق منهم احد لم يحشر ولم يظهر وقال الامام ابو منصور الخلق اليوم كلهم بارزون لله تعالى وانما ذكر ذلك يوم القيمة لان الكفار لا يعتقدون ذلك ولا يقرون بذلك ويوم القيمة يقرون بذلك ويعلمون ذلك وهو كقوله لمن الملك اليوم وقوله مالك يوم الدين **وقوله** تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اي فيقول الاتباع للرؤسا وهم كل جبار عنيد انا كنا لكم تبعا اي اتباعا والتبع جمع تابع كالغيب جمع غايب والخدم جمع خادم والسلف جمع سالف والخلف جمع خالف وقال الزجاج ويجوز ان يكون مصدرا وصف به فيستوي الواحد والجمع فيه **وقوله** تعالى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قال الامام ابو منصور قال قايلون اي دافعون عنا عذاب الله تا فعون لنا ولكن هذا بعيد ان يطلبوا منهم دفع العذاب عنهم فقد راوهم في العذاب ولو قدروا على دفع العذاب عنهم لدفعوا اولا عن انفسهم الا ان يكون فيهم حيرة وعمى كما في الدنيا فقالوا ذلك قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى والاشبه انهم يطلبون رفع بعض العذاب عنهم وتحمله منهم وكان ذلك متعارفا في الدنيا ويدل عليه قوله فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار **وقوله** قالوا لو هدانا الله لهديناكم قال الامام ابو منصور قال بعض اهل العلم ان الاتباع والمتبوعين من الكفار اعلم بالله من المعتزلة يقولون لو هدانا الله لهديناكم والمعتزلة يقولون هديهم الله جميعا فلم يهتدوا ولو اراد ان يهدي واحدا لم يملك وكذلك ابليس اعلم بالله منهم يقول رب بما اغويتني وهم يقولون لا يغوي الله احدا والمعنى في هذه الاية لو وفقنا الله للايمان واهدنا في دار الدنيا لهديناكم اي بينا لكم طريق الهدى وقيل اي لو هدينا الله اليوم الى طريق التخلص من العقاب لهديناكم اليه **وقوله** تعالى سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم وهو نقيض الصبر وقال الشاعر

فان تصبرا فالصبر خير مغبة • وان تجزعا فالامر ما تريان •

اي يقولون لا حيلة لنا فيما قد وقعنا فيه وسوا علينا جزعنا وصبرنا لا يكف علينا العذاب بالصبر ولا يرق لنا بالجزع وقال مقاتل يقولون ذلك في النار فيقولون اولا تعالوا نجزع لعلنا نرحم فيجزعون خمسماية سنة فلا ينفعهم

الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينفعهم الصبر فيقولون سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الامام ابو منصور ويحتمل انهم يقولون ذلك
حين يقال لهم فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم **وقوله** ما لنا من محيص اي منجا وقيل
مخلص وقيل من نجاة وقيل من فرار وقيل من رواغ والمحيص في اللغة المحيد يقال حاص
يحيص حيصا ومحيصا وحيوصا وحيصانا اي حاد لما قالوا في الدنيا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين قيل لهم في النار فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما
كنتم تعملون وهم قوم صفتهم سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وسواء عليهم
ادعوتموهم ام انتم صامتون **وقوله** وقال الشيطان لما قضي الامر اي ولما قال
الضعفا للذين استكبروا ما ذكرنا واجابهم اوليك بما حكينا اجتمعوا كلهم على ملامة ابليس فهو
الذي سن لهم الكفر فيقول لهم ابليس هذا وقوله تعالى لما قضي الامر اي فرغ من سوق اهل النار
الى النار وسوق اهل الجنة الى الجنة واستقر كل فريق في منزله والشيطان مشرف عليهم
في النار بحيث يرونه ويسمعون كلامه وقال مقاتل يوضع له منبر في النار فيرقاه
ويجتمع عليه الكفار باللائمة فيقول لهم ان الله وعدكم وعد الحق يعني كون هذا اليوم كما
ترون فصدقكم وعده ووعدتكم انه غير كاين فاخلفتكم وعدي وقيل وعد الحق
اي الصدق وتقديره وعدا صدقا والاضافة اليه بمعنى نعته به كقولك حق اليقين
وهو وعد الثواب على الايمان والطاعة ووعدتكم على الشرك والكفر النعم والمعونة
فاخلفتكم وهو قوله لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وكل مواعيده اماني
وغرور قال تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما كان لي عليكم
من سلطان اي ملك اقهركم به على ما دعوتكم اليه وقيل اي من حجة بل الحجج كانت للانبياء
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي استثنا منقطع اي لكن دعوتكم بما اوردت على قلوبكم
من الوساوس فاستجبتم لي فقبلتم ذلك مني واعتقدتموه فلا تلوموني ولوموا انفسكم
على استجابتكم لي ولوم النفس على الاساءة امر صحيح كما يصح حمدها على الاحسان قال
الشاعر • تبعتك اذ عيني عليها غشاوة • فلما انجلت قطعت نفسي الومها • **وقوله**
تعالى فلا تلوموني لانه لا يستحق اللوم لكن يقول لومكم انفسكم اولى بكم اذ انتم
الذين اهلكتم انفسكم باجابتكم لي طوعا ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم اي بمانع اغاثتكم
وما انتم بمصرخي قرا حمزة بكسر اليا والباقون بالفتح والمصراخ المغيث والصارخ
المستغيث وقوله يصطرخون فيها اي يستغيثون بالصياح فالصراخ والصريخ

اسم للصريخ والمستصرخ جميعا وقال تعالى فلا صريخ لهم اي لا مغيث والصارخ
الديك لصياحه **وقوله** تعالى اني كفرت بما اشركتموني من قبل اي باشراككم اياي في
العبادة مع الله في الدنيا وهو التبري ومن ذلك قال تعالى ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
اي يتبرا ثم يحتمل وجهين الاخبار عنه انه كان يتبرا من ذلك في الدنيا والثاني
انه يتبرا من ذلك يوم القيمة ان الظالمين لهم عذاب اليم **وقوله** تعالى وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ذكر حال المومنين
ونيلهم الجنة بعد ذكر الكافرين ووقوعهم في النار **وقوله** تعالى تحيتهم فيها سلام
قيل اي يحيي بعضهم بعضا بدوام السلامة من كل خوف وحزن وقال الضحاك هو
سلام الملايكة عليهم وقيل هو سلام الله تعالى قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال
تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقيل يوم تحيتهم الملك ويوم يحييهم الملك **وقوله**
تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا اي لم تعلم كيف بين الله مثلا **وقوله** تعالى كلمة بدل عن
وترجمة له طيبة كشجرة طيبة هذا مثل كلمة التوحيد كشجرة طيبة اي زاكية مستطابة الثمر
اصلها ثابت اي لها اصل ثابت في الارض يشرب من الارض بعروقه وفرعها في السماء اي
تسقيها السما من فوقها بمطرها فهي تنمي بذلك وتطول فروعها حتى تكون في نهاية طول
الاشجار توتي اكلها كل حين باذن ربها اي ثمرها في كل حين باذن الله اي بايجاد الله ذلك
وكلما يوكل منها فهذا مثل كلمة الايمان وهي طيبة في لفظ صاحبها المتكلم بها
لانها حمد وتنزيه للخالق البارئ الواحد الموصوف بالصفات الحسنى وشهادة له
بالحق وهي طيبة فيما تثمره لانها تثمر في الدنيا الثنا الحسن والمودة في صدور الاخيار
والاثار الجميلة وتثمر ايضا في الدنيا التوفيق من الله للطاعات وانشراح الصدر بالحق
والعمل به وتثمر في الاخرة رضوان الله والنعيم المقيم في جوار الانبيا والصديقين
والشهدا والصالحين وهي ثابتة الاصل في الارض ليس معتقدها بمذبذب ولا هو
في دينه في لبس ولا هي ماخوذة تقليدا من غير دليل وبرهان فصاحبها من الانتفاع
بها واصابة الحق منها على بصيرة وبينة ثم فرعها في السماء لان عمل صاحبها متقبل
مرفوع الى الله يثني به عليه الملايكة ويذكره الله تعالى بها في الملاء الاعلى وهي توتي
اكلها كل حين لان شهادة المومن لله بالوحدانية وثناه عليه وتمجيده له وشكره على
النعم السالفة والانفة لا تنقطع في الاوقات بل يبقى منه على ذكرها اما بلسانه واما
بقلبه وكذلك اعماله الصالحة تتصل وتتابع في الاحايين كلها وهذا تمثيل في غاية

الحسن والصدق وقوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وانما يضرب
الله الامثال ليتذكر بها الناس اشباه الاشيا الغايبة بالاشيا الحاضرة فاذا كانت الاشيا
الحاضرة المضروب بها الامثال حسنة محمودة مالوا اليها واذا كانت الاشيا الحاضرة
المضروب بها الامثال حسنة محمودة مالوا اليها واذا كانت الاشيا الحاضرة المضروب
بها الامثال قبيحة مذمومة اعرضوا عنها كالهدى الذي هو في معنى الشي الغايب لانه
يدرك بالدليل والضلال الذي هو كذلك اذا ضرب المثل للهدى بالنور قرب من
القلب كقرب النور منها واذا ضرب مثل الضلال بالظلمة تبعد من القلب كبعد الظلمة
منه ثم الشجرة الطيبة قيل هي النخلة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
يوما اخبروني عن شجرة مثلها مثل المومن قال ابن عمر فوقع الناس في شجر البوادي فوقع
عندي انها النخلة فاردت ان اقول هي النخلة فنظرت فاذا في القوم ابو بكر وعمر فسكت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فذكرت ما وقع في قلبي لعمر فقال لو
كنت قلته كان احب الي من الدنيا وما فيها او كلاما هذا معناه وقال ابن عباس
هي شجرة في الجنة وقوله تعالى كل حين قال مجاهد وابن زيد هي السنة وقال
ابن عباس في رواية وسعيد بن جبير والحسن ستة اشهر من وقت الطلع الى وقت
الصرام وقال ابن عباس في رواية غدوة وعشية وقيل اكل النخل الطلع والبسر
والرطب والتمر فهو دايم لا ينقطع على هذه الصفة وهذه حال المومن لا يخلو وقت
من الاوقات من خير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله
خير ان اصابه خير حمد الله وان اصابه ما يكره صبر فكان امره كله الى خير وقال
الامام ابو منصور قال ابو بكر الكيسان كلمة طيبة هي هذا القران وكلمة خبيثة هي
الكتب التي احدثها الناس شبه القران بالشجرة الطيبة التي تثمر والشجرة الطيبة هي
باقية الى اخر الدهر ينتفع بها الناس بجميع انواع المنافع لا يقطعونها فهي تدوم
وتبقى وعلى هذا ذلك القران ينتفع به الناس وهو دايم ابدا اصلها ثابت لها قرار
وهو ثابت بالحجج والبراهين والكتب المحدثة باطلة فاسدة لا حجة معها ولا برهان
كالشجرة الخبيثة التي هي غير مثمرة لا بقا لها ولا قرار ولا ثبات وقال القشيري
شبه الله معرفة المومن بشجرة طيبة اصل تلك الشجرة ثابت في الارض زاكية فروعها
باسقة عالية وثمرات تلك الشجرة وافية توتي اكلها كل حين وينتفع بها اهلها في كل
وقت فالايمان كذلك اصله المعرفة مصححة بالادلة والبراهين وفروعها الاعمال

الصالحة

الصالحة التي هي الفرايض ومجانبة المعاصي في الايمان كصيانة الشجرة مما يضرها من
كشط قشر وقطع عرق واتلاف غصن وماجرى مجريه واوراق تلك الشجرة
قيامه باداب العبودية وازهار تلك الشجرة اخلاقه الجميلة وثمار تلك الشجرة
حلاوات الطاعة ولذات الخدمة ثم الثمار تختلف في الطعم والطبع والرايحة والصورة
كذلك ثمرات الطاعات وهي المعاني التي يجدها العبد بقلبه وهي مختلفة من حلاوة يجدها
في الطاعة وهي صفة العابدين وبسط يجده في وقته وهو صفة العارفين ولوعة
في ضميره وهو صفة المريدين وانس يناله في سره وهو صفة المحبين وقلق واهتياج
يجده ولا يعرف سببه ولا يجد سبيلا الى سكونه وهو صفة المشتاقين الى ما يفي بشرحه
نطق ولا يستوفيه بيان وذكر من لوايح وبوادي ولوامع وطوالع وسوارق وطوارق
ثم هذه الشجرة تربو بالعناية وتورق بالكفاية وتتزيد بالكلاية وتثمر بالرعاية ولا
بد للشجرة من ماء وما هذه الشجرة ما الندم والحيا والتلهف والحسرة والانابة
والخشوع واشباه الدموع ثم ثمرات الاشجار في السنة مرة وثمرات هذه الشجرة
في كل لحظة كذا كذا مرة وهي كثمرات الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقلوب اهل الحقايق
عنها لا مصروفة ولا محجوبة وقال ابو بكر الوراق المعرفة شجرة في قلب المومن
لها سبعة غصون غصن ينتهي الى قلبه وثمرته صحة الارادات وغصن ينتهي الى
لسانه وثمرته صدق المقالات وغصن ينتهي الى عينه وثمرته النظر الى العبرات
وغصن ينتهي الى رجله وثمرته المشي الى الجماعات وغصن ينتهي الى يده وثمرته اعطا
الصدقات وغصن ينتهي الى الحلق والبطن وثمرته اكل الحلالات وغصن ينتهي الى النفس
وثمرته ترك الشهوات وقال هشام بن عبد الله لها اربعة اغصان احدها ينتهي الى
قصر الامل والثاني الى اخلاص العمل والثالث الى ارتقاب الاجل والرابع الى تدارك الخلل
وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الشرك كشجرة خبيثة غير زاكية كما قال
والذي خبث لا يخرج الا نكدا او خبيثة ايضا من جهة ان ثمرها غير مستطابة اجتثت
من فوق الارض قلعت وقد جثت جثا من حد دخل اي قلع واجتث اجتثاثا
كذلك ما لها من قرار ولا فروع لها لانها مستاصلة من فوق الارض ولا عروق
لها في الارض فتركوا لانها قد ابينت عن اصلها او لانها لا عروق لها في الارض باطنة
فاذا اجتثت اي اخذت جثتها التي هي بارزة على وجه الارض من اصلها انقطع
ثمرها فهي شجرة ليس لها اصل ثابت يتفرع وانما هي قطعة عود ذات نبات على الارض

لا ثمر لها ولا نما ولا نفع فكذلك كلمة الشرك هي في كل المعاني كهذه الشجرة مخالفة
الشجرة الاولى الكريمة الزكية الطيبة هي خبيثة في لفظة المتكلم بها اذ هي تاعلى جماد
لا يعقل وتسمية بالالهية لحجر لا يضر ولا ينفع وهي تثمر في الدنيا الذكر القبيح وتسفيه
العقل وتضليل الراي والتسمية بالاسما المكروهة من الصم والبكم والعمي والتسمية
بالحمر والبهايم والاموات وتثمر في الاخرة العذاب الاليم وصاحبها في لبس من دينه
واختلاط من اعتقاده وعلى غير بصيرة في درك الصواب فيه وليس له عمل يصعد الى
تعالى وقال انس الشجرة الخبيثة هي الشريانة وهي الحنظل وقال ابن عباس هي
شجرة لم تخلق وهي مثل وقال القشيري خبثت كلمة الشرك لصدورها عن قلب
هو مستقر الشرك ومنبعه اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار لان الكفر متضاد
متناقض ليس له اصل صحيح ولا برهان موجب ولا دليل كاشف ولا علة مقتضية
انما ذلك شبه واباطيل وضلال وتضليل اقتضاها وساوس وتسويل ما لها من قرار
لانها حاصلة من شبه واهية واصول فاسدة **وقوله** تعالى يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة يثبت اي يوفق للثبات ويحفظ عن الزلل
والزوال الذين امنوا واتقوا فالوعد للمومن المستكمل خصال الايمان وذلك بالتقوى
فاما العصاة فهم في خطر وقوله بالقول الثابت قيل موصلة الذين امنوا اي هذا
الوعد للذين امنوا بالقول الثابت اي بالتوحيد الخالص فوحدوا الله ونزهوه عما
لا يليق به وقيل موصلة يثبت اي يثبتهم بالبقاء على هذا القول الثابت ويكون بمعنى
الجزا اي يثبتهم بسبب قولهم الثابت يقال جزيته بكذا وعلى كذا وفي كذا في الحيوة
الدنيا ما داموا احيا وعند الموت حتى يختم به وفي الاخرة اي في القبر عند مسئلة
منكر ونكير قال ابن عباس من دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله عليها في قبره
ولقنه اياها وكذلك قال مقاتل وعليه كثير من الاخبار وقيل القبر من الحيوة
الدنيا لانه في الدنيا صورة وفي الاخرة عند مسائلة الله اياهم عند الحساب فالقول
الثابت هو الشهادة لله بالوحدانية والصفات التي وصف بها نفسه وهو قول
ثابت في نفسه بدلايل العقول وشهادات المعارف وقيل يثبت الله الذين
امنوا اي يمكنهم الله في الارض ويستخلفهم فيها وفي الاخرة في الجنة بقولهم
الثابت اي بسبب كلمة التوحيد منهم **وقوله** تعالى ويضل الله الظالمين اي
يخذل الذين ارتكبوا الكباير فوضعوا الامر على غير موضعه وظلموا بذلك انفسهم

وهذا

وهذا الوعيد لهم ما داموا مختارين ذلك فاذا تركوا الظلم وراجعوا الحق وفقهم
الله وعصمهم ويفعل الله ما يشاء اي يتوب على الظالم ان شا فيغفر له ويهديه
ويغفر له ان شا من غير توبة ويعاقبه ان شا ويتركه في ظلمه والاية رد على المعتزلة
فانهم يقولون لا يقدر من ان يفعل ما يشا لانهم يقولون انه شا ايمان الجميع ولم
يومنوا فلم يقدر ان يفعل ذلك بهم **وقوله** تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
قال الحسن يعني ابا جهل واصحابه بدلوا نعمة الله عليهم بمحمد وبالايمان فكفروا
به وكذبوه واحلوا قومهم دار البوار اي دار الهلاك جهنم هو بدل عنها وترجمة
لها فاخرجوهم الى قتال محمد ببدر فقتلهم الله فدخلوا النار فالنعمة هي محمد صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية وكذلك في قوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وقيل دار
البوار هي بدر هلكوا بها وقوله جهنم يكون منصوبا بقوله يصلونها وهو كلام غير
الاول وقيل النعمة هي جميع ما انعم الله عليهم ثم كفروها فاستحقوا بها العقاب **وقوله**
تعالى يصلونها اي يدخلون جهنم وبئس القرار اي بئس المستقر جهنم وقال ابن
عباس الناس نزلت هذه في ظلمة قريش وقال علي رضي الله عنه هم بنو المغيرة
وبنو امية اما بنو المغيرة فاستوصلوا ببدر واما بنو امية فمتعوا الى حين **وقوله**
تعالى وجعلوا لله اندادا اي اشكالا واشباها من الاصنام سموها اللات والعزى
كما ان من اسماء الرب جل جلاله الله والعزيز ليضلوا عن سبيله اي ليضلوا بذلك
عن سبيل طاعة الله غيرهم كما ضلوا بانفسهم قل تمتعوا اي قل لهم يا محمد تمتعوا في الدنيا ما
شئتم فان مصيركم الى النار اي مرجعكم في عاقبة امركم الى جهنم ويجوز ان يكون تمتعوا
دليلا على قلة مكثهم في الدنيا فان المتاع اسم لذلك قال تعالى قل تمتع بكفرك قليلا
وان اجرى على الطاقة وطول زمانه فقد قال افرايتم ان متعناهم سنين ثم جاهم ما
كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون **وقوله** تعالى قل لعبادي الذين امنوا
يقيموا الصلوة اي قل لهم اقيموا الصلوة فهذا الظاهر جزم بالجواب للامر المحذوف الذي
دل عليه قل وقيل هو بنفسه امر باضمار اللام فيه ليقيموا الصلوة فجاز ذلك لدلالة
ظاهر الكلام عليه ويجوز مثله في الكلام قل له تضرب زيدا وهذا امر للمومنين بان
يخالفوا الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي قل يا محمد للذين حققوا عبوديتهم لي بالايمان
بي ومخالفة الذين اشركوا بي غيري اقيموا الصلوة بابدانكم وانفقوا في اقامة
ديني ومواساة عبيدي اموالكم **وقوله** وينفقوا مما رزقناكم سرا وعلانية

فضل المخلصين دون المرائين الذين ينفقون في العلانية لمراءاة الناس لا غير وقوله
تعالى من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال وهو يوم القيمة لا يجري فيه
تبايع بين الناس فيشتري نفسه من العذاب بمال يعطيه ولا مصافاة فيشفع
خليل لخليله فينجيه قال تعالى لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة وقال القشيري امرهم بالصلوة التي فيها المناجاة وبانفاق ما
رزقه وهو انفاق اللسان على ذكره والبدن على طاعته والوقت على شكره والقلب
على عرفانه والروح على حبه والسر على مشاهدته ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
انما يطالبك بان تحضر الباب وتقف على البساط فيقول المسكين لو كان لي نفس
اطوع من هذه لاتيت بها ولو كان لي قلب اوفى من هذا لاحضرته وكذلك
الروح والسر قال قائلهم يفديك بالروح صب لو يكون له اعز من روحه
شيء فداك به وقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وفي هذه
الاية تعداد النعم ويتصل بقوله بدلوا نعمة الله كفرا وقوله تعالى وانزل من
السما ماء هو المطر فاخرج به من كل الثمرات هي فواكه الاشجار وزروع الارض
رزقا لكم اي قوتا لكم وقوله وسخر لكم الفلك اي وذلل لكم السفن والفلك
اسم للواحد والجمع ويذكر ويؤنث لتجري في البحر بامره اي بتسخيره وتكوينه كقوله
انما قولنا لشيء اذا اردناه اي تكويننا وقوله تعالى وسخر لكم الانهار هي جمع نهر
وقوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين اي متصلي السير فكانهما يدأبان
اي يجتهدان في ذلك لئلا يخرجا عن امر الله قال ابن عباس دؤوبهما في طاعة
الله انهما يجريا على صورة من امر الله بشيء فاذاب نفسه في طاعة الله امره وقوله
تعالى وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لمصالحكم وقوله تعالى واتيكم من كل ما
سالتموه قرات العامة بغير تنوين على الاضافة وقرا ابو المنذر سلام ومن
قرا البصرة والحسن والضحاك من كل بالتنوين ومعنى القراة الاولى الاولى اعطيكم
من كل شيء سالتموه وهو للتكثير لا لاستغراق الجنس كما يقال اشتريت في السوق
كل شيء وقوله تدمر كل شيء بامر ربها واوتيت من كل شيء وهو جواب من سال
ان كل انسان لم يعط كل شيء ولانه قال من كل ما سالتموه وهو للتبعيض ومعنى
قراة التنوين من كل شيء ما سالتموه ثم ما ان جعل بمعنى الذي فهو كالاول وان
جعل للنفي فمعناه من كل شيء لم تسالوه اي اعطاكم ما سالتموه وما لم تسالوه

كالشمس

كالشمس والقمر والليل والنهار وما عدد في هذه الاية وكذا من المصالح ما يخفى على العبد
سؤاله والله تعالى يعطيه من غير سؤال وقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصو ها
قيل اي لا تطيقوا شكرها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا اي
لن تطيقوا وقيل اي لا تستوفوا عدها كما قال من احصاها دخل الجنة واقل الناس نعمة
لو تكلف عد ما انعم الله عليه نفعا ودفعا لم يمكنه ايفاء عده وبلوغ حده وقوله تعالى
ان الانسان لظلوم كفار ظلوم لنفسه في معصية كفار لربه في نعمته وقيل ظلوم
في الشدة يضجر ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وقوله تعالى واذ قال ابرهيم اي واذكر
يا محمد ابرهيم اذ لم يستعجل العذاب والعقوبة لمن كذبه واذاه فكذلك يا محمد فافعل ما هل
عصرك واتبع في ذلك اباك وذلك قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم وقدم على ذلك
واخر عنه دعوات فيما قدم وقوله تعالى رب اجعل هذا البلد امنا اي شرع لناس
ان يكون هذا البلد وهو مكة ايمنا اي مامنا وقيل ما مونا فيه وقيل ذا امن وهو
كقولهم ليل نائم ونهار صائم وكقوله تعالى والنهار مبصرا وقوله تعالى واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام اي بعدني واولادي وقد جنبته من حد دخل وجنبه تجنيبا
لما بعد واجتنب وتجنب لازم وحقيقة الكلمة اجعلني في جانب كما يقال نحني اي اجعلني
في ناحية ان نعبد الاصنام ان مع الفعل مصدر اي عبادة الاصنام وهذا لتعليم الامة
ولان العصمة لا تزيل المحنة فيجوز به الدعوة كما مر في قوله توفني مسلما وقوله
تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس اي ضل بهن كثير من الناس اضاف الاضلال
اليهن بطريق التسبب اي الاصنام كما في قوله حتى انسوكم ذكري وقال القشيري
كان ابرهيم بين شهود فضل ربه وشهود فقر نفسه فلنظره الى فضل ربه قال واغفر
لابي ولنظره الى فقر نفسه قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال من شاهد فضله
ولطفه ورحمته فقال واغفر لابي انه كان من الضالين وقوله تعالى فمن تبعني فانه
مني اي فمن كان على ديني وتوحيدك فانه مني واليه واعده في جملة اصحابي كما قال في
قصة طالوت ومن لم يطعمه فانه مني وقوله تعالى ومن عصاني فانك غفور
تستر عليه ذنبه رحيم ترحمه فتتوب عليه وقيل اي تمهله ولا تعاجله بالعذاب وهو كقوله
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم فالمغفرة في هذه الاية على ستر ذنوبهم وامهالهم وقال ومن عصاني
ولم يقل عصاك وان كان من عصاه فقد عصى الله مراعاة للادب في الخطاب

وقوله تعالى ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض اولادي وهو اسمعيل مع امه
هاجر واسكنته اي جعلته ساكنا بواد غير ذي زرع هو وادي مكة وهو الابطح
والوادي الشعب الجبل وغير ذي زرع اي لا ماء فيه فتزرع الارض عليه عند بيتك المحرم هو
الكعبة والاضافة الى الله للتشريف والتحريم اثبات حرمته وحرمة ما يحل في غيره فيه
وقال القشيري قوله بواد غير ذي زرع هو اخبار عن صرف توكله وصدق تفويضه
وقوله عند بيتك المحرم هو بيان انه راى الرفق لهم في الجوار لا في المبار ثم قيل هذا كان
بعد بناء البيت وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى ابان له موضع البيت فصحت اشارته
اليه وقوله تعالى ربنا ليقيموا الصلوة اي اسكنتهم به ليعبدوك ويقيموا الصلوة
لك مخلصين غير مشركين وقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم قال
ابن عباس تنزع اليهم وقال الضحاك تشتاق اليهم والهوي لغة هو الانحطاط
بسرعة يقول حبب هذا البيت الى عبادك ليأتوه فيحجوه وقال مجاهد فلو قال افئدة من
الناس ولو قال افئدة الناس لازدحمت عليه الروم والترك والهند وقوله تعالى وارزقهم
من الثمرات اي التي تكون في بلاد الناس فيجيء اليهم الثمرات من النواحي فيوجد به ما يوجد
لعلهم يشكرون اي ليشكروا الله وقيل لعل ههنا للترجي اي ارجو انهم اذا انتفعوا بهذه النعم
فيه سكنوه واستوطنوه واقاموا ما سكنك فيه شكرا لك على نعمك فاستجاب الله دعاءه بثمرات
الطايف قال القشيري يقول اسكنتهم بهذا الوادي ولا متعلق من الاغيار لقلوبهم ولا
متناول لافكارهم وابصارهم فهم مطروحون بيابك مقيمون بحضرتك جاري فيهم حكمك اذ
راعيتهم كفيتهم وكانوا اعز خلقك وان اقصيتهم ونفيتهم كانوا اذل خلقك وقوله
تعالى ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن اي لا يخفى عليك قولي وارادتي في ارادة الخير بعبادك
عموما وبذريتي خصوصا لعلمي بسعة رحمتك وارادتك الخير بمن من بك وقال
ابن عباس ومقاتل ما نخفي وما نعلن من الوجد باسمعيل وامه وغربتهما وكونهما بواد
غير ذي زرع وقوله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء يجوز ان
يكون هذا من كلام ابرهيم انتقالا من لفظ المخاطبة الى المغايبة وهو احد اقسام البلاغة
ويجوز ان يكون هذا كلاما معترضا في كلام ابرهيم وهو كلام الله تصديقا لابرهيم فيما
قال لا يخفى على الله شيء في الارض ولا في السماء اي علم الله قصده بهذا الدعاء فاستجاب
له في البيت وفي ذريته وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق اي
الشكر لله على ان وهب لي هذين الولدين على كبر سني وكبر سن امراتي كما قالت

جامعة الملك سعود

سارة الد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا قال ابن عباس ولد اسمعيل لابرهيم
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثني عشرة سنة
وقال سعيد بن جبير وهو ابن سبع عشرة ومائة سنة وقال مقاتل ولد اسمعيل
لابرهيم وهو ابن اربع وستين سنة وولد له اسحق وهو ابن سبعين سنة وقوله
تعالى ان ربي لسميع الدعاء اي قد سمع دعائي رب هب لي من الصالحين وقيل اراد
به اسمع دعائي في حق البيت وفي حق ذريتي وقوله تعالى رب اجعلني مقيم
الصلوة ومن ذريتي اي وفقني واولادي لادامة الصلوة واقامتها في اوقاتها على
شرايطها ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي فادعوا الله مخلصين له الدين اي فاعبدوه
ويحتمل انه عد دعاءه لذريته وللمومنين عملا صالحا يثاب عليه فسال قبوله وقوله
تعالى رب اغفر لي ولوالدي قال الامام ابو منصور قال الاكثر كانت امه مسلمة
بدليل قوله واغفر لابي انه كان من الضالين ولم يصف الام بالضلال والامر ان كانت
ضالة قال الامام ابو منصور ولسنا نعلم ذلك وسؤال المغفرة للاب الضال
وللام ان كانت ضالة هو سؤال ما ينال به المغفرة وهو الاسلام وقد شرحناه بما تم
من هذا في اخر سورة براءة وقيل اراد به ادم وحوا وقوله تعالى وللمومنين ودعا
بالمغفرة لجميع المومنين ايضا ويدخل فيه هذه الامة فهو دعا لنا ونحن ندعو له في الصلوة
بامر الله تعالى به اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقوله تعالى
يوم يقوم الحساب اي يجيء وقت الحساب كما يقال قامت الصلوة وقامت الحرب وقيل
عبارة عن العدل في الحساب يقال اقم هذا الكتاب اي اعدل فيه وقوله تعالى ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون يخاطب نبيه به تسلية له وانذارا ان ابرهيم
لم يستعجل ليصبر هو كما صبر ابرهيم وبيانا للمشركين ان ابرهيم لم يكن راضيا بفعلهم
بهذا القول وان تاخير العذاب عن الكفار في الدنيا للتشديد عليهم في العقبى وقال
القشيري الظلم على وجوه ظلم على النفس بوضع المعصية مكان الطاعة
وظلم على القلب بتمكين الخواطر الردية منه واخطار الغير بباله وظلم على الروح
بمحبة المخلوقين وقوله تعالى انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اي تاخير
عذابهم ليس لخفاء حالهم على الله بل يوخرهم ليوم القيمة الذي ترتفع فيه ابصارهم ارتقابا
لنزول ما توعدوا به ولانفتاح ابواب السماء ونزول الملائكة مهطعين اي مسرعين
على خوف لما انهم يساقون الى النار مقنعي رؤسهم اي رافعيها حتى لا يبصروا مواضع

اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم اي لا تغتمض عيونهم ووحد الطرف لانه في الاصل مصدر طرف بصره
يطرف طرفا من حد علم ضرب والجمع بين الاهطاع والاقناع على انهم يكونون مسرعين الى
الداعي اذا دعاهم والى ان يدعوهم يكونون مقنعي رؤسهم وقوله تعالى وافئدتهم
هواء قيل خالية لا تعي شيئا ولا تعقل من الخوف وقيل جوف لا عقول لها وقيل نزعت
افئدتهم من افئدتهم من اجوافهم وارتفعت الى حلوقهم قاله مقاتل ومجاهد والضحاك وقال
الضحاك الحسن اي خالية كهواء ما بين السماء والارض وقيل افئدتهم خالية عن كل سرور
وامل خير لما يعاينونه من الاهوال ويتوقعونه من الاحوال كقوله واصبح فواد
ام موسى فارغا وقوله تعالى وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب المعد للظالمين
فيسالون الرجعة فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب اي ردنا
الى الدنيا وامهلنا مدة عمرنا الذي كان لنا في الدنيا نجب دعوتك جواب قولهم
اخرنا وجزم لذلك ونتبع الرسل اي رسلك وقوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال اضمر هنا فيقال لهم وجاز لدلالة الحال على الضمير قد كنتم
تحلفون في الدنيا انه ما لكم من انتقال عنها الى دار اخرى انما هو ان نموت فنقبر ولا انا
لا بعث لكم ولا حساب عليكم وقيل ما لكم من زوال ابتدا خطاب لهم اي ما لكم من
زوال عن هذه الحالة ورجوع الى الدنيا وقدم الكلام الاول اولم تكونوا اقسمتم
من قبل وهو ما ذكر من قولهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وقوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم قيل هو متصل بهذا الخطاب
في القيمة او سكنتم بلاد من كان قبلكم من الامم لاتيانها وتبين لكم كيف فعلنا بهم
اي صح عندكم بظهور الاثار وتواتر الاخبار كيف اهلكناهم فلم تعتبروا بهم
وضربنا لكم الامثال اي وصفنا لكم العبر فلم تتعظوا بهم وقد مكروا مكرهم
اي احتالوا حيلتهم وقيل وسكنتم خطاب مشركي مكة وانفصل عن الاول وقوله
تعالى وقد مكروا اي وقد مكر بك يا محمد اهل مكة مكرهم اي مكروا اولئك الامم
قبلهم بانبيائهم وعند الله مكرهم اي علم ذلك عند الله وهو محفوظ عليهم وقيل
وعند الله جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قرا الكسائي بفتح اللام
الاولى ورفع اللام الثانية وله وجهان وقد كان مكرهم تزول منه الجبال
وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وقد مر شرحه في قوله وان كنتم من
قبله لمن الضالين على الطريقين وهو تعظيم لمكرهم اي قد كاد من عظمته وقوته يكون

كذلك

كذلك وهو كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
لكنه لم ينفذ ولم يضر بالاسلام واهله بدفع الله تعالى ويكون معنى الكلام
وان كان مكرهم بحيث تزول منه الجبال كما قال وبلغت القلوب الحناجر اي
كادت وهكذا عامة ما نطق من الالفاظ في تكبير النبي وتفخيمه مما يحيط العلم بان
مثله لا يكون فانما هو على معنى كاد يكون لو جاز كونه وقد قرا عمر وعلي وابن مسعود
وابي بن كعب رضي الله عنهم وان كاد مكرهم بالدال وقرا عامة القرا لتزول منه
الجبال بكسر اللام الاولى ونصب الثانية وهي للنفي اي ما كان مكرهم مكرا عظيما
تنفذ وتزول منه الجبال وكانوا اذا عظموا وصفوه بمثل قال الشاعر

لما اتى خبر الزبير تضعضعت ... سور المدينة والجبال الخشع

وقيل الجبال مثل للاسلام وايات القرآن في ثباتها وثبوتها فهو لم يوثر مكرهم
في توهين شيء من ذلك وقال ابن عباس ومقاتل في نزولها ان نمرود بن
كنعان كان اول من ملك الارض فحملته نخوته على ان قال ان كان ما يقول
ابرهيم حقا ان في السما الها فلا استقر حتى اعلم صدق ما يقوله فاتخذ تابوتا
وعمد الى اربعة من النسور فعلق كل جانب من التابوت نسرا منها واقعد
في التابوت رجلين وجعل له بابين من اعلى ومن اسفل وجعل على جوانب التابوت
من فوق لحما شديد الحمرة حيال النسور ثم خلى عن النسور فارتفعن طمعا في اللحم
حتى ابعدت في الهواء فقال احد الرجلين للاخر افتح الباب الاعلى فانظر هل
ازددنا من السماء قربا ففتح ونظر وقال انها كهيئتها ثم قال له افتح الباب الاسفل
ففتح فقال انظر الى الارض كيف تراها فقال اراها كاللجة البيضاء ثم اغلق الباب
وارتفعت النسور حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح
الباب الاعلى وانظر ففتح فقال ان السماء كهيئتها ثم فتح الباب الاسفل وقال
اي ارى الارض سوداء مظلمة فقال لصاحبه نكس اللحم فنكسه على قوايم
التابوت متدليا فتنكست النسور فتصوبت النسور طمعا في اللحم حتى قربت من
الجبال فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور فظننا ان قد حدث بها حدث من
السماء فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقوله تعالى فلا
تحسبن الله مخلف وعده رسله متصل بقوله وعند الله مكرهم وهو وعيد للكفار
ووعد للرسل يقول فلا تظنن يا محمد ان الله يخلف رسله ما وعدهم من النصر

وَالعُلوّ في الدنيا والانتقام لهم في الدنيا والعقبى والاخلاف مصدر بطلب فعلا اثنين
والمتكلم في مثله يضيفه الى ايهما احب وينصب الاخر يقول الرجل انا معطي المال
لانه يقول اعطيت زيدًا المال واعطيت المال زيدًا **وقوله** تعالى ان الله عزيز اي
منيع لا يغالب ذو انتقام من اعدائه لاوليائه **وقوله** تعالى يوم تبدل الارض اي ينتقم
يوم تبدل الارض وقيل لا يخلف وعده رسله يوم تبدل الارض وقيل احذروا يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات قال الحسن هي هذه الارض وهذه السموات
وتبديل الارض تسوية جبالها وانهارها واكامها واشجارها وتمد مد الاديم وتبديل
السماء وتمد مد الاديم وتبديل السماء تكوير شمسها وتناثر نجومها قال وهذا من كلام
العرب لشيء تراه قد تغير عن حاله لقد تبدلت بعدي وهو هو بعينه **وقال**
ابن عباس هي تلك الارض وانما تبدل اوصافها ثم انشد • فما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت اعرف • **وقال** علي تجعل ارضا من فضة والسموات
من ذهب وكذا قال الضحاك وقال عكرمة ومحمد بن كعب هي كقرصة النقي وقيل ارض
بيضا نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها بالمعاصي **وقال** الامام ابو منصور
يحتمل هذا وجهين تبديل اهلهما وتبديل عينهما واضمار الاهل جايز كما في قوله واسئل
القرية وتبديل اهلهما وتبديل احدهما ان يكونوا كلهم مسلمين خاضعين في ذلك اليوم
ولم يكونوا كذلك والثاني ان الاولياء يكون في النعيم المقيم والاعداء في العذاب
الاليم وتبديل عينهما ما قلنا من الارض البيضا والثاني تغيير اوصافهما وبني على
الاحوال وقيل ان ارض الجنة مسك وزعفران وارض جهنم نار وجمر **وقوله**
تعالى وبرزوا لله الواحد القهار اي خرجوا من قبورهم لمحاسبة الله الواحد الذي
لا اله غيره القهار الذي لا يعترض عليه فيما يريده **وقوله** وترى المجرمين اي هولاء
الظالمين المشركين يومئذ مقرنين قرنت ايديهم بالغل الى اعناقهم **وقال**
ابن عباس قرنوا بالشياطين في الاغلال والسلاسل قال عطا في قوله واذا
النفوس زوجت وقيل قرنت نفوس المومنين بالحور العين ونفوس الكفار قرنت
بالشياطين وقوله في الاصفاد اي القيود والواحد صفد وقيل هو الغل
وقيل هو السلسلة **وقوله** تعالى سرابيلهم اي قمصهم جمع سربال من قطران
هو ما يهنا به الابل الجربى اي يطلون به فيصير كالسرابيل لهم وقرا عكرمة من
قطر آن بكسر القاف وتنوين الرا ومد الالف وهما كلمتان اي من نحاس او صفر

وان انتهى حره كما قال وبين حميم آن وتغشى وجوههم النار اي تغطيها لا قطران
عليها فتلتهب النار في كل ابدانهم والقطران اقبل الاشياء للنار ليجزي الله كل نفس
ما كسبت اي يفعل الله ذلك بهم ليجزيهم على فعلهم لا ظلما عليهم ان الله سريع الحساب
لا يشغله فيه شاغل وتبع هذا بلاغ اي هذا القران كفاية للناس في كل ما يحتاجون
اليه في امر دينهم ودنياهم ولينذروا به جعلناه بلاغا ليعلموا انما هو اله واحد لا
شريك له وليذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به اولوا العقول الخاصة **وقال**
القشيري الحجج ظاهرة والامارات لايحة والداعي يسمع والمهلة متسعة والرسول مبلغ
والتمكن من القيام بحق التكليف مساعد وتمن القسمة سابقة والتوفيق عزيز
والرب سبحانه فعال لما يريد فمن اعتبر نجا ومن غفل تردى ولله الامر من قبل
ومن بعد

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل في السماء بروجا وزينها للناظرين الرحمن الذي جعل الجنة
للمتقين يدخلونها بسلام امنين الرحيم الذي امر رسوله بخفض جناحه للمومنين
روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد
صلى الله عليه وسلم وهذه السورة مكية وهي تسع وتسعون اية وستمائة واربعون
وخمسون كلمة والفان وثمانمائة وانتظام السورتين جملة ان سورة ابرهيم في بيان
وحدانية الله ودعوة الانبياء اليه وتكذيب الكفار اياهم وتوكل الانبياء على الله
ونجاتهم وهلاك مكذبيهم وبيان مثل اعمالهم وبيان مثل توحيد المومنين ومثل
كفر الكافرين ثم تقسيم من كفر فقيل لهم تمتعوا فان مصيركم الى النار ومن امن
وقيل لهم وقل لعبادي الذين امنوا وختم السورة بان القران بلاغ وتبصرة وانذار
وتذكير وافتتاح هذه السورة بان من لم يتذكر في الاخرة يتحسر ويود ان لو
كان امن وما كفر ثم بيان تكذيب الاولين واستهزائهم ثم بيان خلق ادم وانقسام
اولاده الى من يتبع الشيطان ومن يتبع الرحمن وبيان جزا هولا وجزا هولاء
وتحقيق هذين المعنيين الى ختم السورة **وقوله** تعالى الر تلك ايات الكتاب
تلك ايات الكتاب وقران مبين اي تلك الايات المنزلة قبل هذه السورة اي جعل
تلك اشارة الى الغايب وهذه الايات التي في هذه السورة ان كانت تلك اشارة
الى الحاضر فاللفظة تصلح لهما ايات القران **وقوله** الكتاب والقران هما واحد

يتمنى بانهم لاختلاف المعنيين فهو كتاب لانه يكتب ليكون مدونا مخلدا او قرآن لانه جمع فيه ما بنا في حاجة اليه اليوم وغدا **وقوله** تعالى المبين قال القشيري يبين للمؤمنين ما يسكن قلوبهم وللمريدين ما يقوي رجاءهم وللمحبين ما يهيج اشتياقهم وللمشتاقين ما يثير لواعج اسرارهم **وقوله** تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين اي كثيرا ما يتمنى هؤلاء الكفار ان لو كانوا مسلمين منقادين لهذا الكتاب وكلمة رب موضوعة لتكثير ما يخبر عنه وهي تدخل اسم النكرة واذا وليت الفعل دخلها ما لتصير مصدرا فتصير داخلة في الاسم معنى وتقديره هذا رب وداد للذين كفروا وفي ربما قراءتان قرا عاصم ونافع بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما لغتان قال الشاعر

ازهيران يشب القذال فانني … رب هيضل مرس لفقت بهيضل

وقيل هذا التمني يكون عند نزول ملائكة العذاب وقيل يكون عند البعث وقيل يكون عند الكتاب وقيل يكون عند دخول النار وقيل يكون فيها وقيل يكون في كل الاحوال التي تحظر بالبال لظهور بطلان ما كانوا فيه من خلاف الاسلام وقال ابن عباس نعذب قوما ممن كان بعده وقوما ممن يبعد عنه فنجمعهم في النار فيعيرا الكفار المؤمنين فيقولون لهم ما اغنى عنكم توحيدكم وانتم معنا في النار فيامر الله تعالى باخراجهم وحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال مقاتل بن حيان يجمع الله طايفة من اهل التوحيد وطايفة من الكفار في بعض دركات النار فيقول الكفار للمؤمنين اما نحن فمعلوم كفرنا وشركنا وتكذيبنا ولذلك وقعنا في النار فاما انتم فكنتم مؤمنين مصدقين فما احلكم النار قال فيغار الله تعالى للمؤمنين فيقول وعزتي لاخرجنكم منها ثم يامر الشفعاء حتى يشفعوا لهم وقال القشيري اذا عرفوا عمن بقوا علموا كيف شقوا واي كانوا شقوا ويقال لو علموا عمن بقوا لذابوا انفسهم اهلا لما من العقوبة لقوا ويقال اذا صارت المعارف ضرورة احترقت نفوس اقوام عقوبة وتقطعت قلوب اخرين حسرة وقال الفراء والكسائي رب اصله للماضي رب ما لي نفعته وربما تستعمل في المستقبل على معنى التقريب له كما انا موضوعة للماضي ثم قد تستعمل في المنتظر تقريبا كقوله ولو ترى اذ المجرمون الاية ولو ترى اذ يتوفى الاية ولو ترى اذ وقفوا وذلك لان ما اوعده الله ووعده فهو قريب اي لا محالة فجعل في معنى ما وجد **وقوله** تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل يتمتعوا يتلذذوا ويلههم يشغلهم لهي يلهى من حد علم اي ذهل عن الشيء

واشتغل

وشغل عنه والها غيره وهذا تهديد للكفار وتسلية للنبي صلى الله وسلم يقول دعهم يا محمد يتقلبوا في الدنيا ويتمتعوا بها ويشغلهم طول الامل عن التفكر في القرآن فسوف يعلمون اذا نزل بهم عذاب الاخرة والسبب في الدنيا ان ما كانوا فيه من الاشتغال في الدنيا بالاستمتاع لم يكن شيئا وانه لا ينفع عند الله الا الايمان والعمل الصالح وقوله ياكلوا جزم لانه جواب الامر وكذا ما بعده وفي قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لم يجزم لانه حال لا خبر ويقول العرب دع زيدا ينام فاذا كان غير نائم يقول دع زيدا ينم جوابا للامر واذا كان نائما تقول دع زيدا ينام اي فرغه على حالة النوم **وقوله** تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم يتصل بما قبله فسوف يعلمون اي العذاب نازل بهم لكن في وقته الذي جعلناه اجلا له وما اهلكنا اهل قرية الا ولها اجل مكتوب اخرناها الى اجلها اذا كان في علمنا ايمان من يؤمن منهم او حدوث اولاد يخرجون من اصلابهم يؤمنون فاذا بلغ الكتاب اجله وجبت كلمة العذاب على الكافرين ولم يتاخر العذاب عنهم **وقوله** تعالى ما تسبق من امة اجلها اي لا تتقدم امة من موكلة ولا يستاخرون اي لا ياخرون عن وقتها وحد تسبق بالتاء لظاهر كلمة امة وجمع قوله ولا يستاخرون بالواو والنون للمعنى قال القشيري الاجال معلومة والاحوال مقسومة والمثبتة في الكائنات ماضية ولا تخفى على الله خافية **وقوله** وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي قال هؤلاء المشركون يا ايها الذي نزل عليه القرآن على زعمه قالوه على وجه الاستهزاء به انك لمجنون يخيل اليك الشيطان فتظنه ملكا لو ما تاتينا بالملائكة اي هلا تاتينا بالملائكة رسلا من الله يخبروننا بصدق رسالتك ونزول الذكر عليك ان كنت من الصادقين في الدعوى وقيل اي تزعم ان الملائكة ياتونك بالوحي فهلا اظهرت لنا اذا اتوك لننظر اليهم فنعرف صدقك ولوما ولولا واحد قال ابن مقبل • لوما الحيا ولولا الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري • اي لولا ولوما بمعنى هلا قال الله تعالى لولا انزل عليه ملك **وقوله** تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين قرا ابو عمرو واهل المدينة ما تنزل بنصب التاء ورفع اللام بمعنى تتنزل وحذفت احدى التائين تخفيفا وقرا عاصم واهل الكوفة ننزل بضم النون ورفع اللام اخبارا من الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جمعا والملائكة نصب لانه مفعول وفي القراءة الاولى رفع لانه فاعل **وقوله** تعالى الا بالحق اي

العذاب الحق الذي حق على الجناة وما كانوا اذا منظرين اي اذا جاءهم العذاب لم يمهلوا
وقيل اي لا ننزل الملائكة الى الارض بشهوات العباد وسؤال الاقتراح انما
ننزلهم بالحق اي وحي الى الانبياء او لقبض الارواح او لامر من امرنا
وقيل الا بالحق اي بالموت الذي هو كاين حق لانهم لو راوا الملائكة لماتوا ايسين في وسعهم
رؤية الملائكة وهو قوله وما كانوا اذا منظرين وعلى هذا قوله ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر وقيل الا بالحق اي بالحجة على الرسل وقولا لسنوا برسل ولا اهل لذلك
وقيل اي لا ننزل الملائكة الا بالوحي الى الانبياء او بتعذيب الكفار وهولا ليسوا
كذلك فليس وراه الا النزول للعذاب وذلك انه اذا حق القول به ولبث بعده
نظرة **وقوله** تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون تولى حفظه فلم تغيره
ولم نبدله ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واستحفظ اهل الكتاب
التورية والانجيل فحرفوا وبدلوا وقيل وانا له لحافظون باعجاز نظمه ومعانيه
من ان تعارضه معارض بمثله وقيل نزلنا الذكر على محمد وانا لمحمد لحافظون
من التقول علينا ومما وصفتموه به من الجنون وقيل وانا لحافظون له من ان يكاد
ويقذفيه المحتال مراد **وقوله** تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين وههنا مضمر اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في فرق الاولين ۝
والشيعة الفرقة المتشايعة وهي التي يتبع بعضها بعضا ويتبعه **وقوله**
تعالى وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يستهزئ بك هؤلاء ۝
وقوله تعالى كذلك نسلكه اي ندخل الاستهزاء والتكذيب في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به اي بالرسول والكتاب وسلك لازم ومتعد ونظيره اسلك
يدك وقال الامام ابو منصور اي مثل الذي سلكناه في قلوب المجرمين
المؤمنين من قبول الايات والحجج والتصديق لها لما علمنا انهم يختارون ذلك نسلك
في قلوب المجرمين من تكذيب الايات والحجج وردها لما علمنا منهم ذلك وقوله تعالى
وقد خلت سنة الاولين اي مضت طريقة الاولين بالتكذيب والمعاندة
والاستهزاء ويحتمل قد خلت سنتنا في الاولين بتخليص الانبياء والمؤمنين
واهلاك المكذبين والمعاندين **وقوله** تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
اي لو اجيب المشركون الى مسئلتهم لاصروا على كفرهم ولم يؤمنوا ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظل الملائكة ينزلون ويعرجون اي يصعدون ذكر العروج

ولا يكون ذلك بدون النزول فكان ذكره ذكره وكان حذفه اختصارا واقتضى
ظاهره اضمارا وقيل معناه ولو فتحنا لهم بابا من السماء فعرجوا فيه بانفسهم
لم يؤمنوا بل تعلقوا بضرب اخر من الباطل فقالوا انما سكرت ابصارنا اي سحرت
ومنعت عن النظر وسدت والسكر السد والتسكير للتكثير والتكرير وقرا
ابن عامر بالتخفيف على الاصل قال ابن عباس ومقاتل سكرت ابصارنا سدت
وقال الحسن سحرت وقال قتادة اخذت وقال الكلبي اعشيت وقال ابو
عمرو بن العلاء غطيت **وقوله** تعالى بل نحن قوم مسحورون اي سحرنا محمد وخيل
الينا ان هولاء ملائكة فسحرنا بفتح باب السماء يصف عنادهم **وقوله** تعالى
ولقد جعلنا في السماء بروجا ثم ذكر بعد عناد المشركين دلايل قدرته وعجز اصنامهم
فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا اي كواكب عظاما ظاهرة ومثله قوله والسماء ذات
البروج وقوله ولو كنتم في بروج مشيدة اي ابنية عالية وقال مجاهد دارت
النجوم يعني عظامها وبيضها وقال الضحاك هي كبار النجوم وقال الكلبي عن ابن عباس
هي الحصون وهي منازل الشمس والقمر واساميها الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت **وقوله** تعالى
وزيناها للناظرين اي جعلنا السماء زينة بالكواكب للناظرين لها كما قال انا زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب **وقوله** تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم اي حرسنا السماء
من كل شيطان مرجوم بالنجوم اي مرمي بها **وقوله** تعالى الا من استرق السمع فاتبعه
شهاب مبين قيل هو استثناء منقطع وتم معناه لكن من استرق السمع اي صعد من
الشياطين الى السماء ليسمع كلام الملائكة فيما يتحاورونه بينهم مما يريد الله احداثه في
الارض فانه يعرفهم ما يشاء من ذلك ثم يوحي منه الى انبيائه ما يشاء فيصعد
الشياطين لتستمع ذلك فترجم بالنجوم فيلحقها من ذلك شهاب مبين اي واضح
واتبعه اي لحقه كما قال فاتبعوهم مشرقين وهو كقوله الا من خطف الخطفة
فاتبعه شهاب ثاقب وقيل هو حقيقة الاستثناء ومعناه حفظنا السماء من الشياطين
ان تسمع الوحي وهو كقوله انهم عن السمع لمعزولون اي سماع الوحي الا من استرق
السمع اي سماع خبر اهل السماء دون الوحي فانا لا نحفظها من ذلك فيسترقون ما
ليس بوحي فيقذفونه الى كهنتهم ثم تتبعهم الشهب فتقتلهم او تخبلهم قال ابن عباس
كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون

على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب مبين فان
اصابه احرقه وان اخطاه خبله فصار غولا يضل الناس في البوادي ودليله قوله
وانا لمسنا السماء الاية وانا كنا نقعد الاية وقوله ويقذفون من كل جانب
دحورا الاية وقوله تعالى والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء والقينا
فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد رسا يرسو اي ثبت لئلا تتكفا الارض
باهلها وانبتنا فيها اي في الارض من كل شيء موزون اي مقدر بقدر معلوم
على حسب الحاجة اليه والصلاح به في معايشهم وقيل انبتنا فيها اي في الجبال من
كل شيء موزون من الاشياء الموزونة من الذهب والفضة والنحاس والرصاص
وساير جواهر المعادن كلها وزينة وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها اي في الارض
معايش جمع معيشة وهي وجه يقام به العيش من حرفة او تجارة او اجارة او
زراعة وقوله تعالى ومن لستم له برازقين عطف على معايش وجعلنا لكم
عبيدا واماء ودواب لكم رزقهم منا رزقها ومن تستعمل في العقلاء وههنا لبني
ادم وهم عقلاء وللدواب على التبعية عند الاجتماع كما في قوله فمنهم من يمشي على
بطنه الاية لما بدا الاية بقوله والله خلق كل دابة وهو تناول كل حيوان ومنهم
البشر وغيرهم اطلق لفظة من لما ذكرنا وفيه دليل على ان الانسان يزاد في رزقه بالخدم
والنعم وقيل ومن لستم له برازقين عطف على قوله وجعلنا لكم اي وجعلنا الخدم
والدواب ايضا معايش فان الدواب والانعام والوحوش والطيور تصيب مما يرتفع
من الارض من الزروع والاشجار وغير ذلك فهو من المعايش ايضا وقال
القشيري ومن الرواسي التي تثبت بها الارض الاولياء الذين هم اوتاد الارض
بهم المدفع واليهم المفزع ومن الرواسي العلماء فبعلماء الاصول قوام اصل الدين وبالفقهاء
نظام امور المسلمين وقال في قوله وجعلنا لكم فيها معايش المعايش مختلفة فعيش
المريدين بيمن اقباله وعيش العارفين بلطف جماله وعيش الموحدين بكشف جلاله
وكل مربوط بحاله ولكل نصيب من افضاله والحق غني بذاته وصفاته
وافعاله وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزاينه اي ليس من شيء يحتاجه الخلق مما يحتاجون
اليه الا عندنا خزاينه اي الا نحن مما نكون له قادرون عليه والخزاين جمع خزانة
وهي الموضع الذي يخزن فيه الملوك املاكهم ليأخذوا منها ما يحتاجون اليه

وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم ويخرج من ذلك للخلق الا بقدر معلوم
للكفاية قال القشيري من عرف القسمة وان خزاين الاشيا عند الله تقاصرت خطاه
عن التردد او الى منازل الاعيان وطلب الارفاق عن المخلوقين في الافاق في طلب الارزاق
ويقطع اماله عن الخلق فيتفرد قلبه لله ويتجرد عن التعلق بغير الله وقال في قوله
وما ننزله الا بقدر معلوم من عرف القسمة استراح عن كد الطلب فان المعلوم
لا يتغير والمقسوم لا يستقل ولا يستكثر وقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح اي
لاقحات اي حاملات وقد لقحت الناقة اذا حملت من جد علم وهو قول عبد الله بن مسعود فالرياح
حوامل بالماء وبما يكون فيها من خير وضده هذه الريح العقيم وهي التي لا تحمل وبالنظر الى هذا
الضد علم انه يمكن اجراوها على ظاهرها ايضا لواقح بانفسها لا ملقحات غيرها
وكذا قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملتها دليل على ان صفتها انها حوامل
مستقيمة وقال قتادة وابرهيم والضحاك هي بمعنى ملاقح جمع ملقحة وهي ملقحة
للشجر او للسحاب بحملها الماء فيها كالفحل يكون ملقحا للناقة بحمله ماءه فيها ثم جعل
اللاقح بمعنى الملقح بطريقين احدهما ان المتشعب يرد الى الثلاثي لانه هو الاصل والثاني
ان اللاقحة بمعنى ذات اللقاح ونظيره الطريقين كان الناصب بمعنى المنصب في بيت
النابغة • كليني لهم يا اميمة ناصب • وقيل انا ساهر لطي الكواكب • انه بمعنى ذي
نصب او ورد انصب الى نصب ومنصبا الى ناصب وقوله تعالى وانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه وقيل سقى واسقى بمعنى وقيل سقاه بمعنى اشربه واسقاه بمعنى
جعل له شربا فتفسيره على هذا فجعلنا لكم ذلك المطر سقيا لاراضيكم ومواشيكم
وقوله تعالى وما انتم له بخازنين اي ليس في وسعكم ان تخزنوا الماء بقدر حاجتكم اليه
قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة مطر من السحاب الا بعد ان تعمل فيه هذه
الرياح الاربع فالصبا تهيجه والدبور تلقحه والجنوب تدره والشمال تفرقه
وقوله وانا لنحن نحيي اي النطف ونميت الاحيا عند انقضا اجالهم ونحن الوارثون
اي الباقون بعد فنا الخلق والمالكون ما في العالم وكان لله تعالى كل شي لكن كان
للخلق تصرف فينقطع تصرفهم بالموت ويخلص لله كل شي بلا وجود تصرف غيره وهو
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم

لابس فاذا سويته اي صورته بشرا سويا ونفخت فيه من روحي اي دوحا من الارواح
مفضله علي سايرها والاضافه الي نفسه للتفضيل والتشريف والنفخ الادخال فقعوا له ساجدين
سجود تحيه وهذا يدل علي انه كان وضع الوجه علي الارض دون الانحنا وحده وقوله
تعالي فسجد الملايكه كلهم اجمعون الا ابليس ابي ان يكون مع الساجدين اضمر فيهما
فخلقت ادم فسجدت الملايكه وكلهم للاستيعاب فدل انه كل الملايكه لا املا دون ملا
واجمعون ليس بتكرار بل يدل علي الاجتماع في السجود اي سجدوا في حاله واحده لا متعاقبين
مترادفين هذا قول المبرد وقال سيبويه هو تاكيد بعد تاكيد وقوله تعالي
قال يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين اي سبب لك في هذا استفهام معني الانكار
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون اي هو دوني فانا من نار
قال فاخرج منها اي من السما وقيل من الملايكه اي من زمرتهم وقيل من الجنه وقيل من هذه
الصوره الحسنه فانك رجيم قيل مشوم وقيل ملعون وقيل مرمي وقيل مهلك وقد مر
ذلك في سورة البقره وكذا تفسير الايات ومعانيها والقصه وان عليك اللعنه الي يوم
يوم الدين اي يوم القيمه واذا دامت اليه لم تنقطع وهي لعنة الله تعالي فقال في ايه اخري
وان عليك لعنتي وقيل هو لعنة المومنين اياه كلما ذكر لعنوه قال رب فانظرني الي يوم يبعثون
وهو يوم القيمه قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم قيل هو وقت فنا الدنيا
وموت اهلها وهو تاخير العذاب عنه الي تلك الحاله وقيل سال الامان من الموت فلم يعط
ذلك والانظار الي تلك الحاله لم يكن كرامه بل املا ليزدادوا اثما قال رب بما اغويتني
مر تفسيره في الاعراف لازينن لهم في الارض اي لاحسنن لهم معاصيك ولاحببنها اليهم ولاغوينهم
اجمعين اي لاضلنهم فقوله معاصيك مضمره فيه او اضمر فيه ما يقع ولازينن لهم ما في الارض
وقيل في زايده اي لازينن لهم الارض وهي الدنيا وهو كقوله واصلح لي في ذريتي الا عبادك
منهم المخلصين من قرا بفتح اللام فمعناه الا عبادك الذين اخلصتهم بتوفيقك وعصمتهم من قوله
من قوله انا اخلصناهم بخالصه ومن قرا بكسرها فمعناه الا عبادك الذين خلصوا اعمالهم لك
من قوله واخلصوا دينهم لله وقوله تعالي قال هذا صراط علي مستقيم قال هذا الذي قلت
يا ابليس لازينن ولاغوينهم طريق ممر من سلكه علي ومصيره الي فاجازي كلا منهم علي عمله
ومستقيم نعت للصراط وليس المراد منه استقامته في نفسه بل المراد به انه لا يمكن العدول

عن

عنه بل يستقيم لسالكه الي وعلي وقيل بل هو اشاره الي طريق الحق وقد سبق ذكره الا عبادك
منهم المخلصين فالاخلاص طريق مستقيم وقوله علي اي الي الهدايه اليه ودفع الشبه عنه وقوله
تعالي ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي ان عبادي الذين قاموا الي حق العبوديه ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك وقيل من بينك واعوانك الغاوين الضالين وسئل سفين بن عيينه عن
هذه الايه فقال معناها ليس له عليهم سلطان يلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي الي احوال بهم وبين
الشرك وما دون الشرك لا يضيق عنه عفوي وقوله تعالي وان جهنم لموعدهم اجمعين اي موعد
متبعيك لها سبعة ابواب لكل فارسبعة اطباق بعضها من بعض لكل باب منهم جزء مقسوم اي
نصيب من المتبعين قد جعل لهم علي حسب مراتبهم في كفرهم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان الله وضع الجنان علي العرض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم
وفوقها لظي وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها هاويه وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لكل باب منهم جزء مقسوم اي حظ معلوم فجهنم لمن ادعي الربوبيه من الخلق ولظي
لعبدة النار والحطمه لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصاري والجحيم للصابيين
والهاويه للموحدين وقيل جهنم من قول العرب بير جهنام اي بعيدة القعر ولظي من التلظي وهو
التوقد والحطمه لانها تحطم عظام الكفار اي تكسرها وسقر لانها تذيب عظامهم ولحومهم
وقد سقرته الشمس وصقرته اي اذابته والسعير لانها سعرت اي الهبت والجحيم لانها نار
عظيمه وهاويه لانها تهوي بهم اي تسقطهم وقال القشيري اذا سمي الله تعالي بالعبوديه واحدا و
كان من جملة الخواص فاذا اضافه الي نفسه فهو خاص الخاص فهولا خواص عباده الذين
محاهم عن شواهدهم واخطفهم عنهم وصانهم عن اوديه التفرقه وجردهم عن حظهم
وقوتهم بحفظ عليهم اداب الشرع ويلبسهم لباس الاختيار في حالة الايثار يغر باختيارهم
عنهم باستهلاكهم في شهوده واستغراقهم في وجوده فاي سبيل للشيطان اليهم واي
يد للعدو عليهم ومن اشهده الحق حقايق التوحيد ورأي العالم مصرفا في قبضة التقدير فحاشا
ان يكون نهبا للاغيار وقوله تعالي ان المتقين في جنات وعيون لما ذكر مصير الغاوين
اتبعه ذكر ما اعده للمخلصين وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي فاخبر انهم في بساتين فيها
عيون قد سميت في القران وقوله تعالي ادخلوها بسلام امنين اي يقال لهم ادخلوا الجنات
سالمين امنين قال القشيري لم يذكر من يقول لهم ذلك فقوم يقول لهم ذلك الملك

وقوم يقول لهم الملك وقيل اذا وافوا باب الجنة بعد مقاسات الشدايد والاهوال
ومختلف الاحوال فمن جهتهم ان يبتدروا دخولها فقرا بحث لكنهم يقفون احتراما وانتظارا
للاذن ولعل قوما اذا قال لهم الملايكة ادخلوا لم يدخلوا حتى يقول لهم الحق ادخلوا وفي مثله
قالوا • ولا البس النعمى وغيرك ملبسي • ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب • وقال
ان الجنة درجات بعضها ارفع من بعض وهم اليوم كذلك فدرجة قوم حلاوة الخدمة
ولذاذة الطاعة ولقوم البسط والراحة ولاخرين الرجا والرغبة ولاخرين الانس والقربة
قد علم كل اناس مشربهم ولزم كل فريق اليوم مذهبهم وقوله تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل اي اخرجنا ما في قلوبهم اهل الجنة من غش وخيانة وحقد وضغينة
من بعض على بعض لا يعادي بعضهم بعضا لا يحول الحب منهم [illegible] بنعمة صار اليه
وقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين يقابل بعضهم بعضا لا تستدير في قفاه
حيث ما التفت راي وجها يحبه قال علي رضي الله عنه فينا نزلت اهل بدر وروي عنه
انه قال اني لارجوا ان اكون انا وطلحة والزبير من اهل هذه الاية وقال عبد الرحمن
بن ابي ليلى قلت لعلي كانظن ان هذه الاية نزلت فيك وفي طلحة والزبير فقال اعلم انهما
وعديا كان بينهما في الجاهلية دما وجراحات وتقاتل وتجادل فلما جا الله تعالى بالاسلام
واسلم من اسلم من تيم وعدي طفقت قريش تقول انظر تيم وعدي ان الشحنا التي كانت
بينهم تزول عنهم فانزل الله تعالى هذه الاية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر وعمر في نكتة اربعة عشر نفسا وقرا عليهم الاية وزال عن قلوبهم ما خامرهما
من الشحنا والبغضا وروي ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يدخلون
الجنة بما في صدورهم من الشحنا والغل فاذا توافقوا وتقابلوا نزع الله ذلك من صدورهم
فذلك قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية وقال مجاهد لا يرى الرجل من اهل
الجنة قفا زوجته ولا زوجته قفاه لان الاسرة تدور بهم حيث ما شاوا حتى يكونوا في جميع
احوالهم متقابلين   تعالى لا يمسهم فيها نصب اي تعب وما هم منها اي من
الجنان ونعيمها بمخرجين بل هم فيها مخلدون   تعالى نبئ عبادي اي خبرهم
يا محمد اني انا الغفور الرحيم لمن تاب وان عذابي هو العذاب الاليم لمن لم يتب وقيل
لما ذكر ثواب المتقين وعقاب العاصين ذكر انه غفور رحيم لهولا وعذابه اليم لهولا وروي

ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فراى اصحابه يضحكون فقال لهم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فاخذوا يبكون فنزل جبريل بهذه الاية وقال القشيري لما
ذكر حديث المتقين وما لهم من رفيع المنزلة علم انكسار قلوب العاصين فتدارك قلوبهم
وقال لنبيه اخبر عبادي العاصين اني انا الغفور الرحيم اي ان كنت الشكور الكريم بالمطيعين
فاني انا الغفور الرحيم للعاصين وفي الاخبار انه لما نزل قوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين
ووصف جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما في جهنم احتجب عن الناس اياما يبكي وجا
سلمان فاطمة واخبرها به فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابتاه ما اصابك
فذكر لها نزول هذه الاية وبعض ما وصف له جبريل من ذلك وقال ان حرها شديد وقعرها
بعيد وحليها حديد وشرابها الحميم والصديد وثيابها مقطعات النيران لو ان مثل خرق
ابرة فتح منها لاحرق اهل الدنيا ولو ان ثوبا من ثياب اهلها علق بين السما والارض لماتوا
من حرها ونتنها ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في القران وضع على جبل لذاب
الى الارض السابعة ولو ان رجلا بالمغرب يعذب لاحترق الذي بالمشرق لها سبعة ابواب
بعضها اسفل من بعض من باب الى باب مسيرة سبعين سنة وكل باب منها اشد حرا من الذي يليه
بسبعين ضعفا يساق اعدا الله اليها فاذا انتهوا الى ابوابها استقبلهم الزبانية بالاغلال والسلاسل
فتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى الى عنقه ويدخل يده اليمنى في
فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويسحب على وجهه ويضرب بمقامع من حديد فلم تحمل قلب فاطمة
سماع ذلك فخرت مغشيا عليها ولما افاقت بكت وصاحت وقالت يا ليتني كنت شاة تذبح
وقال عمر الفاروق ليتني كنت شجرة تعضد وقال عثمان بن عفان ليتني لم اخلق وقال
علي ليتني لم ار ولم اولد رضوان الله عليهم اجمعين وهرب مالك بن سلمة الى الفيافي وهو يصيح النار النار
وبكا الناس لبكائه وخرج الصحابة يطلبونه فوجدوه في جبل يصيح فردوه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فناشده ان يقراها عليه مرة اخرى ففعل فصاح وخر ميتا وكان له بنت صغيرة فاخبرت بموت
ابيها فخرجت الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت اباها ميتا فقالت ما اصابه فذكر لها انه سمع
اية فاشتد خوفه وخرجت روحه فقالت اقروا علي تلك الاية فقروها عليها فصاحت
وخرجت ميتة فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وولده وكبرا الصحابة والطاهرون من
اهل عصره يخافون جهنم هذا الخوف فكيف ينبغي لنا ان نفعله   تعالى ونبئهم

عن ضيف ابرهيم انتظام بقية السورة بهذه الاية التي قبلها انه قال نبي عبادي اني انا
الغفور الرحيم فذكر رحمته وقال وان عذابي هو العذاب الاليم فذكر عقوبته ثم ذكر بقية
السورة تاثير رحمته في حق ابرهيم ببشارة الولد باسحق وفي حق لوط واتباعه بالنجاة وفي حق
النبي صلى الله عليه وسلم ومن امن به باعطا السبع المثاني والقران العظيم وتاثير عذابه في حق قوم
لوط واصحاب الحجر المقتسمين والمستهزئين وقوله عن ضيف ابراهيم اي اضيافه فقد قال
اذ دخلوا عليه وصيغته صيغة المصدر فصلح للجمع والضيف هو النازل على غيره
طعم عنده او لم يطعم نزل للطعم او لغيره يقول خبرهم عن ضيف ابرهيم وهم
الملايكة الذين ارسلوا لاهلاك قوم لوط اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى سلموا
عليه سلاما قال انا منكم وجلون اي قال ابرهيم انا منكم خايفون قال هذا بعد
ما رد عليهم السلام وقدم العجل اليهم فلم يتناولوه فخافهم على نفسه حيث لم يتحرموا بطعامه
ودليل هذا الاضمار قوله في سورة اخرى فلما راي ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم
خيفة ولا يقال ذكر في سورة الذاريات قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم ذكر تقديم
العجل بعد الانكار فراغ فراغ الي اهله فجا بعجل سمين لانا نقول انكار المعرفة اي لا اعرفكم
لا انكار الخيفة **وقوله** تعالى قالوا لا توجل اي لا تخف انا نبشرك بغلام عليم اى اذا كبر
وصارت البشارة بشارات بوجوده وبقايه الي ان يعلم ويعلم واي فرح فوق هذا او عليته
وعلمه قال ابشرتموني على ان مسني الكبر اي بعد ما اصابني كبر السن فبم تبشرون قرا
ابن كثير بكسر النون وتشديدها واصله تبشرونني ادغم احدي النونين في الاخرى
وقرا نافع بكسر النون وتخفيفها على اسقاط النون الاولى تخفيفا وقرا الباقون بفتح
النون وتخفيفها على اثبات الفعل بدون الايقاع على نفسه يعني اي بشارة تكون على راس
الكبر اي فليس حين بشارة وهذا التعجب واستبعاد منه لذلك **وقوله** تعالى قالوا
بشرناك بالحق اي ما لا كذب فيه ولا خلف بل هو جد وحق ويقين فلا تكن من القانطين
اي الآيسين من رحمته باعطا الولد على الكبر قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
قرا ابو عمرو والكساي بكسر النون من باب ضرب والباقون بفتحها من باب علم وهما
لغتان واجمعوا في قوله من بعد ما قنطوا على فتح النون الا الضالون اي المخطيون سبيل الصواب
وهو استفهام بمعنى النفي وتقديره ولا يقنط من رحمة ربه الا الضالون اخبر انه غير قانط

من

من رحمته ولا منكر لقدرته قال فما خطبكم اي امركم ايها المرسلون لما بشروه بخلاف
العادة علم انهم ملايكة فخاطبهم بهذا قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين وهم قوم لوط اجرموا
اي كسبوا لانفسهم بشركهم وفواحشهم العقوبة الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين اي ارسلنا
لاهلاك قوم مجرمين الا اتباع قوم لوط فانا ما بعثنا لاهلاكهم بل لانجايهم الا امراته استثناها
من غير المهلكين وهم ال لوط اي اتباعه فصارت في المهلكين **وقوله** تعالى قدرنا
انها لمن الغابرين اي قالت الملايكة اعلمنا بتقدير الله كونها من الغابرين اي الباقين
في العقوبة وقد عد من باب دخل اي نفي وانما كسرت لوقوع اللام في الجواب وقدرنا
بمعنى اعلمنا بالتقدير كقوله لاهب لك غلاما اي لاعلمك بانه وهب لك **وقوله**
تعالى فلما جا ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم وهو سوال
ان يعرفوه انفسهم ليطمين اليه قالوا بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اي بل نحن
رسل الله جيناك بما كان يشك قومك في نزوله بهم من العذاب الذي حذرتهم اياه
واتيناك بالحق اي بالعذاب المتيقن كما قال ما تنزل الملايكة الا بالحق **وقوله** تعالى
وانا لصادقون اي في اخبارنا باهلاك قومك فاسر باهلك سرى واسرى سار ليلا
بالليل لازم والباء للتعدية بقطع من الليل اي ببقية من الليل وهو كقوله نجيناهم بسحر
وقوله تعالى واتبع ادبارهم اي كن ورا اهلك اي قدامهم وسر خلفهم وقال
الامام ابو منصور وهكذا الواجب على كل وال امر جيش ان يتبع اثرهم او يامر من يتبع
اثرهم ليلحق بهم من تخلف منهم ويحمل المنقطع منهم وليكون ذلك احفظ لهم ولا يلتفت
منكم احد اي لا يلتفتن انت وراك ولا احد ممن معك امروا بالمبادرة في السير وان لم
يعرجوا على شي حتى يتباعدوا عن القرية قبل ان يجاهم الصبح وينزل بالمجرمين العذاب
وامضوا حيث تومرون اي سيروا حيث يامركم الله قيل هي صفة احدى قريات
قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر اي اوحينا الي لوط واعلمناه كما في قوله وقضينا الي
بني اسرايل وذلك الامر هو العذاب الذي قالوا اتيناك بالحق ان دابر هولا ترجمة عن
ذلك الامر ودابر القوم من يجي بعدهم واذا قطع ذلك فقد هلك الكل **وقوله**
تعالى مقطوع اي قطع مصبحين اي في حال اصباحهم **وقوله** تعالى وجا اهل
المدينة يستبشرون اي يظهرون اثار السرور في بشرات وجوههم اذ سمعوا

ان علمانا اصباحا ضافوا الوطا طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال ان هولا ضيفي اي
اضيافي فلا تفضحون اي لا تهتكوا حرمتي فيهم وقال الامام ابو منصور فلا تفضحون
يحتمل فلا تفضحون في ضيفي فانهم انما نزلوا بنا على امر منا ويحتمل فلا تفضحون في
الخلق فانهم يقولون في بيت لوط يفعل بالاضياف كذا واتقوا الله ولا تخزون اي
ولا تخجلون ولا تلجئوا الى العار فيهم قالوا اولم ننهك عن العالمين اي قال له قومه
اولم ننهك ان تضيف احدا من الناس كلهم قال هولا بناتي اي قال لوط هولا بناتي
اي بنات قومي لان كل نبي هو ابو امته ازوجكموهن ان كنتم فاعلين اي قايلين
ما امركم به وقيل اي طالبين للاستمتاع وقيل اراد به بنات نفسه وكان يزوجهن
منهم اذا اسلموا وقد شرحناه من هذا في قوله بناتي هن اطهر لكم وقال
الامام ابو منصور هذه القصة وما قبلها من القصص في هذه السورة وغيرها
ورودها بالفاظ مختلفة في ايات دليل على ان العبرة لاتفاق المعاني فان هذه
المخاطبات لم تكن مرارا بل مرة ومع ذلك وردت على وجوه فتدل ان اختلاف
الالفاظ وتغيرها لا يوجب اختلاف الحكم بعد ان لا يغير المعنى ودل ان الخبر اذا ادي
معناه على اختلاف لفظه فانه يجوز وكذا اذا اتى بغير اللسان الذي انزل جاز
قوله تعالى لعمرك وهذا كلام اعترض في خلال القصة خاطب الله نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم يقول لعمرك هو قسم بحياة رسوله والعمر والعمر البقا
والحيوة واللام للتاكيد وعمر رفع بالابتدا وخبره مضمر وهو قسمي اي وعيشك
يا محمد وقال الضحاك هذا قسم بدينه ان قومك من قريش لفي سكرتهم
اي حيرتهم وضلالهم التي هي كحال سكر السكران يعمهون اي يترددون في الباطل
غافلين عما اعد الله لاهل معصيته نظرا لما انزل بقوم لوط وهذا كرجل يخبر بقصة
قوم خرجوا على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه
قوم مثلهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد فقال قبل تمام هذه القصة اسمع فان هولا في غفلة
لا يدرون ماذا يحل بهم ثم يعود الى تمام القصة وقيل هذا قول الملايكة للوط انه لما
دعاهم الى نكاح البنات فلم تنجع فيهم الموعظة قال له الملايكة لعمرك انهم لا يعلمون
ماذا ينتظرهم صباح ليلتهم فقالوا الا تخزن فانهم لا يصلون اليك ولا الينا والقول الاول اصح

قال

١٧٦

قال ابن عباس رضي الله عنهما والله ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم وما سمعت الله اقسم بحيوة احد الا بحيوته وقوله تعالى فاخذتهم الصيحة اي الهلكة
صاح الزمان به اي هلك مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها اي في هذه الحالة
وكذلك قوله مصبحين اي داخلين في الصباح وهو هذه الحالة فجعلنا عاليها سافلها
اي قلبها جبريل بامرنا علوا السفل وامطرنا عليهم حجارة من فوق كالمطر ياتي من السما
من سجيل ذكرنا الاقاويل فيه في سورة هود ثم الامطار مع التقليب قيل قذفوا بالحجارة اولا
ثم قلبوا وقيل التقليب كان للحاضرين والامطار من شذ منهم وقوله تعالى ان في ذلك لايات
للمتوسمين قال مجاهد اي للمتفرسين وقال قتادة اي للمعتبرين وقال ابن
زيد للمتفكرين وقال الضحاك للناظرين وقال ابو عبيدة للمستبصرين وقيل
للناظرين في السمة الدالة على المراد تقول في هذه القصة لدلايل للمعتبرين المستدلين على
ان عواقب من عصي مثل ذلك والاصل المعقول الموافق للاصول ان كل مشتبهين فحكمهما من حيث
اشتبها واحد وقوله وانها لبسبيل مقيم اي ان هذه المدينة التي جعلنا عاليها سافلها
لا بطريق واضح ثابت يريها المار بكم معاشر العرب في الاسفار لا تزول عن مكانها
ولا يخفى امرها فاعتبروا بها وقوله تعالى ان في ذلك لاية للمومنين اي هم المنتفعون
بها وقوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين الايكة الشجر الملتف وقيل الغيضة
ذكر هلاك قوم اخرين وهم قوم شعيب وقد مرت قصته في الاعراف وفي هود ومعنى
الاية وما كان اصحاب الايكة الا ظالمين ~~ملتبقين~~ التي غير موضعه فانتقمنا منهم
اي عاقبناهم وانهما اي المدينتان مدينة قوم لوط ومدينة قوم شعيب لبامام
اي لبطريق يوتم ويتبع ويهتدي به وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن
مبين اي مبين واضح يمر بها المشركون في اسفارهم ويطلعون على اثارهم وقوله
تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر هي مدينة ثمود قوم صالح وبينها وبين وادي
القرى ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام وذكر قصة اخرى وكانت منازلهم
وما نزل بهم معروفة عند العرب فذكرهم الله تعالى ذلك ليعتبروا به وقال
عمر رضي الله عنه مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم ما اصابهم ثم زجر حتى خلفها

وقوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين اي رسولهم صالحا وفي تكذيبه تكذيب
كل الرسل واتيناهم اياتنا اي جيناهم بادلتنا وحججنا فكانوا عنها معرضين اي لم
يتفكروا فيها ولم يعتبروا بها ثم جمع الايات يحتمل ان يكون اعطاهم ايات سوي الناقة
وان لم تذكر في القران ويحتمل ان تكون الناقة وحدها وهي انها كانت من الصخرة
فتحركت الصخرة لخروجها وورودها يوما وتركها يوما والانشعاب لهم حتى يحلبوها
وصدورها في طريق غير الطريق التي وردت لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها
كل ذلك ايات كل واحد من ذلك اية وقوله تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
اي لا تنقبهم لشدة قوتهم امنين من الموت عند انفسهم وقيل من نزوله بهم فظنهم
كقوله وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم وقيل امنين تخر عليهم او تخرب لاحكام صنعتها
فاخذتهم الصيحة اي الهلكة مصبحين اي داخلين في الصباح اليوم الرابع الذي وعدوا
فيه العذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام وقوله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الاموال وغيرها من البيوت في الجبال وقوله ما اغنى يحتمل الاستفهام
ويحتمل النفي وهو تنبيه لاهل مكة بقوله كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا فلم يغن ذلك عنهم
شيا فكيف حالكم وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ان
الامم الذي عرفتهم هم يا معشر العرب ومساكنهم على ممركم لما خالفوا الحق اهلكوا لان
الله تعالى ما خلق السموات والارض الا بالحق والساعة اتية للجزا وجميع ما خلق يرجع الى العالم
به وبتدبيره تنظم اخراته بين في اول السورة خلق السموات والارض وذكر ههنا الحكمة
في خلقها فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالحق الذي جعل لنفسه
على اهلها والحق الذي لبعضهم على بعض وقيل الا شهود الله بالحق على اهلها اي ليمتحنهم بالعبادة
فيها وقيل بالحق اي بحق كاين وهو البعث بعد الموت للجزا وقوله تعالى وان الساعة لاتية
اي القيمة لكاينة فيجزي كل عامل على وفق عمله وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل
اي فاعرض يا محمد عن هولا المشركين اعراضا جميلا كما قال واهجرهم هجرا جميلا
اي لا تكافيهم بما اذوك بالسنتهم وفعلهم فان الساعة اتية وانا اكافيهم عنك ووصفه
بالجميل على معنى لا تترك نصحهم ودعاهم الى الحق مع ذلك وقيل كان هذا امرا بالاعراض
عن قتالهم ثم نسخ باية القتال وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقيل

بحي

ليس هذا بمنسوخ بل هو كان مامورا بالصفح في موضعه وبالقتال في موضعه وقوله
تعالى ان ربك هو الخلاق العليم اي خالقه لا يخفى عليه افعالهم واقوالهم وضمايرهم ويجزيهم
يوم القيمة على استحقاقهم وقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني ذكره منته فيما اعطاه
ليسهل عليه تحمل ايذا المشركين اياه فقال ولقد اتيناك اي اعطيناك سبعا من المثاني روي
ابي بن كعب وابو هريرة وابو سعيد رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال هي فاتحة الكتاب وكذا فسره علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعلى هذا قوله سبعا
اي سبع ايات من المثاني ومن ليس للتبعيض بل هي للتجنيس ههنا كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان وهي المثاني اي الفاتحة لانها تثنى في كل صلاة ولان معانيها من اولها
الى اخرها على المثاني على ما مر شرحه في سورة الفاتحة ولانها اثنية على الله تعالى
ولانها قسمان اثنان وقيل المثاني اسم للقران ومعناه سبعا اي سبع ايات
الفاتحة وهي من المثاني اي من القران الذي هو مثاني قال تعالى كتابا متشابها
مثاني وسمي به لانه ثني فيها الاقاصيص والامثال والترغيب والترهيب تاكيد الحجة
وابلاغا في الافهام وقيل هي من قولهم ثني عنانه او ثناه عن كذا اذا صرفه وهي صارف
عن المعاصي لمن عمل بها وقيل سبعا اي سبع سور من المثاني اي من القران وقال
ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجماعة من التابعين هي السبع الطوال والاول
اصح قال الربيع بن انس نزلت هذه السورة بمكة قبل ان ينزل من الطوال شي
وقوله تعالى والقران العظيم قيل هو جميع القران والسبع المثاني منه ولكن افردها
بالذكر تخصيصا وتشريفا له كما في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقيل والقران العظيم هو الفاتحة عينها
ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب هي السبع المثاني والقران
العظيم وهو بعض القران ولكن بعض القران يسمى قرانا قال تعالى واذا قرئ القران
فاستمعوا له وقال الضحاك سبعا من المثاني السبع هي سبع الاسباع وهي
كل القران وقوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا قيل قدمت
لابي جهل لعنه الله في يوم احد سبع قوافل للتجارة معها مال ومطاعم وثياب
وكان لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ عري وجوع فخطر بقلب

سبعا من المثاني ... اعطاه ... تعالى ...

رسول الله صلى الله عليه وسلم از اصحابه لبس لهم قدر الحاجة وللمشركين هذه الاموال
بهذه الكثرة فنزلت الاية ولقد اتيناك سبعا من المثاني بدل ما اعطيناهم سبعا من
القوافل وهم لا يمدون اعينهم الي هذه السبع مع عظمتها فلا تمدن عينيك الى دنياهم مع خساستها
وقوله لا تمدن عينيك الي ما متعنا به اي لا تتمنين يا محمد ما جعلناه من زينة الدنيا
متاعا للاغنيا من هولا المشركين فما قد جعلنا مثله لاشام وهواز واجا واصنافا
من الكفار منهم اي اشباها وقيل اي افراد اقان الزوجين فردان اي اعطينا ذلك
واحدا بعد واحد لان الغني خاص في الناس واذا كان متاعا كان زايلا عن قريب
وقوله تعالي واخفض جناحك للمومنين اي تواضع لهم فتواضعك لهم خير من مرافق
الدنيا وتطيب بذلك قلوبهم وتزول كروبهم وقيل لا تحزن عليهم اي على الكفار
ما اصابوا من نعيم الدنيا وقيل لا تحزن لفقد ايمانهم بالله وطاعتهم له
ومتابعتهم لك وقال ابن عباس ولا تحزن عليهم اي على هلاك الكفار فالهلاك
خلقتهم واخفض جناحك للمومنين قيل اصل هذه الكلمة ان الطاير اذا ضم فرخه
الي نفسه بسط جناحه ثم خفضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا لتقريب الانسان
اتباعه وتعطفه عليهم وقال القشيري لا تمدن عينيك غار الحق سبحانه على عين
حبيبه ان يستعملها في النظر الي المخلوقات ولما لم يكن في الدنيا الي روية الحبيب
سبيل امره بغض بصره عن غير الحبيب قال الشاعر ، لما تيقنت اني لست مبصركم ،
غمضت عيني فلم انظر الي احد ، وتادب بهذا الادب فلم ينظر في ليلة السري الي ما اري
في الحضرة الكبرى فاثنى عليه بقوله ما زاغ البصر وما طغي وقوله تعالي وقل اني
انا النذير المبين اي وقل يا محمد للمشركين بعد خفض الجناح للمومنين اني انا
المخوف بالعذاب المصرح به كما انزلنا على المقتسمين اي مثل عذاب نزل بهولا وصح
قوله انزلنا بعد قوله اني لان معنى قوله وقل اني انا النذير اي وانذر ويستقيم ان
يقال وانذرهم عذابا كما انزلنا وقال الحسن هو عطف على قوله ولقد اتيناك
كما انزلنا اي تفضلنا عليك بهذا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما المقتسمون من
مشركي العرب وكانوا اثني عشر رجلا وقال مقاتل كانوا ستة عشر رجلا بعثهم
الوليد بن المغيرة ايام الموسم حتى قعدوا على انقاب مكة ودورها وابوابها فاذا جا

الحجاج

الحجاج كال فريق منهم لا تغتروا بالخارج منا المدعي بالنبوة فانه مجنون وقالت طايفة اخرى
انه كاهن وقالت طايفة ثالثة على طريق ثالث هو عراف وقالت طايفة اخري شاعر
والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فاذا سيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال صدق اوليك يعني المقتسمين فسموا مقتسمين لانهم اقتسموا انقاب مكة وقال
مقاتل بن حيان المقتسمين الذين اقتسموا القران فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم
شعر وقال بعضهم كذب وقال اساطير الاولين وقيل هم اهل الكتاب
اقتسموا القران عضوه فامنوا ببعضه وهو ما كان فيه ذكر موسى وعيسى وفضايل بني
اسرايل وكفروا ببعضه مما حرفوه من كتبهم وهو ما قال خبرا عنهم امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وعليه قوله الذين جعلوا القران عضين
جمع عضة وهو من التعضية وهي التفريق ومن ذلك العضو والاعضاء والعضة حذفت الواو
من اخرها كالبره والثبه والكره والعزة وقيل العضة اصلها العضهة حذفت هاوها
تخفيفا كالسنة اصلها السنهة حذفت هاوها تخفيفا وكذلك الماء والشاه اصلهما
الماه والشاهة ودليل ذلك التصغير والفعل مويه وشويهة وشفهة وشافهت
فلانا وموهت السكين وههنا ايضا يقال يا للعضيهة والعاضه الباهت وعضهت
الرجل رميته بالباطل والعضهة القول الباطل ومعناه انهم عابوا كتاب الله
باهتين قايلين بالباطل انه سحر وانه كهانة وانه كذب وانه مفتري وانه
اساطير الاولين وقال العتوا العضة السحر وانشد ، للماس عضا نهن
زمزمه ، اي من سحرهن وقوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين اي في الاخره
عما كانوا يعملون من الاقسام وتعضية القران والشرك والمعاصي وسوال تقريع
وتوبيخ لا سوال استفهام واستعلام وقال القشيري سيل قوما عن تصحيح
اعمالهم وقوما عن تصحيح احوالهم وسيل قوما عن حركات ظواهرهم
واخرين عن خطرات سرايرهم سيل الصديقون عن تصحيح المعاني تشريفا
لهم وسيل المدعون عن تصحيح الدعاوي تعنيفا لهم وقوله تعالي فاصدع بما
تومر قيل اي اظهر ما تومر به والصدع في اللغة هو الشق والفرق والفتح وتصدع
القوم اي تفرقوا ويعبر به الاظهار وقيل اي فرق الباطل بالحق الذي انزلناه عليك

والشق نفع بذلك وقيل اي امض بما تومر اي بامر الله وارادته بتبليغ الرسالة
الي جميع الخلق ومتى شق الحايل تهيا المضي وبما تومر معنى المصدر على هذا القول
كما في قوله بما غفر لي ربي وقال القشيري فاصدع بما تومر كن وقل بنا واذا
كنت لنا بنا فلا تحتفل بغيرنا وصرح بما خصصناك به واعلن بحبنا لك شعر
قبح باسمر من تهوي ودعني من الكنا ولا خير في اللذات من دونها ستر وقوله
تعالى واعرض عن المشركين اي عن مكافاتهم وقيل عن قتالهم ونسخ هذا
باية السيف وقوله تعالى انا كفيناك المستهزين اي نكفيك فذكره على صيغة
الماضي لهذا قال محمد بن اسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير
انهم كانوا خمسة نفر ذوي انساب وشرف في قومهم من بني اسد بن عبد
العزى بن قصي الاسود بن المطلب بن اسد ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا عليه لما كان يبلغه من اذاه واستهزايه فقال اللهم اعم بصره
واثكله ولده ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف
بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومن
بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي العاص بن وايل بن هشام
بن سعد بن سهم ومن بني خزاعة الحارث بن عبد عمرو بن ملكان فلما تمادوا وبلغوا
الشر واكثروا الاستهزا انزل الله تعالى عليه فاصدع بما تومر الي قوله فسوف
تعلمون فكان من امرهم ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر به الاسود
بن المطلب فرماه في وجهه بورقة خضرا فعمي فمر به الاسود بن عبد يغوث
فاشار الي بطنه فاستسقى به بطنه فمات منه حبنا فمر به الوليد بن المغيرة
فاشار الي اثر جرح باسفل كعب رجله كان اصابه قبل ذلك بسنين
فانتقض فيه فقتله ومر به العاص بن وايل فاشار الي اخمص رجله
فخرج على حمار له يريد الطايف فربض به على شبرقة فدخلت في اخمص رجله
منها شوكة فقتلته ومر به الحارث بن الطلاطلة فاشار الي راسه فامتخض
قيحا فقتله وكان راسهم الوليد بن المغيرة هو الذي جمعهم وقال

ابن

ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسة الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والحارث
بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وقال مقاتل كانوا سبعة
وزاد على هولاء بعكك واصرم وقال ابن عباس وكان جبريل عند النبي صلى الله
عليه وسلم فمر الوليد بن المغيرة فقال جبريل ما تقول فيه يا محمد قال اقول
انه عبد سوء فاشار جبريل عليه السلام الي اخمص رجله وقال قد كفيت امره
فمر بنبال قد ريش مطبه فتعلقت ببرده وكانت عليه برد كان يتبختر
فيه فقعد الكبر ان ينزعها منه فهبت ريح فاسقطته على يده فاصابته
الحلة فمات منه ومر به العاص فقال له جبريل ما تقول فيه قال عبد سوء فاشار
الي ظهره وقال قد كفيت امره فخرج متنزها مع بنيه في شعب من شعاب مكة
فصاح وقال قد لدغت ففتشوا فلم يجدوا شيا ومات بنيه ومر الحارث
بن قيس فقال جبريل ما تقول فيه قال عبد سوء فاشار الي بطنه وقال
قد كفيت امره فاكل سمكة مالحة فعطش فجعل يشرب ولا يروي حتى
انفطر بطنه ومات ومر به الاسود بن المطلب وقال ما تقول فيه قال
عبد سوء فاشار الي عينيه فعمي ووجعت عينه فجعل يضرب راسه في الجدار
حتى هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم بصره ومر
به الاسود بن عبد يغوث فقال ما تقول فيه فقال عبد سوء فاشار الي
جسده فخرج الي البادية ورجع وقد اسود جلده فقرع الباب
فانكره اهله فلم يفتحوا له حتى مات وقال مقاتل واما بعكك
فقد اخذته الدبيلة فمات واما اصرم فاخذته ذات الجنب فماتا
تماتوا في يوم وليلة فذلك قوله انا كفيناك المستهزين تعالى
الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون ما ينزل بهم عاجلا واجلا
وذلك قوله فسوف يعلمون ان قوله انا كفيناك اي نكفيك تعالى
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اي نحن عالمون ان صدرك
يضيق بما يقول هولاء المشركون فيك وفي القران من الفرية والباطل وحزنك
ذلك فلا يضيق صدرك ولينكشف عنك حزنك ولكن مفزعك الي ذكرنا

وعبادتنا وذلك **وقوله** تعالى فسبح بحمد ربك وهذا قول وكن من
الساجدين اي المصلين وهذا افعل **وقوله** تعالى واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين اي دا ثم العبادة والعبودية لربك الى ان ياتيك المتيقن من وعد
الله فيما نزل الله تعالى وسمى العذاب يقينا كما سماه حقا في ايات
وقيل اليقين الموت وهو قول الضحاك وغيره وروي ان عثمان بن مظعون
لما توفي جاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اما هذا فقد جاه اليقين
وقال الحسن المداومة فان الله تعالى لم يجعل العمل اجلا الا الموت
قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وسمى الموت يقينا لوجهين
احدهما انه بمعنى المتيقن مصدر بمعنى المفعول والثاني انه يزول به كل شك
ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اكن من
المتاخرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين وقال القشيري رحمه الله ان ضاق قلبك بسماع
ما يقولون في ذمك فارتع بلسانك في رياض تسبيحنا والثنا علينا يكن ذلك
سببا لزوال ضيق صدرك سلوة لقلبك واعبد ربك قف على بساط العبودية
معتنقا الخدمة الى ان تحلس على بساط الحرية وتطالب باداب الوصلة
وتنال لزوم شرايط العبودية الى ان تلقى بصفات الحرية واشراق خصالك
العلية فيامك بحق العبودية وانشد **شعر** ولا تدعني الا بيا عبدها
فانه اصدق اسمايي

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم
لبسم الذي تعالى عما يشركون الرحمن الذي جعل لعباده السمع والابصار
والافيدة لعلهم يشكرون الرحيم الذي هو مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وسورة النحل مكية الا ثلث ايات نزلت بالمدينة بعد
قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله
وان عاقبتم الى اخر السورة وهي مايه وثمان وعشرون ايه والف وثمان
واربعون كلمة وسبعة الاف وسبعمايه وتسعة وثلثون حرفا وروى
ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النحل

لم يحاسبه الله يوم القيامة بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات
من يوم تلاها او ليلة تلاها كان له من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية
وانتظام اول هذه السورة باخر سورة الحجر انه ختم تلك السورة بقوله
ياتيك اليقين ثم قرب ذلك الاتي فقال اتى امر الله وانتظام السورتين
انه ذكر في تلك السورة دلايل التوحيد ووعيد الكافرين ووعد المومنين وذلك
كله دعا الى التوحيد وذكر في هذه السورة نعمه على عباده وهو استبدا
للشكر من العبد وهو بالايمان والتوحيد والطاعات على التابيد استيفا للنعم
واستجلابا للمزيد **وقوله** تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه اي اتى عذاب الله
وعيدا فلا تستعجلوه وتوعا قال النضر بن الحارث بن علقمة اللهم ان كان
ما يقوله محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما فنزلت هذه الاية جوابا
له وهذا من الجواب المفصول وكذا قوله سال سايل بعذاب واقع وقوله اتى امر الله
اي دنى عذاب الله كقوله اتيها امرنا ليلا او نهارا اي عذابنا وقيل اتى امرنا بالعذاب
وقيل اي اتى عذابنا المامور به وقيل هذا عذاب الساعة قال ابن عباس رضي الله
عنهما لما نزل اقترب للناس حسابهم الاية اشفق المشركون وانتظروا قرب الساعة
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر فقالوا اين ما تعدنا به من العذاب فنزل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله
عليه وسلم حذرا من وقوع الساعة فنزل فلا تستعجلوه فاطمان رسول الله وقال
مقاتل بن حيان لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بالساعة كذبوا بها فانزل
الله اتى امر الله فلا تستعجلوه قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك بعثت انا
والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني واشار باصبعيه وقال ابن جريج اتى امر الله
اي السيف والامر بالقتل وقال الضحاك يعني ما كانوا يستعجلون به من الفرايض
والشرايع تعالى سبحانه تنزيها لله عما يقوله المشركون وقيل اي هو مسبح مقدس
على السنة الملايكة والمومنين من الجن والانس وفي شهادات الخليقة له بالفطرة من اهل السموات
والارض كما قال سبح لله ما في السموات وما في الارض وقال تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده تعالى وتعالى عما يشركون

قرا الكسائي بالخطاب بناء على قوله فلا تستعجلوه وقرا الباقون بالياء المغايبه اي تباعد عن شرك المشركين لا يجوز وصفه بالشركاء والانداد تعالى ينزل الملائكه قرا ابن كثير وابو عمرو بالياء المغايبه والتخفيف ونصب الملائكه اي ينزل الملائكه وقرا الباقون بالتشديد من التنزيل وهو الاعلا وروي ابو بكر عن عاصم تنزل على ما لم يسم فاعله بالتاء والتشديد ورفع الملائكه بالروح اي بالكتاب الذي فيه حيوة القلوب من موت الضلالة وقال ابن عباس رضي الله عنهما الروح الوحي وقال عطا النبوه وقال قتادة الرحمه وقيل جبريل قال ابو عبيده بالروح اي مع جبريل قال الله تعالى نزل به الروح الامين من امره بشرايعه واحكامه على من يشاء من عباده مختاره للرسالة ان انذروا وقيل بان انذروا او نزل بهذا او بامره بهذا انه لا اله الا انا فاتقون الهاء فانه عماد اي ان الله ينزل على عباده الانبياء ويوحي اليهم ويامرهم ان خوفوا عبادي عذابي وغضبي على شركهم وقولوا لا اله الا انا فاخشوني ولا تجعلوا معي الها غيري وقيل اتى امر الله اي نزل كتاب الله فلا تستعجلوه لا تقولوا لم لا يجيء ثم قال على مشاكلته ينزل الملائكه الايه **وقوله** تعالى خلق السموات والارض بالحق فسرنا الحق في قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق قبل هذا باوراق تعالى عما يشركون فسرناه الان وهو اقامة دلالة التوحيد وتقبيح الشرك والضلال البعيد وقال القشيري رحمه الله خلق السموات والارض بقوله الحق وحكمه الحق وخلقهما للامر الحق من تكليف الخلق وما يعقب التكليف من الحشر والنشر والثواب والعقاب تقدس وتنزيها له عن ان يكون له شريك او معه مليك **وقوله** تعالى خلق الانسان من نطفة اي يخرج من صلب الرجل وترايب المراة فاذا هو خصيم مبين اي فقلبه اطوارا الى ان لدونشا فصار بحيث يدفع عن نفسه ويخاصم عنها ويبين ذلك بالنطق الذي قدره الله عليه وقيل اراد به مخاصمته في امر الساعة ومحاجته بقوله من يحيي العظام وهي رميم نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جا بالعظم الرميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما رم ويعيده جديدا بعد البلا فانزل الله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه الايات وقال ابو حاتم الخصم من يخاصم بالحق والخصيم في الباطل قال الله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما وقيل الخصم الاسم والخصيم النعت **وقوله** تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لباس الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن سميت نعما للين مشيها وخرج من ذلك الحافر لصلابة وقعها وقال ايضا هو القطف والاكسية وبيوت الشعر والوبر وقال الكلبي الدفء حواشي الابل يعني صغارها وقيل هو ما استدفي به من اوبارها واصوافها واشعارها عن الحسن والدفء السخونه وقد دفي الشامي باب شرف اي تحت ودفيء الرجل بالثوب من حد علم واستدفا بالثوب **وقوله** تعالى ومنافع اي من الالبان والنسل والركوب والولد وقيل ما ذكر في قوله وجعل لكم من جلود الانعام الايه وفي قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ومنها تاكلون اي من لحومها وشحومها خص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود **وقوله** تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون اي تردونها الى منازلها بالليل وقد راحت هي رواحا اراحها صاحبها اراحة من الرواح وهو العشي وهو نقيض الصباح وحين تسرحون اي حين ترسلونها الى المرعى وقد سرحت سروحا لازم وسرحها صاحبها سرحا متعد

بلغ مقابلة

ويهو كالرجوع والرجع يعني انها اذا راحت الى المنازل راجعة من مسارحها بالعشي ممتلية ضروعها منتصبة اسنمتها رافعة رؤسها ففيها جمال لان الانسان يتجمل بها لذلك قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وفي الخروج الى المرعى كذلك ووقع الابتدا بالاراحه لزيادة الجمال في حينها على حين السرح وقيل هو جمال يظهر في الوجه من السرور بها وقيل هو جمال قري الاضياف وقيل هو جمال غنيتهم عن الناس وحاجتهم اليهم **وقوله** تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس اي تحمل احمالكم وما يثقل عليكم حمله من المتاع الى البلدان البعيدة التي لا تبلغونها الا بمشقة الابدان والشق المشقة وقيل هو النكر الذي يكاد تنشق منه النفس ان ربكم لرؤف رحيم لكم خلق لكم هذه الاشياء وسخرها لكم وقيل ذكر بهذا لترحموا هذه الانعام بالانفاق عليها والاحسان اليها **وقوله** تعالى والخيل والبغال والحمير عطف على قوله والانعام لتركبوها وهو حجة ابي حنيفة رحمه الله في حرمة اكل لحم الخيل وبه استدل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى ذكر هذه الاشياء بطريق عد النعم والامتنان بها ولو كان يحل اكلها لم يكن من الحكمة ترك ذكره وذكر ما دونه في كونه نعمة وغرضا مقصودا ودلت الاية على حل اتخاذ البغال اذ لو حرم ذلك لم يكن من النعم التي يمتن بها **وقوله** تعالى وزينة يحتمل ان يكون تقديره ولزينة اي للركوب ولزينة او يكون تقديره لتركبوها وتكون زينة لكم كما ذكر في الانعام انها جمال لكم تحمل احدى الكلمتين على موافقة الاخرى **وقوله** تعالى ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق سوى هذه الاشياء اشياء لا تعلمونها من انواع الحشرات في الفيافي وذوات السموم تحت الارض وفي البحر والبر ما لم يره البشر ولم يسمعوا به وقيل هو ما يخلق في الجنة من ذلك لاهلها وفي النار لاهلها ما لم يروه ولم يسمعوا به وقال قتادة هو السوس في الثياب والدود في الفواكه وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس لنا ان نتكلف علم ذلك **وقوله** تعالى وعلى الله قصد السبيل اي في خلق ما ذكرنا عبرة ودلالة على الهدى وعلى الله بيان قصد السبيل اي الطريق القاصد وهو المستقيم وهو طريق الحق وهو كما قال ثم ان علينا بيانه وليس ذلك للوجوب فانه لا يجب على الله شيء ولكن نقول من الحكمة البيان منا للصواب من الخطا والرشاد من الضلال لتتبعوا الرشاد وتجتنبوا الضلال وقد فعلنا ذلك ومنها جائر

اي ومن الطرق طريق مايل عن السداد وقد بيناه كما بينا الطريق المستقيم ولو شاء
لهديكم اجمعين اي اعطيكم الاهتدا لو علم منكم اختيار ذلك وقيل معناه وعلى الله
اي وسه كما قال وما ذبح على النصب اي للنصب وقيل اي الى رضوان الله وصول
قاصدي هذا السبيل ومنها جاير اي من هذا السبيل جايرون تمايلون لا يقصدون
رضى الله ولا يتوجهون الى الله فمرهم على الشيطان وقيل اي ممر القاصد والجاير
على الله كقوله ان ربك لبالمرصاد اي لا يخرج احد عن قبضته اي طريق سلك
وقال قتادة وعلى الله قصد السبيل بيان الحلال والحرام وقال السدي بيان
الهدى ومنها جاير طريق الشيطان وقال مجاهد قصد السبيل طريق الحق
ومنها جاير زايغ وقال ابن المبارك قصد السبيل السنة ومنها جاير البدعة
وقال سهل بن عبد الله هو كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا الهوى
السبل وقال القشيري رحمه الله قوم هداهم السبيل وعرفهم الدليل وصرف
عن قلوبهم خواطر الشك وعصمهم عن الجحد والشرك واطلع في قلوبهم شموس العرفان
وافردهم بنور البيان واخرون اضلهم واغواهم وعن شهود الحق اعماهم وفي سابق
حكمه اذلهم واخرهم ولو شاء لعمهم وهديهم وقوله هو الذي انزل من السما ما
لكم منه شراب ومنه شجر وهذا ايضا من اثار قدرته وانواع نعمته اي مطر منه
تشربون ومنه تنبت الشجر والنبات والغرس فيه تسيمون اي ترعون مواشيكم
وقد سامت هي تسوم سوما اي رعت واسمتها انا اسامة ينبت لكم به الزرع
والزيتون اي ينبت الله لكم بالمطر الزروع المختلفة من الحبوب التي تقتاتونها والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية اي ان فيما خلق لعلامة على
الوهيته وقدرته وانعامه لقوم يتفكرون في الدلايل وقوله تعالى وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره قال الامام ابو منصور
رحمه الله وجه تسخيرها ان الله تعالى خلقها وجعل فيها منافع للخلق تصل اليهم شيئن
او ابين او احببن او كرهن وقوله بامره ليبين هو امر تكليف بل هو امر تكوين
وقوله تعالى ان في ذلك لايات اي دلايل واضحة على قدرته لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في التامل فيها وقوله تعالى وما ذرا لكم اي وسخر لكم ما ذرا
لكم اي خلق لكم في الارض اي من الملابس والمطاعم والمشارب والمراكب والمناكح
والخدم والات الارتفاق وغيرها مختلفا الوانه تصبت على اشكال وغير ذلك

لتقدمه على المنعوت فصار كتقديم الفعل على الفاعل وهو في تقدير الفعل ايضا
ولذلك رفع الوانه وتقديره تختلف الوانه واختلاف الوانها انه لا يشبه بعضها
بعضا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اصله يتذكرون اي يتعظون بمواعظ
الله والايات للكل لكن الانتفاع لهولاء فخصوا بالذكر وبدا بقوله يتفكرون ثم بقوله
يعقلون ثم بقوله يذكرون ثم بقوله يشكرون وكذا الترتيب في الوجود فانه
يتفكر اولا فيها فيعقل فيتذكر فيشكر الله على نعمه وقوله تعالى هو الذي
سخر البحر هو للجنس فيقع على كل البحار لتاكلوا منه لحما طريا اي السمك بالاصطياد
وتستخرجوا منه اي ولتستخرجوا منه بالغوص حلية تلبسونها اي اللالي
والمرجان تجعلونها في حلي الذهب والفضة فتتزينون بها وترى الفلك اي
السفن مواخر فيه جمع ماخرة وقد مخر مخرا من حد دخل وصنع اي جرى
يشق الماء مع صوت ولتبتغوا من فضله بركوبها في الاسفار للتجارات ولعلكم
تشكرون اي ولتشكروا الله على هذه النعم وتسخير البحر تذليله على ما هو عليه من كثرة الماء
المحتمل للسفن الثقال التي كانها الجبال تشحن بانواع الاحمال فتجري فيه بالرياح وبالالات
التي الهمنا الله اتخاذها وعلمنا وجوه اجرايها وفيه قطع المسافات البعيدة في المدة
اليسيرة فتقطع المسافات وتحمل الحمولات في الماء بالسفن وفي البر بالدواب ومن هذه
كما من تبارك فيها تقدم وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وفي الاية
دلالة اباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدايد وقوله
تعالى والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بكم كما قال يبين الله لكم ان تضلوا
اي لئلا تضلوا والميد الانقلاب وقيل الاضطراب وقيل الدوران وقيل التحرك
يمينا وشمالا وقال كعب الاحبار لما خلق الله الارض جعلت تتكفا بالخلق
اسه مدكا تتكفا له صاعد بابل فوضع جبلا عليها فاستقرت ثم ارساها الله بالجبال
وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتضطرب فقالت الملايكة
ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لا يدرى كيف ارسيت
وقوله تعالى وانهارا عطف على الاولى اي والقى انهارا او بضمير فعل اخر وجعل فيها
انهارا كما يقال تقلدت سيفا ورمحا اي واعتقلت وقوله تعالى وسبلا اي وجعل فيها
طرقا تصلون بها الى مقاصدكم فلكل مقصد طريق يوصل اليه في الحج والغزو
والتجارات وساير الحاجات وقوله تعالى لعلكم تهتدون اي لتهتدوا اي الى المقاصد

وقيل اي لتهتدوا الى المراشد بالنظر في الادلة والشواهد وقيل انما قال لعلكم
لانه لا بد من الاستدلال في بعض المواضع للاهتداء الى المقاصد وقوله تعالى
وعلامات اي وجعل للطرق علامات وهي معالم وضعت لها وقيل هي الجبال والرياح
ونحوها وقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون اي وبالنجوم وهو اسم جنس فصلح للجمع
يقال فلان كثير الدرهم والدينار وهم يهتدون رجوع الى المغايبة بعد الابتداء بالمخاطبة
وهو احد انواع البلاغة والتوسع في الكلام وقال ابن عباس رضي الله عنهما وبالنجم
هم يهتدون الى الطرق وقال السدي اي بالثريا والفرقدين وبنات النعش
والجدي يهتدون الى الطرق وقال محمد بن كعب وعلامات اي الجبال بالنهار
وبالنجم هم يهتدون بالليل بالكواكب وقال قتادة وانما جعل الله النجوم لثلاثة لتكون زينة
للسماء ومعالم للطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد اخطأ رأيه وقوله
تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق استفهام بمعنى الانكار ومعناه ايستوي من يخلق ومن
لا يخلق واراد به الاصنام وانما قال كمن ولم يقل كما لانها جماد لانه ذكر فعل الخلق وهو من
يعلم ولان من بمعنى ما موجود في القران فمنهم من يمشي على بطنه وقوله تعالى افلا تذكرون
بعقولكم انه لا يجوز ان يسوى بين القادر والعاجز والخالق والمخلوق في العبادة
وقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها واداء حقها ذكرها
عقيب ما مضى من الايات في بيان قدرته ونعمته ثم انكر على الكفار اشراكهم بالله العاجزين في
هذه الاية عجزهم عن شكر نعمه بل عن عد نعمه وقوله تعالى ان الله لغفور ساتر
للذنوب مهلكم ولا يعاجلكم رحيم يكتفي منكم بالشكر بقدر وسعكم فيرضى باليسير الشكر
على كثير النعم وقوله تعالى والله يعلم ما تسرون وما تعلنون قرأ عاصم في رواية
حفص يسرون ويعلنون والذين يدعون كلهن بالياء المغايبة وكذلك الكسائي وروى
عن عاصم يدعون خاصة بالياء المغايبة والباقون كلهن بالتاء المخاطبة اي لا يخفى
على الله شيء من عبادة اسروا او اعلنوا وقوله تعالى والذين يدعون من دون الله
اي من الاصنام لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون اي هم
مخلوقون لله اموات اي هم اموات غير احياء اي من جماد لا حياة لها [illegible] لا علم
وهو قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اي وما تدري هذه الاصنام متى
تحشر ومعناه ان هذه الالهة تحشر يوم القيمة فتجعل مع عبادها في نار جهنم كما قال
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل اموات صفة المشركين اي اموات

بالكفر

بالكفر غير احياء بالاسلام وما يشعرون ايان يبعثون وهو كقوله انهم يرونه بعيدا ونريه
قريبا وقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اي لا يؤمنون بالبعث فلا يعرفون
وقته ولا يعتقدون قربه فلا يستعدون له وقوله تعالى الهكم اله واحد اي المستحق
لعبادتكم وتعظيمكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة اي لا يصدقون بالبعث
قلوبهم منكرة اي للتوحيد وهم مستكبرون اي متعظمون عن الايمان لا جرم قال
الخليل هي كلمة تحقيق ولا تكون الا جوابا يقال فعلوا كذا فيقال لا جرم انهم سيندمون
فالمعنى في هذا حقا ان لهم النار وقيل لا رد لكلامهم وجرم بمعنى حق ووجب وقيل
جرم اي كسب كقوله ولا يجرمنكم اي كسب فعلهم لهم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
اي علمهما منهم فاعد لهم جزاءهما وقوله تعالى انه لا يحب المستكبرين اي المتعظمين عن الانقياد
للرسل وقوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم اي من الوعيد اي اذا ذكر لهم
ان ربكم انزل فيكم الوعيد فكيف تصنعون اذا اصابكم ذلك قالوا اساطير الاولين
اي هي اساطير الاولين هم سطروها لا ان الله انزلها ولهذا رفع قوله اساطير الاولين
لانهم لم يقروا بانزالها فلم يكن فعل الانزال واقعا عليها على زعمهم بل ابتدأوا بذلك
وصفه وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي فعلوا ذلك ويصير جزاؤهم
في العاقبة انهم يعاقبون على ما حملوه من اثامهم كلها ومن اوزار الذين يضلونهم اي
واثام الذين تبعوهم وضلوا باضلالهم وانما قال من لانه للتبعيض وفي حق انفسهم
يعاقبون بكل ذنوبهم وفي حق الذين ظلموا باضلالهم يعاقبون بالذنوب التي اذنبوها
باضلالهم دون سائر الذنوب وقوله تعالى بغير علم ليس بعذر بل هو عيب لهم
بالجهل والسفاهة ومعنى بغير العلم انهم لم يعلموا انهم يضلون باضلالهم ولم يعلموا
ماذا يلحقهم بهذا الاضلال ولم يعلموا ان اثام الذين ضلوا عليهم الا ساء ما يزرون
اي بئس ما يحملوا من الاوزار وقيل الاية نزلت في المقتسمين الذين قعدوا على الطرق
يمنعون الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقررونهم على الشرك
والضلالة وهو عام في حق كل مضل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من سن
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقوله تعالى قد
مكر الذين من قبلهم اي مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم كما مكر
بك هؤلاء فلم يضر ذلك بالانبياء فاتى الله بنيانهم من القواعد اي ابطل الله مكرهم
ونقض حجتهم وهو مجاز كقولك للرجل اذا انكسرت حجته قد بطل ما بنيت وانهدم

ما اسست فخر عليهم السقف من فوقهم اي انقلب عليهم مكرهم واتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون اي من الوجه الذي لا يشعرون انهم ياتيهم من جهته وفي الوقت الذي لا يعلمون
انه ياتيهم فيه وقيل هو على حقيقة البنا ومعنى قولهم له فاتى الله بنيانهم اي اتى امر الله
بهدم بنيانهم من القواعد اي الاساس فخر عليهم اي سقط عليهم السقف من فوقهم والخرور
لا يكون الا من فوق وذكره للتاكيد كما في قوله يقولون بافواههم وقوله يطير بجناحيه
وقوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومعنى التاكيد انه للتحقيق لا للمجاز فقد يقول
الرجل خرب علي منزلي ولا يريد سقوطه عليه فاما اذا اراد ذلك قال خر علي من
فوقي فهاهنا اراد انه سقط عليهم وهم تحته فاهلكهم وفي التفسير ان
هذا البنا كان لبخت نصر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن اسلم هو صرح نمرود
قال ابن عباس كان طول البنا في السما خمسة الاف ذراع وقال كعب كان طوله
في السماء فرسخين وبه قال مقاتل فهبت ريح فالقت راسه في البحر وخر عليهم الباقي
من فوقهم وهذا الاتيان باجماع اهل القبلة ليس بانتقال وكذا في قوله
فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا في حق بني قريظة والنضير وهو محتجنا على المجسمة في تاويل قوله
وجاء ربك وهل ينظرون الا ان ياتيهم الله وقوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم اي
يفضحهم ويذلهم مع ما اهلكهم الله في الدنيا وابطل مكرهم بالانبياء وهو تلبيسهم في تصوير
حقهم بالباطل عند الضعفة او سعيهم في هلاك الانبياء وقوله تعالى ويقول
اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم ويوبخهم فيقول اين الالهة التي كنتم تجعلونها
شركاي وتعادون الانبيا بسببها اين هم فيدفعوا عنكم ما نزل بكم قال الذين اوتوا
العلم اي المومنون الذين اعطوا العلم بالله وبدينه في الدنيا ان الخزي اليوم اي الفضيحة
والمذلة وقوله تعالى والسوء اي المكاره التي تسوءهم على الكافرين اي المشركين بالله
وهم يومئذ ابان لهم الله منازل الانبيا والاوليا فتبعهم وسرهم فشكروا ذلك وذكروا
حال الكفار وقوله تعالى الذين تتوفيهم الملائكة نعت للكافرين ظالمي انفسهم نصب
على الحال فالقوا السلم اي الاستسلام اي انقادوا وهو ماض بمعنى المستقبل والحق
بالماضي لانه كاين لا محالة ما كنا نعمل من سوء اي يقولون وهذا مضمر لدلالة الحال
عليه وقوله تعالى من سوء اي كفر يتبرؤن منه وقيل معناه ما كان عندنا ذكر
سوء فيقال لهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون كنتم لا تعملون الا السوء والله عليم بما كنتم
تعملون فلم ينفعكم انكاركم ولا جهلكم بالسوء ان كانت الادلة واضحة والبراهين

لاية

لاية فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها لا خروج عنها ولا خلاص منها فلبيس مثوى المتكبرين
على انبياء الله وعلى اوليايه وقد سبق ذكر تكبرهم بقوله قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
فان كان هذا القول لهم عند الموت فمعناه فادخلوا ابواب جهنم اذا بعثتم وابوابها
طبقاتها ودركاتها وهي بعضها فوق بعض ولعل هولاء يستحقون العذاب في الدرك
الاسفل او في الدرك الرابع فلا يصلون الا بمجاوزة الابواب اجمع ويجوز ان يكون
لكل طبقة بيوت ولكل بيت باب ويجوز ان يكون هذا اخبارا لهم عند الموت بعذاب
القبر لانه باب من ابواب جهنم للكافر وقوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا ثم اخبر بعد الاخبار عن الكافرين عن المومنين الذين اتقوا الشرك
انهم اذا سيلوا عن كتاب الله ماذا انزل الله منه قالوا خيرا لان القران خير وهدى ونفع
وشفا لما في الصدور ويستدل به على الله وعلى انبيايه وشرايع دينه فخيراته لا تحصى
وقيل اي انزل الشرايع ومكارم الاخلاق ونزل نصب خيرا لوقوع فعل الانزال
عليه وفي الاول قالوا اساطير الاولين بالرفع لانهم لم يقروا بالانزال بل قالوا هي
اساطير الاولين وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اختلفوا
انه قول هولا او ابتدا وكلام من الله تعالى فاجاز الحسن الوجهين وكذلك الزجاج
والاظهر انه كلام الله تعالى لانه ابلغ في الدعا الى الاحسان ولانه اذا لم يقم الدليل القاطع
انه حكاية عنهم فهو من كلام الله تعالى ثم معناه للمحسنين حسنة في الدنيا وهي التوفيق
والعصمة والنجاة من العذاب المعجل النازل بالمشركين ولدار الاخرة خير اي
ولدار الحيوة الاخرة او النشاة الاخرة خير لهم مما اصابوا في الدنيا ولنعم دار المتقين
اللام للقسم ولنعم كلمة مدح فنعم الدار الجنة لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها
دايم وصاحبها خالد جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاون
هي من صفة تلك الدار وكذلك يجزي الله المتقين ثم وصف المتقين فقال الذين تتوفيهم
الملائكة طيبين اي طيبي الاعمال والقلوب من دنس الشرك يقولون سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي اذا بعثتم وقوله هل ينظرون اي ما ينتظر
مشركوا قريش الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وهم ظالمون انفسهم او ياتي
امر ربك بعذاب ينزل بهم في الدنيا مثل ما نزل بمن قبلهم من الخسف والقذف
ونحو ذلك او في الاخرة بما اوعدوا به قال مجاهد وقتادة امر ربك اي القيمة
كذلك فعل الذين من قبلهم استعجلوا العذاب وما ظلمهم الله اي ما عذبهم بغير

ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون يوردون انفسهم موارد الهلكة بالشرك وينقصون
حظوظها من الجنة فاصابهم سيات ما عملوا اي الاجزية السية باعمالهم السية وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا لا يصدقون به ويجحدونه هزوا وقوله
تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا
حرمنا من دونه من شي كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ
المبين انما انكر الله هذا القول على المشركين وهو حق في نفسه اذ الكاينات كلها بمشية
الله تعالى لان بعض المشركين من العرب كانوا يقولون هذا القول وقصدهم ان
ينفوا عن انفسهم الملامة والمذمة بارتكابهم الشرك والمعاصي وكانوا يقولون لا
لوم على عاص بهذا المعنى فاكذبهم الله وبين لهم انه لا عذر لهم ولا يسقط اللوم عنهم
لان مشية المعاصي من الله معناها انه اراد ان تكون معصية قبيحة منهيا عنها
ملوما عليها مرتكبها معاقبا بها ولا اكراه منه لهم عليها فلم يسقط عنهم اللوم وقد شرحنا
ذلك في سورة الانعام باتم من هذا وقوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ المبين
اي ما على الرسل الا التبليغ الظاهر وقد بلغوا ان مشية الله ليست بعذر لهم وقوله
تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه واجتنبوا الطاغوت
اي الشيطان والصنم وكل ما يدعوا الى الشرك والضلالة فمنهم من هدى الله ومنهم من
حقت عليه الضلالة اي اختلفت الامم فمنهم من اختاروا تصديقهم واتباعهم فارشدهم
الله لذلك ومنهم من اختار تكذيبهم ومخالفتهم فخذلهم الله وثبتت وتحققت لهم الضلالة
وقوله تعالى فسيروا في الارض معاشر المومنين فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم وجعلها معتبرا لمن بعدهم وكذلك نفعل بمن فعل فعلهم
وقوله تعالى ان تحرص على هديهم اي يا محمد ان جهدت على هدايتهم فليس الامر اليك
فان الله لا يهدي من يضل قرا عاصم وحمزة والكسائي بفتح اليا اي الله لا يهدي
من اضله بعلمه اختيارا للضلالة منه وقرا الباقون لا يهدى بضم اليا على ما لم يسم
فاعله فالها العايدة مقدرة في اخرها اي من يضله اي من اضله الله لا يهدى
ابدا اي لا يهديه احد وما لهم من ناصرين جمع لان من يصلح للجمع لانه جنس يعني
وما للضالين ناصرون يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه
الذي اعده لهم ويتربص لهم وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم اي وحلفوا
بالله مجتهدين في ايمانهم مظهرين من انفسهم انهم بارون فيها لا يبعث الله من

يموت وهو وصف منهم لله بالعجز عن بعث الموتى وهذا رد عليهم قولهم وعدا عليه حقا
هو قادر عليه وقد اخبر به وهو محقق هذا الوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون كمال
قدرته وبالغ حكمته في بعثه بعد اماتته ليبين لهم الذي يختلفون فيه اي بعثهم
ليبين لمنكريه ما يختلفون فيه فمنهم من كان يقطع القول بكونه ومنهم من كان
يقطع القول بكونه ومنهم من كان يشك فيه ومنهم من كان يقطع القول بنفيه ويحتمل
الاختلاف في امور اخر من امور الدين فيبين لهم ليظهروا الحق من الباطل وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في تكذيب الرسل وجحود البعث وهذا اثبات الجهل
للكل وليس هذا عذرا بالجهل لانهم كانوا متمكنين من النظر والدلايل ليعلموا وقيل
معنى الاية وليعلم الذين كفروا اي الاتباع انهم اي الروسا المعاندون بعد العلم كانوا كاذبين
فيما ادعوا والاتباع الى ذلك دعوا وفي تنفيذه واقامته سعوا وقيل بعد بيان
الاختلاف معنى مضمر وهو قوله ثم يجزي المحق من المبطل في الاختلاف كلا على
وفق عمله وقوله وعقده انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي وبعث
الموتى علينا يسير بلا مشقة فيه نصب انما هو ان نقول له كن فاذا هو كاين وهو عبارة
عن سرعة ايجاده معنى قوله انما قولنا لشي وتسميته شيا انه شي بعد وجوده وسمي
به لقربه من حالة الوجود وقوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
وهذا مدح المومنين بعد ذم الكافرين اي والذين هجروا اهاليهم واوطانهم في احياء
دين الله ونصرة دينه رسول الله من بعد ما ظلمهم هولاء المشركون وعذبوهم
وراودوهم للعود الى الكفر لنبوينهم في الدنيا حسنة اي لنمكنن لهم في الدنيا
منازل حسنة يرضونها بدلا عن دورهم التي هجروها وقد فعل ذلك حيث اواهم
بالمدينة وجعل لهم انصارا واعوانا على اعدايهم وواسوهم بالنفوس والاموال واثروهم
على انفسهم بكل شي ولاجر الاخرة اكبر اي ولاجر الدار الاخرة وهو الثواب الذي
يوتيهم فيها اكبر واعظم قدرا من الذي يعجله لهم في الدنيا من حسان الاوطان
والامن على الدين والابدان لو كانوا يعلمون اي لو كان هولاء الظالمون يعلمون
ما اعد الله للمهاجرين في الاخرة من النعيم لكن لجهلهم تظلموهم ولو علموا لم
يفعلوا بل وافقوهم لينالوا في الاخرة ما نال هولاء وقول القايل هو خير لك
لو علمت ليس على معنى انه لو لم يعلم لم يكن خيرا له لكنه ترغيب اي لو علمت لاشتدت
رغبتك فيه وقوله تعالى الذين صبروا هو نعت المهاجرين اي صبروا على

دينهم وعلى ايذا عدوهم في الله وعلى ربهم يتوكلون اي في امورهم ويرجون الظفر
بعدوهم وقيل نزلت الاية في ابي جندل بن سهيل بن عمرو وقيل نزلت في ستة نفر
بلال بن رباح وصهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان وخباب بن الارت
مولى ثمامة وعمار بن ياسر مولى ابي حذيفة وعابس وجبر اخذهم المشركون فعذبوهم
ثم تخلصوا فهاجروا فنزلت هذه الاية في شانهم **وقوله** تعالى وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم قيل نزلت في ابي جهل والوليد بن المغيرة وعبد الله بن ابي امية
المخزومي قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هلا بعث الله الينا ملكا فيصدقك بما تقول
فنزلت ومعناه ما ارسلنا قبلك ملائكة انما ارسلنا رجالا ادميين يوحى اليهم
على لسان ملك فسألوا اهل الذكر اي اهل الكتب المتقدمة لانهم اهل المعرفة بما ذكر
الله لهم من قصته وشرايعه واقاصيص انبيائه ان كنتم لا تعلمون انتم بالبينات
قيل يتصل بقوله وما ارسلنا قبلك بالبينات والزبر الا رجالا وقيل تقديره الا
رجالا ارسلناهم بالبينات والزبر والبينات المعجزات وقيل الشرايع الواضحات والزبر
الكتب جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب وانما امر المشركين بسؤال اهل الكتاب
لانهم كانوا يرجعون اليهم ويقبلون قولهم فاثبت الحجة عليهم بجنس ما يركنون اليه **وقوله**
تعالى وانزلنا اليك الذكر اي الكتاب الذي فيه ذكر ما يحتاج اليه كما انزلنا على من قبلك لتبين
للناس ما نزل اليهم اي لتوضح لهم معاني ما شرع لهم ولعلهم يتفكرون اي وليتفكروا فيك
وفيما انزل فيستدلوا بذلك على صدقك وهو معنى كلمة لعل لانها في الاصل للترجي وهو
مما يكون ولا يكون وكذا ما يقع بالاستدلال **وقوله** تعالى افامن الذين مكروا
السيئات استفهام بمعنى اثبات الذم لهم بذلك ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى النهي اي
لا تامنوا ذلك فانهم قد استحقوه ومكروا السيئات له معنيان احدهما انهم اخفوا الاعمال
السيئة عن العباد والله مطلع منهم عليها والاخر مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم باشياء
سيئة ثم ما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من السماء بغتة كما كان لقوم لوط ونحوهم او ياخذهم
في تقلبهم اي في اسفارهم وتصرفاتهم في امورهم فما هم بمعجزين بفائتين وقد اعجزني الشيء
اي فاتني فعجزت عن اخذه والتقلب يحتمل ها هنا ثلثة معاني السير في البلاد كما قال
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والتصرف بالليل والنهار بالاقبال والادبار
والذهاب والمجيء في الامور المعهودة كما قال وتقلبك في الساجدين والتذبير في

وجود المكر والكيد كما قال وقلبوا لك الامور يخوفهم الاخذ في بعض هذه الاحوال
وقوله تعالى او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم قال سعيد بن المسيب
بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله تعالى
او ياخذهم على تخوف فسكت الناس فقام شيخ فقال يا امير المؤمنين هذه لغتنا بني هذيل
التخوف التنقص فقال عمر فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال
شاعرنا ابو بكر الهذلي تخوف الرحل منها تامكا صلبا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان
فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم وذكر ابان بن تغلب عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كنت اقراوها ولا اعرف معناها حتى شكا اعرابي اخا له فقال ان اباه تركه ابلا فما زال
يتخوفها بعيرا بعيرا فعلمت انه التنقص وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد
ان معناه على تنقص ومعناه انه ياخذ الاول فالاول حتى لا يبقى منهم احد ولانه
حالة يخاف منها الهلاك والفناء وقال الحسن يهلك القرية فتخاف قرية اخرى وقيل
كقوله اولا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها فمعنى قوله او ياخذهم على تخوف
اي ننقص من نواحيهم واطرافهم حتى يعم بالهلاك جميعهم بعضهم على اثر بعض ومعناه
انه لا يعاجلهم بل ياخذ القرى التي حولهم حتى تخلص الامر اليهم فيهلكهم وقيل معناه يهلك
بعض ما يجاورهم من البلاد ويدعهم على خوف ان ياخذهم ثم ياخذهم فيكون اخذا
بعد تنغيص العيش عليهم زمانا يتخوفهم كل وقت ان ينزل عليهم **وقوله** تعالى
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله قال ابن عباس رضي الله عنهما يميل
والفيء الظل الذي بعد الزوال لانه فاء اي مال عن الجانب الذي كان الى الجانب
الاخر ووصل الرؤية بكلمة الى لانها بالنظر تحصل فصار كذكر النظر كانه قال
اولم ينظروا الى ما خلقه الله من شيء صغر او كبر يتفيؤ ظلاله اي يرجع ظل
كل شيء من موضع الى موضع يمينا وشمالا على حسب تحول الشمس مشرقة ومغربة
يختلف ذلك باول النهار واخره وبالبلدان بتصريف الله اياه وقال
عن اليمين على الواحد ثم قال وعن الشمائل لوجوه احدها انه بدا بقوله ما خلق
ولفظه لفظ واحد فوحد اليمين ومعناه جمع فجمع الشمائل كما قال فمن اتقى واصلح
على الواحد فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون على الجمع وقيل تقديره عن يمين كل واحد
من ذلك وعن شمائل الجميع وقيل اكتفى في الاول بالواحد لانه جنس فصلح لارادة

الجمع به كما قال ويولون الدبر ثم يخرجكم طفلا وجمع في الشمايل لتحقيق الجمع
المراد بالاية سجدا لله حال قوله ظلاله والسجود الخضوع لله بالخلقة
والدلالة على وحدانية الله بالصنعة وانشد اهل اللغة • ترى الاكم فيها سجدا
للحوافر • جعل الاكم اذ لم يمتنع لها الامتناع من وطء الحوافر اياها سجدا لها
فكذلك ظلال الاشياء لما لم يكن فيها امتناع من التصرف على ما يصرفه الله تعالى
عليه جعلت ساجدة وهم داخرون اي صاغرون وقوله تعالى ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض من دابة والملايكة وهم لا يستكبرون اما من
كان منهم عاقلا مومنا فطاعته بالامر وما كان لا يعقل فبالتسخير بدلالة التسخير
الخلقة واما العاقل الكافر فما كان فيه من اثار الصنعة ودلايل الحدوث يشهد
لله باستحقاق العبادة له فكلهن يسجد لله من هذا الوجه وهو معنى قوله ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وقوله
وهم لا يستكبرون اي الملايكة يخافون ربهم من فوقهم اي الذي هو قاهر لهم على
السلطان عالي السلطان عليهم ان خالفوه ويفعلون ما يومرون خوفا له
وعلما بعظمته ونفاذ سلطانه وقدرته وقيل يخافون عقاب ربهم من ربهم
لانه ياتي من فوق وقوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اي بهذا امر
الله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين وقيل هو على نظمه وهو توكيد لا تتخذوا الهين اي
لا تجعلوا لله ثانيا وهو واحد وذلك قوله انما هو اله واحد فاياي فارهبون
اي خافون ولا تخافوا غيري وهو رجوع من المغايبة الى الاخبار عن نفسه
وهو من التوسع في الكلام وقوله وله ما في السموات والارض اي خلقا
وملكا وله الدين واصبا قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد والضحاك
وقتادة وابن زيد اي دايما وقد وصب يصب وصوبا من باب ضرب قال
الدويلي • لا ابتغي الحمد القليل بقاوه • يوما بذم الدهر اجمع واصبا • والوصب
الالم عن الاعياء بدوام العمل وقد وصب يوصب وصبا فهو وصب من
باب علم افغير الله تتقون استفهام بمعنى الانكار اي ما ينبغي لكم ان تتقوا
غيره وتعبدوا غيره وتطيعوا غيره وله الدين واصبا فهو الباقي الدايم الذي
لا يزول ولا يحول فلا تنقطع الطاعة له فادعوها له وقوله تعالى وما
بكم من نعمة فمن الله اي والذي بكم من نعمة من سعة رزق وصحة جسم وانبساط

وجاه

جاه وكثرة مال ووفور انصار واعوان وسائر حسنات الدنيا فذلك كله من الله وقوله
تعالى ثم اذا مسكم الضر اي السقم والضيق والبلاء فاليه تجارون تضجون بالدعاء والمسالة
والجوار رفع الصوت بالتضرع فالنعم كلها منه والفرج كله به والقدرة بكمالها له
فما ينبغي ان يتقي غيره ويعبد غيره وقوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون اي الاصنام التي لا تنفع ولا تدفع فلا ترجون ادرارا لنعمة ولا
كشف الضر الا منه ثم تشركون به غيره مما لا يكون منه شيء من ذلك وهذا كفران
بنعمة الله منهم وذلك قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم اي من النعم وقيل اي ليجحدوا ما
اتينا من الايات وقوله تعالى فتمتعوا اي عيشوا في دنياكم وتلذذوا قليلا ثم
تنقضي وقوله تعالى فسوف تعلمون اي خطا فعلكم في الكفر والكفران
وقيل فسوف تعلمون ما ينزل بكم من الخزي والهوان وقوله تعالى ويجعلون
لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ومن جهالاتهم انهم يسمون لاصنامهم اشيا من
انعامهم وزروعهم التي جعلناها رزقا لهم وهم لا يعلمون لها هذا النصيب وهو ما
ذكر في قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية ويحتمل لما لا يعلمون
اي الاصنام لا تعلم انه جعل لها نصيب وجمع فعلها بالواو والنون وهي جماد
لان الكفار احلوها محل من يعقل وقوله تعالى تالله لتسئلن عما كنتم تفترون
وصرف الكلام عن المغايبة الى المخاطبة وهو من وجوه الكلام واذا سئلوا عن ذلك
لم يكن لهم حجة على ذلك فهو توبيخ وقوله تعالى ويجعلون لله البنات اي يصفون
له ذلك فيقولون الملايكة بنات الله سبحانه تنزيها لله عن ذلك اي هو منزه عنه
ولهم ما يشتهون من البنين يجوز ان يكون ما رفعا على انه خبر اللام ويجوز ان
يكون نصبا عطفا على البنات لوقوع ويجعلون عليها اي اذا حملت امراة احدهم
اشتهى ان يكون ولدها ذكرا وهو كقوله ام له البنات ولكم البنون وقوله
تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا الظلول بالنهار كالبيتوتة
بالليل وقوله مسودا اي متغيرا من الهم وهو كظيم قال ابن عباس رضي الله
عنهما اي حزين وقيل هو المغموم الذي يطبق فمه لا يتكلم للغم الذي به ماخوذ من
الكظامة يقول اذا اخبر احدهم بولادة بنت له اسود وجهه تغيرا واغبر من
الانفة والذل وبقي ممتلئ القلب من الغيظ ساكت اللسان من الغم لا فرح
له بما اصابه يتوارى من القوم اي يستخفي حياء منهم وكراهة ان يعني بها

ويفكر في تقيته امسكه على هون اي يمسك ما بشر به على هوان لسقوط قدره عنده ام
يدسه في التراب اي يخفيه وهو الوأد وهو دفنها حية الا سا ما يحكمون ما اسوا حكمهم
يختارون لانفسهم البنين ويرضون له بما لا يرضون به لانفسهم وقوله تعالى
للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء اي صفة السوء وهو ما ذكر عنهم ولله المثل الاعلى
اي الصفة العليا في الملك والسلطان والقوة والقدرة والتنزه عن الشركاء والانداد
وهذا لا يخالف قوله فلا تضربوا لله الامثال فنهى عن ذلك مطلقا وذكر له المثل
الاعلى هاهنا لان ذلك نهي عن الوصف بالاشباه وهذا اثبات للصفة العليا
وهو العزيز اي الممتنع على من رام مغالبته في تعذيب من اراد تعذيبه الحكيم في
امهال العباد الى ان يحق عليهم القول وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
اي ولو يعاقب الله الكفار بظلمهم انفسهم وعقوبتهم وعبادة الله بصدهم عن الحق
ما ترك عليها اي على الارض كناية عن مكني لم يسبق ذكره لكنه معلوم فصح كما
في قوله حتى توارت بالحجاب وهو كقول لبيد حتى اذا القت يدا في كافر ٭ واجن عورات
الثغور ظلامها ٭ يعني الشمس وقوله تعالى من دابة اي لادى ذلك الى ان لا
يبقى على الارض من يدب اي لخلت الارض عن سكانها وهذا يدل على ان لله
تعالى ان يعاجلهم بالعقوبة وان كان في المعلوم انه لو اخرهم تابوا عن المعاصي خلافا
للمعتزلة القائلين بالاصلح ولكن يؤخرهم اي برحمته لا يعاجلهم بها ولكن يمهلهم
الى اجل مسمى عنده اما في الدنيا اذا شاء ان يهلكهم اهلكهم واما في الاخرة وهو
وقت الحساب وهو الاجل المسمى لحساب الخلائق اجمعين واي هذين الاجلين حل
لم يتاخر العذاب عنهم وهو قوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون وقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات وتصف
السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ترجمة عن الكذب الحسنى نصب بان قال الزجاج
تصف السنتهم ان لهم الحسنى من الله اي القضية الحسنى وهي البنين اي
قضى لهم بالبنين وجعل لنفسه البنات وقيل ارادوا بالحسنى الاحوال الحسنة
في الاخرة وهو كما قال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقرا ابن عباس رضي الله عنهما السنتهم الكذب
بضم الكاف والذال والباء نعتا للالسنة وهي جمع كذوب كالرسل جمع رسول ٭
وقوله تعالى لا جرم ان لهم النار اي رد لكلامهم وجرم اي كسب قولهم هذا

لهم النار فانه كفر وكذب وانهم مفرطون قال سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك
متروكون في النار منسيون فيها من قول العرب ما افرطت ورائي احدا اي ما
خلفت وما تركت وقال الحسن وقتادة في رواية مقدمون الى النار معجلون
اليها وهو من قول العرب فرطنا فلانا في طلب الماء فهو مفرط اي قدمناه لطلبه وفرط
هو فهو فارط من حد دخل اي تقدم وجمعه الفراط قال القطامي
٭ واستعجلونا وكانوا من صحابتنا ٭ كما تعجل فراط لوراد ٭
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وقرا ابو جعفر وانهم مفرطون
بتشديد الراء وكسرها اي مقصرون في الواجب وقرا نافع في رواية ورش مفرطون
باسكان الفاء وكسر الراء اي المجاوزون حدود الشرع اي المسرفون في الذنوب
وقوله تعالى تالله لقد ارسلنا اي الرسل الى امم من قبلك يا محمد وهو
تسلية له في تكذيب قومه اياه فزين لهم الشيطان اعمالهم اي الشرك
والمعاصي فهو وليهم اليوم اي فالشيطان ولي المشركين المتقدمين وقيل فهو
ولي اولئك اليوم ولهم عذاب اليم اي ولهؤلاء وقيل لاولئك عذاب اليم في الاخرة
لا يدفعه عنهم هو بولايته وكيف وهو لا يمكنه الدفع عن نفسه فكيف عن غيره
وقوله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي من
امر الاخرة والبعث ومن امور الدين وهدى ورحمة نصبت بالنسق على موضع اللام
من قوله لتبين لان معناه الارادة تبيينه لقوم يؤمنون هم الذين ينتفعون به
وينالون الهدى والرحمة وقوله تعالى والله انزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها وهو من النعم التي عددها عليهم وقوله تعالى ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون القول فيتدبرونه بقلوبهم وهو كما قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون
بها في قدرة الله تعالى على احياء الموتى والعبرة تمثيل الشيء بالشيء لتعرف
حقيقته من طريق المشاكلة ثم بين هذه العبرة بقوله نسقيكم مما في بطونه من
بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين اي نعطيكم شرابا من بطون ذوات
الالبان من الانعام وهي الابل والبقر والغنم لبنا خالصا يخرج من بين فرث
ودم فلا يتعلق منهما به شيء يؤثر في طعمه ولونه بل يكون سائغا هنيئا سهل الجري
لمن شربه لا يغص به فكذلك نقدر على اخراج ما تبدد من ابدان الموتى

من حيث تبدد وبما اختلط به حتى تخلصه من جميع ذلك بدنا كما كان في الدنيا لا يختلط
به من غيره شيء وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر نسقيكم بفتح النون وقرا
الباقون بضمها وبالفتح من سقى وبالضم من اسقى وهما لغتان في معنى واحد قال لبيد
« سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال » وقيل سقاه اي اشربه
واسقاه جعل له سقيا اي شرابا دائما من نهر او لبن او غيرهما وقوله تعالى في
بطونه ولم يقل في بطونها وهي جمع لان الانعام والنعم في المعنى واحد فصار ذكرها
ذكره لمجاز توحيده وهو كقول الشاعر «وطاف لبان اللقاح وبرد» رد الى اللبن
لانه بمعناه او يجعل كناية عن ما يعني بطون ما ذكرنا او عن اي تقديره في بطون
ايها كان [illegible] اللبن والفرث الثفل الذي ينزل الى الكرش وقوله تعالى
ومن ثمرات النخيل والاعناب عطف على قوله مما في بطونه اي ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب سكرا ونحو ذلك وقيل يتصل بما بعده تتخذون ثم اعاد من مع
الهاء حين قدم ما تلاه ولي اشعارا بانها اتصلت بهذا الفعل وقيل ومن ثمرات
النخيل والاعناب عبرة وقوله تعالى تتخذون منه سكرا منه توحيده كتوحيد
بطونه بوجوهه والسكر هو خمر التمر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد
بن جبير وابرهيم والشعبي وابو رزين والحسن ومجاهد وقتادة السكر ما حرم
من الشراب والرزق الحسن ما احل منه وقيل السكر الطعم قال الشاعر
« جعلت عيب الاكرمين سكرا » اي طعما وقيل هو العصير الذي لو ترك اياما
ليسكر فاذا طبخ قبل ان يبلغ حد السكر ومن الله تعالى به والرزق الحسن هو
الزبيب والرب والخل وما يتخذ من العنب والتمر ورا هذا وقيل هو خمر التمر
كما قلنا وكان هذا قبل نزول تحريم الخمر وهو اول الايات نزولا فيه ولما ميز السكر
من الرزق الحسن قال كبرا الصحابة رضي الله عنهم لو كان فيه خير لم يميز عن
الرزق الحسن فامتنعوا عن شربها ثم نزلت سائر الايات فيها على الترتيب الذي ذكرناه
في سورة البقرة ثم اتصال هذا بالاول لانه قال ومن ثمرات النخيل والاعناب
تستخرجون عصيرا يخرج من ثفل قد اختلط به فكذلك استخلاص
ما يتبدد من الميت مما هو مختلط به فانكم اذا استخلصتم العصير من العنب
بتعليم الله اياكم لم يمتنع ان تنكروا امثاله من الله تعالى وقوله تعالى ان في
ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في التدبر فيه وقوله تعالى واوحى

ربك

ربك الى النحل اي الهمها ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون قيل يبنون
وقيل يتخذون عرايش الكروم الهمها الله ان تتخذ بيوتا في هذه المواضع ثم كلي من
كل الثمرات قيل هو للتكثير كما في قوله تدمر كل شيء بامر ربها فاسلكي سبل ربك
ذللا اي السبل التي ذللها الله لك والطريق الذلول الذي لا يتوعر على سالكها وهذا
عن مجاهد والذلل على هذا صفة السبل وقال قتادة ذللا اي مطيعة جمع ذلول
وهي على هذا صفة النحل وقوله تعالى يخرج من بطونها هو رجوع من المخاطبة
الى المغايبة توسعا في الكلام اي من بطون النحل وهي جمع نحلة شراب مختلف الوانه
اي عسل يشرب ومختلف الوانه فمنها ابيض واصفر واحمر فيه اي في الشراب
وهو العسل شفا للناس اي من ادوايهم وعامة الادوية المعجونة لا تخلو منه وان
زعم زاعم انه قد يهيج الصفرا فليس من شيء الا وقد يضر وينفع وانما المقصد من
غالبه الشفاء وروي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي قد اشتكى
بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه عسلا فما زاده الا استطلاقا فعاد الى النبي صلى الله
عليه وسلم فذكر له ذلك فقال اسقه عسلا فسقاه ثانيا فما زاده الا استطلاقا الى ان
سقاه ثالثا فاستمسك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق الله وكذب بطن
اخيك وقال الحارث الاعور جاء رجل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فشكا اليه
سوء الحفظ فقال ارجع الى اهلك فقل لها تعطيك من مهرها درهمين عن
طيب نفسها فاشتر بهما لبنا وعسلا واشربهما مع شربة من ماء المطر على الريق ترزق
حفظا فسئل الحسين بن الفضل عن هذا فقال اخذه من قول الله تعالى وانزلنا من
السما ما مباركا وفي اللبن خالصا سايغا للشاربين وفي العسل فيه شفا للناس
وفي المهر كلوه هنيئا مريا فاذا اجتمعت البركة والشفا والهني والمري والخالص
السايغ فلا عجب ان ينفع وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي للذين
تفكروا فعلموا ان النحلة على صغر جسمها وضعف خلقتها لا تهتدي لصنعة العسل
بنفسها وان ذلك بصانع صنعها وخالف بينها وبين غيرها من الحشرات الطايرة
فاستدل بذلك على خالق واحد قادر لا شريك له ولا شبيه وقال القشيري
رحمه الله ان الله تعالى عرف عباده في هذه الاية ان التفضيل ليس من جهة القياس
فان النحل مع خساسته وقلة قيمته وصغر جثته جعل ما وراه عسلا وهو شفا للناس
والانسان في كمال صورته وتمام عقله وفطنته وعلو رتبته وان منهم الانبيا والاوليا

في خصائص كثيرة سواها ثم جعل فيها وراءهم من الوحشة ما لا يخفى فأي علة أوجبت للنحل
هذه الفضيلة وأي ذنب للانسان أوجب هذه الوحشة ليس ذلك الا محض الاختيار
وقال ان الله تعالى أجرى سنته ان يخفي كل شيء عزيز في شيء حقير جعل الابريسم
في الدود وهو أصغر الحيوانات وأضعفها والعسل في النحل وهو أضعف الطيور وجعل
الدر في الصدف وهو أوحش حيوان من حيوانات البحر وأودع الذهب والفضة
والفيروزج في الحجر كذلك أودع المعرفة والمحبة له في قلوب المؤمنين وفيهم من
يخطي وفيهم من يعصي وقوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد
الى أرذل العمر أي أرداه وقد رذل رذالة من حد شرف وقال علي رضي الله عنه
هو اذا بلغ خمسا وسبعين سنة وقال قتادة اذا بلغ تسعين سنة تعطل عن العمل
والتصرف والاكتساب والحج والغزو ونحوها ويخرف فينكر عقله وذلك قوله تعالى
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا مما كان يعلمه وقوله تعالى ان الله عليم بالعباد قدير على
ابقائهم وافنائهم ونقلهم من حال الى حال من الصبا الى الشباب ثم الى الكهولة ثم
الى الشيب ثم الى الخرف وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فجعل منهم الغني والفقير والمكثر والمقل وقوله تعالى فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أي فليس الاغنياء المفضلون في المال على غيرهم
برادين ما رزقهم على مماليكهم أي جاعلين لهم في أموالهم شركا حتى يكون المالكون
والمملوكون سواء في التبسط فيه والانفاق منه وحتى يشركوهم في نسائهم وامائهم أي
واذ كنتم لا ترضون بهذا من انفسكم في أملاككم فكيف تحكمون به في أملاكي وهم
خلقي وعبيدي فتجعلونهم لي شركاء وقوله تعالى أفبنعمة الله يجحدون أي اذا
أشركتم بي غيري فقد جحدتم نعمتي لان النعم كلها مني والعبادة والشكر والطاعة
لا تحق الا لي وقرأ عاصم تجحدون بتاء المخاطبة كما قال برادي رزقهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما نزلت في نصارى نجران حين قالوا ان عيسى ابن الله فقال
فهل أنتم تشركون عبيدكم معكم في أملاككم فاذا لم ترضوه لانفسكم
فكيف رضيتم به وقيل نزلت في قول المشركين في التلبية فانهم كانوا يقولون
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقوله تعالى والله جعل
لكم من انفسكم أزواجا وهذا ذكر نعمة أخرى أي امهن حواء خلقت من آدم وقيل
من انفسكم أي بشرا مثلكم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم ليتم لكم

التألف

190

التألف والسكون وقوله تعالى وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قال أبو عبد
الله وأبو الضحى وابراهيم وسعيد بن جبير أي أختانا وقال ابن عباس والحسن
ومجاهد وقتادة وطاوس أي خدما و[illegible] قوله بنين وحفدة هم واحد والخدمة
من البنين وقيل هم ولد الولد وهم النوافل وقيل هم الأعوان قال جميل شعر
حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الأجمال *
وأصل الحفد الاسراع في العمل ومنه البعير يحفد حفدانا ومنه قول الداعي في القنوت
واليك نسعى ونحفد وقوله ورزقكم من الطيبات أي الاطعمة المشتهاة وقيل
الحلالات أفبالباطل يؤمنون أي فيما جعل لهم الشيطان من تحريم بعض الطيبات في
الزرع والأنعام يؤمنون فيجعلونه دينا وهو باطل وبنعمة الله التي أنعم عليهم في احلالها
هم يكفرون وهذا منكر عجيب وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك
أي جمادا لا يملك لهم رزقا أي ترزيقا من السموات والأرض شيئا مفعول به لوقوع
فعل الرزق عليه أي لا يقدر ان يرزقهم من السماء مطرا ولا من الارض نباتا
وقوله تعالى ولا يستطيعون أي بأنفسهم والأول لا يملك أي لا يملكون للأمر
نفي السلطان والقدرة جميعا عنهم وقد يملك الانسان مالا فلا يعطي لكنه مستطيع
ان يعطي اذا أراد فيقول الاصنام لا ملك لها ولا قدرة بها ثم وحد يملك للفظ ما
وجمع يستطيعون لمعنى ما لانه أريد به الجمع وقوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال
أي لا تصفوا الله بالأشباه ان الله يعلم صواب الامثال وخطأها وأنتم لا تعلمون
ذلك وقيل لا تضربوا لله الامثال من الشياطين يحللون بحرمهم وتحليلهم
ان الله يعلم المصالح فيما حلل وحرم وأنتم لا تعلمون ذلك فحللوا وحرموا وقيل
ان الله يعلم وعيد أي يعلم ما تصنعون قولا وفعلا وعقدا فيجازيكم على ذلك
كله وقال التستري تعليق القلب بشخص او سبب معناه كعبادة الاصنام
من حيث انه تضييع الوقت فيما لا يعنيه وتمحق زمان فيما لا يجدي على صاحبه
بشيء ولا يغنيه ومن ضيع فيما لا يعنيه وقته استحق من الله في التحقيق مقته
وقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا روى ابن جريج عن عطاء عبدا مملوكا
هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم يعني أبي بن خلف الجمحي هل يستوي هو ومن
يأمر بالعدل يعني حمزة وعثمان بن مظعون وقيل عثمان بن عفان وقال

[illegible]

مقتل عبدًا مملوكا هو هشام بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي كان رجلًا قليل الخير
يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رزقناه منا رزقا حسنا يعني المؤمن
وقوله [illegible] ابكم هو ابو العيص [illegible] عبد شمس وهو كل على مولاه اي
ثقل على وليه وعيال عليه وقوله [illegible] الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شي وهذا مثل ضربه لنفسه وللاصنام ويقال هو مثل للمومن والكافر اما الاول
فقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون يقول ان من يعبد الوثن وشيا من دون الله
فانما يعبد عبدا من عباد الله تعالى وخلقا من خلقه لا يقدر لعابده على جزاء
ولا ثواب ومن يعبد الله فانما يعبد من يقدر على كل شي ومن بيده كل الرزق
حسن فهو يجزي به العابد له هذا معنى قول الحسن والتمثيل مطرد في كل
معبود من دون الله من جماد وذي روح لان الجميع خلق الله كالعبد للادنيين
ولا يملك بشي منه ما يملكه الله تعالى ولا يقوم بتدبير العالم في ازل انهم يقول
اذ كنتم معاشر عبادي لا تسوون بين المملوك منكم الفقير المعدم وبين
الحر الغني الموسر فكيف تسوون بيني وبين غيري في العبادة وانا الغني القادر
ومن دوني فقير عاجز واما الثاني فهو مثل للكافر الذي قد حرمه الله التوفيق
فهو لا يحصل منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب الطاعة فهو كالعبد المملوك
الذي لا يقدر على شي ينفق منه في باب مكرمة او قضاء حق ومثل المومن الموفق
للطاعات الذي يحصل منه من الخيرات والاعمال الصالحة من حيث يعلم الناس
ومن حيث لا يعلمون كمثل حر قد رزقه الله فاحسن له الرزق بان وسع
عليه الرزق فهو ينفق مما رزقه الله سرا وجهرا من حيث يعلم الناس ومن حيث
لا يعلمون والانفاق فذ يعبر به عن العمل وقد ذهب بعض المفسرين في قوله
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون اي تعملوا الطاعات ويقال لمن اكثر الكلام
امسك عليك نفقتك والسر والجهر مثلان للاعمال التي يجهر بها كالصلوات
المفروضة والاعلان بالشهادة لله بالتوحيد والاذكار التي امر الناس بالجهر
بها ومنها الحج والجهاد والاعمال تظهر للناس والسر النوافل التي يخلو بها المرء
في بيته وحيث لا يعلم به كدعاء السر وقوله تعالى الحمد لله اي المستحق للشكر والثنا
والمدح كله هو الله لان النعم في الدين والدنيا كلها به وقوله تعالى بل اكثرهم لا

لا يعلمون بل رد لما قالوه من استحقاق الاصنام العبادة والشكر انما الذي منهما النعام
عليهم فيستحق ذلك منهم واكثرهم لا علم عندهم انما هم مقلدون جهال لا استحسنوا
عبادة غير الله على غير بصيرة اتباعا للاباء وقوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم لا يقدر على شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي
هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم الابكم الاخرس والكل العيال ومولية
ابن عمه وقريبه وهذا المثل الثاني ضربه لنفسه وللاوثان كالوثن كالابكم
الذي لا يقدر على شي اي لا يقوم بامساك نفسه وتدبير امره فهو كل اي عيال على
مولاه اي على قريبه وابن عمه الذي يدبر امره او على من يتولى من الاجانب امره
ويقوم باسبابه اينما يوجهه موليه في امر يعرض او حاجة تقع او رسالة تودى
فانه لا ياتيه بخير لانه لا يعرب عن نفسه ولا ينطق فيترجم نطقه عما في ضميره
فالمستعين به خايب من نفعه لا يامر ولا ينهى ولا يفصح عن حق ولا باطل فكذا
الوثن انما يقوم بامره غيره فيحمل وينقل من موضع الى موضع ويصلح ما يتشعث
منه ويماط عنه ما تعلق به من قذي واذي وكلما يساله عابده ويدعوه او يرجوه
من عابده عبادته فانه لا يجده عنده لانه لا يعقل ولا يتكلم فهو كل على عابده
يتكلف مونته ولا يرجو امعونته وقال الكلبي احدهما ابكم لا يقدر
على شي مثل الوثن ومن يامر بالعدل هو الله سبحانه وتعالى يامر بشهادة
ان لا اله الا الله وهو على صراط مستقيم وفي قوله ومن يامر بالعدل فيه اثبات يعني بذلك على طريق مستقيم
جميع ما نفاه عن الاول فان قوله احدهما ابكم فيه نفي الكلام وفي الامر بالعدل فيه ما نفاه عن الاول
اثبات الكلام وقوله لا يقدر على شي والامر بالعدل قادر على كل شي وقوله
وهو كل على موليه والامر بالعدل غيره يكون كلا عليه وهو مونهم ويقضي حوايجهم
ولله غيب السموات والارض يحول ان يتصل بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقيل
ان المشركين كانوا ينكرون البعث ويقولون متى الساعة فاذا قيل لهم هو مكتوم
قالوا لو كان لكان له وقت معلوم فقال ولله غيب السموات والارض اي الله مالك
ما غاب عن العباد في السموات والارض ويملك اظهار ما غاب من ذلك كله فيملك اظهار
الساعة الا كلمح البصر اي لنظر البصر اي كانها تاتي بغتة في اسرع وقت كما قال

لا تاتيكم الا بغتة وقوله تعالى او هو اقرب ليس هذا للشك بل معناه مثلوها فابصاشيتم فهو صواب كما يقال جالس الحسن او ابن سيرين وقيل هو اشك المخاطب كونه في كونها على هذين الوجهين وقال ابن عباس او هو اقرب اي بل هو اقرب وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير هذا ظاهر وقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم ومن النعم التي عدها هذا وقوله تعالى لا تعلمون شيا فانا علمتكم وقوله هديناه النجدين وقيل هو الهداية الى الرضاع الثديين وقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون راجع الى هذا اي جعل لكم الات العلم والفهم وفي اثبات السمع واثبات النطق لان من لم يسمع لم يقدر على ان يتكلم نعول عليكم واعطاكم هذه الاعضا السليمة واودعها هذه المعاني ليكمكم شكره بما اعطيتكم وتعبدكم شرايعه لتشكروا الله على صنايعه وقال القشيري جعلت لكم السمع لتسمعوا خطابي والابصار لتبصروا بافعالي والافيدة لتعرفوا حتى ثم تشكروا عظيم انعامي بما انعم عليك من هذه الحواس وقوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما وهذا تنبيه على الاعتبار بما يرونه من الطير وهو جمع طاير مسخرات اي مذللات في الهوا المرتفع عن الارض واضاف الجو الى السما لان المراد ما ارتفع من الهوا الى جهة السما ما يمسكهن الا الله اي ما يمسك هذه الطيور الا الله بما اثبت لها من الاجنحة وسخرها للطيران ان في ذلك اي في تسخير الطير للطيران لايات لقوم يومنون لانها تدل على خالق خلقها لا يشبه خلقه وسخرها بقدرته فانها ما صارت كذلك بانفسها بل بمسخر سخرها وخص المومنين بها لانهم هم المنتفعون بالتفكر فيها وقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي من بيوت الحجر والمدر والخشب موضع سكنى في الحضر وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم وهي البساطيط والاخبية وقباب الادم والانطاع يخف عليكم حملها ونقلها في الاسفار وما دونها خارج القرى والامصار يوم ارتحالكم والظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم اقامتكم قراركم في منازلكم وقوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين

والله اخرجكم من بطون امهاتكم

اي وجعل لكم من اصواف الانعام واوبارها واشعارها اثاثا اي امتعة وثيابا تصلح للحضر والسفر منها ثياب تلبس ومنها ما تفرش ومنها ما تنصب كاخبية الشعر واللبد والاصواف للضان والاوبار للابل والاشعار للمعز ومتاعا الى حين اي يفعلون منها اثاثا تتمتعون به ايام الحياة والاثاث متاع البيت الكبير من قولهم شعرا اثيث اي كثير وان البيوتات اما اذا كثر والبعد وكذلك الشعر واحدة للاثاث وقوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا اي كالشجر ومما يستظل به وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو الستر اي ستورا من الامطار ونحوها وهي الكهوف تتوقى بها من المطر والحر والبرد وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر قال قتادة السربال القميص من القطن والصوف وقال الزجاج كلما لبسته فهو سربال وانما قال تقيكم الحر ولم يذكر البرد وان كان تقي البرد اعظم في المنة لان الذين خوطبوا بهذا اهل حر في بلادهم فحاجتهم الى ما يقي الحر الشديد اشد قال عطا ولا ذكر احدهما اما ذكر الاخر سما الناس كقول الشاعر

وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يليني

ذكر الخير وكنى عن اثنين وهما الخير والشر وقوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم اي دروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتال الكر والباس شدة الحرب كذلك يتم نعمته عليكم فلا يدع شيا مما بكم الحاجة اليه في دنياكم ودينكم الا اعطاكموه تاما يقع به الكفاية لعلكم تسلمون اي لتسلموا او تخلصوا لله وتجعلوا انفسكم سالمة له مسلمة اليه وقوله تعالى فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين اي فان اعرضوا عن تدبير ما عددت من النعم والايات وختمت ذلك بالدعا الى الاسلام بقولي تسلمون وعن قبوله والايمان بل فيما اتيتهم به فلا تبعة عليك في ذلك ولا لزوم لان الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت وقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون اي يعرفون بقلوبهم نعمت الله عليهم بك يا محمد ثم ينكرونها بالسنتهم فيجحدون نبوتك واكثر هولا المشركون هم الكافرون النعمة التي ناوها بك وهو وصف للعابدين منهم كما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقال يعرفونه كما يعرفون ابناهم

دا لكتان

وقال الحسن واكثرهم الكافرون اي وجميعهم وهم كقوله فلا يؤمنون
الا قليلا اي فلا يؤمنون شيا وهو كقول العرب هذه ارض قلّما تنبت الّا
اي لا تنبت شيا وقيل بل هو على حقيقته لانه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة
به ممن سلغ حد التكليف وقال بعض المفسرين يعرفون نعمة الله محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل هي جميع ما سبق تقديره في هذه السورة وانكارهم هذه
النعمة مثل ما حكي ان بعضهم ذكر هذه النعم فقال ورثتها اباي اي الانعام
والابيات وكان بعضهم يقول لولا ها شفاعة الهتنا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما يعرفون نعمة الله هو قولهم حين سالهم من خلقهم ومن نزل
من السما ماء قالوا الله ثم ينكرونها بقولهم للاصنام هولاء شفعاؤنا عند الله
وقال عون بن عبد الله يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها هو قول الرجل
لولا فلان ما اصبت كذا وقوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا
ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون اي واذكر يا محمد يوم نبعث
من كل امة شهيدا وهو النبي ليشهد على ان الامة بما كان من اجابة من اجاب
ورد من رد ومعنى الشهادة مع ان الله تعالى عالم بجميع ذلك ان هذا
القول في النفوس وانوفى الفضيحة واردع اذا تاملها الخوف بها وقيل
اتصالها بما قبلها يعرفون نعمة الله ثم ينكرون ذلك ايضا وقيل بما
قبلها هو موصول بقوله يعرفون اي يعترفون بذلك يوم القيمة وقوله
تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار عما كان منهم في الدنيا من الانكار
كما قال فلا يؤذن لهم فيعتذرون ومعنى لا يؤذن لهم اي لا يسمع عذرهم
ولا يقبل وقيل لا يؤذن لهم اي يحجبون عن ربهم كما قال كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ومجاز قولهم اذن السلطان لفلان وخرج له في الاذن
اي بالدخول عليه ولقائه وقوله تعالى ولا هم يستعتبون اي لا يؤمنون
بالكف عن معصية كانوا يرتكبونها لانه ليس بيوم تكليف واستعتاب في الدنيا
كذلك فانه يقال استال فلان فلان يعتب عليه اي اظهرت الموجدة بعاتبته بذلك
اي ذكرته به واستعتبته اي سالته وطلبت منه ان يمتنع عن ذلك ليرضيني

فاعيدني

193

فاعيدني اي ارضاني بترك ذلك والعود الى ما احبه وقوله تعالى واذا
راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ظلموا اي اشركوا
ووضعوا المعبادة في غير موضعها وصروا بذلك انفسهم ونقصوها حظها
وراوا العذاب الذي اعد لهم في الاخرة وذلك اذا دخلوا جهنم فلا يهون عليهم
ولا هم يمهلون للايمان وقيل لا يخفف عنهم ساعة فيستريحوا ولا يمهلون للدخول
اذا انتهوا اليها واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اذا راوا اصنامهم التي
اشركوها في عبادتهم اياها مع الله وقد حشرت معهم ليوبخوا بها قالوا ربنا
اي يا ربنا هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي هم اضلونا فافعل بهم
كذا فالقوا اليهم القول اي فقال الشركاء جوابهم انكم لكاذبون في قولكم انها الهة
وفي اضافتكم الاضلال الينا والقوا الى الله يومئذ السلم اي واستسلم هولاء المشركون
لحكم الله وذلوا وسقط تكبرهم وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم شفعاؤنا
بطل ذلك القول فلا شفاعة ولا نصرة وقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله هم كبراء المشركين كفروا نعمة الله وصدوا الناس بالتمويه عن دين الله
زدناهم عذابا فوق العذاب اي ضاعفنا لهم العذاب بما كانوا يفسدون الناس بالصد
عن سبيل الله فلهم عذاب ضلالهم وعذاب اضلالهم الناس فقال ابن عباس رضي الله
عنهما زدناهم عذابا فوق العذاب خمسة انهار من صفر مذاب يسيل من تحت العرش يعذبون
ثلثة منها على مقدار الليل في الدنيا وباثنين منها على مقدار النهار وقال سعيد بن
جبير يزادون حيات وعقارب مثل البغال تلسع احدهم اللسعة فيجد صاحبها حموها اربعين
خريفا وقيل هو الجرب   تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
اي نبيهم وجينا بك شهيدا على هولاء تخصيص بعد التعميم كما قال واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح   تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي اي
مما هم فيه الآن ومما يؤول اليه امرهم في الاخرة وكتبنا لهم ذلك كله واودعناه كل
ما يحتاجون من امور الدين والدنيا وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين اي دلالة الى
الحق ورحمة لهم حتى لا يهلكوا وبشارة بالجنة لمن اسلم   تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية هو متصل بقوله تبيانا لكل شي وقد بين ذلك

في هذه الاية فانه امر بثلاثة اشيا هي جامعة جميع ما امر الله به في القران ونهي عن ثلثه
اشيا هي جامعه جميع ما نهي الله عنه في القران ولذلك يقرا كل خطيب على المنبر في اخر كل خطبة
هذه الايه لاتيانها على كل مامور ومنهي لتكون عظة جامعة للناس كلهم وعن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قال اجمع اية في القران وعن علي رضي الله عنه قال جماع
التقوي في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الايه وقال
عثمان بن مظعون كنت اسلمت استحيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثرة ما كان
يعرض على الاسلام ولم يقر الاسلام في قلبي فكنت ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالسا اتامله فشخص بصره نحو السما وراييه كانه يتفهم شيا فلما سري سالته
عن حاله فقال نعم بينا انا احدثك رايت في الهوا جبريل فاتاني بهذه الايه وقرا
علي فقر الاسلام في قلبي فاتيت عمه ابا طالب فاخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا
ترشدوا فانه لا يامر الا بمكارم الاخلاق فان كان ابن اخي صادقا او كاذبا فان الله
لا يامره الا بخير فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقوله ففرح بذلك
فقال يا عمي تامر الناس باتباعي ولا تتبعني فابي فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت
فاتيت الوليد بن المغيرة وقرات عليه الايه فقال ان كان محمد اقاله فنعم ما قال وان
قال ربه فنعم ما قال فانزل الله افرايت الذي تولى الايات وقوله ان الله يامر
بالعدل اي بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك التظالم وايصال كل ذي حق الى حقه
والاحسان الى من اسا اليكم وقيل هو التفضل الزايد على العدل وايتاء ذي القربى
اي اعطا ذي القرابة وهو صلة الرحم وبر الاقارب وينهى عن الفحشا عن الذنوب
المفرطة القبح والمنكر هو ما تنكره العقول السليمه ولا يعرف في سنة ولا في عقل وقيل
الفاحشة ما يعظم قبحه مما يفعله الانسان في نفسه ولا يظهره للناس مما يجب
عليهم انكاره والبغي اي ونهي عن الاستطالة على الناس بفضل القوة وحقيقته طلب
ما ليس له طلبه ولا يكون البغي الا من الفاعل فاما الظلم فقد يكون في نفسه وقوله
تعالى يعظكم لعلكم تذكرون اي يحذركم مكروه العواقب في مخالفة امره ونهيه لعلكم
تذكرون اي تشكروا بعقوبتكم فتتعظوا بمواعظ الله وقيل ان الله يامر بالعدل فيما بينكم وبين
ربكم اولا وليس من العدل ان تعدل بالشكر عن المنعم ولا ان يشرك في الشكر غير المنعم

وهذا

وهذا يوجب ترك عبادة الاوثان فالتوحيد عدل لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان
الشرك لظلم عظيم وقيل ان الاحسان ان ياتي بما امر به من الاعمال حسنا على التمام وقيل الاحسان
اشارة الى الاخلاص فاما ما روي في تفسيرها عن السلف فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيه وعنه في رواية العدل التوحيد
والاحسان ادا الفرايض وقال علي رضي الله عنه العدل الانصاف والاحسان التفضل
يعني المروة وقال مقاتل العدل التوحيد والاحسان العفو عن الناس وقال عطا
عن ابن عباس العدل الادا والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقيل العدل في الافعال
والاحسان في الاقوال كما قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقيل العدل في الافعال والاقوال والاحسان
ان تحب للناس ما تحب لنفسك وقال ابو بكر الوراق العدل ان تنصف وتنتصف والاحسان
ان تنصف ولا تنتصف وقال سفين بن عيينه الفحشا مخالفة القول الفعل والمنكر
الشرك والبغي التكبر وعنه في رواية العدل استوا السريرة والعلانيه والاحسان ان تكون
السريرة احسن من العلانيه والفحشا والمنكر ان تكون العلانيه احسن من السريرة وقال
القشيري رحمه الله امر العبد بالعدل فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه
وبين الخلق فالذي بينه وبين نفسه منعها مما فيه هلاكها قال تعالى ونهى النفس
عن الهوى والعدل الذي بينه وبين ربه ايثار حق الله على حق نفسه وتقديم رضاه على هواها
والتجرد عن جميع المزاجر والتقرب بجميع الاوامر والعدل بينه وبين الخلق بذل النصيحه
وترك الخيانه فيما قل وكثر والانصاف لهم بكل وجه وان لا يسي الى احد لا بالقول ولا بالفعل
ولا بالعرف ونصيب العوام منه بذل الانصاف وكف الاذى ونصيب الخواص بذل الانصاف
وترك الانتصاف واسدا الانعام وترك الانتقام وكف الاذى والصبر على ما يصيبك منهم
من البلوي فاما الاحسان فيكون بمعنى العلم قال علي رضي الله عنه قيمة كل امري
ما يحسنه والعلم بحدوث نفسه وقدم محدثه بصفات جلاله ثم العلوم الدينيه
على حسب مراتبها واما الاحسان في الفعل والحسن في افعالنا ما امر الله به واذن لنا فيه
وحكم بمدح فاعله وجعل في كل فعل حسنه والاحسان ايضا ان تقوم بكل حق واجب عليك
حتى لو كان طير في ملكك لا تقصر في تعهده وقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
اي اتموا العمل على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله بالايمان التي تحلفون بها ولا تنقضوا

الايمان اي لا تنكثوها بالحنث بعد توكيدها اي بعد احكام عقدها على انفسكم وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا فان من حلف بالله ليفعلن كذا او لا يفعل كذا فقد منع نفسه عن الخلاف بذكر الله تعالى
مهابة ان يهتكه فكانه جعل تغليظه ذلك بمنزلة كفيلا اقامه على نفسه بالزامه البر فيه
كالذي اقام على نفسه كفيلا يطالبه باداء ما عليه فاذا لم يود ما عليه فقد استحق بكفيله
فكذا من ترك البر وحنث في يمينه فقد استهان باسماء الله تعالى ان الله يعلم ما تفعلون
من البر والحنث فيجازيكم به وقوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
جمع نكث وهو ما نقض من الغزل والنكث بالفتح مصدر وهما كالنقض والنقض والقطف والعطف
والذبح اي ولا تنقضوا ما عاهدتم الله عليه فيكون مثلكم كمثل امراة تبرم غزلها حتى اذا عادت
عليه نقضته وهذا قبيح لا يخفى عليه قبحه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في امراة
حمقا من قريش يقال لها رايطة وقال مقاتل ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد بن مناة
بن تميم وكانت تقلب بخرقه وكانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع وفلكة على قدرها وكانت
لها جواري يامرهن من الغداة الى نصف النهار بغزل الصوف فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض
ما غزلن وهذا كان دابها فضرب الله بها مثل ناقض العهد وقوله تعالى تتخذون ايمانكم
دخلا بينكم الدخل ما دخل على الشي للفساد والمعنى تدخلون في الايمان الغدر وهو افساد
من بينكم الغدر ممن حلفتم لهم وقيل الدخل الدغل والخديعة وقيل الغل والغش وقيل
هو ان يكون داخل القلب على الفساد والظاهر على الوفا وقيل معناه ان تحلفوا غير معتقدين بالوفا
لما حلفتم وقوله تعالى ان تكون امة هي اربى من امة اخبر بالسبب الذي يفعلون هذا لاجله
فقال ان تكون امة هي اربى من امة اي من اجل ان طايفة من الناس يكونون اكثر عددا من طايفة
اخرى ويكونون اكثر اموالا وازيد اسبابا في القوة والمال فتنقضون ايمانكم اذا رايتم الكثرة
والسعة في الدنيا في اعدائكم من المشركين وهذا لمن دخل في الاسلام وتابع اهله ليستعين
بهم ويتسع في اسباب الدنيا ويظفر على اعدايه فاذا لم يحصل ذلك عاد الى نقض العهد وارتد
الى الكفار لما يرى من كثرة عددهم واموالهم فمنهم من يكون دخولهم في الاسلام على هذا القصد
فيكونوا قد اتخذوا الاسلام منهم خديعة للمسلمين لا اخلاصا في الدين وقوله تعالى انما يبلوكم الله به
اي يجري احوال المومنين في بعض الاوقات على الضعف والقلة والنقصان ليختبرهم اي يعاملهم
معاملة المختبر ليظهر صبرهم ويجازيهم عليه احسن الجزا وهو لا محالة ينصرهم ويظفرهم

بعدوهم

بعدوهم ويطيب لهم عيشهم وله ذلك في عباده وقوله تعالى وليبينن لكم يوم
القيمة ما كنتم فيه تختلفون اي ليميزن المحق من المبطل يوم القيمة فيثيب المحق ويعاقب
المبطل وهذا وعد لهم على حفظ العهد واليمين وعلى الصبر على الشدة وعلى الثبات على الدين
قال القشيري رحمه الله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم لكل قوم عهد مخصوص عاهدوا
الله عليه وهم مطالبون بالوفا بعهده فالزاهد عاهده ان لا يرجع الى الدنيا فاذا رجع
الى ما تركه منها فقد نقضه ولم يف به والعابد عاهده في ترك الهوى والمريد عاهده
في ترك العادة والعارف عاهده في التجرد له وانكار ما سواه والمحب عاهده في القول
بترك نفسه معه بكل وجه فكل منهم مامور بالوفا بعهده منهي عن نقضه ومن نقض
عهده فقد هدم بفعله ما اسسه وقلع بيده ما غرسه وكان كما قال ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وان السالك اذا وقعت له فترة والمريد اذا حصلت
له في الطريق وقفة والعارف اذا وقعت له حجبة والمحب اذا استقبلته فرقة فهي محن عظيمة
ومصايب فجيعة وقوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة اي ملة واحدة وهي الاسلام
ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا من علم منه اختيار الضلال اضله ومن علم منه اختيار
الهداية هداه وقوله تعالى ولتسالن عما كنتم تعملون يوم القيمة فتجزون به وقال
القشيري لو شا الله سعادتهم لرحمهم وعن المعاصي عصمهم ودوام ذكره الهمهم
ولكن سبقت القسمة فجاءت القسوة والغيبة وما احسن ما قالوا احكي اليك ما وجد . من حاله
فيك الحياه حيران لو شيت اهتدى . ظمان لو شيت ورد . وقوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم اي لا تعقدوا الايمان بالانطوا على الخديعة والفساد فتزل قدم بعد ثبوتها
مجاز عن الصيرورة من الامن الى الخوف ومن الرشد الى الغي ومن الصواب الى الخطا ومن الحق
الى الباطل وتذوقوا السوء بما لكم في الدنيا من السوء على ايدي المومنين بما صددتم
عن سبيل الله اي اعرضتم عنه من الصدود وصدكم غيركم من الصد ولكم عذاب
عظيم في الاخرة مع ما نالكم من السوء في الدنيا وقوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا ولا تستبدلوا بنقض العهد واليمين عوضا يسيرا وهو عوض الدنيا فانه يسير خسيس
فان والثواب بحفظ العهد واليمين باق وهو قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون
تنتفعون بالعلم وقوله تعالى ما عندكم ينفد اي ينفد وما عند الله باق لا يفنى ولا ينقص

العهد واليمين طمعا في المال الذي عندكم وهو مما يفنى فيفوتكم الثواب الذي عند الله هو باق
وقوله تعالى ولنجزين الذين صبروا على حفظ العهد واليمين وتحمل المشقة والفاقة اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا وهو ما عملوه في حال
اسلامهم واذا جزاهم بها الجنة فلا شك انه قد غفر لهم ما كان منهم من الشرك ومن
الذنوب في الاسلام وقيل نزلت الاية في عيدان بن الاسوع الحضرمي وامرء القيس الكندي
وقد ذكرنا ذلك في سورة ال عمران وقال القشيري رحمه الله ما كان عندكم او مستكم
او بكم فانما له معلول واخر الامر حوله وما عند الله فثواب مقيم ونعيم عظيم ما منكم من معارفكم
ومحابكم اثار متعاقبة وصفات متناوبة اعيانها غير باقية وان كانت احكامها غير باطلة
والذي هو وصف الحق من رحمته بكم ومحبته لكم وشاوه عليكم فصفات ازلية ونعوت سرمدية
وقال في قوله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم جزاء الصبر الفوز بالطلبة والظفر
بالبغية والطلبات مختلفة وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه
حيوة طيبة يتصل بقوله ان تكون امة هي اربى من امة يعتبهم على ان التوسع في الدنيا الذي يحصل
به في الحقيقة طيب عيش الا للمومنين ليلا يعوهم الطمع في المال الذي نقض العهد ثم العمل
الصالح لا يكون من غير المومن وانما زاد قوله وهو مومن بيانا ان معناه من عمل صالحا
في الحال وهو مومن في المال لان اعتبار صفا الحال بوفا المال والامور بخواتيمها وقال
القشيري رحمه الله وهو مومن اي مصدق ان عمله الصالح بتوفيق الله وقيل اي مصدق بان نجاته
من فضل الله لا بعمله وقوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة اي فلنطيبن عيشه وذلك بوجوه قد
يكون بالقناعة وقال الحسن قد يكون بفتح بلاد الكفر وتوسعهم بالغنايم وقد يكون بتعريفه
وجوه طيب الكسب واكتسابه من ذلك الوجه خلاف كسب المشركين الحرام وهذا معنى قول ابن
عباس رضي الله عنهما وقيل هو ان يعمل بطاعة الله فتكون حيوته طيبة في الحقيقة لانها تودي به
الى رضوان الله بخلاف عيش الكافر وقال القشيري رحمه الله الطيب لا يعرف بالنطق
بل بالذوق وقوم قالوه هو حلاوة الطاعة وقوم قالوه هو صدق القناعة وقال قوم هو الرضى
وقال اخرون هو لذاذة النجوى وقيل هو نسيم والكل صحيح ولكل واحد اهل وقيل الحيوة
الطيبة ما يكون مع المحبوب وفي معناه انشدوا شعر نحن في اكمل السرور ولكن ليس الا
بكم السرور ٭ عيب ما نحن فيه يا اهل ودي ٭ انكم غيب ونحن حضور ٭ وقيل الحيوة الطيبة

للاوليا

للاوليا ان لا يكون لهم سوال الا الحق ولا ما سوا الا الصدق واما الخواص فالحيوة الطيبة لهم ان لا
يكون لهم سوال ولا مطالبة وكم بين من له مراد فيرتفع وبين من لا ارادة له الاولون قايمون
بشروط العبودية والاخرون معتقدون بشرط الحرية وقوله تعالى ولنجزينهم جمع بعد التوحيد
صرفا الى المعنى لانه جنس اجرهم باحسن ما كانوا يعملون قد فسرناه الان وليس تكرارا لان الاول
في حق الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا عهودهم وهذا في قوله من عمل صالحا
وقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وانتظامها بالاولى انه
قال باحسن ما كانوا يعملون وهو العمل بما في احسن الحديث وهو القران وقيل هو متصل بقوله
ونزلنا عليك القران تبيانا لكل شي ومعنى قوله فاذا قرات القران اي فاذا اردت قراة القران
كما في قوله اذا قمتم الى الصلاة اي اذا اردتم القيام اليها وقال اذا طلقتم النسا اي اذا
اذا اردتم تطليق النسا فاستعذ بالله اي فامتنع به واعتصم وقد فسرنا العياذ والشيطان
والرجيم في اول الكتاب انه ليس له سلطان على الذين امنوا اصدقوا الله في وعده ووعيده وعلى ربهم
يتوكلون في دفع وساوس الشيطان وتفويض الامور كلها الى الله والتبري عن الشرك انما
سلطانه على الذين يتولونه انما نفاذ وسوسته وتنفذ دعوته الى الضلال الذين يتبعون
الشيطان فيجعلونه عمدة لهم ويرجون دعوته ويتوقعون كفايته ويتقطعون اليه
والذين هم به مشركون اي بسبب الشيطان مشركون بالله والها على هذا راجع الى الشيطان
وهو قول الربيع وقال الضحاك به مشركون اي بالله مشركون وقال تعالى وما كان له
عليهم من سلطان ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال الشيطان وما كان لي عليكم من
سلطان وفي جملتنا انه يتسلط على من اقبل اليه مامن ادبر عنه وقال القشيري رحمه
الله شيطان كل احد ما يشغله عن ربه فمن تسلط عليه نفسه حتى يشغله عن ربه ولو بشهود
طاعته او استحلا طاعته او ملاحظة حاله فذلك شيطانه والواجب عليه ان يستعيذ
من شر نفسه ومن شر كل ذي شر وقوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية اي بدلنا
اية ناسخة باية منسوخة والله اعلم بما ينزل هو اعتراض الكلام قبل التمام وهو من
محاسن الكلام والله بمصالح العباد وبما ينزل الناسخ والمنسوخ كلاهما من الله وقيل لا يعلمون
حسن النسخ وجوازه وما فيه من الحكمة والمصلحة وقوله تعالى قل نزله روح القدس من
ربك ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين اي قل لهم يا محمد انما انزل القران كله

ناسخه ومنسوخه روح القدس وهو جبريل عليه السلام من ربك اي من عند الله بالحق
اي بالصواب ليثبت الذين امنوا اي ليثبت به الذين امنوا بالله فيصدقوا بالناسخ كتصديقهم
ويعتقدون ان الكل حق في وقته فيوفقهم الله للثبات على الايمان وليكون ما ينزله
هدى للمومنين الى طريق الحق وبشارة بالجنة اذا عملوا بالطاعة في الحالين وقوله
تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يقول الله تعالى لا يخفى علينا قولهم انما
يعلم محمدا هذا المتلو بشر قيل ارادوا به جبرا وقيل يسارا وكانا غلامين لابن الحضرمي يهوديين
قال ابو روق عن الضحاك نزلت في عبيد لاهل مكة منهم يعيش وسلمان وجبر ويسار
وقال السدي كان بمكة نصراني يقال له ابو ميسرة يتكلم بالرومية فربما يقعد
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة يسمى بلعام وروي مجاهد عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة يقال له بلعام وكان اعجمي
اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين
يخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فانزل الله هذه الاية وقوله تعالى لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي اي الذي يميلون اليه القران ليس بعربي وهذا لسان عربي مبين
وهذا القران منظوم بالعربية وقوله تعالى ان الذين لا يومنون بايات الله
اي بالقران لا يهديهم الله ما داموا مختارين للكفر ولهم عذاب عظيم على تركهم في الاخرة
وقوله تعالى انما يفتري الكذب اي على الله الذين لا يومنون بايات الله اي الكافرون
يعني ان المستحق لاسم المفتري هم لا انت واولئك هم الكاذبون كذلك وقوله تعالى
من كفر بالله من بعد ايمانه قيل هو متصل بقوله اولئك هم الكاذبون والصحيح انه مبتدا ومعناه
الذين كفروا بالله بعد ايمانهم ومن ههنا الجمع لانه جنس يصلح للجمع الا من اكره وهو استثنا
منهم يعني الا من اجبر على الكفر وقلبه مطمين بالايمان اي ساكن به معتقد له فانه ليس في حكمهم
وتقدير الاية على التقديم والتاخير الكافرون بالله بعد ايمانهم به الشارحون لقبول الكفر واعتقاده
صدرا عليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم الا من اكره على الكفر فانه لا يستحق غضب الله والعذاب
العظيم وقيل هو ابتدا ان لهما جواب واحد احدهما من كفر بالله من بعد ايمانه والثاني ولكن من
شرح بالكفر صدرا وجوابهما فعليهم وهو كقوله ولولا رجال مومنون لو تزيلوا وقوله لعذبنا
جوابهما وقيل نزلت الاية في عمار بن ياسر خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مع

مع جماعة فاخذهم كفار مكة وقالوا انكم تريدون محمدا وعذبوهم واكرهوهم على الكفر
فصبر بعضهم حتى قتل وتكلم عمار بما اكره عليه وقلبه مطمين بالايمان فخلوا عنه فلما قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبره بذلك فنزلت الاية وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان عاد فعد
وقيل في قوله ومع من يدع مع الله الها اخر لا برهان له به هو ان يكره عليه فهو عذره وبرهانه
وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاعة وابي جندل بن سهيل بن عمرو
والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي وهم المستضعفون
بمكة وهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت لاجلهم في الفجر اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفيهم نزل بعد هذا ثم جاهدوا وصبروا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم ففتن الكفار عن دينهم فابوا وصبروا فانجى الله عليهم وقوله
تعالى ذلك بانهم اي الغضب والعذاب بانهم استحبوا اي اثروا الحياة الدنيا على الاخرة
وان الله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا مختارين للكفر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
فلا يتدبرون ولا يتفكرون وهذا عقوبة لهم على اصرارهم وخذلان لهم لميلهم الى الكفر وعلى
سمعهم فلا تصغي الى المواعظ وعلى ابصارهم فلا تنظر الى الرشاد ولا تعتبر بما تشاهد من عجايب
الخليقة واولئك هم الغافلون اي المتغافلون عن ايات الله كانهم لم ياتهم شي من هذا
وقوله تعالى لا جرم اي حقا انهم في الاخرة هم الخاسرون او كلمة لا نفي لقولهم
وجرم بمعنى كسب فعلهم لهم خسران الاخرة خسروا انفسهم اي اهلكوها وباعوها بعرض الدنيا
فتنوها وقوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من مكة الى المدينة من بعد ما فتنوا اي
عذبوا بمكة واكرهوا على الكفر ثم جاهدوا المشركين بعد الهجرة وصبروا على الجهاد ان ربك
اعاد كلمة ان بعد ما ذكر ما مره لطول الكلام من بعدها اي من بعد هذه الفعلة اي بعد هذه
الافعال لغفور رحيم غفر لهم ما كان منهم في حالة التقية من التكلم بكلمة الكفر رحيم لا يعذبهم
على ما قالوه حالة الاكراه وقوله تعالى يوم تاتي كل نفس قيل معناه اي اذكر يوم تاتي
وقيل معناه اي احذروا يوم تاتي وقيل لغفور رحيم لهم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
اي تحتج وتخاصم عن نفسها فيما كانت تعتقده من دين كما قال ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا
الاية وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقول تجادل ولا ينفع الكافر جداله وقوله تعالى وتوفى
كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اي بل يتم لها جزا ما كسبت وهم لا يعاقبون بغير ذنب

وقيل معنى قوله تجادل عن نفسها اي لا تتفرغ للجدال مع غيرها ولا الشفاعة له وتوفى كل نفس ما كسبت
من خير وشر وهم لا ينقصون من جزائهم شيا وفي تفسير ابي القاسم بن حبيب ان احدى
النفسين في هذه الاية الروح قال ان النفس والروح يحوان بين يدي الله تعالى فيختصمان
فتقول النفس للروح كنت كالثوب الملقى ما لم تدخل في لم اقترف ذنبا وتقول الروح للنفس كنت
مخلوقة قبلك بدهور لم ادر ما الذنب الى ان دخلت فيك فتورك كل منهما على صاحبها فيمثل الله
لهما اعمى ومقعدا او لو ما على جداره عنب والناس ينظرون اليه فيقولون طوبى لهما امرانا فنقطف
من هذا العنب فيقول الاعمى انا لا ابصره ويقول المقعد لا رجل لي فامشي اليه فيقول الاعمى للمقعد
اركب على عاتقي فيحمله الاعمى حتى يقطف المقعد العنب فيقول الله لهما هذا مثلكما فكما صار العنب مقطوفا
بكما جميعا فكذلك الذنب صار موجودا منكما جميعا وقد روي معنى هذا في الخبر **وقوله** تعالى وضرب
الله مثلا قرية لما عذب اهل مكة المسلمين واكرهوهم على الكفر على ما ذكرنا دعا النبي صلى الله
عليه وسلم في قنوت الفجر عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر وخذهم بسنين كسني
يوسف فابتلاهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد
ثم يوكل فذكر الله ذلك فقال وضرب الله مثلا اي بين الله شبها بمكة واهلها قرية
بدل عن مثلا اي وصف وبين قرية وهي مكة كانت امنة لا يخاف اهلها مطمئنة ساكنة
لا يحتاجون الى الانتقال عنها ياتيها رزقها رغدا من كل مكان اي يحمل اليها الاطعمة والثمار
من كل مكان من البلاد فكفرت بانعم الله اي كفر اهلها بنعم الله قيل الانعم جمع نعم
بالضم كالبوس والابوس وقيل جمع نعمة كالاشد جمع شدة وقيل جمع النعما كالابوس
جمع الباسا فازال الله عنهم النعم بالكفران فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون اي ابتلاهم الله بالجوع والخوف بصنعهم والذوق مجاز عن الاصابة كما قيل قال
الله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وقال فذاقت وبال امرها وقال ليذوق
وبال امره وقال انكم لذائقوا العذاب الاليم وقال الشاعر • وان الله ذاق
حلوم قيس • فلما راى خفتها قلاها • وهو في معنى وجد ويقال قد ذقت حلوا وذقت
مرا وذقت وكان الحسن يذهب بالاذاقة الى التقديم ببعض العذاب قبل الاستيصال
كما قال ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وكذلك ذوق العذاب
الطاعم واما اللباس فعلى مجاز قولهم البسك الله العافية وقد يستعمل في الاختلاط كما قال

النابغة

النابغة الجعدي • لبست اناسا فافنيتهم • وافنيت بعد اناس اناسا • وعلى هذا
قوله هن لباس لكم وانتم لباس لهن • وقيل معنى اللباس في الجوع انه ظهر عليهم
من الهزال وتغير اللون وسوء الحال ما هو كاللباس في حق الخوف كذلك ويحتمل ان يكون اللباس
ههنا مصدرا في معنى الملابسة اي اذاقها الله ملابسة الجوع والخوف **وقوله** تعالى
ولقد جاءهم رسول منهم وهو من اجل النعم لانهم قد عرفوا مولده ومنشاه وهديه وامانته
فيكون اقرب لهم الى تصديقه والاهتداء به فلم يعرفوا حق هذه النعمة فكذبوه فاخذهم
العذاب في الدنيا وهم ظالمون انفسهم جانون عليها وقيل في ضرب المثل بمكة عبرة
لاهلها لغيرها من البلاد التي سلك اهلها طريقتهم في الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لما لقي اهل مكة نعم الله بالكفر امتحنوا بالجوع والخوف مع محلهم من مجاورة بيت الله
وعمارة مسجده وغير ذلك فغيرهم ممن لا حرمة لهم كحرمة اهل مكة اولى بذلك **وقوله**
تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قيل فكلوا معاشر المشركين من غير اهل مكة مما رزقكم
الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون وذلك انهم مع عبادة الاصنام
كانوا يدعون انهم يعبدون الله تعالى فقيل ان كان كما تدعون فلا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم بجعل بعض رزقكم واموالكم لاصنامكم لانه مما لم يشرعه الله تعالى والزموا ما شرعه
الله تعالى دون ما شرعه الشيطان وقيل اي فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا على ما يؤديه
محمد صلى الله عليه وسلم وجاء الى اهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد ان
وصف انه اذاقهم الجوع فكلوا مما رزقكم الله على يدي محمد حلالا طيبا بدلا عما كنتم تاكلونه
محرما خبيثا من الاموال الماخوذة بالغارات والمغصوب وساير المكسوب **وقوله** تعالى
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم فسرناها في سورة البقرة وسورة المائدة اخبر ان المحرم هذه الاشياء دون ما حرموه
وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم قرا ابن عباس تصف
السنتكم الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء جمع كذوب نعتا للالسنة وقراءة العامة
بالنصب لوقوع الوصف عليه وقرئ الكذب بخفض الباء بدلا عن قوله لما تصف يقول لا تصفوا
بعض الانعام بانه حلال وبعضها بانه حرام كذبا على الله فان الكذوب على الله لا يفوز ابدا وما اشربه

من النعم فقليل متاعه في الدنيا ويعقبه في الآخرة عذاب وجيع وقوله تعالى وعلى الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات وكمال ههنا وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بكفران النعم وقوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا
من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم اي اعرفك يا محمد بعد بيان
حكم المشركين ان لكل من عمل ذنبا بكونه جاهلا ثم تاب عنه وندم عليه وعزم على ان لا
يعود اليه واصلح العمل في المستانف وقوله من بعد ذلك اي من بعد العمل وما قال في الآية
المتقدمة وفي هذه الآية ايضا من بعدها اي بعد الجهالة وقيل بعد الغفلة
فاني غفور له استر ما مضى من معاصيه وارحمه ولا اعذبه اي فتوبوا ايها المشركون
المفترون توبتكم ويغفر لكم وان ربك اعيد لطول الكلام ووقع الفصل وقال مقاتل
نزلت الآية في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر ثم ندم وتاب
وقال مجاهد نزلت في اناس ارتدوا عن الاسلام ثم تابوا وامنوا فقبل توبتهم
وايمانهم وقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا امر بالشكر في الآية الاولى ومدح ابرهيم
بالشكر في هذه الآية وبطر اخر ان الله رغب المشركين في اتباع ابرهيم الذي به فخرهم وبيت الله
الذي بناه عزهم فقال ان ابرهيم كان امة اي اماما يقتدي به وقيل اي كان بنفسه
وحده ياتي بالخيرات التي تكون من امة تامة قانتا لله اي مطيعا مواظبا على طاعته حنيفا
عادلا عن الباطل مستقيما على منهاج الحق ولم يكن من المشركين لم يكن دينه ما تدينون به
ايها المشركون شاكرا لانعمه باخلاص العبادة له اجتباه اي اختاره واخصه لنفسه واصطفيه
وهديه الى صراط مستقيم ارشده الى الطريق الحق المفضي الى الجنة وآتيناه في الدنيا حسنة قال
الحسن اي النبوة وقال مقاتل بن حيان اي الصلاة عليه على لسان هذه الامة
في صلواتهم وقيل الخلة وقيل هو ان جعل محمدا صلى الله عليه وسلم من ذريته وعلى ملته
وقال قتادة ليس من اهل دين الا هو يتولاه ويرضاه مقتداه وقيل هي اسم جامع
لكل حالة جميلة فينا ولكل خصلة المذكورة في النصوص وقال الشيبري رحمه الله
وآتيناه في الدنيا حسنة حتى كان لنا بالكلية ولم يكن لغيرنا بقية وقوله تعالى وانه
في الآخرة لمن الصالحين اي في عداد من ياتي وقد اتقي عنه وعن اعماله الفساد فاستحق كل
منزلة رفيعة ومنزلة ودرجة عالية وقد فسرناه في سورة البقرة باتم من هذا وقيل

سماه

سماه امة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في كثرة المكذبين به من قومه اذ كان ابرهيم
امة وحده في الايمان لم يكن معه غيره ثم كثر الله ذريته فكان منهم الانبيا الى قيام الساعة
وكذا يفعل الله بك في تكثير امتك ونشر دعوتك وقوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين مدحه بخمسة اشيا سماه امة قانتا حنيفا غير مشرك
شاكرا واكرمه بخمس كرامات اجتبيه وهداه وآتيه حسنة الدنيا وكرامة الآخرة وامر
محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع ملته ثم الامر بالاتباع لا يدل على انه دون ابرهيم في الفضيلة
بل هو صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وانما امر باتباع ابرهيم في هذه الآية وباتباع
كل الانبيا المتقدمين في قوله فبهديهم اقتده لانهم سبقوه والاتباع هو سلوك سبيل
المتبوع فكان اتباعه لهم لمجيئه بعدهم لا لكونه دونهم وقوله تعالى انما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه ونظمها بالاولى ان الله تعالى امر محمدا باتباع ابرهيم وامر امته بذلك
ايضا بقوله واتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وفي متابعة الانبيا رحمة وراحة وفي مخالفتهم
والاختلاف عليهم محنة وفتنة كما كان لاصحاب السبت وفي الآية وجوه اصحها واوضحها
ما حكاه الامام ابو منصور رحمه الله فقال قال بعضهم ان موسى امر بني اسرائيل
ان يتفرغوا في كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم الجمعة ويتركوا فيه عمل دنياهم
فقالوا نتفرغ يوم السبت فان الله لم يخلق يوم السبت شيا فقال فريق منهم انظروا الى
ما يامركم به نبيكم فخذوا به فذلك اختلافهم فيه فجعل يوم السبت على ما سالوا فاستحلوا
فيه المعاصي فذلك قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي فتنة محنة على الذين
اختلفوا فيه ولو اتبعوا نبيهم ولم يختلفوا عليه لم يشدد عليهم هذا التشديد ولم يقعوا
فيما وقعوا فيه وقال الحسن وقتادة انما جعل السبت اي انما لعنوا في السبت ومسخوا
قردة الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم انه حرمه بعضهم واستحله بعضهم وقوله
تعالى وان ربك ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يميز المحق من المبطل بالثواب والعقاب
وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة اي ادع يا محمد الناس الى سلوك الطريق
الذي يؤدي الى طاعة ربك وكل ما اضافه الله الى نفسه فذاك دليل تشريفه
وتفضيله كبيت الله وشهر الله وكذلك سبيل الله ومعناه تفضيله والحث على سلوكه
وقوله بالحكمة اي باستعمال الصدق والصواب وبوضع كل شي موضعه ودعا كل احد

بما يحمله حاله ويقبله عقله ويرجى به اجابته **وقوله** تعالى والموعظة الحسنة اي
واحسن وعظ من تدعوه بالترغيب الجميل والتنبيه البليغ **وقوله** تعالى وجادلهم بالتي
هي احسن اي بالحسنة التي هي اجمل اي بالمحاجة التي ليس فيها مماراة ولجاج ومكافاه على قبيح
بقول الخصم **وقوله** تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
في المجادله لا يخفى عليه مقاصدهما فيها فاذا الزمت فاكتف به واضبط نفسك عن المقابله
بالمحاسنه وقيل نزلت هذه الايه قبل نزول الامر بالقتال ونسخت باية السيف **وقوله**
تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قيل الاول خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على
الخصوص وهذا خطاب لامته واباحة لهم بالمكافاة على المساواه والاول امر بالتفضيل المحض
ومعناه اذا قال لكم الخصم دينكم باطل ولين صبرتم فلم تجيبوا لهو خير للصابرين من المكافاة
بالمثل واصبر وما صبرك الا بالله هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على الافراد وهو تاكيد
للامر للاول بالمجادله بالتي هي احسن وقوله تعالى بالله اي بتوفيق الله ويحتمل ان يكون
قوله وان عاقبتم خطابا له ولهم جميعا والافراد في قوله ادع وجادلهم لما انه هو المخصوص
بالامر بالدعوة الى الدين فاطلق لهم العاقبه بالمثل وقال ولين صبرتم لهو خير للصابرين ثم
خص النبي صلى الله عليه وسلم فقال واصبر اي على الدعا الى الله وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه
فاسئل التوفيق منه ولا يكون هذا نهيا للنبي صلى الله عليه وسلم عن المعاقبه بالمثل بل لا يكون قوله
واصبر ارشادا الى الافضال وقيل انها نزلت في قصة حمزه رضي الله عنه حين مثل به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامثلن بسبعين منهم فامر بالاقتصار على المثله بواحد ثم نسخت
المثله وقوله ولين صبرتم لهو اي الصبر ودل عليه قوله ولين صبرتم **وقوله** تعالى ولا
تحزن عليهم اي على المشركين وتركهم الايمان واستخفافهم بسخط الله وعقوبته بذلك وكان
كذلك لكمال شفقته وهو كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله لعلك باخع نفسك
وقيل ولا تحزن على قتلى احد فانهم وصلوا الى رضوان الله وجنته ولا تك في ضيق اي ضيق
صدر وهو في معنى الضيق والشق والرطل والرطل بالفتح والكسر لغتان وقرا ابن كثير
بالكسر وقيل الضيق بالكسر مصدر والضيق بالفتح نعت كالهين واللين ومعناه في امر
ضيق من مكرهم اي لا يضيقن بك الامر بمكرهم وعلى الاول ولا يضيق صدرك لمكرهم
فانه لا يتعدى عليك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي حافظهم وناصرهم وانت

متقي

متقي محسن فيحفظك وينصرك وقيل هو على العموم والذين اتقوا اي توقوا عن السيات
والذين هم محسنون اي عاملون بالطاعات **وقال** القشيري رحمه الله اتقوا رويه
النصره من غيره واحسنوا العبادة كانهم يرونه والحمد لله رب العالمين

سورة بني اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى • الرحمن الذي له الاسما الحسنى • الرحيم الذي
نزل القران شفا ورحمة لمن اهتدى • وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة بني اسرايل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنه والقنطار الف اوقيه
ومايتا اوقيه الاوقيه خير من الدنيا وما فيها وسورة بني اسرايل مكيه وهي مايه واحدى
عشر ايه وقيل عشر ايات والاختلاف في قوله للاذقان سجدا وهي الف وخمسمايه وسته وخمسون
كلمه وست الاف واربعمايه وتسعه وعشرون حرفا وانتظام اول هذه السوره باخر تلك
السوره ان في اواخر تلك الامر بالصبر وفي اول هذه ثمرة الصبر صبر في الله صبرا جميلا فاعطى
ليلة المعراج عطا جزيلا وانتظام تلك السوره بهذه السوره ان تلك السوره في بيان ايات
وحدانية الله تعالى وبيان نعمه وفي اكثر اياتها محاجة المشركين وفي قوله ان الله يامر بالعدل
والاحسان تضمين جميع الاوامر والنواهي وفي تبيينها محاجة المشركين ووعيدهم ووعد المومنين
ذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان التوريه كلها في خمس عشرة ايه
من بني اسرايل ثم لا تجعل مع الله الها اخر الايات **وقوله** تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا وروى طلحة بن عبد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان قال
تنزيه الله عن كل سو قال الزجاج هو نصب على المصدر وهو على معنى الامر اي نزهوا الله وبروه من
قول المشركين واسرى سار بالليل وفيه لغتان سرى واسرى وهو لازم وههنا يتعدى بالبا
التي في قوله بعبده وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلا ظرف اي بالليل من المسجد الحرام
هو الذي يحيط بالكعبه واراد به ههنا جميع الحرم فقد روي انه اسرى به من بيت ام هاني وهو
بمكة خارج المسجد الحرام عشيه وعلى هذا قوله فلا يقربوا المسجد الحرام هو على جميع الحرم وكذا
قوله وصدوكم عن المسجد الحرام **وقوله** تعالى الى المسجد الاقصى هو مسجد بيت المقدس لانه ابعد مسجد
في الارض يعظم بالزيارة له وشد الرحال اليه وليس وراه في تلك الجهة مسجد مثله قال
عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الاقصى والمسجد الحرام

وقوله تعالي الذي باركنا حوله اخبر عن نفسه بعد ما ذكر الفعل علي وجه المغايبه
بقوله اسري بعبده وهو احد اقسام التوسع في الكلام والبركه درور الخير وثبوته لان ما برك
ثبت وهو ما يكون دينيا ودنيويا قال تعالي في قصة عيسى عليه السلام واجعلني مباركا
وهذا ديني وقال لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وهو دنيوي والبركة حول المسجد
الاقصى بهما جميعا فانه مستقر الانبيا والاوليا وفيه قبور ابرهيم واسمعيل واسحق وفيه
كثرة المياه والاشجار والاطعمة والثمار وقوله تعالي لنريه من اياتنا اسري به لاراة
الايات وهي البراق وقطع المسافة البعيدة في المدة اليسيرة ونشر الانبياء وعجايب الملكوت
انه هو السميع لمقالات المصدقين والمكذبين بحديث المعراج بجوا كل علي وفق علمه وحديث
الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم الي المسجد الاقصى في ليلة ثابت بنص الكتاب والعروج
به الي السما في تلك الليله الي حيث شا الله كذلك وفي احاديث كثيره صحيحه وقد قبلها اهل السنه
والجماعه وردها المعتزله خذلهم الله تعالي وممن روي ذلك ورواه ابو بكر الصديق وعمر الفاروق
وعثمان ذو النورين وعلي المرتضى وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وانس بن مالك وابو
هريرة وابو سعيد الخدري ومالك بن صعصعه وعمران بن الحصين وعبد الله بن عمرو وابو سلمه
وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن الزبير وابو ايوب الانصاري وجابر بن عبد الله الانصاري والعباس
بن عبد المطلب وعبد الله بن ابي اوفى وابو سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وام كلثوم بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال الحبشي وابو امامة الباهلي واسامة بن زيد وعياض وعبد
الرحمن بن عايش وابو الدردا وعايشه وام هاني بنت ابي طالب وابو ذر الغفاري وبلال بن سعد
وابو حبة الانصاري وابي بن كعب وغيرهم ممن ساق الحديث كله ومنهم من روى منه شيا
وقد جمعنا احاديثهم في كتاب افردناه له وامليناه علي اهل العلم ومن انكر ذلك فهو منكر قدرة
الله تعالي وفضل النبي صلى الله عليه وسلم وكل ذلك باطل وقال مقاتل كانت ليلة الاسرا قبل
الهجرة بسنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليله نايما في دار ام هاني بنت ابي طالب
وزوجها هبيرة بن ابي المغيرة المخزومي فلما اصبح قال لها الا اخبرك بالعجب قالت بلى قال
صليت صلاة العشا والفجر وذهبت فيما بينهما الي بيت المقدس ومثل لي النبيون فصليت بهم فلما
اراد ان يخرج تشبثت ام هاني بثوبه فقالت له اما واني اخشى ان يكذبك قومك قال وان
كذبوني وسالته ام هاني عن كيفية خروجه فقال اتاني جبريل ومعه ميكايل بالبراق وهو دابة دون

البغل

البغل وفوق الحمار وجهها كوجه الانسان وذنبها كذنب البقره وحافرها كظلف البقرة خطوها
كمد البصر فركبتها فان همت بها سارت وان همت بها طارت فدخلت مسجد بيت المقدس فاذا النبيون
بها ثم اتي المسجد الحرام وفيها صناديد قريش فقال الا اخبركم بالعجب قالوا بلى قال صليت صلاة العشا
والفجر ههنا وذهبت فيما بينهما لبيت المقدس وقص عليهم القصه فقال مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد
مناف واعجبي من هذا الكذاب ان عيرنا تخرج من مكه الي بيت المقدس في اربعين يوما بشق النفس
وقد خرجت الهاني سنة اشهد انك كذاب ثم اخبر بذلك ابا بكر الصديق فساله وقال له ماذا ليت
علي يمينك حين دخلت بيت المقدس وعلي يسارك وساله عن المعجزة فاجابه فصدقه فسمي الصديق
وفيما كتبناه في الاملا مسند عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت
يا جبريل تكذبني قريش فقال ان ابا بكر هو يصدقك فذهب اليه قريش فقالت له يا ابا بكر قال صديقك
انه اسري به الي السما في ليلة واحدة قال صدقا صدقه بوحي السما علي مسيرة خمسماية عام بابنه
في ساعه افلا اصدقه بانه اسري به فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه
السلام فقال صدقا ابو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرني والله قوله فقال له جبريل سمه
الصديق فلذلك سمي الصديق قال رضي الله عنه وانا اقول في ذلك لا يجحد المعراج بعد نصوصه الا عنيد
كافر زنديق ومصداق اهل الهدي واما مهم بالحق في تصديقه الصدق وتمام القصه نقلا
بطرق في كتاب وسمناه بكتاب ما ورد من الاخبار في ذكر معراج النبي المختار وفوايده ولطايفه
ومجالس جمعناها وتكلمنا بها في مجالس الوعظ في تمام شهر وقال القشيري رحمه الله لما اراد
الحق سبحانه ان يعرف العباد ما خص به رسوله ليلة المعراج من علو مرتقاه اليه ولقاه اياه ازال
الاعجوبة بقوله اسري به ونفى عن نبيه خطر الاعجاب بقوله بعبده لان من عرف الالهية وهي
استحقاق كمال العز لا يتعجب منه ان يفعل ما يفعل ومن عرف عبوديته وانه لا يملك شيا من امره
لا يعجب بحاله فاوجبت الايه شيين نفي الاعجاب من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفي التعجب
من فعل الله تعالي وقال جعل المعراج بالليل عن غفله من المراقب وغيبة من الاجانب ومن غير ميعاد
سبق ولا استعداد تقدم لكونه مرضيا بغير تصنع وهذه غاية حال المحبوب وكان مجي موسى للميقات
بعد اربعين ليله ليتصنع لذلك وقال ولما خص بقيام الليل بقوله فتهجد به نافلة لك اكرم بالمعراج
خصوصا بالليل وقال ارسله الحق الي اهل الارض ليتعلموا منه العباده ثم رقاه الي السما ليتعلم الملايكه
منه اداب العباده قال تعالي ما زاغ البصر وما طغى ما طمع في مقام ولا نظر الي اكرام بل تحرز

عن كل طالب وارب وكان لنريه من اياتنا اريه في تلك الليله ما عرف به انه ليس من الخلايق
مثله صلى الله عليه وسلم في علو حالته وجلال رتبته وقوله تعالي واتينا موسى الكتاب اي
التوريه وجعلناه هدي لبني اسرايل اي جعلنا موسي ويحتمل الكتاب هاديا اي دليلا وداعيا
الى الحق والصواب اي اعطينا موسى الكتاب حين جا الميقاتنا فاسوينا بمحمد صلى الله عليه وسلم
واوتيناه اياتنا وقوله تعالى الا تتخذوا من دوني وكيلا قرا ابو عمرو بيا المغايبه ويرجع الى بني
اسرايل وقرا الباقون بتا المخاطبة اي قلنا لهم في التوريه ذلك اي لا تتخذوا من دوني احدا وليا
تتكلمون عليه في ان يخلصكم من العذاب ويقوم بامور كم ويراعي مصالحكم وهذه صفات الوكيل في
معاملات الناس وهو ابطال لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويشفعوا لنا وقوله
تعالى ذرية من حملنا مع نوح اي يا ذرية من حملنا وهم الاولاد وحملنا اي في السفينة
وهم مومنوا قومه وبنوا اسرايل من نسل سام من نوح عليهما السلام وقوله تعالى انه كان
عبدا شكورا اي كثير الشكر لي على النعما مطيعا الي بقوله لا تتخذوا من دوني وليا يا ذرية مومني قوم
نوح انه كان لي عبدا شكورا اي فكونوا لي كذلك فلا تخالفوه وروي انه كان لا ياكل ولا يشرب
ولا يلبس الا قال الحمد لله والشكر مقابلة النعما بالثنا علي المنعم له والطاعه له في امره ونهيه وهو
عام للنعم كلها صغيرها وكبيرها قولا وعملا وعقدا وقال مجاهد كان عبدا شكورا كان يحمد
ربه قايما وقاعدا ومتكيا ومستلقيا وراكبا وماشيا وقوله تعالي وقضينا الى بني اسرايل
في الكتاب اي علمناهم في التوريه كما قال وقضينا اليه ذلك الامر واصله الاحكام والاتمام اي
اعلمناهم اعلاما محكما متمما وقوله تعالي لتفسدن في الارض اي ليفسدن اخلافكم وهي قوله
واذ قتلتم نفسا اي واذ قتل اسلافكم في الارض اي البلاد التي تسكنونها من بيت المقدس وما
يضاف اليها من الشام وقوله ان فرعون علا في الارض اي في البلاد التي يجري سلطانه على اهلها
وفي قوله انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي البلاد التي يسكنها المشركون وهذا الافساد
هو العصيان وارتكاب المحظور من الدما والاموال مرتين اي دفعتين في زمانين مختلفين ولتعلن
علوا كبيرا هو غلبة المفسدين علي المصلحين افراطا مجاوز القدر عظيما في الذكر والعلو لغة هو الغلبة
بحق كان او بباطل وقوله تعالى فاذا جا وعد اوليهما اي الوقت الموعود لاولي المرتين من
الافساد والعلو وما اوعدنا عليه من العذاب بعثنا عليكم اي سلطنا عليكم عبادا لنا خلقا يجري لنا
عليهم سلطان العبوديه ولا يتمكنون الا بتمكيننا وقوله تعالي اولي باس شديد اي علما بالقتال

صابرون

صابرين عليه والباس الحرب والقتال قال تعالي ولا ياتون الباس الا قليلا فجاسوا خلال الديار
اي افسدوا وقيل وطيوا وقيل تخللوا وقيل طافوا وقيل هو الاستقصا في الطلب وقيل هو التردد بالذهاب
والمجي للاستقصا في طلب الشي ومعناه يستولون عليكم واذا انهزمتم اتبعوكم ودخلوا بلادكم بالسيوف
يدخلون البيوت فيقتلون من يجدون وياخذون ما يجدون وهو اشد ما يكون من استيلا الاعدا
وقوله تعالي وكان وعدا مفعولا اي كان ذلك موعودا من الله كاينا لوقت معلوم عند الله يفعله
عليه مصدر بمعنى المفعول وقوله تعالي ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي ثم جعلنا لمن بقي منكم
ثم تقبل الدولة عليهم وامددناكم باموال وبنين اي زدناكم اموالا واعطيناكم اولادا وجعلناكم اكثر
نفيرا اي اعوانا وانصارا من اهل زمانكم تنفرون في قتال عدوكم والنفير جمع نافر كالغزي جمع غاز
وحاج وقيل جمع النافر بالسكون ثم النفير جمع النفر الجمع كما يجمع الراكب ركبا وكما يجمع العبد عبيدا وقيل
النفير واحد لكنه ذكر في موضع التفسير فصلح الواحد عبارة عن الجمع كما يقال عشرون درهما وهو
اكثر الناس مالا ودرهما ودينارا وقوله تعالي ان احسنتم احسنتم لانفسكم اي ان اخلصتم الشكر لله
على نعمه بالطاعة له في اوامره ونواهيه كان نفع ذلك راجعا اليكم بنيلكم المزيد وان اساتم
فلها اي اساتم بكفر النعمه كان ضرر ذلك راجعا اليكم بزوال النعمة ونزول العقوبة
ووقوع الذلة والمسكنة واللام للاستحقاق كما قال لهم عذاب في الحيوة الدنيا وقيل معناه فاليها
اي فقد اساتم اليها وهو قوله اوحى لها اي اليها وقيل هو بمعنى علي والحروف تتناوب ثم قيل ان
قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم يحتمل انه في التوريه خطابا لهم ويحتمل انه خطاب مبتدا في عصر النبي
صلى الله عليه وسلم لمن كان من اخلافهم في عصره ويحتمل انه خطاب للمشركين انهم ان احسنوا فلانفسهم
احسنوا وان اساوا فعلي انفسهم نفعلوا وقوله تعالي فاذا جا وعد الاخرة اي وقت المرة الاخرة
بالعود الى الافساد بعد زمان واضمر ههنا بعثناهم عليكم ثم قوله تعالي ليسوا وجوهكم قرا ابن عامر
وحمزه وعاصم في رواية ابي بكر ليسوا بيا المغايبه على الواحد اي ليسوا القاهم وجوهكم او ليسوا بعثنا
وجوهكم وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر وعاصم في رواية حفص ليسوا وجوهكم على الجمع اي ليسوا هولا
وجوهكم وقرا الكسايي لنسوا بالنون اخبارا من الله عن نفسه اي نحن نفعل ذلك وليسوا بمعنى يحزن ومعناهم
ان الغاهم ليسوهم بان يحزنهم وخص الوجوه لان اثره يظهر في الوجوه وقيل اي ليقتلوكم فيسوا الوجوه
ونقبح بعد زوال الحيوة عن الاجسام وقوله تعالى وليدخلوا المسجد اي المسجد الاقصى ولا يدخلونه
الا بعد دخول البلد فمعناه انهم يستولون على بلدكم كما دخلوه اول مرة وليتبروا اي وليهلكوا ما علوه

مفعول اي ما علوه وظفروا به وقيل ما غلبوه ومعناه ما داموا عالين مستولين ومعنى ليتبروا
اي وليهلكوا تتبيرا اي اهلاكا والتبار الهلاك وذكر المصدر للتاكيد عسى ربكم ان يرحمكم بارسال
محمد صلى الله عليه وسلم اليكم وان عدتم الى الافساد بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم عدنا الى تعذيبكم
في الدنيا وهو ما يري العرب ههنا بخوما ادريناكم في المومنين وجعلنا جهنم للكافرين اي لكم
ولامثالكم حصيرا اي محبسا لمن مات منكم مصرا على كفره قال ابن عباس ومجاهد وقتاده
وابن زيد الحصير المحبس والحصر الحبس يقال للملك حصير لانه محجوب فكانه محبوس بالحجاب وقال
الحسن حصيرا اي مهادا كما قال لهم من جهنم مهاد ويذهب به الى الحصير المرمول واللامات
في قوله ليسوؤا وليدخلوا وليتبروا لامات العاقبة لان تخريب المسجد مالا يجوز اباحته
ثم الخطاب في هذه الايات يرجع بعضها الى الاسلاف وبعضها الى الاخلاف لانه قصص قرون
بعد قرون وقال ابن عباس وقتادة سلط الله عليهم في الكرة الاولى جالوت ثم ارسل الله
لهم حين احسنوا داود عليه السلام فقتل جالوت وكان ملكهم طالوت وقال سعيد بن
المسيب هو بخت نصر وقال سعيد بن جبير هو سنجاريب وقال الحسن هم العمالقة وكانوا كفارا
فاما حديث بخت نصر فقتل علماهم واحرق التورية وخرب المسجد والقى فيه الجيف وسبى سبعين
الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم استنقذهم الله على يدي اسطيانوس
الرومي ثم عادوا الى الفساد وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فانتقم الله تعالى منهم بالمقياس
اتاهم فقتل منهم مائة وثمانين الفا على دم يحيى بن زكريا وخرب بيت المقدس وقتل العلما
وحرق التورية والقى في المسجد الجيف فكانت خرابا الى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فعمرها المسلمون وقيل بعث الله عليهم في الكرة الاولى جالوت وفي الثانية بخت نصر وقيل
كان في المرة الاولى بخت نصر وجنوده وفي الثانية كردوس المجوسي وجنوده وهي كانت اعظم
الوقعتين وهو قول محمد بن اسحق وفي انجيل النصارى ان الملك الذي كان عليهم في بيت
المقدس حين بعث عيسى عليه السلام كردوس المجوسي وقيل في قوله وان اساتم فلها اي فلها
العقوبة وقيل فلها الوعيد وقيل فلها الجزا وقيل فلها التوبة وقيل فلها الرجا وقيل
فلها المهلة الى ان تتوب وقال الحسين بن الفضل اي فلها رب يغفرها قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان العبد اذا اذنب فقال رب اغفرلي قال الله تعالى علم عبدي ان له ربا يغفر
الذنب ويأخذ به قد غفرت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وان عدتم عدنا قال وان

عدتم

عدتم الى المعصية عدنا الى المغفرة وقيل على هذا ان عدتم الى الدعوة عدنا الى الاجابة وان
عدتم الى السوال عدنا الى النوال وان عدتم الى المعذرة عدنا الى المغفرة وان عدتم الى التفضيل
عدنا الى التفضل وان عدتم الى الاعتراف عدنا الى الغفران الاقتراف وقال القشيري رحمه الله
ان عدتم الى ما يليق بكم عدنا الى ما يليق بكرمنا كل يعمل على شاكلته وكانه خطر على قلب العاصي انه
اذا غفر للعصاة فمن يكون في جهنم فقال وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا والجنة للمومنين مصيرا
وقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم اي يرشد الى الملة التي هي اقوم الملل وهو من القيم
وهو المستقيم وهي ملة الاسلام ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا اي يقع
لهم البشارة بالثواب العظيم وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما وان للكفار
لهم العذاب الاليم وقد يذكر فعل واحد وبعده مفعولان والثاني مضمر له فعل اخر كما قال فاجمعوا امركم
وشركاكم اي وادعوا شركاكم وكما انشدوا . علفتها تبنا وماء باردا . اي وسقيتها ماء باردا .
وقيل تقع البشارة عليهما فقد ذكرت البشارة في حق العذاب في قوله فبشرهم بعذاب اليم على معنى
انه يوثر في البشارة ايضا بالحزن والخوف كما يوثر الخبر السار بالسرور والبشر اولانه قام
في حق الكفار مقام البشارة في حق المومنين وقيل معناه ويبشر المومنين ايضا بان اعداهم
الكفار اعد الله لهم عذابا اليما وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاه بالخير اي الكفار
يعرضون عن قبول هذا القران الذي مر ذكره ولا يقصدون بالعذاب الاليم الذي ينقذ
به ويستعجلون هذا العذاب فيقولون ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين والانسان جنس
والمراد به الناس وهم المشركون ههنا يدعون بالعذاب وهو الشر دعاه بالخير اي كما يدعوا
بالسلامة والعافية والنعمة وقوله تعالى وكان الانسان عجولا اي عادته في اصل تركيبه العجلة
وترك التثبت والاعراض عن التدبر وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد هو دعا الانسان على نفسه
وولده عند غضبه اللهم العنه واغضب عليه اللهم اهلكني وارعني وقال ابن عباس رضي الله عنهما
وكان الانسان عجولا هو ادم عليه السلام لما نفخ فيه الروح وبلغت الى ركبتيه قبل ان تجري فيهما
الروح رام النهوض فسقط وقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية
النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه تفصيلا ذكر
بعد ذم المشركين اية من ايات الله تعالى ووحدانيته حجة على المشركين فقال وجعلنا الليل والنهار
ايتين اي خلقنا الليل والنهار علامتين للتعيش والاضطراب لتحصيل الاقوات التي بها قوام الابدان

والاستراحة من التعب التي تقع بها الاضطراب اذ لا قوام للابدان الا بالحالتين المختلفين الاثنين
فجعلنا الاية التي هي لليل ممحوة اي عديمة النور فان القمر لا نور له في نفسه وانما ياخذه من الشمس
والاية التي هي للنهار مبصرة اي مضية وقيل اي اهله مبصرون به كما يقال رجل مخبث اي
اهله خبثاء ورجل مضعف دوابه ضعفاء وكذا قوله والنهار مبصرا اي صاحبه بصرا فيه
لتبتغوا فضلا من ربكم بالنهار ولتستريحوا بالليل ولم يذكره هنا وذكره في ايات اخر
وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا لتسكنوا ولتبتغوا من فضله اي رزقه وسماه فضلا
لان ما يعطيه الله العبد فضل ولا يجب للعبد على الله شي وهو حجتنا على المعتزلة في وجوب الاصلح وقوله
تعالى ولتعلموا عدد السنين والحساب بانفصال الليل من النهار فيعرف به حساب الساعات
والايام والشهور وباجتماعها تصير سنة ثم تجتمع عدد السنين في التواريخ فيعرف به ازمنة
الحوادث فالحساب لما دون السنة والعدد للسنين المجتمعة وقوله تعالى وكل شي فصلناه
تفصيلا اي بيناه تبيينا والمصدر للتاكيد اي هو حق يلزم العمل به ثم قوله وجعلنا الليل والنهار
ايتين يدل على انفسهما اية ثم قال فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اضاف الاية
الى الليل والنهار وهي اضافة الشي الى نفسه كقولك نفس الشي وعين الشي ومحو الليل فلاوة عن
النور وابصار النهار ضياؤه وقيل بل اية الليل وغير الليل وهي القمر ومحوه انه لا نور له في
نفسه ونوره من الشمس واية النهار غير النهار وهي الشمس وابصارها نورها التي يقع به الابصار
ومبصرة بمعنى ذات بصر كقوله في عيشة راضية اي ذات رضا وقال ابن عباس رضي الله
عنهما مبصرة مضية وقال الضحاك فمحونا اية الليل يعني السواد الذي في وجه القمر ثم
ذكر في الليل والنهار انهما ايتين وقال وجعلنا ابن مريم وامه اية فجعلهما اية واحدة
وقيل هما جعلهما اية واحدة فان لا يكون المولد منها بغير اب وهو معنى واحد قام بهما وهنا
الليل اية والنهار اية وقيل انهما كان يمكن روئيتهما معا والاعتبار بهما في وقت واحد فكانا اية
والليل والنهار بخلاف ذلك وقيل معناه وجعلنا ابن مريم وامه كل واحدة منهما اية كما قال
كلتا الجنتين اتت اكلها اي كل واحدة منهما وقوله تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
واتصالها بالاولى انه فصل الاعمال تفصيلا في اللوح المحفوظ والزم كل انسان عمله في عنقه اي قلدهم
اعمالهم فذلك قوله الزمناه طايره في عنقه اي عمله في الخير والشر قال مقاتل بن حيان
طايره يعني ما كان من خير وشر لا يفارقه حتى يحاسبه به وقال الحسن يعني يمنه وشومه

وسعادته

وسعادته وشقاوته واصله ما يتطير به ويتفال به من الطاير السانح والبارح فالذي يجي من ذوات
اليمين يتيمن به والذي يجي من ذات الشمال يتشام به ثم هو يتوجه وجهين الزام العمل والزام جزا العمل
وقيل طايره اي قسمه يقال طيرت المال بين القوم فطار لفلان كذا ولفلان كذا وهو ظهور قسمه
وقوله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اي نخرج له الطاير وهو عمله الذي عمله بالطاير وعمل
الذي كان عمله كتابا مكتوبا اي في كتاب يلقاه يراه وقرا ابن عامر يلقاه بضم اليا وتشديد
القاف اي يلقيه الملك ذلك منشورا بعد ما كان مطويا مختوما ليقراه اقرا كتابك اي يقال له اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وقال الحسن لقد انصفك من جعلك حسيب نفسك
وقال القشيري رحمه الله الزم كل احد ما ليس يجد من عهدته خلاصا ولا يبالي من لزومه مناصا وهو
حكم السعادة لقوم وحكم الشقاوة لقوم فالذين هم اهل السعادة اسرج لهم مراكب التوفيق فيسيرهم الى ساحات
النجاة والذين هم اهل الشقاوة فربطهم شقلة الخذلان فاقعدهم عن النهوض الى نهج الخلاص واوقعهم
في وهدة الهلاك وقيل من حاسبه بكتابه وجده كله زلة ومهلكة ومن حاسبه بكتاب نفسه ففي كتابه
سبحانه الغفور ذو الرحمة فالواجب على العبد ان يبتهل في دعايه اللهم حاسبني بكتابك على ما قلت كتب
ربكم على نفسه الرحمة لا بكتابي فانه مشتمل على القبايح والفضايح وقوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الامام ابو منصور رحمه الله هو كله تفسير
قوله الزمناه طايره في عنقه فعمل كل انسان يكون في عنقه ويكون هو المواخذ به لا غيره ويواخذ
بعمل نفسه لا بعمل غيره والوزر الحمل ومعناه لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والاثام احمال واثقال
قال تعالى وليحملن اثقالهم الاية وقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال الامام ابو
منصور رحمه الله يحتمل ما كنا معذبين تعذيب استيصال في الدنيا الا بعد التنبيه ورفعها عن الحجج من كل وجه
وبعد تمامها وان كانت الحجة لزمتهم بالعقول بدون بعث الرسل ليرفع عنهم عذرهم من كل وجه او يكون
قوله وما كنا معذبين في الاخرة حتى نبعث رسولا في الدنيا فضلا منا ورحمة وان كان العذاب قد لزمهم والحجة
قد كانت عليهم والاشبه هو الاول وعذاب الاستيصال في الدنيا ليس هو جزا على الكفر بل جزا الكفر
عذاب الاخرة الذي لا ينقطع وانما هو جزا المعاندة والمكابرة عقوبة لهم وعبرة لغيرهم وذلك يكون
في المعاندة بعد لزوم الحجة من كل وجه وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية اي اهل قرية امرنا
مترفيها اي امرنا منعميها وجبابرتها بالطاعة ففسقوا فيها اي خرجوا عن الامر وعصوا وقرى
بالتشديد امرنا ولنا وسلطنا من الامارة وقرى امرنا بالمد اي اكثرنا وقد امر يامر امرا من باب

علما واكثر نا من غيره اي اكثره بو مره ايمارا قال الشاعر • ان يغبطوا يهبطوا وان امروا
يوما يصيروا للقل والنفد وقوله تعالي فحق عليها القول اي وجب عليها الوعيد فدمرناها تدميرا
اي اهلكناها واستاصلناها اخبر انه لا يعاجل بالعقوبة امة ظالمة حتى يعذر اليهم غاية
الاعذار وقوله تعالي وكم اهلكنا من القرون اي وما اكثر ما اهلكنا من القرون وهي جمع
قرن وقال محمد بن القاسم المازني هو مائة سنة وقال عبد الله بن ابي اوفي هو مائة
وعشرون سنة وقيل هو اربعون سنة من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
وقال القشيري رحمه الله هذه التسلية للمظلومين اذا استبطوا اهلاك الظلمة وتمنوا قصر
ايديهم عنهم واستعجلوا القصاد لهم وايابهم فاذا افكروا فيمن مضى منهم كيف تبوا متبددا واملوا
بعيدا وبادوا جميعا يعلمون ان الاخرين سينخرطون عن قريب في سلكهم ويلحقون بمثل شانهم فاذا التقت
سما السهم بسحايب الوحشة فاووا الي ظل شهود التقدير فتزول عنهم الوحشة وتطيب لهم الحيوة
وتتوفر اسباب البهجة وقوله تعالي من كان يريد العاجلة اي من كان يريد بعمله الدنيا عجلنا له
فيها في العاجلة ما نشا تعجيله لا ما يشاوه العامل وما يريده العامل ثم جعلنا له جهنم يصليها
يدخلها مذموما مدحورا مطرودا ومن اراد الاخرة ثواب الاخرة بعمله وسعى لها عمل عمل الاخرة من ادا
الفرايض واجتناب المحارم وهو مومن مصدق لله في وعده ووعيده فاولئك كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله مرضيا محمودا مثابا عليه الكثير الخطير على اليسير الحقير من العمل كلا من هذين الفريقين
نمد هولا بعطي ونوسع هولا ترجمة عن قوله كلا وهو من عطاء ربك رجوع عن الاخبار عن نفسه الي الخطاب
وهو من وجوه الكلام وما كان عطاء ربك محظورا عن عباده وقوله تعالي انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض في السعة في الدنيا وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اشد تفاوتا وتفضيلها اكبر قدرا من
التفضيل الواقع في الدنيا وقيل من كان يريد العاجلة نزلت في ثلاثة نفر من ثقيف فرقد بن ثمامه
وابن فاطمه بن البختري وجدعان كانوا حراصا على الدنيا وقوله تعالي ومن اراد الاخرة نزلت
في بلال بن ابي رباح مولي ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ومهجع بن عبد الله مولي عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقال القشيري رحمه الله وهو مومن اي مصدق بان نجاته بفضل الله لا بسعي
نفسه وقال قوله وللاخرة اكبر درجات قوم تفاضلوا بصدق القدم وقوم تفاضلوا بعلو
الهمم ومنهم من يتفاضل بما لا يبان بصفة ولا عبارة ولا ذم بذكره ولا اشارة منهم من يراه
في الاسبوع مرة ومنهم من لا يغيب عنه لحظة وقد يجمعون عند الروية ويتفاوتون في النصيب

بلغ

فليس كل من يراه يراه بالعين التي يراه بها صاحبه وانشد شعر • لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزه ركعا وسجودا وقوله تعالي لا تجعل مع الله الها اي جرد التوحيد فلا تعتقد من
يستحق العبادة غيره وقوله تعالي فتقعد اي فتبقى وتمكث مذموما بكل لسان مخذولا موكولا
الي من اتخذته من دون الله معبودا لا نصر عنده ولا عون والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والمراد
غيره وهذه الايات متصله بعضها ببعض وارلها وكل انسان الزمناه طايره عمله في الخير والشر ثم ذكر
تفاضل ذلك وتفاوت الفرق فيها وتفاوت الناس في الدنيا في الاعمال وتفاوتهم في الاخرة
في الحال وذلك علي حسب الافعال ثم فصل تلك الاعمال وبدا في التوحيد وهو في هذه الاية ثم
اتبعها خصال الاسلام وما يضادها من الاعمال السيئة وقوله تعالي وقضى ربك قال
ابن عباس وقتادة وابن زيد وامر ربك واصل القضا فصل المعنى بالامر علي احكام في مصحف عبد الله
ووصى ربك وان لا تعبدوا ان لو قوع قضى عليه ولا تعبدوا نهي ولما امر الله بالتوحيد وقدمه لانه به
يقبل الاعمال اتبعه بالاحسان الي الوالدين فهو اعظم حقوق البشر ثم امر بعد ذلك بصلة الرحم
ومساواة المحاويج بالمقدار المعقول في الانفاق المحمود ثم نهى عن قتل الاولاد وهم من صلة الرحم
واتبعه النهي عن الزنا وفيه حفظ الانساب ليتوصل بذلك الي صلة الارحام اذ في الزنا اختلاط
الانساب والجهل بوجود القرابات ثم النهي عن قتل النفوس المحرمة بغير حق اذ لا ذنب بعد
الشرك اعظم منه ثم النهي عن تضييع مال اليتيم وافساده ثم الوفا بالعهود ثم ايفا الكيل والوزن
بالقسط ثم حفظ السمع والبصر والفواد عن خلاف الحق ثم امر بالتواضع وترك التكبر والمرح والتعظم
علي الناس كل ذلك منسوق علي قوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ولا شك ان من استوفى هذه
الخصال فقد يمن طايره وسعد جده وقوله تعالي وقضى ربك اي حكم ربك الامر لعباده وبين عليهم القول
فيما تعبدهم به منه ان يفردوه بالعبادة فلا يشركوا به احدا غيره وبالوالدين احسانا اي وان تحسنوا
بالوالدين اي الي الوالدين كما قال وقد احسن بي وقوله تعالي اما يبلغن اما كلمتان ان للشرط وما
للصله والنون للتاكيد وقرا حمزة والكسائي يبلغان علي التثنية لسبق ذكر الوالدين في صدر الاية
وعلي هذا قوله احدهما بدل البعض كقولك جاني القوم بعضهم او هو تفصيل فكانه قال احدهما او كلاهما
وقرا الباقون علي الوحدان لانه فعل قوله احدهما في ظاهر النظم وعطف عليه او كلاهما يقولان بلغ عندك
الكبر الذي هو ارذل العمر وهما حينيذ في الحاجة الي من يكفلهما ويقوم بمصالحهما كالولد في صغره
حين فاجته اليهما فلا يستثقل ان علي منهما ما كانا يليانه منك ولا تظهر لهما شيا من التكره والتضجر فلا

ولا فعلا منه قوله تعالى ولا تقل لهما اف وفيها ست لغات الحركات الثلاث بتنوين وبغير تنوين
اما الكسر فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين والفتح طلبا للخفة والمضاعف والضم تشبيها بحيث انه
يوقف عليه من غير وصل بغيره وهو كقولك قبل وبعد والتنوين للتنكير وتركه للتعريف وفيه ثلاث قراءات
اف بكسر الفاء من غير تنوين وهي قراءة ابي عمرو والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر والثانية بفتح
الفاء من غير تنوين وهي قراءة ابن كثير وابن عامر والثالث بالكسر والتنوين وهي قراءة عاصم في رواية
حفص وهي كلمة تدل على الضجر والعرب تقول افا وتفا فقيل الاف وسخ الاظفار والتف ما رفعت بيدك
من حقير الارض وقيل معنى الاف النتن وقيل التبرم وقيل الاف ما يكون في الغابن من العرق والتف
ما يكون في الاصابع من الوسخ وقال سعدون المجنون شعر • اف للدنيا وتف • كل من فيها يلف •
وقوله تعالى ولا تنهرهما النهر والانتهار الزجر باغلاظ وصياح وقوله تعالى وقل لهما قولا
كريما شريفا في نفسه اعرض فيه عن القبيح واللغو قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
اي معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الاصغاء اليه واصل الكرم الصفح وقوله كتاب كريم قيل شريف
وقيل الكريم الذي يظهر محاسن جميله ويخفي القبائح قال الشاعر • اذ الكريم اذا احباك
مودة • ستر القبيح واظهر الاحسانا وقال الضحاك هو ان لا تسميهما بالاسم لكن تقول يا ابتاه
يا اماه وقال الزهري لسعيد بن المسيب قد عرفت ما في القران غير قوله وقل لهما قولا كريما
فما هو قال قول العبد المذنب للسيد الفظ وقوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة حالة
التواضع والعطف والرعاية وقال عطا في تفسيره لا ترفع اليهما بصرك ولا تشد اليهما نظرك
ومجازه ان الطير اذا اراد ضم فرخه اليه خفض له جناحه فكذا قيل للولد اكفل والديك وضمهما
الي نفسك كما كانا يفعلان بك في صغرك وقيل اذا نزل طاير الى المتروك في وكره عن طيرانه خفض
جناحيه ولم يرفرف بهما لئلا يوذي الولد ذلك فكذلك الولد امر ان يتقدم الي والديه على اللين وتواضع
لا ياخذهما ولا يرفعهما اذا احتاجا الي رفعه على فعله مراعاة وعلى حملهما كما يحمل الاحمال كيلا يشق عليهما ولا يوذيهما
وقيل خفض الجناح ترك الطيران وبسطهما للطيران والتباعد فهذا امر للولد ان لا يبرح عن خدمتهما
ولا ينفر عنهما ولا يتباعد وقوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فالرحمة تجمع كل الخيرات
في الدين والدنيا الى ان يدخل الله المرحوم الجنة ويغفر له خطاياه ويقول رب افعل بهما هذا
النوع من الاحسان كما احسنا في تربيتهما اياي والتربية هي التنمية وهذا من عقوقهما بعد موتهما
وهو الدعا لهما وقيل نزلت الاية في سعد بن ابي وقاص حين اسلم وعلمت بذلك امه فتجردت

والتف

والتفت نفسها في الرمضا فاخبر سعد بذلك فقال فلتمت فلم يرض الله بذلك وانزل ووصينا الانسان
بوالديه احسانا وما ضاهاها من الايات وعلى هذا قوله وقل رب ارحمهما نسخها قوله ما كان للنبي والذين امنوا
معه ان يستغفروا للمشركين وقوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين
غفورا قيل لما نزلت الاية خاف بعض الناس ما يقع منهم في حق الابوين من التقصير على غير قصد فنزلت
اي الله عالم بقصد قلوبكم فان تكونوا صالحين غير قاصدين العقوق بل نادمين على ما يقع من غير قصد
راجعين الى الله غفر الله لكم ما قد سلف وقيل هو في حق التائبين اذا تابوا وتداركوا ذلك بالعذر والبر
وقيل هو على العموم في حق جميع ما سبق ذكره في السورة من الامر والنهي وقال سعيد بن المسيب
الاواب التواب كلما اذنب بادر بالتوبة وقال سعيد بن جبير ومجاهد الاواب الراجع عن ذنبه
بالتوبة منه وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما ينوبه وقالت عائشة رضي الله عنها
الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال سعيد بن جبير الاواب المسبح قال
يا جبال اوبي معه اي سبحي وقال قتادة الاواب المطيع وقوله تعالى وات ذا القربى حقه
اي اعط ذا القرابة منك وهو المتصل بك بابيك او امك حقه الواجب عليك من الصلة والمواساة
واعط المسكين ايضا وهو الفقير وابن السبيل ايضا وهو الغريب ولا تبذر تبذيرا اي لا تسرف
اسرافا واصله التفريق من القا البذر في الارض وهو تفريق حباته وقال ابن عباس
وابن مسعود وقتادة هو انفاق المال في غير حقه وقال مجاهد لو انفق مدا في باطل كان
تبذيرا وذكر المصدر لتاكيد النهي وقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي
جارون على مذهبهم لازمون لافعالهم والعرب تسمي الملازم للشي اخاه فتقول اخو المكارم واخو الجود
واخو الكرم اذا كان مواظبا عليه ملازما له وقوله تعالى وكان الشيطان لربه كفورا الكثير الكفران
لنعمه جحود الحقوقه ودخول كان فيه اخبار عن عادته ومذهبه في القديم وقيل اخوان الشياطين
اي قرناءهم في الدنيا والاخرة قال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال احشروا الذين ظلموا
وازواجهم قيل اي وقرناءهم من الشياطين وقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها اي وان عرضت لك حاجة احوجتك الى الاعراض عن هولاء المحتاجين لضيق يد انتظار الرزق
ترجوه من الله فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل وهو قوله تعالى فقل لهم قولا ميسورا اي متيسرا
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الاية اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي سكت انتظارا
لرزق ياتي من الله كراهية الرد فنزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي

قال يرزقنا الله وإياكم من فضله وذلك قوله وقل لهما قولا ميسورا اي لاتسكت فيكون ذلك ايحاشا
لهم ولاتسهم فيكون ذلك ايلاما لهم وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمنع العطية
مع البخل والغل كناية عن المنع ولا تبسطها كل البسط اي لا تجاوز الحد في الاعطا فتقعد ملوما اي فتبقى
يلومك الناس على ذلك محسورا منقطعا عن الطاعة ان ربك يبسط الرزق لمن يشا اي الله هو
الذي يوسع الرزق على من يشا من عباده ويقدر اي يضيق على ما يعلم من صلاح العبد لا لعجز ولا
لبخل بل قد يعطي ليمتحن بالشكر وقد يمنع ليمتحن بالصبر انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما بعباده
ومصالحهم بصيرا باحوالهم واعمالهم وقيل نزل قوله واما تعرضن عنهم الاية في مهجع وبلال
وسالم مولى ابي حذيفة وخباب بن الارت وصهيب بن سنان كانوا يسالون رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد لهم متسعا فيعرض عنهم حيا منهم فانزل الله
هذه الاية وروي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قاعدا بين اصحابه اذ اتاه صبي فقال
يا رسول الله ان امي تستكسك قميصا ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي
من ساعة الى ساعة يظهر فعاد الصبي الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك القميص الذي عليك
تتبرك به فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وقعد عاريا فاذن بلال
للصلاة وانتظروه فلم يخرج لهم فشغل قلب الصحابة فدخل عليه بعضهم فراه عاريا فلامه فنزلت
الاية وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا
كبيرا يجوز ان يكون هذا نهيا وما على النهي عطفا على قوله ولا تجعل ويحتمل ان يكون منصوبا عطفا
على قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقتل الاولاد من اشد العقوق وقد امر الله ببر الاولاد كما امر
ببر الوالدين وفي التفسير الابرار الذين يبرون الاباء والابناء واذا كان ذلك خوفا من الفقر فهو
اشد لما فيه من سوء الظن بالله تعالى فكان هذا نهيا عن واد البنات وكانوا يفعلونه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كره لكم واد البنات وعقوق الاباء والامهات وذكر الاولاد على
العموم مع ان عادتهم كانت في البنات على الخصوص تعريفا ان البنات اولاد كالبنين وكان وادهم
البنات لخوف الفقر فان البنات عاجزات عن الكسب وكانوا يتعيشون بالغارات ويأخذ
اموال الناس في المحاربات والبنات عن ذلك عاجزات وربما لا يرغب كفو في البنت فيضطر
الى تزويجها من غير كفو فيلحقه المعارة لكن فكانوا يئدون البنات تحرزا عن ذلك فقال
الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي فقر نحن نرزقهم واياكم علينا ارزاق الكل فلا

نسئوا

نسئوا الذلك وقوله تعالى ان قتلهم كان خطا كبيرا قرا ابن كثير خطا بكسر الخا ممدوده مهموزه
وقرا ابن عامر خطا بفتح الخا والطا والهمز من غير مد وقرا الباقون بكسر وتسكين الطا والخطو والخطا
مصدر خطا يخط كالحذر والحذر والعشق والعشق وقد خطا اي اثم واخطا قد يتعمد الخطو بالكسر
لا يكون الا تعمدا والخطو بالفتح قد يكون عمدا او غير عمد وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق اي كل نفس عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد فلا تقتلوها الا بالحق اي بالحق يوجب
قتلها كالقصاص والرجم ونحو ذلك وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لا يحل دم امرء مسلم
الا باحدى معان ثلثة زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وقوله تعالى
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي ولاية القصاص ووليه وارثه فان القصاص
موروث بين ورثته على السهام وقوله تعالى فلا يسرف في القتل قرا ابن عامر وحمزة
والكساي بتا المخاطبة جزما وهو نهي للولي خطابا وقرا الباقون بيا المغايبة جزما
وهو نهي مغايبة ويرجع الى الولي وقوله تعالى انه كان منصورا قال قتادة اي
الولي باستيفا القصاص وعلى الايمة والمسلمين نصره بالقيام بحقه وقال مجاهد اي ان
المقتول منصور على قاتله في الدنيا بالقصاص وفي الاخرة بما يجري على قاتله والزيادة على ذلك
بقتل نفوس بنفس واحدة وقيل هو مجاوزة الحد الذي جعل في القصاص من المثلة وقطع الاطراف
ونحو ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة
وعلى هذا قوله انه كان منصورا اي القاتل فان الله ينهى عن قتله باكثر من فعله وقيل فلا يسرف
هو نهي القاصد عن القتل اي لا يقتل فان نفس القتل اسراف قال تعالى ومن قتل نفسا بغير
نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقال تعالى انه كان عاليا من المسرفين
وقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالجهة التي هي احسن اي اصلح وانفع
وقوله تعالى حتى يبلغ اشده اي كمال عقله وقوته وهو اذا احتلم او بلغ بالسنين على ما فسرناه
في اخر سورة الانعام وقوله تعالى واوفوا بالعهد اي بعهود الله وهو اوامره ونواهيه
ونذوركم العهد وايمانه كما قال اوفوا بالعقود وقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقوله
تعالى ان العهد كان مسولا اي مطلوبا كما يقال سالته حقي اي طلبته ولذلك لم يقل مسولا عنه
وقوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم اي سلموا ما استحق عليكم كيلا بكيل تام وقوله
تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم اي وسلموا ما استحق عليكم وزنا على استقامة والقسطاس

الميزان صغر او كبر قاله الزجاج قيل هو القبان وهو عن الحسن وقال مجاهد هو العدل
بالرومية وكان القسط اصل وهو العدل والباقي مزيد عليه والمستقيم المعتدل وقرا حمزة
والكسائي وعاصم في رواية حفص بكسر القاف والباقون بضمها وهما لغتان وقوله تعالى
ذلك خير واحسن تاويلا قال قتادة واحسن ثوابا في العاقبة وهو من ال يوول وهو
كقوله وخير مردا وخير عقبا وقوله ذلك خير اي في الدنيا فانه امانة وهو يوجب الثنا
والتجمل ورغبة الناس في معاملته وهو انفع من كل كسب واحسن تاويلا في الاخرة وقد جمع
الدارين وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم قال قتادة يعني لا تقل سمعت ولم تسمع
ولا رايت ولم تر ولا علمت ولم تعلم واصل القفو اتباع الاثر وكانه يتبع قفا المتقدم والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد جميع امته وقيل هو النهي عما كان عليه المشركون على التقليد من غير علم كما
قال تعالى ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا
الظن وما تهوى الانفس وقال بل هم في امر مريج بل هم في لبس بل هم في شك منها بل هم منها عمون
وقال ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
وقال نبيوني بعلم هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وقوله ولا تقف ما ليس لك به علم اي لا تتبع في الاعتقاد
تقليد من لا يلزم تقليده وقوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا
قيل كل اوليك اي كل العباد كان عنه اي عن قفوا ما ليس به علم وعن استعمال هذه الجوارح فيما
استعملها فيه وقيل كل اوليك اي هذه الاشيا وهي السمع والبصر والفواد كان اي كان كل واحد
منها عنه مسولا اي عما عمل صاحبه اي يسال الشهادة على ذلك كما قال اليوم نختم على افواههم
الاية وقال شهد عليهم سمعهم وقال اليوم تشهد عليهم الايات وقيل كان مسولا عن شكر هذه الاشيا
وقيل عما امتحن به هذه الاشيا وقيل ان العبد مسول عما اجتنبه سمعه وبصره وقلبه من الامور
اذ لله في جميع هذه الجوارح عبادات حتى لا يجوز له استعمالها في غيرها ويسال عنها اي يحاسب عليها
ويجازي عليها وقيل اعتقاد الذين يقع بالقلب والمرء مسول عنه كما لو اصغى الى باطل او نطق بباطل
او نظر الى باطل وقيل ولا تقف ما ليس لك به علم هو نهي عن قذف المحصنين والمحصنات وكانوا يتهاجون
في الاشعار بالقول في الابا والامهات فنهوا عن ذلك وهذا يروى عن مجاهد وعكرمة وفي الخبر
من قفا مسلما بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال ونفاة القياس يتعلقون بهذه الاية وقلنا هو
طلب بدليله بالاسباب التي جعل الله بها الوصول اليه وقوله تعالى اوليك تجوز الاشارة بهذه

الحلم

الكلمة الى جميع ما لا يعقل قال الشاعر ٭ ذم المنازل بعد منزلة اللوى ٭ والعيش بعد اوليك
الايام وقوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا قيل هو شدة الفرح وقيل هو الخيلاء والكبر قال
قتادة وقيل المرح البطر والاشر وقيل هو تجاوز الانسان قدره مستخفا بالواجب عليه وقال
تعالى واقصد في مشيك قال بعد قوله ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور فدل
على انه مشي المختال المتكبر وقوله تعالى انك لن تخرق الارض بشدة مشيك اي لا تقدر على ذلك
ولا يتهيا ذلك لك ولن تبلغ الجبال طولا اي برفع راسك ونصب عنقك لن تنال الجبال اي فليس
من احد الا وهو يقدر على هذا الضرب من المشي فلا معنى للتكبر فيه فالتواضع والقصد في المشي اولى
وقد مدح الله به عباده فقال الذين يمشون على الارض هونا وقيل انك لن تخرق الارض اي ان
تقطعها طولا وعرضا حتى تستوفي قطعها انما تمشي بقدر قوتك الضعيفة ولا ترتفع الى الجبال بذلك فلا
تسرع اسراع المختال ولا حاجة لك الى هذا كله بل سر على هينتك بقدر حاجتك وقيل ولا تمش فرحا
يتوهم انك تطول كل جبل فتكون عاليا عليه وتخرق كل ارض فتكون خارجا عنها بل كيفما اصلت
فانت محاط بك من فوقك وتحتك بشيين من الجمادات هما خلق الله انت اضعف منهما والمحاط به مغلول
لانه كالمحظور فكانه قال تواضع ولا تكبر ولا تخل فانك خلق من خلق الله ضعيف محصور بين حجارة
وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقوله تعالى كل ذلك كان سيية عند ربك مكروها
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو سيية منونا غير مضاف اي خصلة سيية ويرجع الى المنهيات
وقيل كان ذهابا الى قوله كل لانه فرد لفظا ولذلك قال مكروها على التوحيد والتذكير وقرا الباقون
سيه بالرفع والاضافة اي السيء منه لانه سبق ذكر المامور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه
لا كله وكان قوله سيه اسما لكان وقوله مكروها خبرا له وقوله تعالى ذلك مما اوحى
اليك ربك من الحكمة اي جميع ما ذكر فيه من القصص والامر والنهي وابواب الدين هو
ما اوحى الله اليك على يد جبريل لم يات به شيطان كما في سورة الشعرا بعد اقتصاص
كله وما تنزلت به الشياطين وبين انه من الحكمة اي من الاشيا الموضوعة في مواضعها
الموصوف معتقدها والعامل بها بصواب الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى لا
تجعل مع الله الها اخر اعاد ما بدا به وهو قوله لا تجعل مع الله الها اخر اعلاما بعظم محله
وقوله تعالى فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والملوم المعنف على الشي يفعله والمدحور
المطرود المهان وقال القشيري ولا تمش في الارض مرحا الخيلا والتبختر والمرح والتكبر

كل ذلك نتايج الغيبة عن الذكر والحجبة عن شهود الحق فان الله تعالى اذا تجلى لشي خشع له
بذلك ورد الخبر فاما في حال حضور القلب واستيلاء الذكر وسلطان الشهود فالقلب مطروق
وحكم الغيب غالب ولعت الموح وصفة الزهو الشرق كلها ساقطة والناس في الخلاص عن هذه الكبر
اصناف فاصحاب الاعتبار اذا عرفوا انهم مخلوقون من نطفة امشاج وحاملون في بطونهم ما يحملون
ويصيرون في اللحد الى ما يصيرون نزع ذلك عنهم الكبر والتجبر فاما اصحاب الحضور فليس في
طلوع الحق الا اخناس النفس **وقوله** تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين استفهام بمعنى التوبيخ اي
اخصكم ايها المشركون ربكم بالبنين من الاولاد واتخذ من الملائكة اناثا اتخذ لنفسه البنات وقيل
اصطفاه بذلك اي اختاره لكم واصطفاه اختاره لنفسه قال تعالى اصطفى البنات على البنين وقال
ام له البنات ولكم البنون وقال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة وقال
ويجعلون لله ما يكرهون **وقوله** تعالى انكم لتقولون قولا عظيما اي كذبا عظيما وهذا بهتان
عظيم وعظمه ما قال تكاد السموات يتفطرن منه الاية **وقوله** تعالى ولقد صرفنا في هذا
القران ليذكروا اي صرفنا في هذا القران القول في بطلان ما يقولونه ويعتقدونه كما قال
ولقد وصلنا لهم القول صرح القول في تلك الاية واصره ههنا وقوله ليذكروا اي ليتعظوا وليذكروا
نعمة الله فيه لكن فيتهوا عنه **وقوله** تعالى وما يزيدهم الا نفورا اي ما يزيدهم القران او تصريف هذا
القول فيه الا نفورا اي نفرة واعراضا عنه واضاف النفور اليه بطريق التسبيب اي ازدادوا نفورا
عنده كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم ودلت الاية على بطلان قول المعتزلة في الاصلح فان تصريف
القول لما كان زيادة للنفور لم يكن صلاحا لهم ومع ذلك فعله الله تعالى **وقوله** تعالى قل لو كان
معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا يتصل بقوله ولا تجعل مع الله الها اخر اي قل للكفرين
لا تجعلوا مع الله الهة فانه لو كان مع الله الهة اخرى في الارض كما تقولون والالهية تقتضي نفاذ القدرة
وسعة السلطان وانتفا العجز لما احتمل الحكم وهي في الارض ان تكون بالعليه لملك السما ولكانت
توجب ان تكون هذه الالهة تنازع اله السما وتنازعه في سلطانه وانتم تعترفون بانها لا تقدر
على منازعة في ملكه ولا على دفع ما يرد عليها من قهر وهذا خارج عن صفة الاله وهذا معنى قوله
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي اذا لطلبوا الى الله ذي العرش سبيلا العظيم في السما سبيلا
لازالة ملكه ولقهره واذا لم تكن الهتهم هكذا بل هي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تقدر ولا تنتفع ولا تقدر
منها على دفع من يروم قهرها فقد وجب الخضوع بربوبية مقهورة مخلوقة **وقوله** تعالى سبحانه وتعالى

عما يقولون علوا كبيرا اي هو منزه عن ذلك وبعيد عنه وتعالى امر للعباد بتنزيهه عما يقول هولا الظالمون
وقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن اي تشهد له بالالوهية والوحدانية والتعالي
عن الاضداد والانداد السموات السبع والارضون وما فيهن من حيوان وجماد بما في كل شي منها من دلايل
الحدوث واثار صنع الصانع **وقوله** تعالى وان من شي الا يسبح بحمده اي وما من شي الا ينزه الله
تعالى بما قلنا ويحمده على نعمه اي يظهر وجوب شكره على خلقه بما اسبغ عليهم من نعمه والثنا
عليه بما يستحقه بذاته وصفاته وافعاله **وقوله** تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم هذا خطاب
للمشركين اي انتم لاصراركم على الكفر واعراضكم عن التدبر في الايات لا تفقهون هذه الشهادة وانتم
تستحقون العذاب **وقوله** تعالى انه كان حليما غفورا ولكنه لا يعاجلكم بالعقوبة لحلمه ويستر
عليكم الذنوب فلا يهتك استاركم في الحال وقيل غفورا اي يغفر لكم اذا امنتم فلا يعذبكم بما كان منكم
ومنهم من حمل هذا التسبيح على النطق به وهو عندنا جايز على ان يخلق الله فيها حيوة ونطقا وقد سبح الحصا
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة له وحن الجذع حنين الناقة شوقا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى ذلك تصدع الجبل من خشية الله وهبوط الحجارة من خشية الله وقال ابو الحجاج حدثني رجل من
ولد خباب بن الارت ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في يده قضيب فسبح فسمع ذلك القوم
فعجبوا وفزعوا وقالوا يا رسول الله كيف يسبح هذا العود اليابس فانزل الله تسبح له السموات السبع
والارض الاية وقال عطا الشجر والنبات يسبحن فاذا قطعن تركن التسبيح لا تنزعوا ما لم
يقطعن فاذا قطعن صرن في عداد الاموات وقال الحسن يسبح التراب فاذا بني ترك التسبيح
وقوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا
قال الامام ابو منصور رحمه الله قال بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن تبليغ الرسالة الى الناس وقراة ما انزل عليه من القران عليهم وقد امر بتبليغ الرسالة
فانزل الله عليه الاية واخبر انه جعل بينه وبين اوليك حجابا مستورا ومنعهم من التبليغ اليهم
بالحجاب الذي ذكر ثم اختلف في ذلك الحجاب قال بعضهم شغلهم في انفسهم بامور واشغال
حتى بلغ اليهم وقيل القي في قلوبهم الرعب حتى لم يقدروا على منع ذلك وقيل صرفهم بحيث كانوا
لا يرونه ويسمعون قراته ولم يقدروا على ايذايه والاضرار به فبلغهم وقال ويجوز ان يكون
ما ذكر من الحجاب وهو حجاب الفهم وذلك انهم كانوا ينظرون اليه بالاستخفاف له والاستهزاء به
فحجبوا عن الفهم وهو كقوله ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ويدل عليه ما بعده

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وقوله حجابا مستورا قيل معناه ساترا كقوله كان وعده ماتيا
اي آتيا وقيل اي مستورا به كقوله ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف الصلة ههنا وهو عرف في
الاولى حذف الصلة وهي الباء وقيل معناه مستورا عن اعين الخلق لا يرونه ولذلك ما نبا هو على
حقيقته لان ما اتيك فقد اتيته وقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية جمع كنان اي غطا
ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا ودل ذلك على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
وان الطاعات والمعاصي كلها بمشية الله تعالى وانما فعل الله ذلك في حق من علم منهم اختيار الكفر
كما مر شرحه مرات وقوله تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا
اي اذا قرات عليهم ما فيه ذكر التوحيد وذم الشرك اعرضوا نافرين عنك مفارقين مجلسك والنفور
جمع نافر كالقعود جمع قاعد وقيل هو مصدر وذكر تاكيدا لقوله ولوا او تقديره ولوا تولية وقد يوكد
الفعل بالمصدر من خلاف لفظه قال القطامي المرء تجزيك ان حبال قيس وتغلب قد تباينت
انقطاعا وتقديره تباينت تباينا وقوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به قيل اي يستمعون اليه
وحروف الادوات تتناوب وقيل الباء لبيان السبب اي نحن اعلم بالسبب الداعي لهم الى الاستماع
اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اي وهم يتناجون بالطعن في القران مصدر يراد به نعت الجمع
قد اشتغلوا بتناجيهم وهو وقوله تعالى اذ يقول الظالمون اي المشركون الواضعون الشيء غير
موضعه ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي ما تظهرون الاستماع في اظهارهم الاصغاء اليه اتباعا
الا رجلا مسحورا مخدوعا مغلوبا على عقله يأتيه الشيطان فيخدعه فيظنه ملكا قال قتاده
نجواهم ان زعموا انه مجنون وانه ساحر وانه اتى باساطير الاولين وكان منهم الوليد بن المغيرة
والمسحور قيل هو المخدوع وقيل هو الذي عمل به السحر واختلط عليه امره وقيل اراد ان له سحرا
بفتح السين اي الرية يعنون انه لا يستغني عن الطعام والشراب فهو بشر مثلكم ليس بملك
وقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال اي اعجب منهم كيف وصفوا لك الاشباه والاوصاف
يسمونك بكل اسم سوء فضلوا سبيل الاحتيال عليك وتحيروا في وجوه الناس عنك فلا يستطيعون
سبيلا فلا يجدون الى شيء من ذلك سبيلا وقيل في نزوله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر علي بن ابي
طالب ان يتخذ لابي جهل ولابي البختري بن عمرو بن هشام وزمعه بن الاسود وحويطب بن عبد العزي
طعاما فيدعوهم اليه ففعل فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا لا اله الا الله
لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فخرجوا فقال النضر بن الحارث ما ادري محمدا يقول شيئا الا انه

عرك

عرك شفتيه فقال ابو جهل هو مجنون وقال حويطب هو كاهن وقال زمعة هو شاعر
فاتوا الوليد بن المغيرة فشاوروه في امره فقال هو ساحر فانزل الله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به
اذ يستمعون اليك حين يدعوهم الى الشهادة واذ هم نجوى اي متناجون وقيل اذ للحين وهما حينان
لامرين مختلفين الاستماع اذا احضروا والتناجي اذا انفردوا وقوله تعالى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا وقال مجاهد رفاتا في اللغة هو الحطام وهو ما تحطم من الشيء اذا انكسر
وقد رفت يرفت رفتا اي كسر واراد به رميما وهذا انما هو جوابه قالوا ائذا متنا وكنا عظاما
وترابا تحت الارض نبعث خلقا جديدا كما نحن عليه الان وهذا استفهام بمعنى الاستبعاد اي ان هذا
لا يكون وقوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي عرفتم انهم لا يعجزني
وان صاروا عظاما ورفاتا او لو كانوا حجارة او حديدا او خلقا اشد من خلق البشر واصلب وابعد
من ان كان يمكن تصريفه على الاحوال المختلفة من الاعدام والايجاد والافنا والابقا مثل الحديد والحجارة
او غيرهما مما يكبر في صدوركم بتغيره عن هيئته اي يعظم ويستنكر مثل السموات والارضين والجبال
ونحوها اي لو كنتم في نهاية القوة والامتناع من نيل العباد لكم لم تعجزوني وطريق هذا الكلام طريق
قول الرجل اذا عزم على قهر انسان فقيل له كيف تقهره على قوته وصلابته فيقول له كن حديدا او
حجرا اي فاني لا ابالي به بل اقهره واصل الي غرضي فيه وقال مقاتل كونوا حجارة
في القوة او حديدا في الشدة او خلقا مما يكبر في صدوركم قال مجاهد الجبال وقال
ابن عباس ومقاتل والضحاك والحسن الموت وقوله تعالى فسيقولون من يعيدنا اي من الذي
يفعل بنا هذا وقوله تعالى قل الذي فطركم اول مرة اي خلقكم وانشاكم وهو كقوله قال من يحيي
العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركون
اليك رؤسهم فعل المستبعد الشيء والمتعجب منه والانغاض التحريك والنغضان التحرك من حد ضرب
والنغض الظليم لتحريك راسه وقوله تعالى ويقولون متى هو اي البعث قل عسى ان يكون
قريبا اي لن يطول مدة كونه لا يبعد بل هو قريب لان كل ما هو آت قريب وقوله تعالى يوم
يدعوكم اي يعيدكم خلقا جديدا يوم يدعوكم قيل يدعوا اسرافيل بامره فيقول في نفخ الصور
ايتها اللحوم المتفرقة وايتها الاوصال البالية وايتها العظام النخرة وايتها العروق المتمزقة
وايتها الشعور المبددة قوموا الى محاسبة رب العزة قاله قتاده وقوله تعالى فتستجيبون
بحمده اي تبعثون سبحان وبحمده وقيل يدعوكم للمحاسبة فتبعثون اليه قايلين ذلك وقيل يوم

يدعوكم اي يبعثكم فتستجيبون بحمده اي لا تمتنعون على الله بل تجيبون باحيائه معترفين بما كنتم
عليه من الباطل حامدين لله بالثناء عليه بالقدرة على ما يشاء وبانعامه عليكم بخلقكم وتركيب العقول
فيكم وقوله تعالى وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم وهو كقولهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
وقال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال كانهم يوم يرون ما يوعدون لم
يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الحسن كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقيل لما يرون
من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور وقال قتادة هو احتقار امر الدنيا حين عاينوا
يوم القيمة وقال الحسن ان لبثتم الا قليلا في الدنيا لطول لبثكم في الاخرة وقوله تعالى
وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن قيل اي قل يا محمد لعبادي المومنين يقولوا للكفار اذا حاجوهم
في اثبات التوحيد واثبات البعث التي هي احسن اي الكلمة التي او المقالة التي هي احسن وهو
كقوله وجادلهم بالتي هي احسن اي لا تخرجوا في المجادلة الى السفاهة بل قولوا كما قلت في ردهم قل لو
كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقلت فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة وقوله تعالى ان الشيطان ينزغ بينهم اي يغري بين المومنين وبين المشركين فيعارض
المشركون المومنين بالكلام السيء وقوله تعالى ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي معاديا
في بدو العداوة للناس مومنهم وكافرهم فهو يغري بعضهم ببعض ثم يتبرا منهم كما قال كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر وقوله تعالى ربكم اعلم بكم اي لا يخفى عليه شيء من ظواهركم وبواطنكم ان يشا
يرحمكم او ان يشا يعذبكم ان اصررتم على كفركم عذبكم في النار ابدا وقوله تعالى وما ارسلناك عليهم
وكيلا عاد الكلام الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بدا بقوله وقل وهو خطاب له
يقول عليك بتبليغ هذا وليس عليك هداهم ولا انت قادر على ان تحملهم على الايمان والاجابة وقيل
لعبادي هم عباد الخلقة وهم الكفار يقولوا التي هي احسن كلمة التوحيد ان الشيطان ينزغ بينهم يحملهم
على الشرك ويغري بينهم وبين المومنين بالعداوة ربكم اعلم بكم فان علم منكم توبة باستماعكم
الى مواعظ الله وعملكم بها رحمكم وما ارسلناك يا محمد عليهم مسلطا مكرها على الايمان انما عليك
الانذار وقيل هو خطاب المومنين وقول الحسن هو الكلام الحسن اذا اوذوا كما قال ويدرون
بالحسنة السيئة وروي ان عمر رضي الله عنه شتمه رجل من العرب فنزلت هذه الاية
وامره الله تعالى فيها بالصفح والعفو وقوله تعالى وربك اعلم بمن في السموات والارض
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا يعني وربك اعلم بمن في السموات

والارض

والارض من الملائكة والبشر لا يختار احدا منهم الا على علم به واهليته لما اختاره له ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض اي انكر هولاء المشركون اختصاص الله اياك بالنبوة فعرفهم
ان الله فضل بعض الانبيا على بعض فيما اتاهم من الايات واجرى على ايديهم من المعجزات
وعرفهم ان الله فضلك على جميع الانبيا بما اتاك من الاية الباقية الى قيام الساعة وهي القران
المعجز وان حاجك اليهود بان لا كتاب بعد التورية فعرفهم ان الله قد اتى داود زبورا بعد موسى
فبطلت دعواهم وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا اي قل يا محمد لهولا المشركين ادعوا اي دعا المسالة والاستغاثة الذين زعمتم
اي الالهة الذين قلتم ظنا وكذبا انهم الهة وهم الملائكة وسلوهم كشف الضر عنكم فانهم لا يملكون
لكشف دعائكم ولا كشف الضر عنكم وهو ازالته لا الى احد ولا تحويله اي نقله عنكم الى غيركم من مستحقيه
وكانوا لا يدعون لكشف الضر عنهم غير الله قال تعالى اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه
تدعون فكان قوله قل ادعوا الله امر تقريع وتوبيخ وقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون
اي الملائكة الذين يسمونهم هولا الهة وهذا دعاءهم ليبتغون الى ربهم الوسيلة اي هولا الملائكة
يتبادرون الى طلب القربة الى الله تعالى ويجتهدون في العبادة لهم طلبا لفضل الدرجة على غيرهم
ينظرون ايهم اقرب منزلة الى الله ويرجون رحمته اي بطاعته ويخافون عذابه اي ان عصوه
ان عذاب ربك كان محذورا يعلمون اي عذاب الله مما ينبغي ان يحذره كل مكلف نبيا كان او
ملكا او غير ذلك وان كان الملائكة كذلك كيف تكون الهة وانتم معاشر المشركين احق بان
تحذروا عذابي بمخالفتي وتكذيب رسلي وقال ابن عباس رضي الله عنهما اولئك الذين يدعون
يعني عيسى وامه وعزيرا وقال الضحاك وعطا يعني الملائكة وقيل فلا يملكون كشف الضر عنكم
يعني ما اصابكم من القحط سبع سنين وقال القشيري رحمه الله يعني اذا كانوا هم يرجون ويخافون
فكيف يدفعون عنكم قال ويقال في المثل تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون والفقير
اذا انضم الى الفقير ازداد الفاقة والضرير اذا قاد ضريرا سقطا جميعا وانشد فيه شعرا
اذا التقى في حرب واحد • سبعون اعمى بمقادير • وصيروا بعضهم قايدا فكلهم يسقط في البير
وقوله تعالى وان من قرية اي من اهل بلدة الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بكفرها واصرارها
او معذبوها عذابا شديدا بما دون الاستيصال كان ذلك في الكتاب مسطورا اي في اللوح المحفوظ
يجوز ان يكون انتظامها بقوله ان عذاب ربك كان محذورا فليحذر المشركون فليست من قرية الا اهلها

مستحقون بكفرهم استيصالي او تعذيبي بما دون ذلك من قتل اكابرهم وتسليط المومنين عليهم
بسبيهم ويغنمون اموالهم او يعتصم الكفار بالذمة فيودون الجزية وقد قال تعالي واذ قال ربك
ليبعثن عليهم الي يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب قيل هو القهر واخذ الجزية ويجوز ان يكون
انتظامها بقوله قل عسى ان يكون قريبا وان من قرية الا نحن مهلكوها قال ابن عباس
رضي الله عنهما او معذبوها بالسيف والزلازل وقال مقاتل وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة اما الصالحة فبالموت واما غير الصالحة فبالعذاب وقال الحسن او معذبوها
عذابا شديدا هو الموت الذريع وعن مقاتل بن سليمان قال قرات في كتاب الضحاك بن مزاحم
بعد موته وهي الكتب المخزونة عنده في قوله تعالي وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
القيمة الاية قال يقول ما من قرية الا حل بها العذاب قبل يوم القيمة فاما ام القرى فتخرب
الحبش فذلك عذابها واما المدينة فبالجوع واما البصرة فبالغرق واما الكوفة فبالترك
واما الجبال فبالصواعق والرواجف واما خراسان فتخرب باصناف العذاب واما مدينة
بلخ فيصيبهم هدة ثم يغلب عليها الماء فيهلك اهلها واما بدخشان فيبعث عليها اقوام تخربونها
ويتركونها كجوف الحمار ينادي الناس بالنتن من موتهم واما مدينة ملم فانه يصير عاليها سافلها
واما مدينة ترمد فان اهلها يموتون موتا بالطاعون واما الصغانيان الي واشجرد فيقتلون
بقتل ذريع ويغلب عليها واما سمرقند فانه يغلب على مدينتهم بنو افنطورا فيقتلون اهلها
قتلا ذريعا وكذلك فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم ميسر في هذه المدن من النتن
شي كانها جيفة حمار واما بخارا فهي ارض الجبابرة يصيبهم نحو ما يصيب اهل خوارزم يموتون
قحطا وجوعا واما مدينة مرو فانه يغلب عليها الرمل ويهلك بها العلما والعباد واما مدينة هراة
فانهم يمطرون بالحيات فتاكلهم اكلا وتقتلهم قتلا واما مدينة نيسابور فيصيب اهلها رعد
وبرق وظلمة فيهلك اكثرها واما مدينة الري فيغلب عليها الطبرية والديلمية مرة هولا ومرة
هولا فيقتلونهم قتلا واما ارمينية واذربيجان فيهلكهما سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف
واما مدينة همدان فالديلم تدخلها وتخربها فلا همدان واما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام
فيصبح اهلها قردة وخنازير واما اهل الكوفان فانه يقصد بها رجل يقال عنبسة من بني ابي سفيان
فياخذ جارية شابة من ال فلان وشابا فيقتلهما وينصبهما للناس ويقولون هذا علي بن ابي طالب
وهذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج رجل من جهينة يقال له ناجية

يدخل مصر فويل لاهل مصر وويل لاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس
ويمنعه الله بحوله وقوته واما اهل سجستان فتصيبهم ريح عاصف اياما ثم هدة تاتيهم فتصدع
الجبال ويموت فيها علما كثير واما كرمان واصبهان وفارس فياتيهم عدد اذا قربوا منهم صيحوا صيحة
تخلع القلوب وتموت الابدان فذلك قوله تعالي وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة
الاية • وقوله تعالي وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا المنع وجود ما يتعذر به وجود الفعل من القادر
ولا يجوز ذلك على التحقيق في صفة الله تعالي ولكن اطلاقه ههنا للمبالغة في انه لا يقع منه هذا الفعل
كما لا يقع في الممنوع ومعناه انا لم نرسل الايات لئلا يكذب بها هولا كما كذب من قبلهم فيستحقوا عذاب
الاستيصال وقيل لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قالوا انه
ارسل الرسل وايتهم الايات فاتنا صالحا الناقة فاتنا انت بمثل تلك الاية ومثل فلق البحر لموسى فقال
تعالي وما منعنا ان نرسل بالايات المقترحة الا ان الاولين من الامم لما كذبوا بالايات التي سالوها
فاعطوها كان حكمهم الاستيصال لانهم صاروا مكابرين معاندين وما كانوا بالسوال مسترشدين
وهكذا الحكم في هولا اي استاصلهم لو كذبوا بها اذا اتيتهم لعنادهم وقد علمت منهم انهم يكذبون
وقد وعدت محمدا افضل الوحمة ان لا اعذب هولا عذاب الاستيصال وكذا عذاب الاستيصال يكون لقوم
اعلم انه لا يومن احد منهم كقوم نوح وهولا يكون من نسلهم من يومن فلم استاصلهم وحكم الاستيصال
فيمن يكذب بالايات المقترحة فلم اعطهم ذلك ولم ادلهم على الايات الكثيرة التي لا توجب الاستيصال
قال تعالي ولقد جاءهم من الانبا ما فيه مزدجر وقوله واتينا ثمود الناقة مبصرة اي والاية التي
التمسوها مثل اية ثمود وقد اتيناها ثمود واضحة جلية يشاهدونها معجزة ثم كفرت ثمود بها وقوله
وما نرسل بالايات الا تخويفا اي وكل اية نرسل بها نبيا اي اية كانت فانما هي منا تخويفا لهم ليومنوا
وقيل وما نظهر الايات من كسوف الشمس والقمر ونحوها الا تنبيها للناس وتحذيرا عن العذاب وتحريضا
على التوبة • وقوله تعالي واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وهو ينتظم بقوله وما نرسل
بالايات الا تخويفا اي نرسل معك الايات ومنها انا قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي وعدناك
العصمة من الناس وهذا التخويف لهم وكذا المعراج وما ذكرنا في القران من كون شجرة الزقوم
في الادكان ذلك فتنة لهم وفيها تخويف وكذلك قال في اخر هذه الاية ونخوفهم وجه انتظام بعضها
ببعض ومعنى قوله ان ربك احاط بالناس له تاويلات احدها علم مكر الناس في حقك كما قال

وكان الله بكل شي محيطا اي عالما وقال والله محيط بالكافرين والثاني انه قادر عليهم غالب لهم
كما قال فظنوا انهم احيط بهم فمعناه انه يعصمك من كلهم ويقهرهم ويجعلهم تحت يدك واستيلايك
بقتلك بعضهم ودخول بعضهم في الاسلام فينشط بذلك علي تبليغ الوحي والصبر علي اذاهم حتي وعد
الله فكان هو يظهر له ذلك وعلي مرور الزمان يتحقق ذلك فكان تخويفا لهم وقوله وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وهذه اية اخري وهي مما افتتح هذه السورة وهي قصة المعراج
وهذه روية عين كما يقال بات فلان يفعل كذا اذا فعل ليلا فسمي ما يفعله ليلا رويا ويدل
علي انه كذلك ان ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومسروقا وابا مالك وابرهيم النخعي
وقتاده ومجاهد ورجالا غيرهم تاولوا الاية علي انها كانت روية عين وهم ارباب اللسان
وقال قايلون ان الروية المذكورة في هذه الاية هي الرويا المذكورة في قوله تعالي لقد صدق الله
رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وكان اخبر رسوله حين اراه هذه الرويا
انها تكون فتنة علي قومه وكان كذلك حين قصد مكة فصده عنها المشركون فصالحهم
فافتتن بذلك قوم حتي قالوا السنا علي حق وهم علي باطل حتي قال عمر رضي الله عنه الم يقل
رسول الله صلي الله عليه وسلم انا ناتي البيت فنطوف به فقال ابو بكر رضي الله عنه بلي لكن قل
وعدك في هذا العام فقال لا فقال انك ستاتيه وستطوف به وانه رسول الله صلي الله عليه
وسلم وانه سيفعل ما يومر به وقوله والشجرة الملعونة في القران اي وجعلنا لك فتنة ايضا
فانه لما نزل قوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قالوا كيف يكون
في النار شجرة والنار تاكل الشجر وسماها ملعونة علي تقدير والشجرة الملعونة الاكل فحذف المضاف اليه
لوضوح المراد كما في قوله في يوم عاصف اي عاصف الريح او كان عادة الناس انهم اذا اتاهم ذو
بغي سموه ملعونا علي معني الشتم والذم وطلب البعد منه فيقولون لعنك الله اي بعدك الله واراحنا
منك وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون
من شجر من زقوم جمع ابو جهل رجال قريش وقال لهم الا تنظرون الي محمد يزعم ان النار
تنبت الشجر وانتم تعلمون ان النار تحرق الشجر ويخوفنا بالزقوم فما تقولون في الزقوم فقال
عبد الله بن الزبعري انها الزبد والمرتلعه بربر فقال ابو جهل يا جاريه زقمينا بالزبد والتمر
فقال تزقموا فان محمدا يخوفكم فنزل قوله في صفتها ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلي في البطون
كغلي الحميم وقوله تعالي ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا اي عتوا عظيما ومجاوزة للحد واضافة

الزيادة

الزيادة في الطغيان الي التخويف كاضافة النفور الي القران علي ما مر وقوله في القران اي المذكوره
في القران كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب اي مذكورة في كتاب وقوله
تعالي واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس هو متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا اي هذا امر الملايكة بالسجود فسجدوا الا هو وقوله تعالي قال ااسجد لمن خلقت طينا
استفهام معني الانكار اي لا اسجد لمن خلقته طينا اي قدرته وهو طين ليكون انسانا اذ انفخ فيه الروح
فصيرته لحما ودما وكذا وكذا وقوله تعالي قال ارايتك هذا الذي كرمت علي اخبرني لم
فضلت هذا علي ولم جعلته اكرم عليك مني وارايت لفظ استفهام بمعني علي معني اخبرني عنك والكاف
خطاب وقد كشفناه عن حقيقته في سورة الانعام وقيل ههنا نعل الاراه واقع علي سبيل الكاف وهذا
وقيل ارايتك كلمة تامة منفصلة عما بعدها لما وضعت له وهذا الذي كرمت علي مبتدا وما
بعده خبر له وقيل طريق هذا طريق الرجل يقول لاخر اتري هذا الافضل بذكر اوكذا وقوله
تعالي لين اخرتني الي يوم القيمة لاحتنكن ذريته اي لاستاصلن يقال احتنك الجراد الزرع
اذا اكله كله واستاصله واحتنكت السنة اموال الناس اي اذهبتها كلها قال الشاعر
تشكو اليك سنة قد اجحفت ۞ جهدا الي جهد بنا واضعفت ۞ واحتنكت اموالنا وجلفت وقيل
لاقودنهم الي المعاصي كما يقاد الدابة بما جعل في حنكها من حبل ومعني الاول لافسدنهم بالاغوا
وسعي فلا يبقي معهم من دينهم شي كالشي الذي يقلعه من اصله وقوله تعالي قال اذهب
اي قال الله علي لسان ملك اذهب فمن تبعك منهم فان جزاوكم جزا موفورا انصب علي المصدر
والموفور المكمل ووفر وفور الازم ووفرا وفرا متعد وقال زهير ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم واذهب دلالة الاستهانة والوعيد له ومعني الوفور انه لا نقصان فيه
عن قدر الاستحقاق وقيل هو الذي يزول ولا ينقطع وقوله تعالي واستفزز من استطعت منهم
بصوتك اي واستخفف وادع الي المعاصي وقد استفزه الغضب او الفرح اي استخفه بصوتك اي
بدعايك بقول صوت لمن استطعت منهم حين تزيلهم عن رزانة العقلا الي خفة الجهلا وهو كقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الصوت الذي
يدعو به الي المعصية وقال مجاهد هو الغنا واللهو وقوله تعالي واجلب عليهم اي اجمع
خيلك ورجلك وقيل الاجلاب هو السوق بجلبة من السايق اي بصياح والرجل جمع راجل كالركب
جمع راكب وللابليس جند واتباع من جنسه فمنهم فرسان ومنهم رجالة ويجوز ان يكون لهم

من جوهرهم مراكب يركبونها فيجد ذلك بعضهم فيكون فارسا ولا يجده بعضهم فيكون
راجلا ويجوز ان يكون ذلك على ضرب المثل للكثير من الاتباع ويجوز ان يكون خيله ورجله
من بني ادم قال قتاده كل راكب في معصية فهو من خيل ابليس وكل ماش في معصية
فهو من رجله وقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد قال ابن عباس رضي الله عنهما
اما الاموال فالحرث والانعام البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي وما حللوا وحرموا واما
الاولاد فاولاد الزنا وقال عطا وشاركهم في الاموال اي جمع الحرام والاولاد يعني الادعيا
وقال حسن وشاركهم في الاموال يعني على جمع الحرام حتى يكتسبوها من غير وجهها وينفقونها
في غير حقها والاولاد اولاد الحرام وعن بعض السلف قال وشاركهم في الاموال اي كل من اطعمتهم
ما لم يذكر اسم الله عليه عند الاكل وفي الاولاد اخالط ابالهم عند وطيهم اذا لم يذكر اسم الله تعالى عند
ذلك الفعل وقيل يدخل في الاموال الربا وما دعوه لالهتهم وفي الاولاد ما نشوه على الكفر
والمعاصي كصنيع اهل الكفر من النصارى والمجوس وغيرهم باولادهم ويدخلون فيه ما كانوا
يسمونه به اولادهم من الاسما المضافة الى الشياطين والاصنام كعبد ود وعبد العزي وعبد
اللات وعبد مناة وقوله تعالى وعدهم وما يمنيهم من الاماني الكاذبة من النصر على
مغالبيهم في الدنيا وانه لا بعث ولا نشور وان كان فهو الحسنى لهم كما قال ولين رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو كلام معترض ثم عاد المخاطبة
وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ان تلقاهم في ذنب يضيق عنه عفوي وقيل ان خواصهم
ليس لك عليهم سلطان الوسوسة التجاهم الي ودوام استعاذتهم كما قال ان الذين اتقوا اذا
مسهم طيف من الشيطان تذكروا الايه وقال القشيري رحمه الله قوله ان عبادي انما يكون
عبده من لا يكون في اسر غيره فاما من استعبده هواه واستمكن من قلبه الاطماع واسترقه كل خسيسه
ونقيصة فلا يكون من جملتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الخبر
وقيل عباده المتقون بتطل عنايته بتبريهم عن الحول والقوة وانفرادهم بالله بحسن التوكل ودوام
التفويض ثم قوله تعالى ادهب واستفزز واجلب هذه الالفاظ الخارجه على صيغة الامر
على معنى تعجيز ابليس وتعريفه ان ذلك لا يضر الله شيا ولا ينقص من ملكه وان سلطان ابليس
انما يجري على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى عن جملة من شرفهم بعبوديته وقوله
تعالى وكفى بربك وكيلا اي كافيا لك ومعتمدا عليه في امورك وفي الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس

وطرده

مكانه ادم

وطرده قال يارب اسالك ان تقويني على ادم قال يا ابليس لا يولد له الا ولد لك عشره قال يارب
زدني قال تجري فيه وفي ذريته مجري الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد وعدهم فاستغاث ادم بالله تعالى وقال انك جعلت بيني وبين ابليس عداوة
وقويته علي فاعني عليه يارب فقال اذا عملت حسنة فلك بها عشر حسنات وان عملت سيئة
فواحدة قال يارب زدني قال لا اغلق باب الرحمة على من تاب من ذريتك حتى يغرغر فقال يارب زدني فقال
اغفر له ولا ابالي فقال ادم حسبي يارب وقوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر قال
ابن عباس وقتاده وابن زيد يجري والازجا في اللغة السوق قال تعالى يزجي سحابا وانتظامها
بما قبلها ان هذا تفسير قوله وكفى بربك وكيلا ووجه اخرانه بيان وحدانية الله تعالى وبيان انعامه
على خلقه وفيه اظهار قبح شركهم واكثر السوره فيه يقول هو ربكم المفضل عليكم بما يتم به معايشكم
السفن الذي يسوق لكم في البحر سوقا ليبار فيقايح طيبة تقطع بكم المسافة البعيدة في المدة القريبة لتبتغوا من فضله
من رزقه انه كان بكم رحيما اي لم يزل بارا بكم يوصل اليكم المنافع والمرافق الدينية والدنيوية
وقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر اي اشتد بكم البلا في البحر حتى تشرفوا على الهلكة ضل من تدعون
الا اياه اي بطل وتلاشى عنكم الحكم التي تدعون من دون الله فلا يستغيثون الا بالله فلما نجاكم الى البر
خلصكم من هول البحر فاخرجكم الى البر اعرضتم عن اخلاص العباده لله واقبلتم على عبادة غيره وكان
الانسان كفورا اي عادة الانسان في طباعه كفران النعم والمراد به الناس لانه اسم جنس فصلح للجمع ثم
اخبر انه قدرته عليهم في البر كقدرته عليهم في البحر وهو قوله تعالى افامنتم ان نخسف بكم جانب
البر واستفهام بمعنى التوبيخ يقول عجبا منكم كيف امنتم ان نغور بكم الارض في جانب من جوانبها او يرسل عليكم حاصبا
وهو ان نرميكم بالحصبا وهي صغار الحجارة ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي من يكفيكم ما حل بكم ام امنتم ان نعيدكم فيه تارة اخرى
يضطركم اي بسبب لكم سببا يضطركم الى العود الى ركوب البحر مرة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح ريحا تكسر
السفن فيهلككم عقوبة لكم على كفران نعمة تخليصه اياكم في المرة الاولى ثم لا تجدوا لكم اي لانفسكم علينا به تبيعا
اي من يتبعنا بدمايكم ويخاصمنا عنكم بهلاككم والتبيع المطالب والتبعه والتباعة المطالبة بالجنايه
والاتباع الطلب قال تعالى فاتباع بالمعروف وقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ذكر في الايات المتقدمه كفران النعم وبين
في هذه الاية انعامه على بني ادم وحثهم بذلك على الشكر فقال ولقد كرمنا بني ادم اي فضلناهم على كثير من الحيوانات
وجعلناهم احق بالكرامات منها ويدخل فيها خلقه اياهم على هذه الهية التي يصلحون بها للتكليف والتمييز

بين الاشيا والاهتدا الى سبل المعاش وما جعل لهم من الصناعات المنتصبة وحرم دماهم ولحومهم وسخر لهم
ما في الارض وجعلهم المقصودين بالخلق والامتحان واستعمال السما والارض والشمس والقمر والنجوم والبحار
والسواري والجبال وجميع الصعاب والشداد في حوايجهم بما لا يهيا لغيرهم ذلك واسجد لابيهم الملكة وقوله
تعالى وحملناهم في البر على الدواب وفي البحر على الفلك في الرطب على اليابس وفي اليابس على الرطب ورزقناهم
من الطيبات اي اللذايذ من الحبوب والثمار ولحوم الحيوانات النافعة الغذية والاشربة العذبة
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا اي فضلناهم بهذه الاشيا على ساير الحيوانات وجعلنا ساير
الحيوانات مسخرة لهم وخلقنا لهم الة المناولة والتناول وكرمنا ابلغ من اكرمنا لانه يقتضي التكرير
والتكثير وقال ابن عباس رضي الله عنهما كرمناهم بالعقل وقال الضحاك بالنطق والتمييز وقال
عطا بامتداد القامة وتعديلها وقال يمان بن ريان بحسن الصورة وقال محمد بن كعب بان جعل محمدا
صلى الله عليه وسلم منهم وقال مقاتل كرمنا بني ادم بالاكل بالايدي وروي هذا عن ابن عباس ايضا
وقال الاصمعي دخلت على الرشيد وبين يديه جام خبيص وبيده ملعقة ذهب ياكل بها فقال يا اصمعي
تعال فساعد فقلت حدثنا سفين بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن جدك عبد الله بن عباس في
قول الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم بالاكل بالايدي فرمى الملعقة وقال القشيري رحمه الله ظاهره
على العموم والمراد به المومنون على الخصوص لانه قال في وصف الكفار ومن يهن الله فما له من مكرم فالتكريم التكثير
من الاكرام فاذا حرم الكافر اصل الاكرام فمتى يكون له تكريم ثم انما قال بني ادم ولم يقل المومنين ولا العابدين
ولا المجتهدين تعذيبا للتكريم من ان يكون مقابلا بفعل او معللا بوفاق او مسببا باستحقاق وذلك التكريم
انهم متى شاوا وقفوا على بساط المناجاة ومن التكريم انك على اي وصف كنت من الطهارة وغيرها اذا اردت
ان تخاطبه خاطبته واذا اردت ان تساله سالته ومنه ان العبد اذا تاب ثم نقض توبته ثم تاب قبل توبته
ولم تكرومنه جرمه تضاعف له قبول التوبة وعفوه ومنه اذا عثر اخذ بيده واذا قال لا اعود قبله بقوله
وان يعلم انه سيعود ومنه ان زين ظاهرهم بالمجاهدة وحسن باطنهم بالمشاهدة ومنه انه اعطاهم قبل
سوالهم وغفر لهم قبل استغفارهم كذلك ورد في الخبر ومنه انه قال لهم اذكروني اذكركم ولم يقل ذلك للملايكة
ولا للجن ولكن اقال يحبهم ويحبونه وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومنه قوله في حقهم ومن يعمل سوا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقوله حملناهم في البر والبحر قالوا محمول الكرام لا يقع
ولو وقع اخذ بيده ولما حمل بنو ادم الامانة جازاهم بان كال وحملناهم في البر والبحر وشتان ما هما
وقوله ورزقناهم من الطيبات الرزق الطيب ما كان على شهود الرزاق فمن لم يكن غايبا بقلبه ولا غافلا عنه

استطاب

استطاب كل رزق وانشد واشعر اني لا ادر سمت ركاب • ولا الذي نبقيه شراب • لا عاعاشيا
ولو شيب لي • من كفك العلقم والصاب • وقوله تعالى وفضلناهم فضلهم بالخلق الحسن ثم فضل بعضهم
على بعض بالخلق الحسن وقيل فضلهم بان لا حظوا انفسهم بعين الاستعدا واعمالهم بعين الاستصغار وقوله
تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قيل هو على الاغوا احذروا يوم ندعوا او على الابتدا اذكر يوم ندعوا
وقال الزجاج اي نبعثكم يوم ندعوا وقيل يتصل بقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا يوم
ندعوا وقيل بقوله فان جهنم جزاوكم جزاء موفورا يوم ندعوا وقيل بقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
يوم ندعوا كل اناس بامامهم روي على رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في تفسيره بكتاب
ربهم وبسنة نبيهم والامام هو المقتدي وكتاب الله هو الذي يجب ان يقتدى به فعلى هذا يدعى يا اهل
القران يا اهل التورية يا اهل الانجيل وقيل بامامهم المبعوث اليهم يا امة محمد يا امة موسى يا امة
عيسى وقيل اي يدعا كل امة مع نبيها ليشهد عليها وقال علي رضي الله عنه بن ابي طالب بامامهم في الخير
والشر كما قال وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وجعلناهم ايمة يدعون الى النار وقال محمد بن كعب
بامامهم وقال بعضهم عند ابيهم لانهم كانوا ابو موتها وقيل بحرفتهم وقيل باجوالهم ومقاماتهم
قال النبي صلى الله عليه وسلم اول من يدعا الى الجنة الحمادون الله على كل حال وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في حديث عقد الالوية ثم يعقد لوا اخر وينادي مناد اين الساعون للشكر فيقومون ثم يعقد لوا اخر وينادي
مناد اين الراضون بالمقدور فيقومون ثم يعقد لوا اخر وينادي مناد اين الصابرون على المحذور فيقومون فهذه
هي المقامات الى ان تتم اربعون وسبعون من الالوية وقيل وهو الاظهر والاوفق للنظم بامامهم اي الى كتابهم
الذي كتب فيه اعمالهم وسمي اماما لان المرجع في تعرف اعمالهم كما يسمى مصحف عثمان اماما لان المرجع اليه ويدل عليه
ما بعده وهو قوله تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه وهو كتاب اهل السعادة فاوليك يقرون كتابهم مثبتا على
ما كان منهم ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون شيا من ثواب اعمالهم وان كان شيا حقيرا يسيرا مقدار ما يفتله الرجل
بين اصابعه من الوسخ فهو الفتيل وقيل الفتيل الذي يكون في شق النواة وقال القشيري رحمه الله فاوليك
يقرون كتابهم لكمال صحوهم ودفور عقلهم والذين يوتون كتابهم بشمالهم تبهتهم لتحيرهم وتردهم لا يقرون كتابهم
واشار اليه في قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاوم اقروا كتابيه الايات واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني
لم اوت كتابيه ولم يذكر القراه وقوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا قرا ابو عمرو
اعمى الاول بالامالة والثاني بالتفخيم وقال وهو للتفضيل بدليل قوله واضل سبيلا ومعناه اشد عمى
من عمى القلب فيكون افعل للفعل لا للانفعال فيصح قال تعالى بل هم منها عمون وقرا بالتفخيم فيهما

قال عيسى ان يكون قوله يوم ندعوكم
الا يوم ندعوا وقيل متصل بقوله

ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص وبالامالة فيهما حمزة والكساي وعاصم في رواية
ابي بكر ومعناه ومن كان في هذه اي في الدنيا والنظر الي اعيانها والاستدلال بها علي ما جعلت دلايل عليها
اعمي فهو في التفكر في امور الاخرة اعمي لانه غيب واضل سبيلا اي اعدل عن الحق وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ذكر النعم قبله ربكم الذي يزجي لكم الفلك وكذا وكذا ثم قال ومن كان عن هذه النعم التي تعاين
وتشاهد من امور الاخرة اعمي ومن عمي عن ايات الله في الدنيا فهو الذي غيب عنه من امور الاخره
اشد عمي ومن كان في الدنيا عن سلوك سبيل سبيل النجاة بالتوبة اعمي فهو في الاخرة اشد عمي من
طريق النجاة من عذاب الله وقال ابو العباس بن عطا من كان في هذه الدنيا اعمي عن معرفته
فهو في الاخرة اعمي عن رويته وقيل من كان في الدنيا لا يبصر رشده مع ما مد له من المهلة فهو في الاخره
بهذه الحالة ايضا لا سبيل له الي التوبة وقيل من كان في الدنيا اعمي عن حجج الله بعث يوم القيمة اعمي كما قال
ونحشره يوم القيمة اعمي الايات وقال ونحشرهم يوم القيمة علي وجوههم عميا وهو علي العمي الحقيقي بالبصر
عقوبة لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما من كان في هذه اعمي عن شكر النعم كان في الاخرة اعمي عن
نيل الثواب وقال ابو بكر الوراق من كان في هذه اعمي في حجته فهو في الاخرة اعمي عن جنته
وقال القشيري رحمه الله ومن كان في هذه اعمي عن مشاهدته ببصيرته فهو في الاخرة اعمي عن
رويته ببصره وقيل لما نزلت هذه الاية جاء عبد بن ام مكتوم وكان ضريرا الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمي افاكون في الاخرة اعمي فانزل الله تعالي فانها لا تعمي
الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وقوله تعالي وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا
اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا وهذا من عميهم في الدنيا قال ابن عباس رضي الله عنهما
جاء وفد ثقيف الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا نحن اخوالك واصهارك وجيرانك فاعطنا
ما نريد نعطك ما تريد فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما تريدون فقالوا نريد ان لا نعشر
ولا نحشر وكل ربا علي الناس فهو عليهم وكل ربا للناس علينا فهو موضوع عنا ومن قصد وادينا وج
فعضد شجرها واصطاد صيدها معناه وخربناه متعنا باللات سنة ليظهر كرامتنا وفضلنا
وان لا نكسرها بايدينا فقال النبي صلي الله عليه وسلم لا تعشرو ولا تحشرو وكل ربا فهو لكم واما قولكم
لا نحني فلا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود واما قولكم لا نكسر اللات بايدينا فلنامر بكسرها
واما قولكم متعنا بها سنة فانا انظر امر الله فيها فقالوا ان لا تمكن العرب بذلك فقل امرني الله به
فقال لهم عمر رضي الله عنه ما لكم احرقتم رسول الله صلي الله عليه وسلم احرق الله اكبادكم لا ولا نعمة عين لا ندع

عمي عن تنوعها في البر والبحر

رسول

266

رسول الله صلي الله عليه وسلم صنما بارض العرب يعبد فانزل الله وان كادوا ليفتنونك اي ما كادوا
الا ان يصرفوك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره وهو قولهم قل امرني بذلك واذا لاتخذوك خليلا
يعني لو فعلت ذلك لصادقوك ووادوك وقيل قالوا يا رسول الله امسح وجوه اصنامنا بيدك حتي نمكنك ان
تستلم الحجر الاسود وقيل هو التماس المشركين ان يخلي لهم المجلس وان يطرد الفقراء عنه وقوله تعالي ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وفيه اثبات العصمة له حتي لا يهم بذلك اصلا ولم يكد يفعل ذلك لانه
علق بذلك الشروط وهو قوله ولولا ان ثبتناك اي علي الحق والصواب لكان منك ذلك وهو كما قلنا في قوله
وهم بها لولا ان راي برهان ربه انه لما ذكره معلقا بالشرط كان نفيا له اصلا وقوله تعالي ليفتنونك
بيان قصدهم لا فعله وقال القشيري رحمه الله معناه لو تركناك ونفسك ورفعنا عنك ظل العصمة لالممت
بشيء مما لا يجوز من مخالفة امرنا ولكنا ضربنا عليك سرادقات العصمة واويناك في كنف الرعاية وحفظناك
عن الاخطار في اتباع هويك فالزلة منك مع هذا محال فالافتراء في نعتك غير موهوم وقال قتادة لما نزلت هذه
الاية قال النبي صلي الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الي نفسي طرفة عين وقوله تعالي اذا لاذقناك ضعف الحيوة اي لو
ركنت اليهم لاذقناك ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات ثم كانت درجته ارفع ونعم الله عليه اسبغ
كان وعيد الله في حقه ابلغ ولذلك قال في حق نساء رسول الله صلي الله عليه وسلم يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقوله تعالي ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي مانعا عذابنا
عنك معناك وانما جاز اضمار العذاب في الضعف في هذه الاية لان الله وصف العذاب بالضعف في اية فعرف
ههنا انه هو المراد به قال تعالي فزده عذابا ضعفا في النار وقال تعالي قال لكل ضعف وقوله تعالي وان كادوا
ليستفزونك من الارض اي يستخفونك ويستجلونك قيل نزلت في حيي بن اخطب وجدي بن اخطب ورؤسا
اليهود قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم انك لتعلم ان الحجاز ليست بارض الانبيا وانما مقام الانبيا ارض المحشر بالشام
فان كنت نبيا فاخرج الي الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافتك قتل الروم اياك فتوجه رسول الله صلي الله
عليه وسلم نحو الشام الي ذي الحليفة فاتي جبريل عليه السلام بهذه الاية فانصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقيل المراد منه الاخراج المذكور في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وهو
ما ائتمروا به في دار الندوة وقوله تعالي واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قرا ابن عامر وحمزة والكساي
وعاصم في رواية حفص خلافك بالالف والباقون خلفك ومعناهما واحد اي لو فعلوا ذلك لم يكن لم يبقوا
بعدك الا قليلا مدة ما ينزل بهم العذاب لانه ما فارق نبي قومه الا عذبوا ونزل بهم الاستيصال وقوله
تعالي سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا اي كسنتنا فيمن قد ارسلنا قبلك من رسلنا انه ما فارق

وسول قومه الاعذبوا ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لا تجد احد سبيلا الي تبديل ما سنه الله وكتب علي عباده
وقال تعالي وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحي اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وقال تعالي وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك اهلكناهم وقد جري علي اهل مكة بعد خروج النبي صلي الله عليه وسلم الي المدينة بسبب مكرهم
قتل صناديدهم ببدر وبعد سنتين ثم فتح مكة واخراج من بها من المشركين **وقوله** تعالي اقم الصلاة
اي فان ثقل عليك اذاهم فافزع الي الصلوة فيها الفرج والمخرج قال تعالي ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين **وقوله** تعالي لدلوك الشمس قال ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهم في رواية وابن زيد لغروبها الي بعد غروبها وهي صلاة المغرب وقال ابن عباس
في رواية الحسن ومجاهد وقتادة هو زوالها واصله الميل وهو ينتظم امرين **وقوله** تعالي الي غسق
الليل هو اول ظلمة الليل وقيل هو ظهور ظلامه وقد غسقت العين اذا انفجرت فظهر ما فيها يقول اقم
الصلوة لزوال الشمس الي اظلام الليل وهو ينتظم صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا **وقوله** تعالي
وقران الفجر اي صلوة الفجر سماها قرانا اذ القراة من اركانها كما سميت الصلوة ركوعا لذلك قال النبي صلي
الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتي يركع ركعتين وفي بعض الروايات حتي يسجد سجدتين
وقد سمي الله المصلين ركعا وسجدا وقيل قران الفجر اي اقم قراة الفجر اي قراة المفروضة فيها فعلي هذا
تكون الاية جامعة للصلوات الخمس **وقوله** تعالي ان قران الفجر كان مشهودا اي صلوة الفجر وما يقرا
فيها يشهده ملايكة الليل والنهار لفضيلة هذه الصلوة في نفسها **وقوله** تعالي ومن الليل فتهجد به
نافلة لك اي اسهر بالقران تقرا في صلوة الليل نافلة لك زايدة لك علي تلك الفرايض المذكورة في
الاية الاولي فتلك فرايض وهذه نوافل وقيل غنيمة لك وقال الحسن رحمه الله نافلة لك اي خالصة لك
وخلوصه له انه كان لا يغفل عن شي منه في حال وغيره من الناس قد يغفلون فيه عن اشيا وقيل
انما قال نافلة لك لانه كان مغفورا له فيما يفعل فيكون نافلة له واما غيره فان ما يعمل من الخيرات
يكون كفارة لذنوبه فلا يكون نافلة له واما غيره ثبت انه نفل في حقه ثبت انه نفل في حق امته
لان المشروع في حقه مشروع في حق امته حتي يقوم دليل التخصيص وكان قيام الليل فرضا في الابتدا
ثم نسخت فرضيته وقيل كان فرضا علي النبي صلي الله عليه وسلم ومعني قوله نافلة لك اي زايدة
علي عدد الخمس فرضا عليك دون غيرك **وقوله** تعالي عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي يقيمك
مقام الشفاعة فيحمدك عليه الخلق والمحمود الكريم ايضا والمقام هو الموضع الذي يقوم فيه الانسان

علا الامور كالمقامات بين يدي الملوك وفي مجالس العشاير لتسكين الدوايب وقال لبيد **شعر**
ومقام ضيق فرجته بلساني وبياني وجدل • وقال اخرون • واني لقوام مقاوم لم يكن • جرير ولا مولي
جرير يقيمها • وفي هذه المقامات تبيين فضل السادة وتكتسب بها اسباب السيادة ويطير بها الذكر
في الناس وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة المقام المحمود هو مقام الشفاعة وقيل هو اعطا لوا
الحمد **وقوله** تعالي وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المدخل والمخرج بفتح الميم موضع الدخول
وموضع الخروج وبالضم موضع الادخال وموضع الاخراج ويكون مصدرا ايضا وهو نفس الادخال ونفس
الاخراج والصدق اريد به صدق الوعد اي تصدق به ما وعدتني كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
ويحتمل ان يكون معناه الحسن الجميل كما يقال فلان خليل صدق ورجل صدق اي مرضي الخلق ومنه قوله ان لهم قدم
صدق وقال ابن عباس والحسن وقتادة هو ادخال المدينة بعد الاخراج من مكة وقيل معناه ادخلني فيما
فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه وقال القفال علمه ما يدعو به في صلوته من اخراجه من بين
ظهراني المشركين علي الحالة المحمودة من السلامة والكفاية والعز والعافية واخرجني من مكة اخراج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي واذا ادخلتني مكة بالحرب فسلطني علي المشركين واغلبني عليهم وانصر
سلطاني عليهم منصورا والنصير بمعني المنصور ويقال راية منصورة يراد بها ان صاحبها منصور علي اعدايه
والنصر التمكين من الانتصار من العدو وقد استجاب الله ذلك يوم الفتح **وقوله** وقل جا الحق وزهق الباطل اي ثم
اصحابك بدين الحق ودولتهم وبطلان دولة اعدايهم ان الباطل كان زهوقا اي لم يزل مضمحلا لا بقا له ولا ثبات
وانما الثبات والدوام للحق وهذا مستقبل بمعني الماضي كقوله اتي امر الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما
زهق الباطل ذهب نفسه اذا خرجت فهلكت وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم لما دخل الكعبة يوم
فتح مكة وجد فيها ثلثماية وستين صنما فجعل يطعنها بيده ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا فيحتمل ان يكون هذه الاية امر الله ان يقول هذا اذا دخل مكة وفيه تحقيق البشارة بالفتح وهذا التاويل
اقرب الي النظم والاتصال بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها وفيه اقاويل اخر وقيل معناه
امتني اماتة صدق وابعثني يوم القيمة مبعث صدق فيتصل بقوله مقاما محمودا او يكون الادخال في القبر
والاخراج منه وقيل اي ادخلني في الامر الذي اكرمتني به من النبوة مادمت حيا مدخل صدق واخرجني منه
اذا امتني مخرج صدق وهذا معني قول مجاهد وقال القشيري رحمه الله ادخلني في طاعتك مدخل صدق
علي رؤية المنة واخرجني منه مخرج صدق علي رؤية التبري من الحول والقوة وقيل ادخال الصدق ان يكون
دخوله في الاشيا بالله لله لا لغيره واخراج الصدق ان يكون خروجه عن الاشيا بالله لله لا لغيره واجعل لي من لدنك

سلطانا نصيرا حتى لا احظ دخولي ولا خروجي والحق ما كان لله والباطل ما كان لغير الله والحق من
الخواطر ما دعاه الى الله والباطل ما دعاه الى غير الله وقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفا
ورحمة للمومنين يتصل بقوله فتهجد به اي بالقران وبقوله وقران الفجر ومن القران ليس للتبعيض بل هو
كقول الي من هذا الرجل اخو صدق اي هذا الرجل اخو صدق والقران كله شفا من وجوه احدها ما فيه من
البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك ومرض القلب ومنها انه برهان من جهة النظم والتاليف على انه
معجز يدل على صدق من اتى به ومنها انه يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار والامراض وقد
روي ان الدفع بواحين قرا عليه فاتحة الكتاب ومنها ما في تلاوته من التعبد وقوله تعالى ولا يزيد الظالمين
الا خسارا اي المشركين المعرضين عن التدبر والتفكر الا هلاكا وعنا بفوت الثواب واستحقاق العقاب
واضافة الزيادة الى القران بطريق التسبيب على ما مر مرات وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض
وسبب الخسران بتنزيل القران انا اذا انعمنا على الانسان اي المشرك باعطا المال والصحة والامان
وكثرة الولدان لم يتخذه مشكورا نعمتنا وادا طاعتنا اعرض عن تدبر اياتنا ونأى بجانبه عن المومنين فلم يكلمهم
وهو عبارة عن التكبر يقال فلان لين الجانب اذا كان متواضعا سمح الاخلاق وصعب الجانب اذا كان
متكبرا عسر الاخلاق لا يوصل اليه بسهولة كالشي البعيد ويحتمل ونأى بجانبه اي تباعد في اعراضه عما
قال من كان لم يدعنا الى ضر مسه وهو كما يقال ركب فلان راسه وشمخ بانفه وصعر خده ولوى
شدقه وقوله تعالى واذا مسه الشر كان يوسا اي واذا اصاب هذا الكافر سوء يئس من رحمة
الله فلم يصبر على المحنة وفي الحالة الاولى لم يشكر على النعمة وهو كقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته اي كل انسان يعمل على دينه
على ما يشاكل عقله فمن تدبر القران واستشفى به عمل في دينه بالحجة ومن اعرض عنه عمل على ما يوجبه
تقليد الاباء في الضلالة وقوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا من الفريقين ويجازي كل فريق على وفق
الاعتقاد والعمل والشاكلة الخليقة وقيل الطريقة وقيل الطبيعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما على شاكلته
اي على ناحيته وقال مقاتل على طبعه وقال الحسن وقتادة على نيته وقال المبرد على مذهبه وقوله
تعالى ويسالونك عن الروح اي هولا المشركون المعرضون عن التدبر في كتاب الله يسعون في سوالك وجوابك
وقيل في نزول هذه الاية ان النضر بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار قال يا معشر قريش قد نزل بكم امر
ما تقدرون قدره فانظروا في امركم فاجتمع رايهم على ان يبعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط والى من
خلف الى احبار يهود يثرب فاتوهم وسالوهم عن محمد وامره فخرجوا حتى اتوا يهود بني قريظة والنضير

فسئلع

وفستاع ثم سالوهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوهم قوما حسدا فقالوا اسالوا الرجل عن ثلثة اشيا
فان اخبركم عنهن فان الرجل مرسل وان لم يفعل فان الرجل متقول وقد اظل زمان نبي فسلوه عن طواف قد بلغ المشرق
والمغرب قد كان له خبر ونبا وسالوه عن الروح فان اخبركم عنه فانه كاذب وان لم يخبركم عن الروح فهو
كما قال واسلوه عن اصحاب الكهف فان عجز عنها فهو متقول فخرجوا حتى انتهوا الى عدد فقالوا لهم مثل هذا
سوالا القمر قالوا هذه صفته وبحد مخرجه من بلادكم وبحد مهاجره بيثرب فرجع النفر الى مكة فلما قدموا على قريش
قالوا جيناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا اهل الكتاب الاول ان نساله عن امور فان اخبرنا عنها فهو كما قال
وان عجز عنها فهو متقول فمشت قريش مع هولا الرسل حتى تقولوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند
الكعبة قد فرغ من صلوته فقالوا انا نريد ان نسالك عن اشيا وتعلمهم النفر الذين كانوا قدموا فسالوه عن تلك
الخصال الثلاث فقال اخبركم غدا ولم يستثن فلبث الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا ياتيه جبريل
فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وارجف اهل مكة فقال بعضهم لبعض الرجل متقول وبطل ما كان
يقول وعدنا ان يخبرنا عما سالناه فقال غدا اخبركم واليوم خمس عشرة ولم ياتنا بخبر ما سالناه عنه
ثم عادوا فسالوه عن حديث اصحاب الكهف فقص عليهم قصتهم ثم جاهم بحديث الطواف وهو ذو القرنين
فاخبرهم بذلك كله وقص عليهم ثم سالوه عن الروح فقال قل الروح من امر ربي فما تغيروا وفرحات
هذه الامور كلها وهم لا يومنون وقوله ويسالونك عن الروح اي عن الروح التي يحيى بها الحيوان ما هي
كما يسال عنها من يدعي الفلسفة قل الروح من امر ربي اي هو المتفرد بعلم كيفيتها كمن يسال عن شي لا يعرف
على حقيقته فيقول هذا من امر استاذي اي هو الواقف على حقيقته وقيل من امر ربي اي وجودها بتكوين ربي
كما قال انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون هذا جواب مقنع كاف لمن انصف فانما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبيان ما يحتاج اليه من امر الدين وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي وقلة علمكم بمواقع
حجج الله ومراتب دلايله ملتمسون دلايل صحة دعوى النبوة من جهة العلم بالروح ونحو ذلك وليس كذلك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الروح الذي سالوا عنه هو جبريل عليه السلام قال تعالى نزل به الروح
الامين وقيل هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله بجميع ذلك
وهذا عن علي رضي الله عنه قال وهو حافظ على الملايكة كالملايكة حفاظ على بني ادم وهو في قوله يوم
يقوم الروح والملايكة صفا وقال الحسن سالوه عن الروح الذي هو القران قال تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ينزل الملايكة بالروح من امره ويدل عليه ما قبله وما بعده وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمومنين ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك قل لين اجتمعت الانس والجن على ان

باتوا بمثل هذا القران لا ياتون اي قالوا اما هذا الروح اي القران الذي سمي روحا من اين لك هذا وانزله عليك
فانا نراه شبيها بما في الكلام من الشعر والاساجيع والخطب فقال هو من امر ربي انزله الي ولو تدبرتموه لجنبتم عن موت — من ضروب الكلام من الشعر والاساجيع والخطب
الجهل ولكن الغلبة عليكم عن كثرة ذلك وقلتم من اين جاء ومن جاء به وهو قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقيل
سمع النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يقولون علم كل شيء في التورية فنزلت عليهم هذه الاية وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فقالت اليهود نحن مخصوصون بهذا الخطاب او انتم معنا فيه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك تارة تقول يوت الحكمة من يشاء ومن
يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى ردا عليهم ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله فبين لهم ان علوم الخلايق لا شي
في علم الله وقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك عدد نعمه عليه صلى الله عليه وسلم بما اتاه من القران
فقال ونحن قادرون على ان نذهب به بان نمسكه والناس جميعا وندفعه من صدوركم ثم لا تجد لك علينا
به وكيلا اي لا تجد من يرده علينا وكيلا لك به اي قايما به معتمدا عليه وقوله تعالى الا رحمة من ربك
وهذا استثنا منقطع بمعنى لكن بما اراده الله تعالى من الرحمة لعباده وعلى يدك وما في سعة فضله هو الذي
يبقيه عليكم ان فضله كان عليك كبيرا اي ان فضله في سابق علمه بما اراده من ارسالك الى الناس نبيا
كان كبيرا وقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لفظا ومعنى واعجازا لا ياتون
بمثله لم يقدروا على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا اي وان كان تظاهروا وتعاونوا وتقوى بعضهم
ببعض لم يقدروا على ذلك هو جواب قول النضر بن الحارث الذي قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال السدي لا ياتون
بمثله لانه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله وقوله لا ياتون اما رفع ولم يجزم جزا الشرط لانه غلب
جواب القسم على جواب الشرط لوقوعه في صدر الكلام ويجوز ان يجزم على الجواب للشرط قال الاعشى
لئن منيت بنا عن غب معركة ۝ لا تلفنا عن دما القوم ننتفل ۝ والاصح الافصح الرفع وقوله تعالى
ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل اي صرفنا في هذا القران المعجز القول بكل نوع من الترغيب
والترهيب ليتدبروا ويتفكروا فابى اكثر الناس الا كفورا وهم قريش والعرب الا كفورا اصرارا على
الكفر وتماديا في الطغيان وكفرانا للنعم وقوله تعالى وقالوا لن نومن لك لن نصدقك وان جيتنا
بهذا القران المعجز حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قرا عاصم وحمزة والكسائي تفجر بالتخفيف لان الحل
واحد وهو قوله ينبوعا والثلاثي منه متعد وقد فجر اي شق واسال الماء وقرا الباقون بالتشديد
لانه للتكثير والتكرير والينبوع العين التي ينبع منها الماء اي يفور وارادوا بالينبوع طلب عيون ببلدهم

قاله

قاله قتادة ومجاهد وما بعده وهو قوله فتفجر الانهار هذا بالتشديد بالاجماع لمكان الانهار وقوله من
الارض اي من ارض مكة ينبوعا اي عيونا فيها تنبع منها المياه للزراعة وغرس الاشجار او يكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اي يكون لك في خاصة نفسك اذ زعمت انك رسول الله مكرم عنده فيخصك
بالجنان التي فيها النخيل والاعناب متفجرة فيها الانهار المطردة او تسقط السماء علينا كسفا قال ابن عباس — كما زعمت
ومجاهد وقتادة اي قطعا والكسف القطع وهو مصدر بالفتح وبالكسر القطعة ويجوز جمعا لكسفة
كالسدر جمع سدرة وقولهم كما زعمت يعنون قوله عز اسمه ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السماء وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقوله تعالى او تاتي بالله والملايكة قبيلا
اي مقابلا وهو كالاكيل بمعنى المواكل والجليس بمعنى المجالس واحد بمعنى الجمع كقوله ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا
وقيل قبيلا جمع قبيلة اي مجتمعين وقيل القبيل الكفيل اي تاتي بهم كفلا عنك يضمنون عنك عهدة ما تدعونا
اليه وقعد تامن مضرة الهلاك لمن امن بك على من عاداك واحد بمعنى الجمع وطريق استعماله ان يراد به او تاتي
بكل واحد منهم قبيلا اي كفيلا وكذلك قوله ثم نخرجكم طفلا اي نخرج كل واحد منكم طفلا وقوله او يكون لك
بيت من زخرف قال ابن عباس رضي الله عنهما من ذهب والزخرف التزيين والتحسين قال الله تعالى حتى
اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها وقال الحسن الزخرف النقوش اي او يجعل الله لك بيتا مزينا بالذهب
كما يكون بيوت ملوك الروم وفارس وغيرهما فان الناس لا ينقادون لك على ما بك من الفقر وقوله تعالى
او ترقى في السماء اي تصعد ولن نومن لرقيك اي لصعودك حتى تنزل علينا كتابا نقراه في قرطاس كما قالوا ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس وقيل اي على كل واحد منا كتابا كما قال بل يريد كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة
وقوله تعالى قل سبحان ربي اي تنزيها لربي ان يعجز عن شي من هذا وقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا
والبشرية لا تقتضي القدرة على هذه الاشيا بغير اقدار الله تعالى عليه والرسالة لا تقتضي الاتيان بها لا محالة
فانه ارسل الرسل وما اتى كل رسول بهذه الاشيا وقيل انا رسول ولست ملكا فاخترع البيوت واغرس
الجنان انما انا رسول اليكم ابلغكم رسالات ربي قال ابن عباس رضي الله عنهما طلب هذه الامور من رسول
الله صلى الله عليه وسلم جماعة من قريش وهم عتبة بن ربيعة من ربيعة الاسود والوليد بن المغيرة وابو جهل
وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف والعاص بن وايل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وقيل اجابهم
عن هذا في سورة الانعام ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية وانما لم يعطهم ذلك لان ما جاء به الرسول من الايات
كانت ادلة لا شبهة فيها فلم يكن لهم انكارها مع وضوحها فكان طلب غيرها تعنتا فلم يستحقوا ان يجابوا اليها
وقيل قوله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا اي امرها الى الله الذي ارسلني وهو اعلم بالتدبير وبما ينصبه من الدليل

وقوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا اي ما كان علة
الا بشرا رسولا قالوا ابعث الله بشرا رسولا اذا كنت بشرا فانت مثلنا فكيف يلزمنا الانقياد لك ثم رد عليهم
هذه الشبهة قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين اي يسكنونها مستوطنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون اليه فاما انتم فبشر ونبعث اليكم بشرا مثلكم لتكون قلوبكم اسكن واتم لكلامه
انهم وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي يا محمد لهولا المشركين المدعين لك
قد اوردت عليكم الايات وادّيت اليكم الرسالات وانا اشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان
بعباده عالما بصيرا مشاهدا افعالكم وافعالي فهو يشهد لي عليكم يوم القيمة بالتبليغ وعليكم بالاعراض
والتكذيب فيجازي كلا بعمله وهو وعيد شديد   تعالى ومن يهدي الله فهو المهتدي اي ومن يهده
الله ودلت الاية على خلق افعال العباد   تعالى ومن يضلل اي ومن يضلله الله فلن تجد لهم اوليا من
دونه اي من يتولى هدايتهم وهو بمعنى الجمع لانه جنس ولذلك جمع ما بعده وهو قوله تعالى ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم اي مسحوبين عليها قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه قال المشركين كيف يمشون
على وجوههم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي امشيهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا وبكما وصما حين يحشرون ثم يرون ذلك بدليل قوله تعالى وراى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا
وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقيل عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صما عما يمتعهم كذا قال ابن عباس
والحسن جزاء عما كانوا يتعامون في الدنيا عن رويته من الحق ويتباكمون عن التكلم به من الحق ويتصامون عن
سماعه من الحق قال تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال مقاتل ذلك في جهنم حين يقال لهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون   تعالى مأواهم جهنم اي مصيرهم ومقرهم كلما خبت اي سكن لهبها وقد خبا يخبو
خبوا والنار لما تنبث زدناهم سعيرا اي لهبا وقد سعر النار يسعرها من حد صنع اي الهبها وقيل كلما خبت
اي ارادت ان تخبو كما قال كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا وذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فسرناه في هذه السورة تقول لم نعذبهم ظلما بل جزاء على
كفرهم وانكارهم البعث وتعجبهم من بعد ادمامهم وتفتيت عظامهم   تعالى اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم واذا قدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم خلقا جديدا اولم يروا
ذلك اي اولم يعلموا ذلك علما يقوم مقام العيان في مقام الايقان   تعالى وجعل لهم اجلا اي مدة نظر
لا نفسهم لا ريب فيه لا شك في مسنه فابى الظالمون الا كفورا اي كفرانا لهذا الانعام بهذا الامهال وقيل وجعل لهم
اجلا هو البعث لمحاسبتهم على كفرهم فابوا في الدنيا الا كفورا بهذا الوعد في الاخرة وقيل في الاية تقديم وتاخير

خلق

خلق السموات والارض وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو مدة العمر قادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى
قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اي مفاتح رزقه اذا لامسكتم عن الانفاق على انفسكم وقوله خشية الانفاق اي
اي لخوف الفقر قاله ابن عباس رضي الله عنهما والقعة كذلك وقيل خشية الانفاق اي يذهب انفاقكم اموالكم وقوله
تعالى وكان الانسان قتورا قال الحسن اي بخيلا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي ممسكا وقال الضحاك
اي ضيقا واصله تضييق النفقة وقد قتر يقتر قترا من حد دخل وضرب جميعا وقتر تقتيرا بالتشديد اي
ضيق النفقة فان قيل لم قال وكان الانسان قتورا وفي الناس الجواد قلنا الاغلب ذلك لان المقتصد والبخيل
ليسا بجواد ولان طبع الكل الضن على غيره بما فيه نفع نفسه وقال الحسن اراد به المشرك وهو لا يرجو الثواب
فلا يجود لذلك وقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات واصلنا له الحجج فلم يقبلوها ولم ينقادوا
لها كما لم تقبل قومك باياتنا التي واصلناها لك وتسع ايات قال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد واللسان
والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال محمد بن كعب القرظي هو الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والبحر والعصا والطمسة والحجر وقوله تعالى فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم اي سل علما بني
بني اسرائيل هو الخبر اذ جاءهم اي جاء اسلافهم موسى بها وقوله تعالى فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
اي سحرت فاثر في عقلك وحملك ذلك حتى افضى بك ذلك الى ان تدعي انك الهاتف في ارسالك الي لادخل في طاعتك
وقيل مسحورا اي مخدوعا وقوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض وقرا الكسائي علمت
بالضم قال موسى علمت انا وقرا الباقون بفتح التاء اي علمت انت يا فرعون لانه عاند مع علمه قال تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا يقول انك لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم ان ما جئت به من الايات ليس بسحر ولا انا
فيه مخدوع بل هي حجج الله التي من تاملها استبصر فيها اي يتيقن انها من عند الله وقوله تعالى واني لاظنك يا فرعون
مثبورا اي اعلمك بالاستدلال هالكا وقيل ممنوعا عن كل خير وقوله تعالى فاراد ان يستفزهم من الارض اي هم
ان يستخفهم ويزعجهم عن ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا من اعوانه واهل دينه جميعا اي لم يبق منهم احد
وقوله تعالى وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض اي اسكناهم امر بمعنى الخبر كما في قوله سيروا فيها ليالي
واياما امنين وقوله تعالى فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا اي اخبرناهم انكم ستمتعون في الارض الى الموت
فتفارقوا الدنيا وتنقلبوا الى الاخرة للحساب والجزا فاذا جاء وعدنا من البعث حشرناكم مختلطين شتى وبلدان
مختلفة وقيل اراد به جميعا لا نغادر منهم احدا وقيل اراد به اختلاط الناس بعضهم ببعض لفزع القيمة
العرب بالعجم والجنس بخلاف الجنس لا انتظام لاجتماعهم كما قال تعالى كانهم جراد منتشر وروى صفوان بن
عسال المرادي ان يهوديين مرا بالنبي صلى الله عليه وسلم فسالاه عن هذه الاية فقال اوحى الله تعالى

الي موسى ان قل لبني اسرايل لا تشركوا بي شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تاكلوا الربا ولا تشربوا
الخمر ولا تسحروا ولا تسرفوا ولا تقذفوا وعليكم خاصة يا ايها اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا رجل النبي صلى الله عليه وسلم
فقالا نشهد انك نبي مبعوث قال فما يمنعكما من الايمان قالا نخاف ان يقتلنا اليهود **وقوله** تعالى وبالحق انزلناه
اي القران وقد سبق ذكره في ايات انزلناه بالحق لا بالباطل وبيانا للحق وبالحق نزل اي كما انزلناه لم يبدل له
جبريل ولا حرف شيا منه **وقوله** تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي فامض لما ارسلناك له ولا تنظر
الي تكذيب المكذبين **وقوله** تعالى وقرانا فرقناه قيل اضمر فيه واتيناك قرانا وقيل وانزلناه قرانا فرقناه
اي ولا نافية على اصوب الطريقين وميزنا به الحق من الباطل وقيل بيناه كما قال فيها يفرق كل امر حكيم وقيل
احكمناه وقيل هو بمعنى التفريق اي انزلناه متفرقا في سنين لتقراه على الناس على مكث اي على تثبت وتوقف
ليحفظوه في صدورهم وقيل اي من غير عجل كما قال لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال ولا تعجل بالقران **وقوله**
تعالى ونزلناه تنزيلا اي شيا فشيا على حسب الحوادث وقيل نزلناه اي جعلناه منازل ومراتب درجنا
الناس عليها ولم ناخذهم بجميع الفرايض جملة لئلا يشق عليهم فينفروا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
على مكث على تؤدة وقال عطا على مهل وقال مجاهد ومقاتل على ترتيل وقال على حينه **وقوله**
تعالى قل امنوا اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يقولون لك حتى تقبل لنا الايات امنوا به اي بالقران او لا
تومنوا ليس بتخيير جمع بين الامر والنهي لكنه وعيد واخبار انكم ان امنوا فلا نفع لنا وان لم يومنوا فلا ضرر علينا
بل النفع والضرر لكم وعليكم وليس في ترككم الايمان ما يبطل الحق الذي نزل به وقد امن به من هو اعلم بالدين منكم
وهو قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من قبل نزول القران وهم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واصحابه اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا جمع الذقن وهو مجمع اللحيين واراد بها الوجه وهذا عن
ابن عباس وقتاده وقيل انما ذكر الاذقان لان اول ما يقع على الارض من الوجه ذلك ويقولون اي في سجودهم سبحان ربنا
اي ننزه ربنا عن المعايب ان كان وعد ربنا لمفعولا اي ما كان وعد ربنا الا كاينا **وقوله** تعالى قل ادعوا الله او
ادعوا الرحمن قال الضحاك قال اهل الكتاب وهم الذين مر ذكرهم ان الذين اوتوا العلم من قبله لرسول الله انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله هذا الاسم في التورية فانزل الله هذه الاية فسر به اهل الكتاب وقال
ابن عباس رضي الله عنهما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله مرة والرحمن مرة فقالوا انه ينهانا عن الهين
اثنين وهو يدعو الهين فانزل الله الاية وقال مقاتل دعا رجل من الصحابة باسمه ودعاه ثانيا بالرحمن فسمعه
ابو جهل فقال الا تسمعونه ما تعاطونه **وقوله** تعالى ايا ما تدعوا وهذا شرط ولذلك جزم وحذف النون فله
الاسما الحسنى اي التسميات الدالة على الصفات باي اسم دعي فهو واحد وليس اختلاف الاسما لاختلاف المسمى

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

وقوله

وقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بدعايك كما قال وصل عليهم اي امكن دعاوك الله بين الجهر الشديد والمخافتة
الشديدة وذلك بان تسمع نفسك ويفهم عنك من يقرب منك فيومن على دعايك ويقتدي بك فيه هو تعليم ادب
الدعا وهو اوفق للنظم وقيل هو عين الصلاة المعهودة ومعناه لا تجهر بالقراة في الصلاة كل الجهر ولا تخافت كل المخافتة
وهي خفض الصوت وكان هذا بمكة لان المشركين كانوا يوذونه اذا جهر ولا يسمع من خلفه اذا خافت وهذا عن ابن عباس
وقتاده وقال الحسن ولا تجهر بالصلاة باشاعتها عند من يوذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك وقيل ولا تجهر
بصلواتك كلها ولا تخافت بجميعها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلوة النهار وبين ذلك في معنى
بين ذينك كما مر في قوله عوان بين ذلك وقال الضحاك ولا تجهر بصلواتك رياء الناس ولا تخافت بها مخافة الناس وقال
الحسن لا تحسن صلواتك في العلانية وتسيها في السر وقالت عايشة رضي الله عنها هذا في الدعا يقول لا تجهر
باستغفارك وتوبتك فيسمعه غيرك فيلومك بذنبك وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جهر في صلوته سبه المشركون ولغوا فنزلت الاية ولا تجهر بصلوتك فيسمع المشركون ولا تخافت بها
حتى لا يسمع اصحابك ومر النبي صلى الله عليه وسلم بابي بكر رضي الله عنه وهو يخافت بالقراة ومر بعمر رضي الله عنه
وهو يجهر بالقراة فلما اصبح ذكر لهما ذلك فقال الصديق كنت اسمع من اناجيه وقال الفاروق كنت اوقظ
الوسنان واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يجهر قليلا وعمر ان يخفض قليلا **وقوله** تعالى وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا قال الحسين بن الفضل اي الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل اي المستحق للحمد والثنا
هو الله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك على الاول اي عرفني ذلك وعلى الثاني المستحق للحمد والثنا وذلك
وعلى هذين **قوله** تعالى ولم يكن له ولي من الذل اي من يتولى عليه امره ويقوم بنصرته فيعتز به من الذل
وقيل اي لم يكن حبيب من اهل الذل وهم اليهود والنصارى بل اولياوه المومنون وكبره تكبيرا
اي عظمه تعظيما حقا والمصدر للتاكيد والتحقيق اي حتى لا يكون في قلبك شي اعظم منه ولا اهيب وقيل قل
بلسانك الله اكبر وفي قلبك تحقيق ذلك وقيل اي كبره عن كل ما لا يجوز في وصفه وقيل صفه بانه اكبر من كل شي
القادر الذي لا يعجزه شي العالم الذي لا يخفى عليه شي الغني عن كل شي معتقدا له بقلبك عاملا عليه فيما يلزمك وقال
الامام ابو منصور رحمه الله ولم يكن له ولي من الذل اي لم يتخذ الاوليا ليتعزز بهم من الذل انما اتخذ اوليا رحمة
منه وفضلا ليتعززوا هم بذلك وكبره تكبيرا اي صفه بما وصف به نفسه واعرفه بما ذكرنا واعرفه لكذلك
فقد عظمته وكبرته وقال القشيري رحمه الله وكبره
تكبيرا بانك تعلم انك تصل اليه
لا بتكبيرك والحمد لله رب العالمين

هذا الجزو من براة الى الكهف
مايتان وعشرون ورقه